

الخلاصة في أصول التربية الإسلامية

جمع وإعداد

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشجود

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

((ماليزيا))

((بهانج - دار المعمر))

((حقوق الطبع لكل مسلم))

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فقد اهتم الإسلام بكل جوانب الحياة، قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبُؤْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (١٧٧) سورة البقرة.

وقد أولى التربية العناية البالغة، ذلك لأن المجتمع صغيراً كان أم كبيراً يؤثر تأثيراً بالغاً على سلوك الأطفال، فعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجْسِنَانِهِ، كَمَا تَنْتَجُونَ إِبْلَكُمْ هَذِهِ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَافْرُؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: {.. فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (٣٠) سورة الروم.^١

فأمر طبيعي أن يصوغ الإسلام الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم بمنهج التربية الفريد، الذي أنزله الله تعالى من عنده، ومن ثم لو قارنا بين المنهج الإسلامي في التربية وبين المناهج الأرضية الأخرى لوجدنا الفارق شاسعاً، ذلك لأن الأول من عند الله العليم الخبير بخلقه، وتلك من صنع الناس الذين لا يستطيعون أن يدركوا أسرار النفس الإنسانية . قال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (١٤) سورة الملك.

^١ -صحيح البخارى- المكثر - (١٣٥٨) وصحيح مسلم- المكثر - (٦٩٢٦) و صحيح ابن حبان - (١) /

ومن ثم فإنه يعتبر تلك المناهج النقص والتغيير والتبديل والتركيز على بعض الجوانب وإهمال جوانب أخرى، ومن ثم لا يمكن لها - مهما تمقها أصحابها وزر كشوها- أن تصلح النفس الإنسانية، وتوجد الإنسان الصالح .

بينما المنهج الإسلامي يتصف بالكمال والشمول، ومراعاة جميع جوانب الحياة المادية والمعنوية، ومن ثم فهو يرافق هذا الإنسان في رحلته الحياتية كلها منذ أن كان جنينا في بطن أمه إلى أن يموت، وما بعد الموت كذلك .

ولذا فإن أصول التربية الإسلامية - والمستمدة أصلاً من القرآن والسنة وما يستنبط منهما- تختلف اختلافاً حاداً عن أصول التربية الوضعية .

وربما تلتقي معها في بعض الجزئيات ولكن أصول هذه الجزئيات مختلفة جداً .

وقد أوهم أعداء الإسلام بأن سبب تقدمهم تلك المناهج التربوية والفكرية التي وضعوها، فما على المسلمين إذا أرادوا التقدم إلا استيراد تلك المناهج وتطبيقها في بلاد المسلمين ليلحقوا بالركب، ولكن الحقيقة غير ذلك .

فقد استوردت هذه المناهج وطبقت في سائر بلاد المسلمين، ونحى المنهج التربوي الإسلامي، فلم يتقدم المسلمون، ولم يواكبوا ركب الحضارة، ولم تستطع تلك المناهج - الأرضية - أن توجد الإنسان الصالح، ولا المواطن الصالح، بل زاد الفساد، واستشرت المشكلات، يوماً بعد يوم .

فاليابان لم تستورد تلك المناهج أصلاً، وإنما استوردت عناصر التقدم العلمي، وبقيت محافظة على ذاتيتها، فتقدمت تقدماً سريعاً خلال فترة قصيرة من الزمن.

أما نحن فلم نستورد من عند القوم إلا النفايات والمصائب، حتى نبقى تابعين لهم في كل شيء .

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من سؤال أهل الكتاب، فعن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم، وقد ضلوا، فإنكم إما أن

تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ، أَوْ تُكْذِبُوا بِحَقٍّ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي.^٢

وَعَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ كُتُبِهِمْ وَعِنْدَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ أَقْرَبُ الْكُتُبِ عَهْدًا بِاللَّهِ تَقْرَأُونَهُ مَحْضًا لَمْ يَشُبْ.^٣

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ فَتُكْذَبُوا بِحَقٍّ، أَوْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُواكُمْ وَيَضِلُّوا أَنْفُسَهُمْ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا فِي قَلْبِهِ تَالِيَةٌ تَدْعُوهُ إِلَى دِينِهِ كِتَالِيَةَ الْمَالِ.^٤

أما آن لهذه الأمة أن تصحو من هذا السهاد !!؟.

هذا وقد انتبه عدد من المخلصين والغيورين على دينهم من أبناء هذه الأمة، لهذا الخطر المحقق بنا، فألّفوا عددا جيدا من الكتب والأبحاث التي تعطينا البديل الإسلامي الصحيح، القادر على إنقاذ هذه الأمة مما ألمّ بها، والأخذ بيدها صعدا نحو مدارج الكمال . فإذا أخذنا بهذا المنهج فإننا نغدو خير أمة أخرجت للناس، كما قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ..} (١١٠) سورة آل عمران.

ونقود البشرية من جديد نحو برّ الأمان بعد أن غاصت إلى الركب بالدماء والأشلاء . والله تعالى يخاطبنا بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} (٢٤) سورة الأنفال يا أيها الذين صدّقوا بالله ربّا ومحمد نبيا ورسولا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة إذا دعاكم لما يحييكم من الحق، ففي الاستجابة إصلاح حياتكم في الدنيا والآخرة، واعلموا -

^٢ -مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ١٢٣) (١٤٦٣١) ١٤٦٨٥ - وفتح الباري لابن حجر - (١٣ / ٥٢٥)

ومختصر العلو - (١ / ٥٩) حسن

^٣ -مصنف ابن أبي شيبة - (١٣ / ٤٦٠) (٢٦٩٥١) صحيح موقوف

^٤ -مصنف ابن أبي شيبة - (١٣ / ٤٦٠) (٢٦٩٥٢) المعجم الكبير للطبراني - (٨ / ٣٠١) (٩٦٤٣) صحيح

موقوف

أيها المؤمنون- أن الله تعالى هو المتصرف في جميع الأشياء، والقادر على أن يحول بين الإنسان وما يشتهي قلبه، فهو سبحانه الذي ينبغي أن يستجاب له إذا دعاكم؛ إذ بيده ملكوت كل شيء، واعلموا أنكم تُجمعون ليوم لا ريب فيه، فيجازي كل بما يستحق°.

وفي هذا الكتاب قد تطرقت للأمور التالية :

الباب الأول = حول تعريف التربية وأهميتها ، وفيه مباحث:

المبحث الأول- مفهوم التربية في الإسلام

المبحث الثاني- أهداف التربية الإسلامية ومقاصدها

المبحث الثالث- ميزات التربية الإسلامية

المبحث الرابع- سمات التربية الإسلامية

الباب الثاني = أصول التربية الإسلامية ، وفيه مباحث :

المبحث الأول- البناء العقائدي

المطلب الأول: أهمية مرحلة الطفولة في غرس العقيدة

المطلب الثاني: أسس غرس أركان الإيمان في الأطفال

المطلب الثالث: ترسيخ حب النبي - صلى الله عليه وسلم- وحب آل بيته وصحبه .

المطلب الرابع: الإيمان بالملائكة

المطلب الخامس: الإيمان بالكتب السماوية

المطلب السادس: الإيمان بالرسول عليهم السلام

المطلب السابع: الإيمان باليوم الآخر

المطلب الثامن: الإيمان بالقدر خيره وشره

المطلب التاسع: تعليم الطفل القرآن والسنة النبوية المطهرة

المطلب العاشر: الثبات على العقيدة والتضحية من أجلها

المطلب الحادي عشر - تعريفه أول ما يعقل أحكام الحلال والحرام

° - التفسير الميسر - (٣ / ١٩٢) وانظر أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١١٨٥) وفي ظلال القرآن - موافقا

للمطبوع - (٣ / ١٤٩٤) وتفسير السعدي - (١ / ٣١٨) وتفسير الشعراوي - (١ / ١١٧١)

المبحث الثاني-البناء العبادي

المطلب الأول:تكامل العقيدة مع العبادة في تربية الطفل

المطلب الثاني:الصلاة

المطلب الثالث:الصيام وبيان حكمه على الطفل وأثره عليه

المطلب الرابع:الزكاة

المطلب الخامس:الحج

المبحث الثالث-البناء الأخلاقي

المطلب الأول:خلق تآديب الأطفال

المطلب الثاني:أنواع الأخلاق النبوية للأطفال

المطلب الثالث-التحذير من الأخلاق الهابطة

المطلب الرابع:أنواع الآداب النبوية للأطفال

المطلب الرابع - المبادئ الصحيحة في تربية الولد على الخلق القويم،والشخصية

الإسلامية المتميزة

المبحث الرابع-البناء البدني

المطلب الأول:وجوب النفقة على الأهل والولد

المطلب الثاني:أهداف التربية البدنية

المطلب الثالث:بعض الممارسات الرياضية في الإسلام

المطلب الرابع:فوائد اللعب وقيمه

المطلب الخامس:قواعد الأكل والشرب والتغذية وأثرها على التربي البدنية

المطلب السادس:التربية البدنية وآداب النوم

المطلب السابع:اهتمام الأطفال بالنظافة

المطلب الثامن:التحرز من الأمراض السارية المعدية

المطلب التاسع - علاجهم إذا مرضوا

المبحث الخامس-البناء العلمي

المطلب الأول: الشريعة تدعو إلى العلم بمعناه الشامل
المطلب الثاني: العلم في القرآن الكريم
المطلب الثالث: العلم في السنة النبوية المطهرة
المطلب الرابع: السنن الذي يبدأ فيه تعليم الطفل وتأديبه
المطلب الخامس - لا فرق بين الذكور والإناث في التعليم
المطلب السادس - التوعية الفكرية
المطلب السابع - أنواع القراءة
المبحث السادس-التربية النفسية

المطلب الأول- ظاهرة الخجل وعلاجها

المطلب الثاني - ظاهرة الخوف وعلاجها

المطلب الثالث - ظاهرة الشعور بالنقص وعلاجها

المطلب الرابع - ظاهرة الحسد وعلاجها

المطلب الخامس - ظاهرة الغضب وعلاجها

أسأل الله تعالى أن يرُدَّ هذه الأمة إلى رشدها قبل فوات الأوان، وأن ينفع به كاتبه وقارئه
وناشره والذال عليه في الدارين .

قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا
مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (١٠٨) سورة يوسف .

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

في ١٤ رمضان ١٤٣٠ هـ الموافق ل ٩/٤ / ٢٠٠٩ م



الباب الأول
حول تعريف التربية وأهميتها
المبحث الأول
مفهوم التربية في الإسلام

التربية لغة :

إذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية وجدنا لكلمة التربية أصولاً لغوية ثلاثة:
الأصل الأول: رَبَا يَرُوبُ. بمعنى زادَ ونما، فتكون التربية هنا بمعنى النمو والزيادة، كما في قوله تعالى: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} (٢٧٦) سورة البقرة ...

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَتُقَرَّبُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} (٥) سورة الحج
{وَمَا آتَيْتُمْ مِّنْ رَبِّا لِّيُرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرُبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِّنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} (٣٩) سورة الروم

الأصل الثاني: رَبَّى يَرِي على وزن حفى يخفى، وتكون التربية بمعنى التنشئة والرعاية، كما في قوله تعالى: {قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ} (١٨) سورة الشعراء، {وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} (٢٤) سورة الإسراء.

وعليه قول الأعرابي :

فمن يك سائلاً عني فإني *** ممكة متزلي وبها ربيتُ

الأصل الثالث: رب يرب بوزن مدّ يمدّ بمعنى أصلحه، وتولى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه، كما في قوله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (٣١) سورة البقرة... {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} (١١٠) سورة المائدة

{وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ} (٤٨) سورة آل عمران

التربية اصطلاحاً :

تختلف الآراء في تحديد مفهوم التربية باختلاف الظروف التاريخية والحضارية وباختلاف الأماكن — كما قد تختلف باختلاف نظرة المتخصصين، وقد وردت تعاريف كثيرة للتربية من قبل فلاسفة وعلماء اجتماع وسياسيين ونفسانيين..

ولكن لا تخرج تعريفاتهم بأي حال من الأحوال عن المعنى اللغوي للكلمة.

قال الإمام البيضاوي (ت ٦٨٥هـ): الرب في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، ثم وصف به تعالى للمبالغة.

وقال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ): الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام.

ويمكن القول بصفة عامة أن التربية هي :

* عملية يُقصد بها تنمية وتطوير قدرات ومهارات الأفراد من أجل مواجهة متطلبات الحياة بأوجهها المختلفة

* أو هي عملية بناء شخصية الأفراد بناء شاملاً كي يستطيعوا التعامل مع كل ما يحيط بهم، أو التأقلم والتكيف مع البيئة التي يعيشون بها، وتكون التربية للفرد والمجتمع. وعرف علماء التربية الحديثة (التربية) بأنها تغيير في السلوك.

كما أن هذا المصطلح لم يُستعمل في تراثنا الإسلامي لاسيما القديم منه؛ وإنما أشار إليه بعض من كتب في المجال التربوي بألفاظٍ أو مصطلحاتٍ أخرى قد تؤدي المعنى المقصود؛ أو تكون قريبةً منه. وقد أشار إلى ذلك (محمد منير مرسى، ١٤٢١هـ، ص ٤٨) بقوله: "تعتبر كلمة التربية بمفهومها الاصطلاحي من الكلمات الحديثة التي ظهرت في السنوات الأخيرة مرتبطةً بمرحلة التجديد التربوي في البلاد العربية في الربع الثاني من القرن العشرين؛ ولذلك لا نجد لها استخداماً في المصادر العربية القديمة"

أما الألفاظ والمصطلحات التي كانت تُستخدم في كتابات السلف للدلالة على معنى التربية؛ فمنها ما يلي:

١) مصطلح التنشئة: ويُقصد بها تربية ورعاية الإنسان منذ الصغر؛ ولذلك يُقال: نشأ فلان وترعرع. قال الشاعر العربي:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا * * * على ما كان عوده أبوه

ومن استخدم هذا المصطلح العالم عبد الرحمن بن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٨هـ) في مقدمته الشهيرة .

٢) مصطلح الإصلاح: ويعني التغيير إلى الأفضل، وهو ضد الإفساد، ويُقصد به العناية بالشيء والقيام عليه وإصلاح

اعوجاجه؛ وقد ذكر ذلك (خالد حامد الحازمي، ١٤٢٠هـ، ص ٢٣) بقوله: "والإصلاح يقتضي التعديل، والتحسين، ولكن لا يلزم أن يحصل منه النماء والزيادة، فهو إذاً يؤدي جزءاً من مدلول التربية".

٣) مصطلح التأديب أو الأدب: ويُقصد به التحلي بالحماد من الصفات والطباع والأخلاق؛ والابتعاد عن القبائح، ويتضمن التأديب معنى الإصلاح والنماء. وهو ما يُشير إليه (علي إدريس، ١٤٠٥هـ، ص ١٣) بقوله: "عند قدماء العرب كانت كلمة (تأديب) هي المستعملة والمتداولة أكثر من كلمة تربية، وكان المدلول الأول لكلمة (أدب) في تلك البيئة العربية يُطلق على الكرم والضيافة، فكان يُقال: فلانٌ أدبٌ القوم إذا دعاهم إلى

طعام" وهكذا كان مدلول كلمة (تأديب) منصرفاً بالدرجة الأولى إلى الجانب السلوكي من حيث علاقة الإنسان مع غيره ."

وهنا نلاحظ أن مصطلح الأدب والتأديب وثيق الصلة بمصطلح التربية حيث يمكن أن تُشتق منه تسمية المعارف آداباً وتسمية التعليم تأديباً، وتسمية المربي أو المعلم مؤدباً . وقد أشار إلى هذا المعنى (أحمد شلبي، ١٩٧٨م، ص ٥٨) في معرض حديثه عن التعليم في القصور؛ فأورد نقلاً عن (رسالة المعلمين) للجاحظ قوله: "والمعلم هنا (أي في القصور) لا يُسمى معلم صبيان أو معلم كُتاب، وإنما يُطلق عليه لفظ "مؤدّب" وقد اشتق اسم المؤدّب من الأدب، والأدب إما خُلِقَ وإما رواية، وقد أطلقوا كلمة مؤدّب على معلمي أولاد الملوك إذ كانوا يتولون الناحيتين جميعاً ."

ومصطلح الأدب أو التأديب مصطلحٌ شائعٌ ورد في بعض أحاديث النبي ﷺ التي منها: عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَأَنْ يُؤَدَّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ كُلَّ يَوْمٍ بِنِصْفِ صَاعٍ.^٦

وَعَنْ صَالِحِ بْنِ رُسْتَمٍ، قَالَ: أَنْطَلَقْتُ أَنَا وَوَالِدِي، إِلَى أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى، فَقَالَ أَيُّوبُ: ابْنُكَ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَحْسِنْ أَدَبَهُ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ حَدِيثِي، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: " مَا نَحِلَ وَالِدٌ وَلَدَهُ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ "^٧

وَعَنِ الْحَارِثِ بْنِ التُّعْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ.^٨

وهنا نلاحظ من معاني هذه الأحاديث أن لفظ الأدب يدل على معنى كلمة تربية الأبناء وتنشئتهم على التحلي بمحاسن الأخلاق، وجميل الطباع . كما أن هذا المصطلح قد شاع استعماله عند كثيرٍ من العلماء والفقهاء والمفكرين المسلمين القدامى ومنهم: الماوردي (

^٦ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٤٨) (٢٠٩٧٠) (٢١٢٧٩) - فيه ضعف

^٧ - شعب الإيمان - (١١ / ١٣٠) (٨٢٨٦) (١٣٠) (٣٠٨ / ٥) (١٥٤٠٣) (١ / ١٥٤٧٨) -

حسن لغيره

^٨ - سنن ابن ماجه - ط - الرسالة - (٤ / ٦٣٦) (٣٦٧١) ضعيف

المتوفى سنة ٤٥٠هـ) في كتابه (أدب الدنيا والدين)، ومحمد بن سحنون التنوخي (المتوفى سنة ٢٥٦هـ) في رسالته (آداب المعلمين والمتعلمين)، والخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣هـ) في كتابه (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع).



المبحث الثاني

أهداف التربية الإسلامية ومقاصدها

يُقصد بالأهداف التربوية: «الأغراض أو الغايات، التي تسعى العملية التربوية إلى تحقيقها والوصول إليها، قريبة كانت أو بعيدة». وتحديد الأهداف لأي عمل من الأعمال التربوية أمرٌ أساسي قبل الشروع في هذا العمل وتنفيذه؛ لأن هذا التحديد يؤثر تأثيراً كبيراً في تكييف وتحديد مجال الدراسة، وطرقها، ووسائلها، وأساليبها التي تحقق هذه الأهداف، كما أن الأهداف غالباً ما تكون محركاً للسلوك وموجهاً إليه. لذا كان لزاماً على دارسي التربية الإسلامية أن يحددوا أهدافها أولاً؛ حتى يستطيعوا أن يحددوا الطرق والوسائل والأساليب التي يمكن أن تحقق لهم أهدافهم، وتحركهم تجاه هذه الأهداف بقوة وفعالية؛ فالإنسان عندما يضع لنفسه هدفاً محدداً ينشط كلما اقترب منه خطوة، وكلما حقق جزءاً منه ازداد فرحاً وسروراً وبهجة، وتصميماً على مواصلة العمل في سبيل تحقيق باقي الهدف، ويدفعه ذلك إلى تنظيم حياته، وتجنب اللهو والأمور التافهة التي ينشغل بها - عادةً - من ليست لهم الأهداف السامية، ولا يعرفون كيف يملئون أوقات فراغهم بما يعود على حياتهم بالنفع». والإنسان الذي لا هدف له، لا يعرف لذة العمل، ولا يتذوق طعم الحماس، بل يجيا حياته ضائعاً، لا يعرف أين الجهة التي يولي وجهه شطرها، ولا يدري أين المنتهى، ولا يستطيع الجزم بأفضلية طريقة على طريقة أخرى، أو الأخذ بوسيلة دون أخرى. إذن، فتحديد أهداف معينة للتربية الإسلامية يعد أمراً لازماً وضرورياً لممارسة العملية التربوية في الإسلام، وضمن نجاحها واستمرارها وتطورها؛ لتؤتي ثمارها بأقل جهد، وأقصر وقت، وأفضل عطاء.

كما أن تحديد أهداف التربية الإسلامية يساعد على تحديد «مسارات التقدم العلمي والحضاري، ويوجه هذا التقدم إلى حيث يجب أن يتجه إليه. وكل ذلك يعد بمثابة موجهات وإقاية من انحراف التربية عن مسيرها المستقيم».

والأهداف التربوية الإسلامية تدور حول أربعة مستويات:

الأول: الأهداف التي تدور على مستوى العبودية لله - سبحانه وتعالى - أو إخلاص العبودية لله.

الثاني: الأهداف التي تدور على مستوى الفرد؛ لإنشاء شخصية إسلامية ذات مثل أعلى يتصل بالله تعالى.

الثالث: الأهداف التي تدور حول بناء المجتمع الإسلامي، أو بناء الأمة المؤمنة.

الرابع: الأهداف التي تدور حول تحقيق المنافع الدينية والدنيوية.

أما مصادر اشتقاق الأهداف التربوية فلا تخرج غالباً عن مصدرين رئيسيين، هما: الفرد والمجتمع؛ وعلى هذا اتفقت معظم الفلاسفات والنظريات التربوية في الماضي والحاضر، وتتفق التربية الإسلامية مع هذه النظريات والفلاسفات - في تحديد هذين المصدرين كمصادر لاشتقاق الأهداف التربوية، لكنها تنفرد عن غيرها من الفلاسفات والنظريات في أن هناك مصدرًا ثالثًا يحتل مركز الصدارة بين مصادر اشتقاق الأهداف في التربية الإسلامية، وهو «الوحي الإلهي»، الذي يعدُّ الضابط الذي تقوم عليه تربية الفرد في الإسلام.

وعلى هذا تكون مصادر اشتقاق الأهداف في التربية الإسلامية ثلاثة، هي:

١ - الوحي الإلهي: المتمثل في كتاب الله - تعالى - وسنة نبيه ﷺ.

٢ - المجتمع المسلم: الذي يجب التعرف على احتياجاته، ومتطلباته، وظروفه، وأحواله المتغيرة؛ لتحديد الأهداف التي تناسبه.

٣ - الفرد المسلم: الذي يجب التعرف على طبيعته، وميوله، ورغباته، ومواهبه؛ لوضع الأهداف التي تناسب ذلك.

ويمكن تقسيم أهداف التربية الإسلامية في ضوء المصادر التي اشتقت منها، والمستويات التي تعمل على تحقيقها إلى نوعين من الأهداف:

الأول - الهدف العام للتربية الإسلامية: ويتمثل الهدف العام للتربية الإسلامية في تحقيق معنى العبودية لله تعالى؛ انطلاقاً من قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (٥٦) سورة الذاريات. فالهدف الأساسي لوجود الإنسان في الكون هو عبادة الله، والخضوع له، وتعمير الكون؛ بوصفه خليفة الله في أرضه.

والعبودية لله - تعالى - لا تقتصر على مجرد أداء شعائر ومناسك معينة: كالصلاة، والصيام، والحج - مثلاً - وإنما هي اسم جامع لكل ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. فالإنسان الذي يريد أن يتحقق فيه معنى العبودية، هو الذي يُخضع أمره كلها لما يحبه الله - تعالى - ويرضاه، سواء في ذلك ما ينتمي إلى مجال الاعتقادات، أو الأقوال، أو الأفعال؛ فهو يكيف حياته وسلوكه جميعاً لهداية الله وشرعه؛ فلا يفترقه الله حيث أمره، ولا يجده حيث نهاه، وإنما يلتزم بأوامر الله فيأتي منها ما استطاع، ويتزجر عن نواهيه سبحانه فلا يقربها؛ فعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُؤَالُهُمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِأَمْرٍ، فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ^٩.

فالمسلم دائماً إذا أمره الله - تعالى - أو نهاه، أو أحلّ له، أو حرّم عليه - كان موقفه في ذلك كله: { وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } (٢٨٥) سورة البقرة.

وهذا هو الهدف العام الذي تعمل التربية الإسلامية على تحقيقه.

ثانياً - الأهداف الفرعية للتربية الإسلامية: إن تحقيق الهدف العام للتربية الإسلامية - متمثلاً في العبودية الحقة لله تعالى - يتطلب تحقيق أهداف فرعية كثيرة، منها:

أولاً: التنشئة العقديّة الصحيحة لأبناء المجتمع المسلم؛ لإعداد الإنسان الصالح الذي يعبد الله - عز وجل - على هدى وبصيرة.

ثانياً: أن يتخلق الفرد في المجتمع المسلم بالأخلاق الحميدة: من صدق، وأمانة، وإخلاص... إلخ؛ مقتدياً في ذلك برسول الله ﷺ، الذي شهد له ربه سبحانه بقوله: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } (٤) سورة القلم، وعملاً بقوله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^{١٠}.

وبذلك يمكن تهيئة المجتمع المسلم للقيام بمهمة الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

^٩ - صحيح البخارى - المكثر - (٧٢٨٨) وصحيح ابن حبان - (١ / ١٩٩) (١٩)

^{١٠} - الفوائد لتمام ٤١٤ - (١ / ١٥٦) (٢٧٦) صحيح

ثالثاً: تنمية الشعور الجماعي لأفراد المجتمع المسلم؛ بحيث يرسخ لدى الفرد الشعور بالانتماء إلى مجتمعه؛ فيهتم بقضاياها وهمومه، ويرتبط بإخوانه؛ عملاً بقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (١٠) سورة الحجرات، وقوله ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»^{١١}، وقوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَنِعَاطِفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى»^{١٢}.

وبذلك تتأكد روابط الأخوة الإيمانية الصادقة بين أبناء الأمة المسلمة.

رابعاً: تكوين الفرد المترن نفسياً وعاطفياً، وذلك بحسن توجيهه وحسن الحوار مع الأطفال، ومعالجة مشاكلهم النفسية... إلخ؛ مما يساعد على تكوين شخص فاعل وعضو نافع لمجتمعه.

خامساً: صقل مواهب النشء ورعايتها؛ لتكوين الفرد المبدع، الذي يتمتع بالمواهب والملكات التي باتت ضرورة ملحة لتقدم المجتمعات في الوقت الحاضر، وذلك بتنمية قدرات النشء على التفكير الابتكاري، ووضع الحلول للمشكلات المختلفة، وتنمية قدراتهم على التركيز والتخيل والتعبير، واستثارة الذهن بالأسئلة والمناقشات، وتوجيه الأطفال إلى الأمور التي قد تكون أكبر من سنهم، ورفع هممتهم، وتنظيم تفكيرهم. سادساً: تكوين الفرد الصحيح جسمياً وبدنياً، الذي يستطيع القيام بدوره وواجبه في عمارة الأرض واستثمار خيراتها، والقيام بأعباء الاستخلاف في الأرض ومهامه، التي جعله الله خليفته فيها؛ عملاً بقوله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ الْخَيْرِ فَاحْرِصْ عَلَيَّ مَا تَنْتَفِعُ بِهِ، وَأَسْتَعِنُ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ اللَّوَّ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^{١٣}؛ ولهذا

^{١١} - صحيح البخارى - المكثر - (٤٨١) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٧٥٠) وصحيح ابن حبان - (١) /

(٤٦٧)(٢٣١)

^{١٢} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٧٥١)

^{١٣} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٩٤٥) وصحيح ابن حبان - (١٣ / ٢٩)(٥٧٢٢)

شجع الإسلام على أمور تقوي الجسم: كالرمي، والفروسية، والسباحة، وكان الصحابة يتبارون ويتمنون على رمي النبل، وصارع الرسول ﷺ ركانة بن عبد يزيد فصرعه ﷺ، وكان ذلك سبباً في إسلامه.^{١٤}.



^{١٤} - المراجع المتخصصة:

- ١ - أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٢ - أهداف التربية الإسلامية وغاياتها، مقداد يالجن، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
- ٣ - التربية الإسلامية للأولاد: منهجاً وهدفاً وأسلوباً، عبد الحميد الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٤ - تربية الطفل في الإسلام: النظرية والتطبيق، د/ محمد عبد السلام العجمي، وآخرون، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٥ - التربية قديمها وحديثها، فاخر عاقل، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨١م.
- ٦ - الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، سهام مهدي جبار، سلسلة الكتاب التربوي الإسلامي، إشراف: د/ محمد منير سعد الدين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٧ - العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ٨ - العبودية، لابن تيمية، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).
- ٩ - مقدمة في التربية الإسلامية، د/ صالح بن علي أبو عراد، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٠ - منهاج الطفل المسلم في ضوء الكتاب والسنة، أحمد سليمان، مطبعة النرجس التجارية، الرياض، الطبعة الثانية، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، ص (٢٤) -

المبحث الثالث

مميزات التربية الإسلامية

يعيش المسلم في ظل التربية الإسلامية حياة ملؤها السعادة والاطمئنان، فهو يشعر بالراحة النفسية والاجتماعية، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن كل شيء في هذا الكون يحصل بقدر الله عز وجل .

وأما الإنسان الذي يعيش في المجتمعات غير الإسلامية فهو يشعر بالإحباط والقلق والتوتر والاضطراب النفسي والفراغ الروحي والاكتئاب فتكثر حالات الانتحار والهروب والفساد الخلقي والاجتماعي.

من هنا تتجلى أهمية التربية الإسلامية وقيمتها ويظهر ذلك من خلال :

١. إنها تنظم حياة الإنسان مع ربه سبحانه وتعالى، فالله عز وجل هو الخالق الرازق المستحق للعبادة، والإنسان مخلوق وظيفته عبادة ربه والتوجه إليه دائماً، قال تعالى: {أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)} [العلق: ١ - ٥].

٢. إنها تحقق السعادة للإنسان في الحياة الدنيا والآخرة، فالمسلم يعرف قيمة الدنيا، فعالمه أوسع من عالم الحياة المادية الأرضية وحدها، فالتربية الإسلامية تقوم على أساس الواقع المادي والروحي للإنسان دون الاقتصار على جانب واحد منها فقط^{١٥}، والمسلم يعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة وأن ما عمله في الدنيا سوف يجده ويحاسب عليه في الآخرة قال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} (٧٧) سورة القصص .

^{١٥} - محمد منير مرسي، مرجع سابق ص ٥٤ .

٣. التربية الإسلامية تنظم حياة المسلم مع مجتمعه الذي يعيش فيه، وتعمل على تقوية الروابط بين المسلمين ودعم قضاياهم والتضامن معهم قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (١٠) سورة الحجرات وعن عامر، قال: سَمِعْتُ الثُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَخْطُبُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ شَيْءٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى^{١٦}.

٤. التربية الإسلامية تهتم بكل مقومات الإنسان الجسمية والعقلية والنفسية والوجدانية وتسعى إلى تحقيق التوازن التام بين كل هذه المقومات.

فالإسلام يرفض الرهينة والانقطاع للعبادة، كما أنه يرفض تحول البشر إلى عجول آدمية مفتولة العضلات خاوية العقل والروح، وأمر الصحابة الذين حاولوا مخالفة الفطرة أن يعودوا إلى صوابهم، فعن أنس بن مالك، أن نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِّ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذًا وَكَذَا، لَكِنِّي أَصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي.^{١٧}

وتستمد التربية الإسلامية سماتها وميزاتها من الإسلام نفسه، فهي تقوم عليه وتستند إليه، وبالتالي فهي تمتاز بالسماوات والميزات التالية :

١. التربية الإسلامية تربية تكاملية شاملة :

فهي لا تقتصر على جانب واحد من شخصية الإنسان، وتخطب حواسه جميعاً، قال تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُورًا} (٣٦) سورة الإسراء.

^{١٦} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٢٧٦) (١٨٣٧٣) ١٨٥٦٣ - وصحيح مسلم - المكثر - (٦٧٥١)

^{١٧} - صحيح البخارى - المكثر - (٥٠٦٣) وصحيح مسلم - المكثر - (٣٤٦٩) وصحيح ابن حبان - (١ / ١٩١)

فالتربية الإسلامية تدعو إلى الاهتمام بالجسم ونظافته والعناية به، وتأمّر العقل بالنظر في ملكوت الله الواسع، للتفكير والتدبر والنظر لأن استخدام العقل يؤدي إلى تنميته، قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ} (١٩٠) سورة آل عمران .

وتهتم بالروح والنفس فوجهتها للعبادة التي تهذب النفس وتسمو بالروح قال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)} [الشمس: ٧ - ١٠]

٢. التربية الإسلامية تقوم على الإيمان بالله عز وجل:

فهي تدعو الإنسان أول ما تدعوه إلى اليقين بوجود الله عز وجل وقدرته، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (٢) سورة الأنفال.

ولا ينحصر همها في تنمية الإيمان عن طريق الغيبات والظواهر الروحية والعبادات فقط، بل تدعو إلى النظر في هذا الكون ومطالعة ما فيه من ظواهر كونية وعلوم مختلفة، يقول الفرحان: إن كتاب الطبيعة المفتوح والظواهر الكونية والعلوم المختلفة والممارسة العملية في الحياة كلها تعزز هذا الإيمان وترتبط به أيما ارتباط^{١٨}.

٣. التربية الإسلامية تربية عملية :

تؤكد التربية الإسلامية على الجانب العملي في حياة الفرد والمجتمع، ولا تكفي بالنظريات فقط، بل لابد من التوازن بين النواحي النظرية والعملية قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرٌ الْعَامِلِينَ} (٥٨) سورة العنكبوت.

^{١٨} - اسحق أحمد فرحان، مرجع سابق، ص (٥١)

وقد حث الإسلام على العمل وشجع عليه وبين أن الإيمان مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعمل، وبين أن الإنسان يجزى بما عمل قال تعالى: { وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١) } [النجم: ٣٩ - ٤١] .

وقال تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (٥٥) سورة النور .

وقد حث رسول الله ﷺ على العمل وأثنى على العمال ونهى عن الكسل وحذر منه وحرّم التسول .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلُهُ، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ »^{١٩} .
وعَنْ عَبَّادَةَ بْنِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: " كَسْبُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ "^{٢٠}

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: لَكَ فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟ قَالَ: بَلَى، حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضُهُ، وَتَبْسُطُ بَعْضُهُ، وَقَدْ حُشِرْتُ فِيهِ الْمَاءُ، قَالَ: أَتِنْتَنِي بِهِمَا، قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخَذَهُمَا بِدَرَاهِمٍ، قَالَ: مَنْ يَزِيدُ عَلَيَّ دَرَاهِمٍ؟ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخَذَهُمَا بِدَرَاهِمَيْنِ، فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدَّرَاهِمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا لِلْأَنْصَارِيِّ، وَقَالَ: اشْتَرِ بَأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَأَنْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا، فَأَتَنِي بِهِ، فَفَعَلَ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَشَدَّ فِيهِ عُودًا بِيَدِهِ، وَقَالَ: اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَلَا أَرَاكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، فَجَعَلَ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ، فَقَالَ: اشْتَرِ بَعْضَهَا طَعَامًا وَبِغُضِّهَا ثَوْبًا، ثُمَّ قَالَ: هَذَا

^{١٩} - صحيح البخارى - المكثر - (١٤٧٠)

^{٢٠} - شعب الإيمان - (٢ / ٤٣٦) (١١٧٤) صحيح

خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ وَالْمَسْأَلَةُ نُكْتَةٌ فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِدِي فَقْرٍ مُدْفَعٍ، أَوْ لِدِي غُرْمٍ مُفْطَعٍ، أَوْ لِدِي دَمٍ مُوجِعٍ.^{٢١}

٤. تربية فردية وجماعية معا :

تعمل التربية الإسلامية على إعداد الفرد إعدادا سليما في كل شيء وتعتبره مسؤولا عن تصرفاته وحياته، وتمنحه الحرية في كل الأمور ضمن الضوابط الشرعية التي أقرها الإسلام قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ} (٣٨) سورة المدثر .

وهي مع ذلك تدعو الفرد ليكون اجتماعيا متفاعلا ومؤثرا في المجتمع الذي يعيش فيه. فكما أن الإنسان مسؤول عن نفسه فهو مطالب بالانتماء إلى الجماعة والتفاعل معها تفاعلا إيجابيا.

٥. التربية الإسلامية تنمي في الإنسان الرقابة الذاتية على عمله:

فتجعله يشعر برقابة الله عز وجل شعورا يمنعه من الانحراف في السر والعلن قال تعالى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} (١٩) سورة غافر .

وقال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} (١٦) سورة ق.

فالمسلم الذي يربى تربية إسلامية ملتزم سلوكيا وأخلاقيا في كل وقت وفي كل حين لأنه يعلم أن الله يراقبه ومطلع على أعماله.

٦. التربية الإسلامية مستمرة:

يحتاج المسلم إلى التربية الإسلامية من المهد إلى اللحد حاجته إلى الطعام والشراب، فهي ليست محدودة بفترة زمنية، ولا تنتهي بمراحل دراسية معينة، والإنسان مهما تعلم وتطور

^{٢١} - سنن ابن ماجه - ط - الرسالة - (٣ / ٣١٦) (٢١٩٨) حسن

جلس: المجلس: الكساء يكون على ظهر البعير، وسمى به غيره من الأكسية التي تمتهن وتداس.

فقر مدقع: الفقر المدقع هو الذي يلصق صاحبه بالدقعاء، وهي التراب، وذلك من شدته وقيل: هو سوء احتمال الفقر.

غرم مفطع: الغرم إذا ما تكلفت به، والمفطع: الشديد الشنيع.

دم موجع: الدم الموجع: هو أن يتحمل دية، فيسعى فيها حتى يؤديها إلى أولياء المقتول: وإن لم يؤديها قتل المتحمل، وهو نسيبه أو حميمه، فيوجعه قتله.

ووصل إلى مراتب علمية يبقى يتعلم ويحتاج إلى التربية الإسلامية، قال تعالى: {..وَمَا أُوتِيتُمْ
مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} (٨٥) سورة الإسراء.

وقال تعالى: { فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ
وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } (١١٤) سورة طه.

ولاشك أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان والتربية الإسلامية جزء منها
مناسبة لكل زمان ومكان، وبالتالي فهي مستمرة ومتابعة لا تتوقف أبداً، والإنسان محتاج
إليها في كل مراحل حياته .

قد يستغني الإنسان أحيانا عن دراسة بعض العلوم لأنه تخصص في مجال من المجالات فالذي
تخصص في الآداب مثلاً قد يستغني عن الرياضيات والفيزياء وتكون معلوماته فيها
محدودة، والعكس كذلك فقد يستغني المتخصص في المجالات العلمية عن التاريخ أو
الفلسفة، ولكن الجميع لا يمكن أن يستغنوا عن دينهم ولا أن يستغنوا عن التربية الإسلامية.

٧. التربية الإسلامية تربية متدرجة:

نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ منجماً مفرقاً على مدار ثلاث وعشرين سنة ولم
يتزل دفعة واحدة، بل نزل حسب الأحداث والوقائع، يعالج المشاكل ويضع لها الحلول
المناسبة كلما وقعت، وتدرجت تربية القرآن الكريم للأمة فلم يطالب الناس بكل الأحكام
الشرعية دفعة واحدة، فكان التدرج في فرض الجهاد، وتحريم الخمر، وفرضت العبادات على
مراحل ولم تفرض مرة واحدة، فكانت الصلاة في السنة العاشرة للبعثة في رحلة الإسراء
والمعراج، وكان الصوم في السنة الثانية للهجرة بينما تأخر الحج إلى السنة التاسعة
..وهكذا.

ويرى الإمام الغزالي أن أول واجبات المربي أن يعلم الطفل ما يسهل عليه فهمه، لأن
الموضوعات الصعبة تؤدي إلى ارتبائه وتنفيره من العلم^{٢٢}

^{٢٢} - أبو حامد الغزالي، الإحياء، مرجع سابق ج ١، ص (٥٧)

ونادى ابن خلدون بضرورة التدرج في تعليم الصبيان ومراعاة قدراتهم، ويرى أن يكون التعليم في المرحلة الأولى إجمالاً وفي الثانية تفصيلاً، وفي الثالثة تعميقاً بدراسة ما استشكل في العلوم ووسائل الخلف فيه.^{٢٣}

٨. التربية الإسلامية تربية متجددة :

التربية الإسلامية أصيلة بأصالة الإسلام، محافظة تقوم على مبادئ سامية وقيم عريقة وثابتة، ولكنها في نفس الوقت ليست جامدة، بل متجددة متطورة في ظل مبادئ الشرع الحنيف، والتربية الإسلامية قادرة على التكيف والتعامل مع التكنولوجيا الحديثة المعاصرة، حيث أن هذا الدين لا يمنع ذلك، بل يدعو إلى الاستفادة من كل ما يخدم هذا الدين ويفيد المسلمين والحكمة ضالة المؤمن وهو أحق الناس بها .

ومما يدلُّ على ذلك اجتهاد العلماء المتواصل هذه الأيام على توظيف الحاسب الآلي في خدمة الإسلام، حيث نجد أن القرآن الكريم قد تم إدخاله على الحاسب الآلي بأصوات عدد كبير من المقرئين، وكذلك تم إدخال كتب السنن الأمر الذي يسهل على طلاب العلم أبحاثهم، وهناك الكثير من الموسوعات العلمية في الفقه والحديث والسيرة والتاريخ الإسلامي والتفسير قد تمت برمجتها وإدخالها على الحاسب الآلي بحيث أصبح استخدامها والرجوع إليها أمراً في غاية السهولة، بالإضافة إلى المواقع الإسلامية الكثيرة على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) وباللغات المختلفة مما يسهل نشر الإسلام والدعوة إليه .

٩. التربية الإسلامية إنسانية :

تميزت التربية الإسلامية عن غيرها في أنها تسعى إلى إيجاد الإنسان الصالح بكل ما تحمله هذه الكلمة من المعاني الإنسانية، فهي تنمي في الإنسان المسلم حسن التعامل مع كل الناس على اختلاف أجناسهم وأوطانهم وأوطانهم على أنهم بشر خلقهم الله عز وجل وأن مقياس التفاضل بينهم ما قرره الله عز وجل في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا

^{٢٣} - ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص (٤١٠)

خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ { (١٣) سورة الحجرات.

فالإنسان في التربية الإسلامية يستحق الاحترام بصفته الإنسانية على عكس ما يحصل في غير التربية الإسلامية .

فكثيرا ما نسمع في بعض أشكال التربية عن المواطن الصالح، والحقيقة أن هناك فرقا بين الإنسان الصالح والمواطن الصالح، فالإنسان الصالح الذي تنشده التربية الإسلامية صالح في كل مكان وجد فيه، فالمسلم لا يكذب في بلاد المسلمين ولا غيرها، ولا يسرق في المجتمع الإسلامي ولا في غيره، لأن السرقة محرمة على المسلم حيثما حل وأينما وجد.

ولكن المواطن الصالح في نظر بعض الدول هو من يدفع الضرائب ويلتزم بالقوانين والأنظمة داخل حدود الدولة، ولكنه إذا خرج خارج حدود دولته فله تصرف آخر، فمثلا تجد المواطن الأمريكي والبريطاني صالحا في دولته، ولكنه عندما يخرج من حدود دولته يتحول إلى شيطان رجيم، يستعمر الناس ويتسلط عليهم ويذلمهم وينهب خيراتهم، ويستعلي عليهم، ويسومهم سوء العذاب، ولا تعتبره دولته في هذه الحالة إنسانا غير صالح، بل وتحتج على من يقف ليقاومه ويدافع عن نفسه وتعتبره معتديا وإرهابيا ومخالفا للقانون !!!.

١٠. التربية الإسلامية ساوت بين الرجل والمرأة :

ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في كل شيء، إلا فيما يخص الرجل كرجل والمرأة كامرأة، ومن أهم القضايا التي كفلها الإسلام للمرأة حقها في التعليم، وحث على تعليم النساء، ولم يرد نص أو أثر يدعو أو يحول دون تعليم المرأة، بل ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري، قال: قال النَّسَاءُ: غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرَّجَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا، فَجِئْنَ، فَوَعَظَهُنَّ، فَقَالَ لَهُنَّ فِيمَا قَالَ: مَا مِنْكُمْ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةَ مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ قَالَتْ امْرَأَةٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنْتَيْنِ؟ وَقَدْ مَاتَ لَهَا اثْنَانِ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: وَأَنْتَانِ. ٢٤

٢٤ - صحيح البخاري - المكثر - (١٠١) وصحيح ابن حبان - (٧ / ٢٠٦) (٢٩٤٤)

وقال تعالى مقررا هذه المساواة: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} (٣٥) سورة الأحزاب.

١١. تكافؤ فرص التعليم :

يستطيع الباحث أن يؤكد دون تردد أو هوى أن فرص التعليم في العالم الإسلامي كانت مكفولة للغني والفقير على حد سواء، وأن الفقر لم يقف عائقا أمام الراغب في العلم والساعي إليه، فالتعليم بدأ في المسجد، ولا نزاع في أن المسجد كان مفتوحا للجميع، وكانت حلقاته معدة لاستقبال الطلبة بالمجان دون قيد أو شرط^{٢٥}.

والتربية لا يمكن أن تكون عملية إقليمية ضيقة، تحدها حدود الأرض، أو فواصل اللغة أو اختلاف اللغة واللون وتنوع الجنس، فهي تسعى إلى بناء الإنسان الصالح لتبني به المجتمع الصالح، وهو لا بد أن يكون مجتمعا متعلما متبصرا، يستشعر الفرد فيه معنى الأخوة الإنسانية ويعتز به ويصونه ويحافظ عليه .

وعلى ذلك فالمساواة في التعليم بين عناصر الجنس البشري كلها أمر واجب لا فرق في ذلك بين أبيض وأسود، ولا بين ذكر وأنثى فكلهم مطالبون بالعبادة لله ولا عبادة بغير علم وهدى .^{٢٦}

فالتعليم مكفول للجميع في الإسلام فالناس سواسية كأسنان المشط، لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى، بينما نجد الأمر مختلفا في كثير من البلدان خاصة في وقتنا الحاضر، حيث نجد التمييز القاتل بين الناس فيحرم بعضهم من العلم بسبب عدم قدرتهم على الالتحاق بالمدارس ومن التحق بالمدارس لا يستطيع الالتحاق بالجامعات نظرا لارتفاع تكاليف الدراسة، بل ولجوء بعض الدول إلى خصخصة التعليم الأمر الذي يحرم الكثير من أصحاب

^{٢٥} - أحمد شلبي، مرجع سابق ص (٢٩١)

^{٢٦} - زغلول النجار، مرجع سابق، ص (١٠٤)

الكفاءات والقدرات العلمية من تحصيل العلم بالشكل الصحيح. ويحرم الأمة من قدراتهم وإمكاناتهم. ٢٧



— ٢٧

<http://dremadsaleh.maktoobblog.com/>
AA-%λD
-٩A%λA%Dλ%٩D%λA%λD%١B%λAA%D%λD%λ%٩D%٧A%λ%D
λ%٩D%λ%٥%٩D%٧A%λD%λ%٩D%٣B%λD%٥A%λD%λ%٩D%٧A%λ%D
/٩A%λA%D

المبحث الرابع سمات التربية الإسلامية

السمة الأولى - الربانية:

وأما لم تتغير ولم تبدل، وهذا يطمئن النفس أنها خير لأنفسنا، وأن السعادة تكمن في تنفيذها، وأن الشقاء يترتب على تركها:

أ. فالخير والبركة والسعادة ووفرة الإنتاج كلها من بركات تطبيق الشريعة المبنية على هذه العقيدة:

قال تعالى: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } . (الأعراف: ٩٦).

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ تِلْكَ الْقُرَىٰ آمَنُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ النَّبِيُّونَ، وَصَدَّقُوهُمْ، وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، وَاتَّقَوْا بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَتَرَكَ الْمُحَرَّمَاتِ، لَأَمْطَرْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ يَازِنِ رَبِّهَا، وَلَفَاضْنَا الْأَرْضَ بِالْخَيْرَاتِ، وَلَكِنَّهُمْ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، بِإِهْلَاكِهِمْ عَلَىٰ مَا ارْتَكَبُوهُ مِنَ الْمَآثِمِ وَالْمَحَارِمِ.^{٢٨}

وقال تعالى: { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ } . (المائدة: ٦٦)

وَلَوْ أَنَّهُمْ عَمِلُوا بِمَا فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ، كَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، دُونَ تَحْرِيفٍ وَلَا تَبْدِيلٍ، لَقَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَىٰ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَىٰ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، لِأَنَّ كَلَامَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بَشَرٌ بِنَبِيِّ يَكُونُ مِنْ أَوْلَادِ إِسْمَاعِيلَ. وَلَوْ أَنَّهُمْ اتَّبَعُوا الْحَقَّ، وَآمَنُوا بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ كِتَابُهُمْ، لَوَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِزْقَهُمْ، وَلَاغْدَقَتِ السَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مَطَرَهَا وَبَرَكَاتِهَا، وَلَاخْرَجَتْ لَهُمْ خَيْرَاتِهَا. وَلَكِنَّ قَلَّةً مِنْهُمْ مُؤْمِنَةٌ مُلْتَزِمَةٌ بِأَحْكَامِ مَا شَرَعَ اللَّهُ لَهُمْ، وَأَكْثَرُهُمْ طِعَاةٌ مُّجَاوِزُونَ لِأَوَامِرِ اللَّهِ، وَسَاءَ عَمَلُهُمْ.^{٢٩}

^{٢٨} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٠٥١)

^{٢٩} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٧٣٦)

إن هاتين الآيتين تقرران أصلاً كبيراً من أصول التصور الإسلامي، ومن ثم فهما تمثلان حقيقة ضخمة في الحياة الإنسانية. ولعل الحاجة إلى جلاء ذلك الأصل، وإلى بيان هذه الحقيقة لم تكن ماسة كما هي اليوم والعقل البشري، والموازن البشرية، والأوضاع البشرية تتأرجح وتضطرب وتتوه بين ضباب التصورات وضلال المناهج، بإزاء هذا الأمر الخطير..

إن الله - سبحانه - يقول لأهل الكتاب - ويصدق القول وينطبق على كل أهل كتاب - إنهم لو كانوا آمنوا واتقوا لكفر عنهم سيئاتهم ولأدخلهم جنات النعيم - وهذا جزء الآخرة. وإنهم لو كانوا حققوا في حياتهم الدنيا منهج الله الممثل في التوراة والإنجيل وما أنزله الله إليهم من التعاليم - كما أنزلها الله بدون تحريف ولا تبديل - لصلحت حياتهم الدنيا، ونمت وفاضت عليهم الأرزاق، ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم من فيض الرزق، ووفرة النتاج وحسن التوزيع، وصلاح أمر الحياة.. ولكنهم لا يؤمنون ولا يتقون ولا يقيمون منهج الله - إلا قلة منهم في تاريخهم الطويل مقتصدة غير مسرفة على نفسها «وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْمِلُونَ».

وهكذا يبدو من خلال الآيتين أن الإيمان والتقوى وتحقيق منهج الله في واقع الحياة البشرية في هذه الحياة الدنيا، لا يكفل لأصحابه جزء الآخرة وحده - وإن كان هو المقدم وهو الأدموم - ولكنه كذلك يكفل صلاح أمر الدنيا، ويحقق لأصحابه جزء العاجلة.. ووفرة ونماء وحسن توزيع وكفاية.. يرسمها في صورة حسية تجسم معنى الوفرة والفيض في قوله: «لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ»..

وهكذا يتبين أن ليس هنالك طريق مستقل لحسن الجزاء في الآخرة وطريق آخر مستقل لصلاح الحياة في الدنيا. إنما هو طريق واحد، تصلح به الدنيا والآخرة، فإذا تنكب هذا الطريق فسدت الدنيا وخسرت الآخرة.. هذا الطريق الواحد هو الإيمان والتقوى وتحقيق المنهج الإلهي في الحياة الدنيا..

وهذا المنهج ليس منهج اعتقاد وإيمان وشعور قلبي وتقوى فحسب، ولكنه كذلك - وتبعاً لذلك - منهج حياة إنسانية واقعية، يقام، وتقام عليه الحياة.. وإقامته - مع الإيمان والتقوى

- هي التي تكفل صلاح الحياة الأرضية، وفيض الرزق، ووفرة النتائج، وحسن التوزيع، حتى يأكل الناس جميعا - في ظل هذا المنهج - من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

إن المنهج الإيماني للحياة لا يجعل الدين بديلا من الدنيا ولا يجعل سعادة الآخرة بديلا من سعادة الدنيا، ولا يجعل طريق الآخرة غير طريق الدنيا.. وهذه هي الحقيقة الغائمة اليوم في أفكار الناس وعقولهم وضمائرهم وأوضاعهم الواقعية.

لقد افترق طريق الدنيا وطريق الآخرة في تفكير الناس وضميرهم وواقعهم.. بحيث أصبح الفرد العادي - وكذلك الفكر العام للبشرية الضالة - لا يرى أن هنالك سبيلا للالتقاء بين الطريقتين. ويرى على العكس أنه إما أن يختار طريق الدنيا فيهمل الآخرة من حسابه وإما أن يختار طريق الآخرة فيهمل الدنيا من حسابه ولا سبيل إلى الجمع بينهما في تصور ولا واقع.. لأن واقع الأرض والناس وأوضاعهم في هذه الفترة من الزمان توحى بهذا..

حقيقة: إن أوضاع الحياة الجاهلية الضالة البعيدة عن الله، وعن منهجه للحياة، اليوم تباعد بين طريق الدنيا وطريق الآخرة، وتحتم على الذين يريدون البروز في المجتمع، والكسب في مضمار المنافع الدنيوية، أن يتخلوا عن طريق الآخرة وأن يضحوا بالتوجيهات الدينية والمثل الخلقية والتصورات الرفيعة والسلوك النظيف، الذي يحض عليه الدين. كما تحتم على الذين يريدون النجاح في الآخرة أن يتجنبوا تيار هذه الحياة وأوضاعها القذرة، والوسائل التي يصل بها الناس في مثل هذه الأوضاع إلى البروز في المجتمع، والكسب في مضمار المنافع، لأنها وسائل لا يمكن أن تكون نظيفة ولا مطابقة للدين والخلق، ولا مرضية لله سبحانه.. ولكن.. تراها ضربة لازب! ترى أنه لا مفر من هذا الحال التعيس؟ ولا سبيل إلى اللقاء بين طريق الدنيا وطريق الآخرة؟

كلا.. إنها ليست ضربة لازب! فالعداء بين الدنيا والآخرة والافتراق بين طريق الدنيا وطريق الآخرة، ليس هو الحقيقة النهائية التي لا تقبل التبديل.. بل إنها ليست من طبيعة هذه الحياة أصلا. إنما هي عارض ناشئ من انحراف طارئ! إن الأصل في طبيعة الحياة الإنسانية أن يلتقي فيها طريق الدنيا وطريق الآخرة وأن يكون الطريق إلى صلاح الآخرة هو ذاته الطريق إلى صلاح الدنيا. وأن يكون الإنتاج والنماء والوفرة في عمل الأرض هو ذاته

المؤهل لنيل ثواب الآخرة كما أنه هو المؤهل لرخاء هذه الحياة الدنيا وأن يكون الإيمان والتقوى والعمل الصالح هي أسباب عمران هذه الأرض كما أنها هي وسائل الحصول على رضوان الله وثوابه الأخروي..

هذا هو الأصل في طبيعة الحياة الإنسانية.. ولكن هذا الأصل لا يتحقق إلا حين تقوم الحياة على منهج الله الذي رضيهِ للناس.. فهذا المنهج هو الذي يجعل العمل عبادة، وهو الذي يجعل الخلافة في الأرض وفق شريعة الله فريضة. والخلافة عمل وإنتاج، ووفرة ونماء، وعدل في التوزيع يفيض به الرزق على الجميع من فوقهم ومن تحت أرجلهم، كما يقول الله في كتابه الكريم.

إن التصور الإسلامي يجعل وظيفة الإنسان في الأرض هي الخلافة عن الله، بإذن الله، وفق شرط الله.. ومن ثم يجعل العمل المنتج المثمر، وتوفير الرخاء باستخدام كل مقدرات الأرض وخاماتها ومواردها - بل الخامات والموارد الكونية كذلك - هو الوفاء بوظيفة الخلافة. ويعتبر قيام الإنسان بهذه الوظيفة - وفق منهج الله وشريعته حسب شرط الاستخلاف - طاعة لله ينال عليها العبد ثواب الآخرة بينما هو بقيامه بهذه الوظيفة على هذا النحو يظفر بخيرات الأرض التي سخرها الله له ويفيض عليه الرزق من فوقه ومن تحت رجليه، كما يصور التعبير القرآني الجميل! ووفق التصور الإسلامي يعتبر الإنسان الذي لا يفجر ينابيع الأرض، ولا يستغل طاقات الكون المسخرة له، عاصيا لله، ناكلا عن القيام بالوظيفة التي خلقه الله لها، وهو يقول للملائكة: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً». وهو يقول كذلك للناس: «وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ»، ومعطلا لرزق الله الموهوب للعباد.. وهكذا يخسر الآخرة لأنه خسر الدنيا! والمنهج الإسلامي - بهذا - يجمع بين العمل للدنيا والعمل للآخرة في توافق وتناسق. فلا يفوت على الإنسان ديناه لينال آخرته، ولا يفوت عليه آخرته لينال ديناه. فهما ليسا نقيضين ولا بديلين في التصور الإسلامي.

هذا بالقياس إلى جنس الإنسان عامة، وبالقياس إلى الجماعات الإنسانية التي تقوم في الأرض على منهج الله.. فأما بالقياس إلى الأفراد فإن الأمر لا يختلف.. إذ أن طريق الفرد

وطريق الجماعة - في المنهج الإسلامي - لا يختلفان ولا يتصادمان ولا يتعارضان.. فالمنهج يحتم على الفرد أن يبذل أقصى طاقته الجسمية والعقلية في العمل والإنتاج وأن يبتغي في العمل والإنتاج وجه الله، فلا يظلم ولا يغدر ولا يغش ولا يخون، ولا يأكل من سحت، ولا يحتجز دون أخيه المحتاج في الجماعة شيئاً يملكه - مع الاعتراف الكامل له بملكيته الفردية لثمرة عمله والاعتراف للجماعة بحقها في ماله في حدود ما فرض الله وما شرع - والمنهج يسجل للفرد عمله - في هذه الحدود ووفق هذه الاعتبارات - عبادة لله يجزيه عليها بالبركة في الدنيا وبالجنة في الآخرة..

ويربط المنهج بين الفرد وربّه رباطاً أقوى بالشعائر التعبديّة التي يفرضها عليه ليستوثق بهذا الرباط من تجدد صلته بالله في اليوم الواحد خمس مرات بالصلاة، وفي العام الواحد ثلاثين يوماً بصوم رمضان، وفي العمر كله بحج بيت الله. وفي كل موسم أو في كل عام بإخراج الزكاة..

ومن هنا قيمة هذه الفرائض التعبديّة في المنهج الإسلامي. إنها تجديد للعهد مع الله على الارتباط بمنهجه الكلي للحياة. وهي قربي لله يتجدد معها العزم على النهوض بتكاليف هذا المنهج، الذي ينظم أمر الحياة كلها، ويتولى شؤون العمل والإنتاج والتوزيع والحكم بين الناس في علاقاتهم وفي خلافاتهم. ويتجدد معها الشعور بعون الله ومدده على حمل التكاليف التي يتطلبها النهوض بهذا المنهج الكلي المتكامل، والتغلب على شهوات الناس وعنادهم وانحرافهم وأهوائهم حين تقف في الطريق.. وليست هذه الشعائر التعبديّة أموراً منفصلة عن شؤون العمل والإنتاج والتوزيع والحكم والقضاء، والجهد لإقرار منهج الله في الأرض، وتقدير سلطانه في حياة الناس.. إنما الإيمان والتقوى والشعائر التعبديّة شرط المنهج، المعين على أداء شطره الآخر.. وهكذا يكون الإيمان والتقوى وإقامة منهج الله في الحياة العملية سبيلاً للوفرة والفيض. كما يعد الله الناس في هاتين الآيتين الكريمتين..

إن التصور الإسلامي، وكذلك المنهج الإسلامي المنبثق منه، لا يقدم الحياة الآخرة بديلاً من الحياة الدنيا - ولا العكس - إنما يقدمهما معاً في طريق واحد، وبجهد واحد. ولكنهما لا يجتمعان كذلك في حياة الإنسان إلا إذا اتبع منهج الله وحده في الحياة - دون أن يدخل

عليه تعديلات مأخوذة من أوضاع أخرى لم تنبثق من منهج الله، أو مأخوذة من تصوراته الذاتية التي لم تضبط بهذا المنهج - ففي هذا المنهج وحده يتم ذلك التناسق الكامل. والتصور الإسلامي - وكذلك المنهج الإسلامي المنبثق منه - لا يقدم الإيمان والعبادة والصالح والتقوى، بديلا من العمل والإنتاج والتنمية والتحسين في واقع الحياة المادية.. وليس هو المنهج الذي يعد الناس فردوس الآخرة ويرسم لهم طريقه بينما يدع للناس أن يرسموا لأنفسهم الطريق المؤدي إلى فردوس الدنيا - كما يتصور بعض السطحيين في هذا الزمان! - فالعمل والإنتاج والتنمية والتحسين في واقع الحياة الدنيا تمثل في التصور الإسلامي - والمنهج الإسلامي - فريضة الخلافة في الأرض. والإيمان والعبادة والصالح والتقوى، تمثل الارتباطات والضوابط والدوافع والحوافز لتحقيق المنهج في حياة الناس وهذه وتلك معا هي مؤهلات الفردوس الأرضي والفردوس الآخروي معا والطريق هو الطريق، ولا فصام بين الدين والحياة الواقعية المادية كما هو واقع في الأوضاع الجاهلية القائمة في الأرض كلها اليوم. والتي منها يقوم في أوهام الواهمين أنه لا مفر من أن يختار الناس الدنيا أو يختاروا الآخرة، ولا يجمعوا بينهما في تصور أو في واقع.. لأنهما لا يجتمعان!..

إن هذا الفصام النكد بين طريق الدنيا وطريق الآخرة في حياة الناس، وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة، وبين العبادة الروحية والإبداع المادي، وبين النجاح في الحياة الدنيا، والنجاح في الحياة الأخرى.. إن هذا الفصام النكد ليس ضريبة مفروضة على البشرية بحكم من أحكام القدر الحتمية! إنما هو ضريبة بائسة فرضتها البشرية على نفسها وهي تشرذ عن منهج الله، وتتخذ لنفسها مناهج أخرى من عند أنفسها، معادية لمنهج الله في الأساس والاتجاه..

وهي ضريبة يؤديها الناس من دمائهم وأعصابهم في الحياة الدنيا، فوق ما يؤديه منها في الآخرة وهو أشد وأنكى..

إنهم يؤديونها قلقا وحيرة وشقاء قلب وبلبله خاطر، من جراء خواء قلوبهم من طمأنينة الإيمان وبشاشته وزاده وريه، إذا هم آثروا اطراح الدين كله، على زعم أن هذا هو الطريق

الوحيد للعمل والإنتاج والعلم والتجربة، والنجاح الفردي والجماعي في المعترك العالمي! ذلك أنهم في هذه الحالة يصارعون فطرتهم، يصارعون الجوع الفطرية إلى عقيدة تملأ القلب، ولا تطيق الفراغ والخواء. وهي جوع لا تملؤها مذاهب اجتماعية، أو فلسفية، أو فنية.. على الإطلاق.. لأنها جوع النزعة إلى إله.. وهم يؤدونها كذلك فلقا وحيرة وشقاء قلب وبلبله خاطر، إذا هم حاولوا الاحتفاظ بعقيدة في الله، وحاولوا معها مزاوله الحياة في هذا المجتمع العالمي الذي يقوم نظامه كله وتقوم أوضاعه وتقوم تصورات، وتقوم وسائل الكسب فيه ووسائل النجاح على غير منهج الله، وتتصادم فيه العقيدة الدينية والخلق الديني، والسلوك الديني، مع الأوضاع والقوانين والقيم والموازن السائدة في هذا المجتمع المنكود.

وتعاني البشرية كلها ذلك الشقاء، سواء اتبعت المذاهب المادية الإلحادية، أو المذاهب المادية التي تحاول استبقاء الدين عقيدة بعيدة عن نظام الحياة العملية.. وتتصور - أو تصور لها أعداء البشرية - أن الدين لله، وأن الحياة للناس! وأن الدين عقيدة وشعور وعبادة وخلق، والحياة نظام وقانون وإنتاج وعمل! وتؤدي البشرية هذه الضريبة الفادحة.. ضريبة الشقاء والقلق والحيرة والخواء.. لأنها لا تهتدي إلى منهج الله الذي لا يفصل بين الدنيا والآخرة بل يجمع ولا يقيم التناقض والتعارض بين الرخاء في الدنيا والرخاء في الآخرة، بل ينسق..

ولا يجوز أن نخدعنا ظواهر كاذبة، في فترة موقوتة، إذ نرى أمما لا تؤمن ولا تتقي، ولا تقيم منهج الله في حياتها، وهي موفورة الخيرات، كثيرة الإنتاج عظيمة الرخاء... إنه رخاء موقوت، حتى تفعل السنن الثابتة فعلها الثابت. وحتى تظهر كل آثار الفصام النكد بين الإبداع المادي والمنهج الرباني.. والآن تظهر بعض هذه الآثار في صور شتى: تظهر في سوء التوزيع في هذه الأمم، مما يجعل المجتمع حافلا بالشقاء، وحافلا بالأحقاد، وحافلا بالمخاوف من الانقلابات المتوقعة نتيجة هذه الأحقاد الكظيمة.. وهو بلاء على رغم الرخاء!..

وتظهر في الكبت والقمع والخوف في الأمم التي أرادت أن تضمن نوعاً من عدالة التوزيع واتخذت طريق التحطيم والقمع والإرهاب ونشر الخوف والذعر، لإقرار الإجراءات التي تأخذ بها لإعادة التوزيع.. وهو بلاء لا يأمن الإنسان فيه على نفسه ولا يطمئن ولا يبيت ليلة في سلام! وتظهر في الانحلال النفسي والخلقي الذي يؤدي بدوره - إن عاجلاً أو آجلاً - إلى تدمير الحياة المادية ذاتها.

فالعمل والإنتاج والتوزيع، كلها في حاجة إلى ضمانة الأخلاق. والقانون الأرضي وحده عاجز كل العجز عن تقديم الضمانات لسير العمل كما نرى في كل مكان! وتظهر في القلق العصبي والأمراض المنوعة التي تجتاح أمم العالم - وبخاصة أشدها رخاء مادياً - مما يهبط بمستوى الذكاء والاحتمال. ويهبط بعد ذلك بمستوى العمل والإنتاج، وينتهي إلى تدمير الاقتصاد المادي والرخاء! وهذه الدلائل اليوم واضحة وضوحاً كافياً يلفت الأنظار! وتظهر في الخوف الذي تعيش فيه البشرية كلها من الدمار العالمي المتوقع في كل لحظة في هذا العالم المضطرب الذي تحوم حوله نذر الحرب المدمرة.. وهو خوف يضغط على أعصاب الناس من حيث يشعرون أو لا يشعرون فيصيبهم بشتى الأمراض العصبية.. ولم ينتشر الموت بالسكينة وانفجار المخ والانتحار كما انتشر في أمم الرخاء! وتظهر هذه الآثار كلها بصورة متقدمة واضحة في ميل بعض الشعوب إلى الاندثار والدمار - وأظهر الأمثلة الحاضرة تتجلى في الشعب الفرنسي - وليس هذا إلا مثلاً للآخرين، في فعل الافتراق بين النشاط المادي والمنهج الرباني وافتراق الدنيا والآخرة، وافتراق الدين والحياة أو اتخاذ منهج للآخرة من عند الله، واتخاذ منهج للدنيا من عند الناس وإيقاع هذا الفصام النكد بين منهج الله وحياة الناس!^{٣٠}

ب. وما دامت ربانية من الله عز وجل فإنها مبرأة من النقص، سالمة من العيب، بعيدة عن الحيف والظلم، لأن الله له المثل الأعلى في السماوات والأرض:

^{٣٠} - في ظلال القرآن - موافقاً للمطبوع - (٢ / ٩٣٠)

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبُغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (٩٠) سورة النحل.

وقال تعالى: {...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا..} (٣) سورة المائدة.

وقال تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (٨٢) سورة النساء.

ج- ومادامت ربانية فهي التي تشبع جوعة الفطرة للعبادة لا يسدّها إلا منهاجُ الله، ولا تملأها النظمُ الفلسفية، ولا السلطانُ السياسيُّ، ولا الشراءُ الماليُّ:

قال تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (٣٠) سورة الروم

د. ومادامت ربانية فالناسُ أمامها سواء، لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ إلا بالتقوى، فاللهُ خالقُ الناسِ أجمعينَ فكلُّهم عبيدُه، وهو لا يفضِّلُ لوناً على لونٍ، الأبيضَ على الأسود - كما هو الحالُ في القانونِ الأمريكيِّ:

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (١٣) سورة الحجرات

يا أيها الناس. يا أيها المختلفون أجناسا وألوانا، المتفرقون شعوبا وقبائل. إنكم من أصل واحد. فلا تختلفوا ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بددا.

يا أيها الناس. والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم.. من ذكرٍ وأنثى.. وهو يطالعكم على الغاية من جعلكم شعوبا وقبائل. إنما ليست التناحر والخصام. إنما هي التعارف والوثام. فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتتوزع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات. وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله. إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل

الناس: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»..والكريم حقا هو الكريم عند الله. وهو يزنكم عن علم وعن خبرة بالقيم والموازن: «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»..

وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان.

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس. ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون: ألوهية الله للجميع، وخلقهم من أصل واحد. كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته: لواء التقوى في ظل الله. وهذا هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقابيل العصبية للجنس، والعصبية للأرض، والعصبية للقبيلة، والعصبية للبيت. وكلها من الجاهلية وإليها، تنزيا بشتى الأزياء، وتسمى بشتى الأسماء. وكلها جاهلية عارية من الإسلام! وقد حارب الإسلام هذه العصبية الجاهلية في كل صورها وأشكالها، ليقم نظامه الإنساني العالمي في ظل راية واحدة: راية الله.. لا راية الوطنية. ولا راية القومية. ولا راية البيت. ولا راية الجنس. فكلها رايات زائفة لا يعرفها الإسلام.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالْفَخْرَ بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ بُنُو آدَمَ، خَلَقَ اللَّهُ مِنْ تُرَابٍ لَيْتَنَّهُنَّ أَقْوَامٌ عَنْ فَخْرِهِمْ بآبَائِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ التَّنَّ" ٣١

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ قَالَ: فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَسَعَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُبَيٍّ ابْنُ سُلُوبٍ: قَدْ فَعَلُوهَا، لَنْ رَجَعْنَا إِلَى

٣١ - شعب الإيمان - (٧ / ١٢٥) (٤٧٦٣) صحيح

الْمَدِينَةَ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: دَعْنَهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ^{٣٢}

وَعَنْ أَبِي نَضْرَةَ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي وَسْطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَيَّ أَعَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَيَّ عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَيَّ أَسْوَدَ وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَيَّ أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبْلَغْتُ » (أخرجه أحمد) ٣٣ .

وهذه هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي. المجتمع الإنساني العالمي، الذي تحاول البشرية في خيالها المحلق أن تحقق لونا من ألوانه فتخفق، لأنها لا تسلك إليه الطريق الواحد الواصل المستقيم..

الطريق إلى الله.. ولأنها لا تقف تحت الراية الواحدة المجمع.. راية الله..^{٣٤} ولا يفضل الرجال على النساء من باب قوله تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (النحل: ٩٧).

إن الجنسين: الذكر والأنثى. متساويان في قاعدة العمل والجزاء، وفي صلتها بالله، وفي جزائهما عند الله. ومع أن لفظ «من» حين يطلق يشمل الذكر والأنثى إلا أن النص يفصل: «مَنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى» الزيادة تقرير هذه الحقيقة. وذلك في السورة التي عرض فيها سوء رأي الجاهلية في الأنثى، وضييق المجتمع بها، واستيلاء من يبشر بمولدها، وتواريه من القوم حزنا وغما وخجلا وعارًا!

^{٣٢} - صحيح البخاري - المكثر - (٤٩٠٥) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٧٤٨) وصحيح ابن حبان - (١٣ / ٣٣٠) (٥٩٩٠)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ يُرِيدُ أَنَّهُ لَا قِصَاصَ فِي هَذَا، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: فَإِنَّهَا ذَمِيمَةٌ، وَمَا يُشْبِهُهَا. ^{٣٣} - برقم (٢٤٢٠٤) وهو صحيح

^{٣٤} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٣٤٨)

وأن العمل الصالح لا بد له من القاعدة الأصيلة يرتكز عليها. قاعدة الإيمان بالله «وَهُوَ مُؤْمِنٌ» فبغير هذه القاعدة لا يقوم بناء، وبغير هذه الرابطة لا يتجمع شتاته، إنما هو هباء كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

والعقيدة هي المحور الذي تشد إليه الخيوط جميعا، وإلا فهي أنكاث. فالعقيدة هي التي تجعل للعمل الصالح باعنا وغاية. فتجعل الخير أصيلا ثابتا يستند إلى أصل كبير. لا عارضا مزعزعا يميل مع الشهوات والأهواء حيث تميل.

وأن العمل الصالح مع الإيمان جزاؤه حياة طيبة في هذه الأرض. لا يهم أن تكون ناعمة رغدة ثرية بالمال. فقد تكون به، وقد لا يكون معها. وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة في حدود الكفاية:

فيها الاتصال بالله والثقة به والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه. وفيها الصحة والمهدوء والرضى والبركة، وسكن البيوت ومودات القلوب. وفيها الفرح بالعمل الصالح وآثاره في الضمير وآثاره في الحياة.. وليس المال إلا عنصرا واحدا يكفي منه القليل، حين يتصل القلب بما هو أعظم وأزكى وأبقى عند الله.

وأن الحياة الطيبة في الدنيا لا تنقص من الأجر الحسن في الآخرة. وأن هذا الأجر يكون على أحسن ما عمل المؤمنون العاملون في الدنيا، ويتضمن هذا تجاوز الله لهم عن السيئات. فما أكرمه من جزاء!.^{٣٥}

وليس من باب قوله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ..} (٣٤) سورة النساء

إن الأسرة - كما قلنا - هي المؤسسة الأولى في الحياة الإنسانية. الأولى من ناحية أنها نقطة البدء التي تؤثر في كل مراحل الطريق. والأولى من ناحية الأهمية لأنها تزاوّل إنشاء وتنشئة العنصر الإنساني، وهو أكرم عناصر هذا الكون، في التصور الإسلامي.

^{٣٥} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٤ / ٢١٩٣)

وإذا كانت المؤسسات الأخرى الأقل شأنًا، والأرخص سعرا: كالمؤسسات المالية والصناعية والتجارية...

وما إليها... لا يوكل أمرها - عادة - إلا لأكفأ المرشحين لها ممن تخصصوا في هذا الفرع علميا، ودرّبوا عليه عمليا، فوق ما وهبوا من استعدادات طبيعية للإدارة والقوامة... إذا كان هذا هو الشأن في المؤسسات الأقل شأنًا والأرخص سعرا.. فأولى أن تتبع هذه القاعدة في مؤسسة الأسرة، التي تنشئ أئمن عناصر الكون.. العنصر الإنساني.. والمنهج الرباني يراعي هذا. ويراعي به الفطرة، والاستعدادات الموهوبة لشطري النفس لأداء الوظائف المنوطة بكل منهما وفق هذه الاستعدادات، كما يراعي به العدالة في توزيع الأعباء على شطري النفس الواحدة. والعدالة في اختصاص كل منهما بنوع الأعباء المهيأ لها، المعان عليها من فطرته واستعداداته المتميزة المتفردة..

والمسلم به ابتداء أن الرجل والمرأة كلاهما من خلق الله. وأن الله - سبحانه - لا يريد أن يظلم أحدا من خلقه، وهو يهيئه ويعده لوظيفة خاصة، ويمنحه الاستعدادات اللازمة لإحسان هذه الوظيفة! وقد خلق الله الناس ذكرا وأنثى.. زوجين على أساس القاعدة الكلية في بناء هذا الكون.. وجعل من وظائف المرأة أن تحمل وتضع وترضع وتكفل ثمرة الاتصال بينها وبين الرجل.. وهي وظائف ضخمة أولا وخطيرة ثانيا. وليست هينة ولا يسيرة، بحيث تؤدى بدون إعداد عضوي ونفسي وعقلي عميق غائر في كيان الأنثى! فكان عدلا كذلك أن ينوط بالشطر الثاني - الرجل - توفير الحاجات الضرورية. وتوفير الحماية كذلك للأنثى كي تتفرغ لوظيفتها الخطيرة ولا يحمل عليها أن تحمل وتضع وترضع وتكفل.. ثم تعمل وتكد وتسهر لحماية نفسها وطفلها في آن واحد! وكان عدلا كذلك أن يمنح الرجل من الخصائص في تكوينه العضوي والعصبي والعقلي والنفسي ما يعينه على أداء وظائفه هذه. وأن تمنح المرأة في تكوينها العضوي والعصبي والعقلي والنفسي ما يعينها على أداء وظيفتها تلك. وكان هذا فعلا.. ولا يظلم ربك أحدا..

ومن ثم زودت المرأة - فيما زودت به من الخصائص - بالبرقة والعطف، وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة - بغير وعي ولا سابق تفكير - لأن الضرورات الإنسانية العميقة كلها - حتى في الفرد الواحد - لم تترك لأرجحة الوعي والتفكير وبطئه، بل جعلت الاستجابة لها غير إرادية! لتسهل تلبيتها فوراً وفيما يشبهه أن يكون قسراً. ولكنه قسر داخلي غير مفروض من الخارج ولذيذ ومستحب في معظم الأحيان كذلك، لتكون الاستجابة سريعة من جهة ومريحة من جهة أخرى - مهما يكن فيها من المشقة والتضحية! صنع الله الذي أتقن كل شيء.

وهذه الخصائص ليست سطحية. بل هي غائرة في التكوين العضوي والعصبي والعقلي والنفسي للمرأة.. بل يقول كبار العلماء المختصين: إنها غائرة في تكوين كل خلية. لأنها عميقة في تكوين الخلية الأولى، التي يكون من انقسامها وتكاثرها الجنين، بكل خصائصه الأساسية! وكذلك زود الرجل - فيما زود به من الخصائص - بالخشونة والصلابة، وببطء الانفعال والاستجابة واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاستجابة. لأن وظائفه كلها من أول الصيد الذي كان يمارسه في أول عهده بالحياة إلى القتال الذي يمارسه دائماً لحماية الزوج والأطفال. إلى تدبير المعاش.. إلى سائر تكاليفه في الحياة.. لأن وظائفه كلها تحتاج إلى قدر من التروي قبل الإقدام وإعمال الفكر، والبطء في الاستجابة بوجه عام!.. وكلها عميقة في تكوينه عمق خصائص المرأة في تكوينها..

وهذه الخصائص تجعله أقدر على القوامة، وأفضل في مجالها.. كما أن تكليفه بالإنفاق - وهو فرع من توزيع الاختصاصات - يجعله بدوره أولى بالقوامة، لأن تدبير المعاش للمؤسسة ومن فيها داخل في هذه القوامة والإشراف على تصريف المال فيها أقرب إلى طبيعة وظيفته فيها..

وهذان هما العنصران اللذان أبرزهما النص القرآني، وهو يقرر قوامة الرجال على النساء في المجتمع الإسلامي.

قوامه لها أسبابها من التكوين والاستعداد. ولها أسبابها من توزيع الوظائف والاختصاصات. ولها أسبابها من العدالة في التوزيع من ناحية وتكليف كل شطر - في هذا التوزيع - بالجانب الميسر له، والذي هو معان عليه من الفطرة.

وأفضليته في مكانها.. في الاستعداد للقوامه والدرية عليها.. والنهوض بها بأسبابها.. لأن المؤسسة لا تسير بلا قوامه - كسائر المؤسسات الأقل شأنًا والأرخص سعرا - ولأن أحد شطري النفس البشرية مهياً لها، معان عليها، مكلف تكاليفها. وأحد الشطرين غير مهياً لها، ولا معان عليها.. ومن الظلم أن يحملها ويحمل تكاليفها إلى جانب أعبائه الأخرى.. وإذا هو هيء لها بالاستعدادات الكامنة، ودرب عليها بالتدريب العلمي والعملية، فسد استعداده للقيام بالوظيفة الأخرى.. ووظيفة الأمومة.. لأن لها هي الأخرى مقتضياتها واستعداداتها. وفي مقدمتها سرعة الانفعال، وقرب الاستجابة. فوق الاستعدادات الغائرة في التكوين العضوي والعصي وآثارها في السلوك والاستجابة! إنها مسائل خطيرة.. أخطر من أن تتحكم فيها أهواء البشر.. وأخطر من أن تترك لهم يخبطون فيها خبط عشواء.. وحين تركت لهم ولأهوائهم في الجاهليات القديمة والجاهليات الحديثة، هددت البشرية تهديدا خطيرا في وجودها ذاته وفي بقاء الخصائص الإنسانية، التي تقوم بها الحياة الإنسانية وتتميز.

ولعل من الدلائل التي تشير بها الفطرة إلى وجودها وتحكمها ووجود قوانينها المتحكمة في بني الإنسان، حتى وهم ينكرونها ويرفضونها ويتنكرون لها..

لعل من هذه الدلائل ما أصاب الحياة البشرية من تخبط وفساد، ومن تدهور وانحيار ومن تهديد بالدمار والبوار، في كل مرة حولت فيها هذه القاعدة. فاهتزت سلطة القوامه في الأسرة. أو اختلطت معالمها. أو شذت عن قاعدتها الفطرية الأصيلة! ولعل من هذه الدلائل توقان نفس المرأة ذاتها إلى قيام هذه القوامه على أصلها الفطري في الأسرة. وشعورها بالحرمان والنقص والقلق وقلة السعادة عند ما تعيش مع رجل، لا يزاوول مهام القوامه وتنقصه صفاتها اللازمة فيكل إليها هي القوامه! وهي حقيقة ملحوظة تسلم بها حتى المنحرفات الخابطات في الظلام! ولعل من هذه الدلائل أن الأطفال - الذين ينشئون في مؤسسة عائلية القوامه فيها ليست للأب. إما لأنه ضعيف الشخصية، بحيث تبرز عليه

شخصية الأم وتسيطر. وإما لأنه مفقود: لوفاته - أو لعدم وجود أب شرعي! - قلما ينشئون أسوياء. وقل ألا ينحرفوا إلى شذوذ ما، في تكوينهم العصبي والنفسي، وفي سلوكهم العملي والخلقي..

فهذه كلها بعض الدلائل، التي تشير بها الفطرة إلى وجودها وتحكمها، ووجود قوانينها المتحكمة في بني الإنسان، حتى وهم ينكرونها ويرفضونها ويتنكرون لها! ولا نستطيع أن نستطرد أكثر من هذا - في سياق الظلال - عن قوامه الرجال ومقوماتها ومبرراتها، وضرورتها وفطريتها كذلك.. ولكن ينبغي أن نقول: إن هذه القوامة ليس من شأنها إلغاء شخصية المرأة في البيت ولا في المجتمع الإنساني ولا إلغاء وضعها «المدني» - كما بينا ذلك من قبل - وإنما هي وظيفة - داخل كيان الأسرة - لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة، وصيانتها وحمايتها. ووجود القيم في مؤسسة ما، لا يلغي وجود ولا شخصية ولا حقوق الشركاء فيها، والعاملين في وظائفها. فقد حدد الإسلام في مواضع أخرى صفة قوامة الرجل وما يصاحبها من عطف ورعاية، وصيانة وحماية، وتكاليف في نفسه وماله، وآداب في سلوكه مع زوجته وعياله.^{٣٦}

فتأمل الفرق.. ولا يحاييهم سبحانه - لأن الرجل والمرأة كلهم خلقه - ولا يفضل طبقة على طبقة كالأشراف على العبيد، ولا يفضل جنساً على جنس، كتفضيل العرق الآري والجنس الأبيض على غيره (وألمانيا فوق الجميع)، ولذا فهي العقيدة الوحيدة التي تنصف الناس وتعديل بينهم، والناس يقفون فيها على قدم المساواة حاكمهم ومحكومهم سواء. قال تعالى: { وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (الأنعام: ١١٥)

وهذه الربانية تجعل الإنسان يتوجه لرب واحد لا شريك له، يستمد منه الأوامر والنواهي من كتابه وسنة رسوله ﷺ، ويجعل نيته خالصة لله تعالى، التزاماً بقوله تعالى: { قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (سورة الأنعام

^{٣٦} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٢ / ٦٥٠)

والربانية من حيث الهدف والغاية تعني أن المسلم في ظل التوجيهات الإسلامية يتغني بأفعاله وأقواله مرضاة الله تعالى، فهو يستمدّها من منهج الله تعالى، متبعاً في ذلك أمر الله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (سورة الأنعام: ١٥٣).

والتوجيه الإسلامي يربط حياة المسلم بربه، فمثلاً يربط ما بين الإيمان والحب في الله، والسبيل إلى ذلك خلق إفشاء السلام، فعن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ. ٣٧

كما أن التخلق للوالدين بالأخلاق الفاضلة من جملة طاعة رب العالمين، قال تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} (سورة الإسراء: ٢٣) وفي عموم الإحسان، قال تعالى: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (سورة البقرة: ١٩٥)

وفي التخلق بالعدل والأمانة، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} (سورة النساء: ٥٨)

فالتوجيه الرباني يوجه الإنسان لأفضل الأخلاق وأنبلها حتى يبني مجتمعاً يسوده العدل والأمانة والإخلاص والعفة وسائر مكارم الأخلاق، ويطهره من الرذائل التي تهدم الفضائل وتفكك المجتمعات، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ} (سورة الأعراف: ٣٣).

السمة الثانية - الشمول والموازنة :

٣٧ - صحيح مسلم - المكثر - (٢٠٣) وصحيح ابن حبان - (١ / ٤٧٢) (٢٣٦)

إن الأخذ بالتربية الدينية هو الأساس لتقويم الأخلاق والطباع وتوجيه النفس لمرامي الفلاح، لأن التدين فطري في النفوس، تجدد النفس طمأنينتها وراحتها فيه. ويسعد القلب بنهج التدين الفطري الذي يوقظ حوافز الخير فيه، وينهض بهمة نحو المعالي فيعيش قلباً صافياً قوياً له صلة بربه يخشع عند ذكره. ويجب ويغض ويواد ويخاصم في رضا ربه، حتى يصبح قلباً ربانياً يراقب الله عز وجل في كل نبض وحركة.

وهذه التربية الدينية للقلب وإيقاظه إنما تأتي مع عناية تربوية وحسن توجيه وتعهد منذ الصغر. بممارسة الفضائل والالتزام بالأوامر والانتهاز عن النواهي، وتعويد النفس ما فيه كلفة ظاهرة حتى تتمرن وتتعود، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله - ﷺ - « مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاصْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ ». ^{٣٨}

وهكذا تتم التربية منذ الصغر وتتكامل وتنمو مع نمو هذا الصغير، بالأمر تارة، وبالضرب التربوي غير المرح تارة، وبالسلوك العملي في الحياة اليومية تارة أخرى. فالتربية إنما تبدأ منذ الصغر حتى تصوغ حياة الإنسان وفكره فيما بعد.

فإذا شبَّ الصغير على ما اعتاده في صغره فإنه سيكون مأمون الانزلاق في الشهوات يحكم عقله وقلبه، فيعصمه الله من سلوك طريق الغواية ويغضه له ويجب إليه طريق الهداية ويسهله له.

وكما قال الشاعر :

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

فالتربية الدينية في عصرنا هذا غدت ضرورة ملحة لإعادة الشاردين من الأحداث إلى بيوتهم، ومعالجة أمراض الشباب النفسية والاجتماعية والسلوكية وإعادة الهدوء إلى النفوس والبيوت.

^{٣٨} - سنن أبي داود - المكثر - (٤٩٥) صحيح

إننا بحاجة إلى التربية الدينية في بيوتنا ومدارسنا وجامعاتنا وأسواقنا...بحاجة لها في مناهجنا وسلوك أبنائنا..بحاجة لها في تنظيم علائقنا الفردية والأسرية والاجتماعية. وإذا كان العالم المعاصر اليوم يضح من مشاكل الشباب وتأزمها وتعقدها حتى أصبح الشباب عنصر هدم وفوضى وجريمة برغم كل القوانين وتنوع العقوبات وكثرة الدراسات النفسية والاجتماعية،فكل ذلك لم يفلح ولم يفتد علاجاً لمرضى الشباب.

التربية الدينية الإسلامية هي شاطئ الأمان لهؤلاء جميعاً،التزاماً بهدي الإسلام وسيراً على نهجه،والتربية الدينية غدت اليوم ضرورة حتمية لا تقل أهمية عن الحياة وعمران الأرض وتحقيق العدل،بل فيها وحدها يكون العدل.ولذلك يحرص الإسلام على توجيه الأبناء والأمهات إلى حسن أدب الأبناء وتربيتهم عليه،فَعَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى،عَنْ أَبِيهِ،عَنْ جَدِّهِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَوَلَدَهُ نُحُلًا أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ " ٣٩

والتربية الإسلامية مؤهلة لحمل الشباب والمجتمع إلى الطريق الآمن السعيد في هذه الأرض لأنها منهج الخير،فلا غرو أن تحمل هذا التأهيل.

والناظر في المنهج التربوي الإسلامي تطالعه مبادئ عامة وقواعد أساسية عليها يقوم البناء التربوي ومن خلالها يعيش الشباب المتربي وسط تضارب النظريات والاجتهادات التربوية من هنا وهناك...وتضمن هذه القواعد والمبادئ سلامة السير إلى الغاية المنشودة من التربية الإسلامية.

والشمول والموازنة من أهم المبادئ التربوية التي ينبغي استيعابها والالتزام بمقتضاها. أما الشمول فإن المنهج التربوي الإسلامي يتميز بهذه الخاصية الفريدة،فهو شامل في تحديده للإطار التربوي النفسي والسلوكي فلا يترك جزئية إلا ويكون له إزاءها تصور وحكم،وهو بذلك يتعقب كل مدخل قد يكون مضرًا وخاطئًا فيحذر المسلم منه،ويجرد منهجه منه أيضاً،وهذه الخاصة المتميزة،يأخذها المنهج التربوي الإسلامي من صفة المنهج الإسلامي عموماً عقيدة وشرعية،فهو منهج شامل لأنه منهج رباني من عند الله سبحانه

٣٩ - شعب الإيمان - (١١ / ١٣٠) (٨٢٨٥) حسن لغيره

وتعالى لا من صنع الإنسان، ويستحيل على الإنسان أن يصنع مثل هذا المنهج، لأن الإنسان أولاً محدود الكينونة من ناحية الزمان والمكان، إذ هو حادث في زمن يبدأ بعد عدم، وينتهي بعد حدوث، ومتحيز في مكان، سواء كان فرداً أو كان جيلاً أو كان جنساً، لا يوجد إلا في مكان، ولا ينطلق وراء المكان، كما أنه لا يوجد إلا في زمان ولا ينطلق وراء الزمان، ولأنه محدود الكينونة من ناحية العلم والتجربة والإدراك.. يبدأ علمه بعد حدوثه، ويصل من العلم إلى ما يتناسب مع حدود كينونته في الزمان والمكان، وحدود وظيفته كذلك، ولأنه فوق أنه محدود الكينونة بهذه الاعتبارات كلها، محكوم بضعفه وميله وشهوته ورغبته، فوق ما هو محكوم بقصوره وجهله.. الإنسان وهذه ظروفه، حينما يفكر في إنشاء تصور اعتقادي في ذات نفسه، أو في إنشاء منهج للحياة الواقعية من ذات نفسه كذلك، يجيء تفكيره محكوماً بهذه السمة التي تحكم كينونته كلها... يجيء تفكيره جزئياً... يصلح لزمان ولا يصلح لآخر، ويصلح لمكان ولا يصلح لآخر، ويصلح لحال ولا يصلح لآخر، ويصلح لمستوى ولا يصلح لآخر.

فوق أنه لا يتناول الأمر الواحد من جميع زواياه وأطرافه، وجميع ملامساته وأطواره، وجميع مقوماته وأسبابه.. لأن هذه كلها ممتدة في الزمان والمكان، وممتدة في الأسباب والعلل، وراء كينونة الإنسان ذاته، ومجال إدراكه.... وذلك كله فوق ما يعتبر هذا التفكير من عوامل الضعف والهوى، وهما سمتان إنسانيتان أصيلتان.

وكذلك لا يمكن أن تجيء فكرة بشرية، ولا أن يجيء منهج من صنع البشرية يتمثل فيه الشمول أبداً... إنما هو تفكير جزئي.. وتفكير وقتي.. ومن جزئيته يقع النقص ومن وقتيته يقع الاضطراب الذي يحتم التغيير، ويتمثل في الأفكار التي استقل البشر بصنعها، وفي المناهج التي استقل البشر بوضعها دوام "التناقض" أو دوام "الجدل" المتمثل في التاريخ الأوروبي. فأما حين يتولى الله سبحانه ذلك كله.. فإن التصور الاعتقادي، وكذلك المنهج الحيوي المنبثق منه، يجيئان بريئين من كل ما يعتبر الصنعة البشرية من القصور والنقص والضعف والتفاوت.

ولقد أثبتت المناهج التربوية فشلها في الوصول إلى التكامل أو الشمول سواء في تععيد أصول نظرياتها الفكرية والتربوية والفلسفية، أم في تفريعاتها وتطبيقاتها، ولم يفلح حتى الساعة منهج تربوي في إدراك شيء من هذا الشمول أو هذا التكامل، الذي أصاب الإسلام سنامه ومنتهاه لا لشيء إلا لأنه منهج من عند الله خالق الإنسان وفاطره ويعلم ما يصلحه وما يضره ويفسده.

والمتتبع لسير المنهج التربوي الإسلامي يدرك على الفور أن ملامح ومنحنيات هذا المنهج إنما تسير متجهة إلى تعبيد الإنسان المسلم لربه وتحقيق عبودية الله في نفس وكيان هذا المسلم ليقوم بالدور المطلوب منه في هذه الأرض كعبد وكخليفة عن الله في أرضه يزرعها بالخير والصالح ويجتث منها الشر والفساد.

وبهذه المسيرة يلتقي المنهج التربوي الإسلامي مع بقية التوجهات في أمور الدنيا والدين التي تصبُّ كلها في هذا المصب الإيماني الوحيد لتحقق مجموعتها الغاية والهدف { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } (٥٦) سورة الذاريات.

ومع أن هذه الخاصية الشمولية للمنهج التربوي الإسلامي خاصة متفرعة ومتداخلة ومتشعبة لأنها تخاطب فطرة الإنسان وكيونته كمنخلوق من مادة وروح، وتوجه نشاط الإنسان في شتى مناحي حياته، إلا أنها مع ذلك كله تتميز بالتناسق والتوازن فلا يطغى جانب على آخر، ولا يفتت اتجاه على غيره، ولا تعتسف الطريق ولا تحيد عنه، وهذا ما نقصده بالخاصية المقترنة بهذه الخاصية وهي خاصية التوازن.

فالكائن البشري روح وعقل وجسم، والمناهج الأرضية لا تستطيع الموازنة بين هذه المعالم الثلاثة لأن ذلك يقتضي معرفة متطلبات كل منها ومعرفة علاقة كل بالآخر، ولذلك نجد المناهج الأرضية تبرز في جانب دون آخر، وتنمي جانباً على حساب آخر، فقد تعالج الروح حتى تجعل من الإنسان كائناً أنانياً مغروراً ينظر إلى العالم من خلال عقله القاصر، وقد تعنى المناهج بجسم الإنسان فتجعل منه رياضياً مقاتلاً ومصارعاً فيستعمله المجتمع كأداة للتأديب أو للدفاع عن الناس والمجتمع وكل هذه التناولات المنهجية إنما تكون في بناء عنصر على

حساب عنصر آخر، ولا يوجد في الأرض اليوم منهج من صنع بشر استطاع أن يبني منهجاً يتجاوب مع فطرة الإنسان بجوانبها كلها مجتمعة روحه وعقله وجسده.

أما الإسلام فيتفرد بشمولية منهجه التربوي لهذا الكائن وتوازنه، فيعالجه معالجة شاملة متوازنة لا تغفل عن شيء... روحه وعقله وجسده، وما يتطلبه كل عنصر من مستلزمات ومناخ يزاوُل فيه نشاطه منسجماً مع مناخات العناصر الأخرى.

والذي يخول للإسلام النجاح في هذا المضمار أنه دين الله عز وجل وهو الصانع والمبدع والخالق لهذا الكائن، وبالتالي فهو أعلم وأخبر بصنعه وهو الحقيق أن يوجد المنهج المتلائم مع هذه الفطرة {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (١٤) سورة الملك.

عَنْ سَلْمَانَ قَالَ قِيلَ لَهُ قَدْ عَلَّمَكُمُ نَبِيِّكُمْ ﷺ - كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةِ. قَالَ فَقَالَ أَجَلٌ لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِعَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ.^{٤٠}

فما ترك الإسلام جانباً من جوانب الحياة إلا وقد تناولتها الشريعة وأضحت لنا فيها الخير من الشر، والظاهر من الخبيث، والصحيح من الفاسد، وبهذا الشمول الذي تتسم به الشريعة الإسلامية، فإنها في غاية الكمال، قال تعالى: {..الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ..} (٣) سورة المائدة

^{٤٠} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٢٩)

الخِرَاءَةُ: قال الخطابي: «الخِرَاءَةُ» مكسورة الخاء ممدودة الألف: التخلي والقعود للحاجة، قال: وأكثر الرواة يفتحون الخاء، ولا يمدون الألف.

قلت: وقد قال الجوهرى في كتاب «الصحاح»: إنها «الخِرَاءَةُ» بالفتح والمد، وهذا لفظه، قال: وقد خرى خِرَاءَةً، مثل كره كراهة ويحتمل أن يكون بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم.

ثمنا أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار: فيه بيان أن الاستنجاء أحد الطهريين، فإن لم يستعمل الماء فلا بد له من الحجر، وبيان أن الاقتصار على دون الثلاثة لا يجزئ وإن أنقى، لأنه علم أن الإنقاء قد يحصل دون الثلاثة ومع هذا اشترط الثلاثة، وكان اشتراطها تعبداً وشرطاً في صحة الطهارة.

برجيع: الرجيع: الروث والعدرة، وإنما سمي رجيعاً، لأنه يرجع عن حالته الأولى بعد أن كان طعاماً وعلفاً وغير ذلك.

ثمنا أن نستنجي أحدنا بيمينه: النهي عن الاستنجاء باليمين في قول أكثر العلماء: نهي تأديب وتزيه، لأنها مرصدة للأكل والشرب وأكثر الآداب، فترهت عن مباشرة النجاسة.

ونتيجة لهذه الشمولية في التربية الإسلامية يتوصل الإسلام إلى استغلال كل طاقات هذا الكائن بل يصل إلى الحد الأقصى لهذه الطاقات، ولذلك فإن استثمار الإسلام في عهده الأول للعدد القليل من المسلمين وقدرته على الوصول والاستفادة من الحد الأقصى لطاقتهم صنع الأعاجيب في عالم الأرض وأمام جحافل الغناء من البشر الذين لم تستطع مناهجهم أن تستثمر طاقتهم الفطرية المكونة، فالكائن البشري هو الكائن البشري ولكن النتيجة متباينة ومختلفة بين منهج الإسلام ومنهج الناس.

ثم إن معرفة متطلبات كل عنصر والتنسيق بين هذه المتطلبات وتوحيد مواردها ومصاهاها تعكس على نفس هذا الكائن طمأنينة وهدوءاً وتوازناً في كل شئ؟ في معنويات الإنسان ومادياته، في آماله وأحلامه، في واقعه ومستقبله، في يومه وغده، في معاملاته الاقتصادية كانت أم اجتماعية أو سياسية، في حدوده كفرد وحدوده كفرد وسط الجماعة.

ودون هذا التوازن يهدد كيان الإنسان وحرمة، ويفقد توازنه وينعكس ذلك على نفسه باضطرابها، وعلى مجتمعه بالفوضى وتداخل الحقوق وضياع العدل والإنصاف، والمتتبع لحاضر العالم المعاصر وما يعانيه من اضطراب وفوضى في كل مجال سيجد أن اختلال التوازن بين متطلبات روح وعقل وجسم هذا الكائن هو مكمن الداء، ولن يجد له دواء إلا في ظل منهج الإسلام؛ لأنه الوحيد الذي يستطيع أن يخاطب الفطرة لأنه منهج خالق الفطر سبحانه وتعالى.

السمة الثالثة - التميز :

ونقصد بالتميز صياغة الفرد عقائدياً وفكرياً وسلوكياً بحيث يتشكل في صورة مستقلة هي الصورة الإسلامية بكل أبعادها وفق الكتاب والسنة المطهرة بالتصور الشامل للحياة في نواحيها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها...

والتربية الإسلامية المطلوبة اليوم إنما هي التي تمثل ذلك الرصيد التاريخي الحي للإسلام ونماذجه الفعالة في ذلك التاريخ... فالرصيد العقائدي والتاريخي، هو مفهوم التربية حتى عند مفكري هذا العصر من رواد التربية عند الغرب الذين أسسوا المناهج التربوية يحتل الصدارة بين خبراء التعليم في بريطانيا في مقال له كتبه لدائرة المعارف البريطانية " لقد

سلك الناس مسالك مختلفة في التعريف بالتربية، ولكن الفكرة الأساسية التي تسيطر عليها جميعاً: أن التربية هي الجهد التي يقوم به آباء شعب ومربوه لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها".

ويقول البروفيسور كلارك prof.clark "مهما قيل في تفسير التربية فمما لا محيص عنه أنها تسعى للاحتفاظ بنظرية سبق الإيمان بها وعليها تقوم حياة الأمة، وجهادها في سبيل تخليدها ونقلها إلى الأجيال القادمة".

والتميز في حد ذاته مطلب تحرص عليه الأمم التي تريد العيش مستقلة بشخصيتها ومنهج حياتها، لا تتبع ولا توالي أية جهة أخرى، ولو كانت أكثر قوة وعدداً منها.

وإذا أردنا أن ندلل على هذا التميز وأثره في الأمة من واقع حياتنا المعاصرة، لنظرنا إلى اليابان مثلاً، هذا البلد الذي حرّ من الحرب العالمية منهك القوى متضرراً من ويلات الحرب كما لم تتضرر دولة مثله، ومع ذلك هو الآن في مصاف الدول المتقدمة، بل يحسب له الشرق الشيوعي، والغرب الرأسمالي ألف حساب وحساب في جميع المجالات الحضارية.

إن الخط الواضح الذي سارت عليه اليابان منذ خروجها من الحرب هو خط التميز، وتمثل هذا التميز باستمساكها بعقيدة وفكر خاصين هما المعتقد البوذي ولعل كرهها الوجداني للغرب بسبب دمار الحرب لها ساعد على هذا التميز والتمسك بباطلها الاعتقادي، وينبغي القول أن المعتقد ليس مهماً في كونه صحيحاً أو خاطئاً أو تافهاً بقدر ما هو مهم في أنه يقوم بدور التميز الوجداني الذي يرسم بالتالي الشخصية المتميزة على أي أساس كانت.

لقد فصلت اليابان بين المعتقد والفكرة والثقافة والأخلاق والسلوك وبين المادة العلمية الحضارية، فاحتفظت لنفسها بحرية التكوين الوجداني والأخلاقي والثقافي، وتناولت الوسائل العلمية والحضارية مجردة عن وجدان وأخلاق وثقافة المصادر التي أتت منها إذ لا صلة بين المعتقد والحضارة، لأن الحضارة سلعة عالمية بقدرة الإنسان أن يستوردها من أي مكان وليس شرطاً أن يستورد معها أفكاراً وعادات وتقاليد وثقافة روادها وأصحابها.

فهذه الشخصية اليابانية المستقلة المتميزة هي التي خلقت في العامل البوذي الإبداع والدقة والاختراع والتطوير، وهذا ما لم يكن ممكناً لو كان هذا العامل متقمصاً شخصية وفكر

العامل الشيوعي أو الرأسمالي، إنه حينئذ سيشعر بالتبعية الممقوتة وفقدان الشخصية الذي يجدُّ من عزمه ويقتل فيه روح الإقدام والإبداع .

وهذه الصين مع أنها تنهج نهجاً شيوعياً إلا أنها تفانت في أن تخلق لها شيوعية متميزة عن شيوعية روسيا، لا لشيء فكلتاها شيوعية الأب والأم، ولكن لتحقيق لأفرادها وشعبها شخصية متميزة مستقلة ليست تابعة ولا مقلدة. ولو أن الصين استقدمت الفكر الروسي كما هو، لكانت نسخة مكررة بل مزورة مقلدة للشعب الروسي، ولما حق لها أن تقف موقف الند تجاهها، فإن مجرد الشعور بالتبعية يقتل فيها كل روح للتقدم والندية.

حتى روسيا لولا أنها تميزت بخطها الشيوعي ما كان أمرها كما هو الآن ولو أنها حين خرجت من الحرب العالمية استقدمت الفكر الأوروبي والتصور الأوروبي والفلسفة الأوروبية واتخذته منهجاً لها، لكانت نسخة مشوهة من النسخة الأوروبية، ولكانت تسير الآن في فلكها ودائرتها، لكنها منذ قيام ثورتها حجرت حجراً تاماً محكماً على كل الثقافات والآداب الغربية، واستمدت لصياغة شبها أفكاراً خاصة متميزة تعكس في المجتمع شخصية منفردة، وهذا عالم من كبار علماء الروس N.coversن يجسد معنى التميز للشخصية الروسية فيقول: " إن العلم الروسي ليس قسماً من أقسام العلم العالمي، إنه قسم منفصل قائم بذاته يختلف عن سائر الأقسام كل الاختلاف. فإن سمة العلم السوفياتي الأساسية أنه قائم على فلسفة واضحة متميزة، إن التحقيقات العلمية لا تزال في حاجة إلى أساس، وإن أساس علومنا الطبيعية الفلسفية المادية التي قدمها ماركس وإنجلز ولينين وستالين، إنا نريد أن نخوض وفي أيدينا هذه الفلسفة في معترك العلم الطبيعي ونصارع جميع التصورات الأجنبية التي تناهض فلسفتنا المادية الماركسية بكل حزم وقوة " .

ولعلنا بعد هذا كله ندرك أن طريق البناء والتقدم والتطور يحتاج أولاً إلى بناء الشخصية المتميزة، لأن التابع لا يمكن أن يتقدم على متبوعة، كما لا يمكن للعبد أن يتقدم على سيده، ولنصبح على الأقل تلامذة لهم في العلوم الطبيعية والتكنولوجيا دون العقيدة والفكر والثقافة والأخلاق، فالتلميذ بإمكانه أن يتقدم على أستاذه أو يصبح مثله وبمستواه .

إن تبعيتنا للشرق أو الغرب لا تهم المعسكرين مجرد كونها تبعية، فلا يهم الغرب الرأسمالي أن يكون المشرق العربي شيوعياً كما لا يهم الشرق الشيوعي أن يكون المشرق العربي رأسمالياً، المهم أن يظل هذا العالم العربي بلا هوية حقيقية تميزه، وأن يظل نكرة في خارطة العالم، وهذا القدر يرضي الطرفين الكبيرين لأن محصلة هذا الوضع ستصب في جيب واحد.

والإسلام وحده الذي يملك مفتاح هذه الهوية، ويوم أن كان هو هويتنا كنا سادة الأرض بحق وصدق، وعدل، وبغيره سنظل نلهث وراء المظاهر الحضارية نحسبها التقدم والعلم وهو القشور والخداع.

ويوم يحسُّ المعسكر الرأسمالي أو الشيوعي بأننا بدأنا نعرف طريقنا ونضع أيدينا على قرآنا وسنة نبينا، ونحقق ذلك في واقعنا سلوكاً ونظاماً ومنهج حياة، حينذاك فقط سيجتمع المعسكران لحرينا، ولن يستطيعا أن ينالا شيئاً كما لم تستطع قبلهما أكبر دولتين - الروم والفرس - أن تنالا من المسلمين الأوائل شيئاً، بل وسيأتي اليوم الذي يقفان فيه على خط الدفاع عن شخصيتهما وتميزهما خشية أن يذوباً في البوتقة الإسلامية الجديدة، كما ذاب من قبلهم الفرس والروم.

إن مشكلة ذوبان شخصية هذه الأمة الإسلامية وفقدان هويتها انعكس بالحثم على هذا الشباب الذي اجتمعت عليه مشاكل الشرق والغرب لتصوغ منه شباباً لا يعرف اتجاهه، أو بمعنى أصح لتصوغ منه مشكلة في حد ذاته على مجتمعه أن يتحملة وأن يوجد العلاج له.

إننا إذا لم نحل هذه المشكلة بإرجاع الشباب إلى دينهم وإعطائهم هويتهم الحقيقية المفقودة فإننا سنظل كأمة للشرق تارة وللغرب تارة أخرى نتلون بألوانهم ونجاريهم في كل تقليعة وموضة ونأتمر بأمرهم وننتهي عند نهيهم فنعيش حياة الإمعات والأتباع.

والنبي ﷺ يبين لنا أن هاذ الذوبان سيكون وأن هذه التبعية ستتحقق وراء اليهود والنصارى وبما يدبرانه لهذه الأمة من مكائد. فعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله

- ﷺ - « لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شَبْرًا شَبِيرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرٍ ضَبُّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ « فَمَنْ ».^{٤١}

وذكر النبي ﷺ هذا من باب التحذير منه، وأنه سيقع فلا ينبغي التسليم له وإنما يكون الخروج منه بالعودة على ما لا نضل بعدهما كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

والذي ينبغي أن تعيه مناهجنا هو أن التبعية فيما هو صالح ومفيد في الحقول العلمية الجادة مطلب شرعي مطالبة به الأمة المسلمة كي تكون في مصاف الدول المتقدمة وتبز أعداء الله عز وجل بما تقدمه من تقنية وابتكار وتطوير لأنواع الصناعات المختلفة ليكون كل ذلك مسخرًا لخدمة المسلم وغيره.

فالفنون العلمية التقنية التي تنبني عليها هذه الحضارة بضاعة عالمية يمكن استيرادها من أي مكان شرقياً كان أم غربياً، فليس المحذور في هذا الجانب إنما المحذور الذي نخشاه على أنفسنا وشبابنا وما نحن بصدده من مشاكل هو استيراد المناهج التربوية والأخلاقية لأصحاب هذه العلوم، فليس حتماً أن يرتبط الاثنان معاً، بل إننا لم نستورد إلا هذا الجانب النظري من المناهج التربوية والنظريات الفلسفية وكل ما لا وراءه إلا المسخ لهذه الأمة المسلمة، وتركنا الجوانب العلمية الحضارية التي هي سبب قوة الأعداء وتمكنهم من رقابنا.

فقضية فقدان الشخصية وذوبانها من أخطر القضايا المعاصرة، لقد دالت دول عريقة بسببها، وانصهرت شعوب وانمستخت في بوتقتها، وانهارت قوى شامخة جبارة في ظلها. وجيلنا المعاصر يعيش اليوم ذروة الخطر في هذه القضية، لقد أدرك الغرب بعد تجارب ومواقف تاريخية مضمّنة، أن قوة هذه الأمة المسلمة في شخصيتها وقوة شخصيتها تتركز في منهج دينها الذي جعل منها أمة متميزة تحمل كل مكونات الاستمرار والبقاء.

ومن هذا الباب والمنطلق بدأ الهدم والبناء، هدم معالم الشخصية المسلمة، وبناء معالم الشخصية الأوروبية.

^{٤١} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٩٥٢)

وبدأ الهدم بغزو ثقافي مركز طرحت خلاله شعارات ودعاوى وأفكار ومبادئ، ولو رجعنا إلى حصر المطروح في ساحتنا منذ ستين عاماً إلى اليوم لعجبنا أشد العجب من كثرة الزخم المطروح، حتى لا تكاد تتصور فكرة أو مبدأ إلا وله في ساحتنا نصيب كل ذلك ليكدر صفو المنهج التربوي الإسلامي أو ينحيه ويستبدله بغيره ولكن ذلك كان ... وأوهمونا ابتداء أن رقي المجتمع الأوروبي إنما هو بسبب منهجه الحياتي ونمط تفكيره واعتقاده، وبالتالي فإن هبوط ودنو المجتمع الإسلامي إنما هو بسبب منهجه الحياتي ونمط تفكيره واعتقاده.

إنهم يدركون جيداً أن ربطهم لنا بمنهج تفكيرهم وتصورهم ونمط حياتهم سيجعل تبعيتنا الفكرية والوجدانية لهم، وبالتالي سيكون تناولنا للعلوم والحضارة تناول الفكر الغربي الأوروبي، تناول التابع لمتبوعة، تناولاً نحس فيه الروح الأوروبية لا الروح الإسلامية، ولعل هذا يتضح في كثير من رجالات العلم العرب والمسلمين الذين لا يفخرون إلا بالغرب، بل، ويخجل الواحد منهم أن ينتسب إلى دينه!

إنهم يدركون أيضاً أن تمكينهم لنا من تكوين علاقة وصلة مباشرة بالعلوم العلمية التقنية دون المساس بتصورنا وعقيدتنا وفكرنا يجعلنا نتناول هذه العلوم الحضارية بعزة إسلامية لا بعزة أوروبية، وفي ذلك من الخطورة ما فيه، إنها نقطة التحول ونقطة نزع الريادة والقيادة من يد الغرب والشرق، إن معنى ذلك انتهاء الحضارة الأوروبية وبدء الحضارة الإسلامية من جديد.

إن هذه النقطة الحساسة تذكروهم بأول يوم لنهضتهم، فقد قامت حضارتهم على أنقاض حضارتنا بعد أن نمنا نومنا العميق الذي لم نصح منه حتى الآن، بينما صحا الغرب من سباته ليجد مبادئ وأركان الحضارة العلمية جاهزة يطورها ويبيي عليها ويرممها، وهذا هو الذي حدث بعينه.

إننا حينما نتناول هذه الحضارة بعزة إسلامية فإنما نتناول بضاعتنا التي ينبغي أن ترد إلينا لأننا أهلها .. لا بأشخاصنا ولا بجنسياتنا وإنما بما نحمله من عقيدة وتصور إيماني فريد، وبما في قلوبنا وأيدينا من مؤهل يحمل القدرة على ترشيد الحضارة وتوجيه دفتها من الجفاف

إلى الخضرة ومن البطون والشهوات إلى الأفئدة والعقول ..ومن الطين والأرض إلى السماء.

وسيبقى هذا الكلام حديث نفس نسلي به أنفسنا، ونجتث لها من سابق عهدنا، ونوهمها بأننا نسابق الدنيا بل ونتصور قيادتها لما في أرضنا من ثروات وما في بلادنا من إعمار وفي شعوبنا من رفاة، بينما لو كشفنا عن الحق والواقع لثامه لعلمنا أننا في مؤخرة ركب الدنيا وفي آخر قاطرة من قاطراته، وأنه بيننا وبين القيادة مسافة كبيرة لا نجد زاداً يوصلنا إليها بعد قطع المشاق والصعاب إلاّ زاداً واحداً هو زاد الإيمان .. زاد الكتاب والسنة .. الزاد الذي جعلنا في قيادة قاطرة الحضارة .. الزاد الذي جعلنا نجيب الحضارة الرومانية والفارسية دفة القيادة.

لقد كنا بهويتنا وشخصيتنا الإسلامية علماً ومعرفة على رأس الدنيا، فأصبحنا بفقدنا نكرة مجهولة في هذا العالم، وما زالت الفرصة أمامنا .. لنعرف أنفسنا ... وتعرفنا الدنيا كلها.

التمييز والمفاصلة :

ولكن هل معنى تحقيق هذا التمييز في التربية والواقع واستعادة الهوية الإسلامية المشرقة يعني أننا سننفصل عن هذا المجتمع وأفراده وأسرته ونبحث عن بديل لكل ذلك ..؟! سؤال يطرح نفسه من خلال ما ذكرناه في التمييز والهوية الإسلامية فينبغي أن توضح هذه النقطة: فإن الدعوة إلى هذا التمييز بالشكل المطروح ليس معناه ولا نتيجته العزلة والانفصال عن المجتمعات بالشكل المتصور خصوصاً وفي هذه المرحلة الابتدائية لإعادة الهوية الإسلامية إلى هذا المجتمع ممثلاً في فئاته رجالاً ونساءً وأسراراً، فإن العزلة التامة في جميع الشؤون وإن كانت مطلوبة إلا أنها ليست مرادة الآن وإنما العزلة التي نريدها نتيجة لهذا التمييز هي العزلة الشعورية التربوية في داخل النفس المؤمنة، أن يحسّ المسلم وهو يحمل هذه الشخصية المسلمة أن ما يحمله من تصور يصطدم والواقع العملي والمنهج التربوي الذي يعيشه فيحس بنفرة وكراهية لهذا الواقع وهكذا يحقق العزلة الشعورية في كل ما يصطدم وتصوره، ولكنه لا يستطيع في هذه المرحلة أن يغير من واقعه إلا بالقدر الذي يناسب قدرته كفرد، فإذا تكرر مثل هذا الشخص فإن قدرته سوف تتكرر وبالتالي ستكون أكثر

فعالية من ذي قبل وهكذا حتى يتمكن المجتمع من أن يظهر نفسه بنفسه ويرقى إلى صف المجتمع الذي ينشده إيمانه ويفرضه تميزه الذي ينتج عزلة شعورية تتحول مع الأيام إلى عزلة اجتماعية تامة... ومعنى العزلة التامة أنها تصبح دولة بها سلطة إسلامية تزاوّل أحكام الشريعة الإسلامية على شعب مسلم ملتزم بهذا الإسلام.

وليس معنى العزلة التامة هذه أنها ستستغني عن المجتمعات الأخرى لا، بل العكس هو الصحيح إنها ستصبح أكثر تفاعلاً مع المجتمعات الأخرى ولكن هاذ التفاعل يفرضه ويكيفية التصور الإيماني لهذه الدولة، فهي دولة دعوة وإيجابية تؤثر في الدولة أو في غيرها من الدول من هذا الجانب وتعاهد وتخاصم على ضوء هذا التصور، وهذا الجانب في العلاقات نظّمه الإسلام على مستوى الدولة تنظيمًا تفصيليًا فيما يسمى بالعلاقات الدولية في الإسلام.

والنبي ﷺ حين بدأ الدعوة في مكة ظل ثلاثة عشر عاماً بيني التصور الإيماني لعقيدة المسلم وينشئ شخصية مسلمة متميزة عن الشخصية الجاهلية وأفكارها وتصوراتها.

ومع ذلك لم يفارق المجتمع ولم يقطع صلته بهم وكان يخاطبهم، بل ويستعين بهم، كما استعان بعبد الله بن أريقط في أدق مهمة وأخطرها حين الهجرة من مكة إلى المدينة فكان عبد الله دليله في هذا الشأن الخطير، وهو ما زال على شركه ولكن كانت حياة النبي ﷺ ومعاشته مع المجتمع المشرك معايشة تفاعل وتأثير إيجابي كانت نتيجة ذلك الرعيّل الأول الذي أقام بعد ذلك دولة الإسلام في المدينة.

فكان يعايش المجتمع الجاهلي إذاً ويحسُّ بالعزلة الشعورية في جوانبه ويحسها كلُّ من يدخل الإسلام، فكان الصحابة رضوان الله عليهم إذا دخل أحدهم الإسلام ترك كل ما هو جاهلي أمام عتبة داره ودخل شخصاً جديداً كأنه ولد من يومه.

حتى إذا تسنى لهم أن يعتزلوا عزلة تامة في مشاعرهم ومعاملاتهم وشؤونهم كلها أذن الله لهم بالهجرة وهناك أقاموا الدولة الإسلامية.

وبدأت علاقاتهم مع الدول المجاورة تأخذ طابعاً جديداً طابع التفاعل والتأثير الدعوي لتحقيق شرع الله في الأرض على كل من تصل إليه هذه الدعوة وإلى كل أرض يمكن الوصول إليها.

وكان المنهج التربوي على مدار سير الدعوة الإسلامية المادة التي يحقق بها المسلم تميزه وعزله.

السمة الرابعة - التوازن :

مع شمول هذه العقيدة وترابطها فهي تتسم أيضاً بالتوازن.

ويبدو هذا التوازن كذلك على مجموعة من المحاور المختلفة ومجموعة من المجالات:

١- توازن بين الروح والجسد أو عالم المعنويات وعالم الحس.

٢- توازن بين عالم الغيب وعالم الشهادة.

٣- توازن بين الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب.

٤- توازن بين جوانب الحياة المختلفة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية..إلخ.

ولنقل كلمة سريعة عن كل مجال من هذه المجالات:

١- الإنسان قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله. وهناك توازن دقيق بين عنصريه المكونين له، يحتل إذا أعطينا أحدهما من العناية والالتفاف أكثر من حقه. والجاهليات دائماً تحتل في هذا الأمر فتؤكّد على جانب الروح وحدها كالهندوكية والبوذية أو جانب الجسد وحده كالجاهلية المعاصرة في شرق أوروبا وغربها سواء.

ومن خصائص العقيدة الإسلامية أنها توازن بينهما التوازن الصحيح. فمن ناحية هي تمزج بين عالم الجسد وعالم الروح وتشركهما معاً في مجال العمل ومجال التعبّد سواء، ومن ناحية أخرى تعطي كلاً منهما حقه. فلا تشغل الإنسان بعالم الحس وتكبت روحه كالجاهلية المعاصرة، ولا تشغله بأمور روحه على حساب كيانه المادي ومطالب جسده كالجاهلية الهندوكية والبوذية: عَن أَنَسٍ، أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا أَتَزَوَّجُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَصَلِّي وَلَا أَنَامُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَصُومُ وَلَا أَفْطِرُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ

النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي. ٤٢

وتقوم الحضارة الإسلامية المنبثقة من العقيدة على أساس الجانب المادى والروحي سواء

١- يتطلب الإسلام الإيمان بالغيب، لأنه عن طريقه يؤمن بالله واليوم الآخر، ولكنه لا يطلب منه أن يهمل عالم الشهود. بل إنه في عرضه لحقائق العقيدة بكثير من الإشارة إلى آيات الله في الكون لكي يتدبرها الإنسان ويصل عن طريق تدبرها إلى الإيمان بالله. ومن هنا لا يلجأ الإسلام إلى الغيبوبة الروحية التي يقع فيها بعض المتطرفين في العبادة زعماء منهم أهم يستغنون بشهود الذات الإلهية عن شهود الكون الذي خلقه الله، وكذلك لا يقبل أن ينشغل الإنسان بالكون المشهود عن عالم الغيب فيقطع صلته بالله واليوم الآخر كما تصنع جاهلية اليوم

٢- قلنا من قبل إن الإسلام لا يفصل بين الدنيا والآخرة، ونقول هنا: إن هذا الربط ذاته هو الذي يوازن بين الدنيا والآخرة في هذه العقيدة، إذ يحدث عدم التوازن حين تنفصل عن الآخرة في حس الإنسان، فيقوم بأعمال على أنها للدنيا وحدها منفصلة عن الآخرة، وأعمال أخرى على أنها للآخرة وحدها منفصلة عن الدنيا، عندئذ لا بد أن يحدث الاختلال في حسه فتغلب مجموعة من الأعمال على الأخرى. فإما أن تجذبه الدنيا رويداً رويداً حتى ينسى الآخرة، وإما أن تجذبه الآخرة رويداً رويداً حتى ينسى الدنيا. وكلاهما في نظر الإسلام اختلال. فالأول ينشغل بالسعى وراء الرزق والحصول على أكبر قدر من متاع الدنيا، والآخر يزهو في متاع الدنيا وينشغل عن طلب الرزق وتعمير الأرض. ويصبح كل منهما مقصراً وآثماً في حق الله.

إنما يحدث التوازن الذي تشير إليه الآية: {وَأَتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} (٧٧) سورة القصص

٤٢ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٦١٧) (١٣٥٣٤) - ١٣٥٦٨ - صحيح

حين ترتبط الدنيا والآخرة في حس الإنسان فيعمل للآخرة وهو يعمل للدنيا في ذات الوقت. فلا يهمل العبادة ولا يهمل عمارة الأرض .

وفي هذا يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم. المنهج الذي يعلق قلب واحد المال بالآخرة. ولا يجرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة. بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفاً، كي لا يتزهّد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها.

لقد خلق الله طبيبات الحياة ليستمتع بها الناس وليعملوا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها، فتنمو الحياة وتتجدد، وتتحقق خلافة الإنسان في هذه الأرض. ذلك على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة، فلا ينحرفون عن طريقها، ولا يشغلون بالمتاع عن تكاليفها. والمتاع في هذه الحالة لون من ألوان الشكر للمنعم، وتقبل لعطاياه، وانتفاع بها. فهو طاعة من الطاعات يجزي عليها الله بالحسنى.

وهكذا يحقق هذا المنهج التعادل والتناسق في حياة الإنسان، ويمكنه من الارتقاء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة، التي لا حرمان فيها، ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة.

«وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ».. فهذا المال هبة من الله وإحسان. فليقابل بالإحسان فيه. إحسان التقبل وإحسان التصرف، والإحسان به إلى الخلق، وإحسان الشعور بالنعمة، وإحسان الشكران.

«وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ».. الفساد بالبغي والظلم. والفساد بالمتاع المطلق من مراقبة الله ومراعاة الآخرة.^{٤٣}

٣- التوازن في حس المسلم بين الإيمان بالقدر وبين الأخذ بالأسباب. وهو من أجمَل خصائص العقيدة الإسلامية. إن المتواكلين يزعمون أنهم يتوكلون على الله ثم يهملون الأخذ بالأسباب. إن المتواكلين يزعمون أنهم يتوكلون على الله ثم يهملون الأخذ بالأسباب جملة فيصيبهم ما يصيبهم من فقر ومرض وجهل وعجز وهوان في الأرض. وإن الجاهلية الأوربية

^{٤٣} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٥ / ٢٧١١)

من جانب آخر تأخذ بالأسباب منقطعة عن الله وقدره، فنتج إنتاجاً مادياً ضخماً ما يصيبها من قلق واضطراب وأمراض عصبية ونفسية وجنون وانتحار وضياع لأنها تفقد الطمأنينة التي يجدها المؤمن لذكر الله ولقدر الله.

والإسلام يوازن موازنة جميلة بين هذين الحدين المتطرفين، فهو يعلم الناس أن هناك سنناً ربانية يدير الله بها الكون المادى والحياة البشرية. وأنه لا بد من اتباع هذه السنن وممارستها إذا رغبتنا في الوصول إلى نتائج معينة، ومقتضى ذلك هو الأخذ بالأسباب. ولكنه في الوقت ذاته يربى المؤمن على ألا يتكل على الأسباب الظاهرة فيحبط عمله، إنما يظل قلبه موصولاً بالله، متطلعاً إليه أن ينجح مسعاه ويوصله إلى النتائج المرغوبة. وبذلك يتوازن الإنسان في سعيه في الأرض لا يهمل الأسباب ويتوكل، ولا يكف عن التطلع إلى قدر الله.

٤ - أخيراً نقول: إن هذه العقيدة توازن بين جوانب الحياة الإنسانية المختلفة فلا يطغى منها جانب على جانب. فكما أن الجانب الروحي لا يطغى على الجانب المادي، فكذلك لا يطغى الجانب السياسي على الاقتصادي، ولا الاقتصادي على الخلقى وهكذا. بل تتوازن جوانب الحياة كلها على محور العقيدة الرئيس الذي مقتضاه الإيمان بالله والالتزام بما أنزل الله، فتسير كلها متوازنة متوازنة في آن واحد. ^{٤٤}

لذلك فهي تهتم بتربية جميع جوانب الإنسان الخلقية والجسمية والعقلية، وتحقق التوازن بين مطالب الإنسان الجسدية والروحية، فلا يطغى جانب على جانب آخر، بحيث تجعل الإنسان في صراع نفسي وعناء داخلي، وكبت لغرائزه التي فطره الله عليها، فعندما أمر الله تعالى بالأخلاق الفاضلة حذر الإنسان من الرذائل، وشرع له الطرق والسبل لإقامة ذلك التوازن، فأباح له مثلاً الزواج، وتعدد الزوجات إلى أربع، وحذره من رذيلة الزنا، ووضع لها حداً في الشرع.

ولحاجة الإنسان للمال أحل له التجارة، وحثه على العمل والكسب الحلال، وحرّم عليه الربا، قال تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ

^{٤٤} - ركائز الإيمان بتحقيقي ص (٤٢٧ - ٤٣٠)

المَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ { (٢٧٥) سورة البقرة

ولحاجة الإنسان إلى الطعام أحل له الطيبات من الرزق وحرّم عليه الخبائث من الأظعمة
والأشربة، قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ
الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ
عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ { (٤) سورة المائدة، وقال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ
وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ
أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ { (١٥٧) سورة الأعراف.

وبهذا يتضح أن التوازن سمة من سمات التوجيه الإسلامي، الأمر الذي لا يدع مجالاً للفرد
أن يجحد عن الفضيلة الخلقية ليقترف رذيلة أو يسلك طريقاً معوجاً ليشبع حاجة من
حاجاته، فلا إفراط ولا تفريط، فعن عبد الله بن عمرو قال دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -
فَقَالَ « أَلَمْ أَخْبِرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ ». قُلْتُ بَلَى . قَالَ « فَلَا تَفْعَلْ، قُمْ
وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوِكَ عَلَيْكَ
حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّكَ عَسَى أَنْ يَطُولَ بِكَ عُمْرٌ، وَإِنَّ مِنْ حَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ
مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ ». قَالَ فَشَدَّدْتُ
فَشَدَّدَ عَلَيَّ فَقُلْتُ فَإِنِّي أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ . قَالَ « فَصُمْ مِنْ كُلِّ جُمُعَةٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ». قَالَ
فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ قُلْتُ أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ . قَالَ « فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ ». قُلْتُ وَمَا
صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ قَالَ « نِصْفُ الدَّهْرِ »^{٤٥} .

^{٤٥} - صحيح البخارى - المكثر - (٦١٣٤) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٧٩٥) - الزور: الزائر

وَعَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ آخَى بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ فَجَاءَ سَلْمَانُ يُزُورُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَتِّلَةً، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَتْ: إِنَّ أَحَاكَ لَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا فَلَمَّا جَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، رَحَّبَ بِهِ سَلْمَانُ، وَقَرَّبَ إِلَيْهِ طَعَامًا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: اطْعِمْ، قَالَ: إِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا طَعِمْتَ، فَإِنِّي مَا أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ مَعَهُ وَبَاتَ عِنْدَهُ فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ، قَامَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَحَبَسَهُ سَلْمَانُ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، أَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَأَتَّ أَهْلَكَ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ، قَالَ: قُمْ الْآنَ، فَقَامَا فَصَلَّيَا ثُمَّ خَرَجَا إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ، قَامَ إِلَيْهِ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ سَلْمَانُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مِثْلَ مَا قَالَ سَلْمَانُ.^{٤٦}

فلاحظ في التوجيه النبوي التوازن بين مطالب الجسد والروح، والتوازن الخلقى بين حق الله، وحق الأهل وحق الضيف، وحق النفس .

السمة الخامسة - الثبات والمرونة :

في التوجيه الإسلامي ثوابت لا يمكن تغييرها أو تبديلها أو حذفها، وهي القواعد الكلية والمبادئ العامة والأحكام الجزئية التي ورد فيها نص، فإنها لا تتغير ولا تتبدل، كوجوب أداء الأمانات إلى أهلها، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب رد المظالم إلى أهلها، وحرمة السرقة والغش والربا، وحرمة بيع المسلم على بيع أخيه، فإن هذا كله لا يدخله التغيير أو التبديل .

ولكن المرونة تظهر في القدرة على وضع الحلول التي تطرأ في حياة الناس، على ضوء النصوص الشرعية الثابتة والقواعد العامة للشريعة الإسلامية .

فالإسلام وجهه المربي سواء كان أباً أو أمّاً أو من له حق الولاية في التربية إلى مسؤولتهما التربوية، فقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ

^{٤٦} - صحيح البخارى - المكثر - (١٩٦٨) وصحيح ابن حبان - (٢ / ٢٣) (٣٢٠)

وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } (٦) سورة التحريم.

وعن عبد الله بن دينار، أنه سمع ابن عمر، يقول: قال رسول الله ﷺ: كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ عليهم وهو مسؤولٌ عنهم، والرجل راعي أهل بيته وهو مسؤولٌ عنهم، والمرأة راعيةٌ على بيت بعلها وولده وهي مسؤولةٌ عنهم، وعبد الرجل راعٍ على مال سيده وهو مسؤولٌ عنه، فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته^{٤٧}.

وفي الوقت نفسه لم يحدد الإسلام وسيلة محددة للتربية لا يمكن تجاوزها، ولكن للعلماء المسلمين اختيار ما لا يتعارض مع منهج الإسلام مما يستجد من وسائل تربوية مفيدة تبنى ولا تهدم .

والمتعقل والبصير يدرك أن الاستقرار والثبات إلى حد معين لا غنى عنه لتربية الأطفال، والتغيير العنيف السريع يسبب القلق وعدم الإحساس بالأمن لدى الكائنات البشرية، وبخاصة الأطفال والشباب، ولا يمكن لتربية حقيقية أن تكون ناجحة في مجتمع تتغير فيه القيم والسلوك والمواقف والأهداف بين عشية وضحاها، فيرى المتربي أن الذي يدعوه إلى فضيلة الصدق بالأمس يكذب اليوم، ويعلل ذلك بأن الموقف يتطلب ذلك، ويرى الذي يأمره بإقامة حدٍّ من حدود الله، يرتكب هو الجرم جهاراً وعدواناً، فكيف بمن يعيش في أوساط تربوية لا ثبات فيها على مبادئ معينة، فلا شك أنه سيعيش في تناقض داخلي، قد يدفعه إلى سلوك ذلك الاتجاه المتناقض، لذلك نلاحظ أن الأمم التي لا تطبق المنهج الإسلامي تنخبط في تحديد أهدافها التربوية، ووسائل تحقيقها، بل إنها تنحدر في الرذائل الخلقية انحدار الصخر من قمم الجبال، فانهارت القيم والمبادئ، فكثرت الفساد

^{٤٧} - صحيح البخارى - المكثر - (٨٩٣) وصحيح مسلم - المكثر - (٤٨٢٨) وصحيح ابن حبان - (١٠ / ٣٤٣)

(٤٤٩١)

الخلقي، وتزعزع الأمن والاستقرار، كما كثرت الانحرافات الجنسية والقتل والاختطاف، بسبب عدم الثبات واتباع الهوى، ونتيجة الإفراط في المرونة.^{٤٨}

السمة السادسة - البدء بالأهم :

حينما تنحصر قدرات الإنسان المادية أمام خيارات معينة، فإنه بلا شك يرتب أولويات الأعمال حسب أهميتها، فيبدأ بالأهم فالمهم، وقد يكون في قدرته تناول بعض الأعمال السهلة، لكنه يدرك أنها لا تجدي نفعاً دون استيعاب وتناول الأمور الرئيسية المهمة، فيدخر جهده لها.

وهكذا حال الدول عند تأسيسها أو بعد خروجها من الحروب مهزومة بتبغى رأب صدوعات بنائها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وغيرها، تعمد إلى ترتيب تلك الأولويات.

وإذا كانت هذه القضية واضحة في إطار بناء الدول، فينبغي أن تكون أكثر وضوحاً في إطار البناء التربوي للأمم، ينبغي أن تنمو التربية في ظل قاعدة الأهم قبل الأسهل، فمن السهل أن تجذب الشباب إلى هو لا يتحملون فيه مسؤولية، لكن من الصعب أن تجذبهم إلى ندوة إلى محاضرة يكون عليهم جزء من مسؤوليتها، مع أنها أهم من اللهو السابق، وأصعب من ذلك أن تبني فكر الشباب وعقيدته ليتعامل بها في المجتمع مع أن ذلك أهم من سابقه.

لقد اهتم الاستعمار منذ زمن بتشويش نظرنا لهذه القضية الحساسة بل واستهوانا بتكريس جهدنا ومسيرتنا في طريق البناء السهل، وأوهمنا أننا بذلك نبني الحضارة المنشودة بينما نحن - في حقيقة الأمر - نراوح في مكاننا لا نعدوه إلا إلى أسوأ حتى استمرنا وألفنا هذا الخط في البناء التربوي وغيره وأصبح من الصعب علينا العيش في الدائرة الأهم، ورضينا أن نكون سوقاً استهلاكية لإنتاجه... بل وفضلاته ورضينا من الناقاة بالذنب.

وحينما قرر اليهود في "بروتوكولات" حكماء صهيون "إلهاء الشعوب باللعب والرياضيات والفنون، كانوا يدركون خطورة الانتباه لهذه القضية، وأن إشغال الشعوب في

^{٤٨} - أصول التربية الإسلامية - ص ٥٠ فما بعدها

السهل من الأمور السهلة مرغوبة لا منبوذة، ولكن الذي يشينها أهما أخذت مكاناً ليس مخصصاً لها وفي وقت ليس وقتها وفي إطار مهلهل لا يصلح لها.

ولا نعرف في أرض الناس بالأمس واليوم منهجاً يقرر المبدأ.. مبدأ الأهم قبل الأسهل مثل الإسلام، لقد وضح وقرر النبي ﷺ هذا الأمر كأوضح ما يكون التقرير، وطبقه عملياً بصورة لم تعهد البشرية لها نظيراً.

لقد واجه النبي ﷺ ركماً جاهلياً في واقع الناس وعلاقاتهم وظلم بعضهم لبعض، وركماً فكرياً وعقائدياً مشوشاً منحرفاً، جاء ليواجه هذه الأرصدة الضخمة من الوقائع الاجتماعية والفكرية والعقائدية... جاء ليجمع الناس حول مبدأ واحد وقناعة واحدة في عقيدة واحدة، كانت أمامه سبل كثيرة ميسور سلوكها لتجميع الناس، وأمامه طريق واحد صعب المرام ولكنه الأهم، فكيف.. ومن أين يبدأ؟ ...

كان بإمكان النبي ﷺ أن يجمع العرب حول شارة العروبة ويعلنها قومية عربية أمام القوى المحيطة بالجزيرة من الأعاجم الفرس والروم، وكانت نفسية العرب وعصبيتهم مهياة لذلك. كان بإمكانه أن يجمع العرب تحت شارة محاربة الظلم الاجتماعي والطبقي، وسيجد العون من سواد المجتمعات يؤمئذ ويعزز جبهته، كان بإمكانه أن يتخذ هذه الأساليب وغيرها ليجمع كلمة العرب على سواء في أقل مدة ممكنة وبأقل جهد ممكن.

لكن الأمر الذي ينبغي ألا يخفى أن مهمة النبي ﷺ لم تكن التجميع بل كانت التربية والبناء على أسس ثابتة، فكان وحي الله عز وجل يوجهه وجهة البداية الصعبة لأنها الأهم... بداية استهلكك من وقته ثلاثة عشر عاماً متواصلة من الهدم والضحك والتعب، بداية كلفته معاداة الأهل والقبيلة وكلفته محاربة العرب والعجم داخل الجزيرة وخارجها، كلفته الدم وتساقط الشهداء، كانت بداية العقيدة... إقرار العقيدة في النفوس... العقيدة التي هي الضريبة الضخمة التي منها وعليها تؤسس جميع الروافد والمصاب التربوية والاجتماعية والسياسية، لقد كانت بداية ضخمة صعبة المرام ولكنها الأهم.. فكانت النتائج ضخمة أيضاً في واقع الناس والمجتمع البشري كله فعمرت تلك الثلاثة عشر عاماً ثلاثة عشر قرناً تحقق العدل وتنشر السكينة وتسعد البشرية بحضارة لم ولن تسعد في غيرها.

نريد من ذلك أن نقرر قضية وحقيقة بالغة الأهمية... حقيقة يفقدها أساس بنائنا التربوي... إننا نريد من مسارنا التربوي أن يأخذ بالعزيمة ويبدأ تلك البداية... بداية العقيدة، عندها فقط سنكون في دائرة السباق الحضاري بل على خط السباق الأول، وسنحرز الفوز الحقيقي لا الفوز المنفوخ الخاوي، ويومها سنكره العيش على الهوامش والفضلات والتبعية وسنسحس بلذة الصدارة، والناس على أثرنا ونور هدايتنا سائرون.

السمة السابعة - الكليات قبل الجزئيات والأصول قبل الفروع :

يخطئ المربون آباء وأمهات وأساتذة وغيرهم عندما يسرفون في حشر أذهان الأبناء والتلاميذ بالمعلومات الجزئية النظرية، طانين أن الذكاء والنماء الفكري والتربوي مرهون باستيعاب تلك المعلومات على كثرتها، ويخرج المتربي إلى حيز الواقع الاجتماعي بعد ذلك فلا يكون لتلك المعلومات والأمثلة والحكايات والشواهد أثر في واقعه فتتلاشى كل تلك الجزئيات لاصطدامها بواقع مغاير لاتجاهها لا تقوى وهذه حالها على مواجهته.

ولو أن مناهجنا سلكت مسلك غرس المفاهيم والموازن العامة، لكانت أفكار وسلوكيات وواقع شبابنا ومجتمعه غير ما هي عليه اليوم، خصوصاً إذا عاشت هذه المبادئ في ظل واقع يسمح لها بالتحرك والنماء والعطاء.

فلو درس الأبناء مفهوماً كمفهوم الطاعة مثلاً، وعلموا حدوده وصاحب الحق فيه وتسلسله من الله ورسوله ﷺ إلى أئمة المسلمين وإلى الوالدين والأساتذة والمربين وإلى كل من له مسؤولية تجاه غيره.. ولو فهموا مبدأ التضحية والإخلاص والعدل والعزة والكرامة لعلموا كم تبني في الأبناء من معان سامية إذا واكبتها همة تربوية عالية يتسع صدرها لبناء هذه المفاهيم مجردة غير متأثرة بالواقع.

وإذا كان من السهل تأصيل هذه المفاهيم وبلورتها، فإنه من الصعوبة بمكان إعطاء المفاهيم كنظريات لا صلة لها بواقع الناس وحياتهم اليومية اجتماعية واقتصادية وإدارية وسياسية. إن هذه المفاهيم والمبادئ تحتاج إلى مناخ اجتماعي يتلاءم وأبعادها، مناخ تراول فيه الطاعة - مثلاً - أقصى مداها وحدودها، ويزاول الإخلاص والتضحية والعدل والعزة والكرامة وغيرها أبعادها وأقصى آمادها.

وليس شرطاً أن يكون المناخ الاجتماعي سليماً لا عوج فيه حتى تعيش هذه المفاهيم وتنمو، بل المطلوب أن يسمح لهذه المفاهيم أن تعمل عملها، ولو كان المجتمع فاسداً إلى أقصى درجات الفساد، فإن هذه المفاهيم ستأخذ طريقها ضد هذا التيار وستلوي عنقه لياً في نهاية المطاف كي يتمشى وسمت تلك المفاهيم، لأنها مفاهيم ومبادئ غالبية لا محالة، فالظلم لا يقوى على العدل، والغش لا يقاوم طويلاً الإخلاص، والأنايئة لا تقاوم التضحية، والذل لا يصرع العزة ...

ولكن داهية الأمر - فيما إذا سلكتنا مسلك المبادئ والمفاهيم والموازن كأسلوب للعمل التربوي - أن المجتمعات المعاصرة تريد من هذه المبادئ أن تحمي الواقع الخاطئ لمساراتها الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والسياسية وغيرها، وسيكون لتلك المفاهيم والمبادئ، في ظل هذه النظرة، نفس قوتها الفعالة السابقة ولكنها قوة في جانب السلب ومع التيار الاجتماعي الخاطئ لا ضده، فالطاعة حين تقطع من أصلها الأول تصبح طاعة عمياء محدودة مبتذلة تعني التملق والمحسوبية وتنمي في الفرد الذل والخذلان والانكسار، وتقتل همة الترقى، وتصبح التضحية تضحية لتعميق الواقع الآثم، وكذلك تجهز العدالة على بقية العدالة لأنها ستضفي على الباطل أصباحاً ومساحيق العدالة الزائفة وهكذا ستصبح العزة ندالة وذلاً ومهانة لأنها ستكون عزة بمقدار القرب من القائمين على هذا الواقع الخاطئ.

فلا بد لتعديل المسار التربوي من هذين الأمرين: بناء الشبيبة وفق المبادئ والموازن المستقاة من نبع عقيدتنا، ولا بد ثانياً من ترك تلك الموازن والمبادئ تعالج عن طريق هذا الشباب الواقع الاجتماعي، وسنرى بعد ذلك عجباً....

سنرى ذاك العجب الذي حققه مربي البشرية ورسولها محمد ﷺ الذي أرسى هذا المنهج في التربية بوحى الله وتوجيه القرآن الكريم، فسلكت أسلوب التربية في غرس المبادئ والموازن وإهدار الجزئيات، ثم ترك تلك البناءات التربوية من الرجال والنساء تعمل عملها وفق تلك المبادئ ضد تيار المجتمع في جميع أطره الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

واستطاع النبي ﷺ بهذا المنهج أن يربي - لا أطفالاً يتعهدهم من الصغر - بل رجالاً متعصبين استمرؤوا واعتادوا حياة الجاهلية ونمت في وجدانهم وسرت في دمائهم، وإذا كان

من الصعب أن تغير عادة ما في المجتمع، فما بالك بتغيير حياة اجتماعية بكاملها!! بعادتها وتقاليدها وأوضاعها وأفكارها واعتقاداتها، لقد استطاع النبي ﷺ بهذا المنهج أن يغير ذلك الواقع كله .. بل ويغير وجدانهم ويجدد دماءهم ويصنع منهم أمة تذكر على مر التاريخ صنعها في فترة زمنية خيالية.... وبغير هذا الأسلوب تحتاج الأمم إلى قرون كي يكتمل لها البناء ولن يكتمل.

فلا بد من وقفة تربوية لواقع مناهجنا وأساليبها، كي تعدل وفق غرس المبادئ والموازن أولاً - وتأخير الجزئيات^{٤٩}.

السمة الثامنة - الواقعية :

واقعية التوجيه الإسلامي واضحة ظاهرة للعيان من خلال الحقائق الموضوعية المتوافقة مع الفطرة البشرية، ومع القدرات الإنسانية، لا مع تصورات عقلية مجردة، ولا مع مثاليات لا مكان لها في حياة الإنسان .

ففي دائرة الأخلاق مثلاً تجد أن الإنسان يجب من يتصف بالمواصفات الأخلاقية الفاضلة، فتراه يحب الأمين الصادق العفيف الورع الخلق، وينبذ الإنسان البذيء المنافق، النمام، والتوجيه الإسلامي في هذه الدائرة الخلقية، وفي جميع شعب الحياة، يوجه الإنسان إلى السمو الأخلاقي الواقعي الذي يطمح إليه ويرغبه الإنسان بفطرته السليمة .

فالإنسان في واقعه يجب العدل والأمانة والإسلام يأمر بذلك، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} (٥٨) سورة النساء.

والإنسان في واقعه يجب من يحسن إليه، والإسلام يأمر بذلك، قال تعالى: {...وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (١٩٥) سورة البقرة.

^{٤٩} - انظر سمات التربية الإسلامية وطرقها - أ.د. عجيل جاسم النشمي

والإنسان في واقعه لا يحب الكبرياء، والإسلام يأمر بالتواضع، قال تعالى: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} (١٨) سورة لقمان.

والإنسان في واقعه يكره أن يغتابه أحد، والإسلام حرم ذلك، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (١٢) سورة الحجرات.

والإنسان يكره أن يسخر منه أحد، والإسلام ينهى عن ذلك، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (١١) سورة الحجرات.

فالإسلام واقعي في توجيهه للسلوك الأخلاقي؛ لأنه نزل من رب العالمين، العالم بما خلق، اللطيف الخبير، قال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (١٤) سورة الملك.

وعندما يستسلم الإنسان لله تعالى يجد أنه في إطار واقعي صحيح، وأن الإسلام يحقق له الحياة الواقعية، من خلال التنشئة الصالحة، التي تعالج قضاياها التربوية بواقعية، فالشباب الذي جاء إلى النبي ﷺ يستأذنه في الزنا، وجهه عليه الصلاة والسلام بما يحاكي واقعه وفطرته السليمة، فافتنع وأقلع عن مراده، فعن أبي أمامة قال: إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أئذَنْ لِي بِالزَّيْنَاءِ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: اذْنُهُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمَّكَ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ.

قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَخَالَاتِهِمْ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.^{٥٠}

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أن العلاج النبوي التربوي كان واقعياً يغرس في الإنسان حب الفضيلة والعمل بها، وكره الرذيلة واجتنابها، وهذا الأمر لا يستغرب، فالتشريع الإسلامي لا يأمر بفضيلة إلا وواقع الفطرة السليمة يرضاها ويحبها، ويجب من يتصف بها، ولا ينهى عن رذيلة إلا وواقع الفطرة السليمة يبغضها ويكرهها، ويأنف المرء أن يتصف بها، فهو هو الدين القيم، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠) سورة الروم.^{٥١}



^{٥٠} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٤٠٧) (٢٢٢١١) ٢٢٥٦٤ - صحيح

^{٥١} - أصول التربية الإسلامية الحازمي ص ٥٢ فما بعد

الباب الثاني أصول التربية الإسلامية

المبحث الأول البناء العقائدي

المقصود بالتربية الإيمانية ربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان، وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام، وتعليمه من حين تمييزه مبادئ الشريعة الغراء...

ونعني بأصول الإيمان:

كل ما ثبت عن طريق الخبر الصادق من الحقائق الإيمانية، والأمور الغيبية: كالإيمان بالله سبحانه، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب السماوية، والإيمان بالرسول جميعاً، والإيمان بسؤال ملكين، وعذاب القبر، والبعث، والحساب، والجنة، والنار... وسائر المغيبات.

ونعني بأركان الإسلام:

كل العبادات البدنية والمالية، وهي: الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج من استطاع إليه سبيلاً.

ونعني بمبادئ الشريعة:

كل ما يتصل بالمنهج الرباني، وتعاليم الإسلام من عقيدة، وعبادة، وأخلاق، وتشريع، وأنظمة، وأحكام..

فعلى المرء أن ينشئ الولد منذ نشأته على هذه المفاهيم من التربية الإيمانية، وعلى هذه الأسس من التعاليم الإسلامية.. حتى يرتبط بالإسلام عقيدة وعبادة، ويتصل به منهجاً ونظاماً. فلا يعرف بعد هذا التوجيه والتربية سوى الإسلام ديناً، وسوى القرآن إماماً، وسوى الرسول ﷺ قائداً وقدوة...

وهذا الشمول لمفاهيم التربية الإيمانية من وصايا الرسول ﷺ وإرشاداته في تلقين الولد أصول الإيمان، وأركان الإسلام، وأحكام الشريعة...^{٥٢}

المطلب الأول: أهمية مرحلة الطفولة في غرس العقيدة :

إن تأسيس العقيدة السليمة منذ الصغر أمر بالغ لأهمية في منهج التربية الإسلامية، وأمر بالغ السهولة كذلك إذا ما وعى الوالدان واجباتهما في أداء هذه المهمة التي أوكلها الله عز وجل لهما^{٥٣}.

كما قال الإمام الغزالي: "واعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدّها والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خاليه عن كل نقش وصوره. وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له^{٥٤}.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، اعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاتَّقُوا مَعْصِيَتَهُ، وَأْمُرُوا أَهْلَكُمْ بِالذِّكْرِ وَالتَّقْوَى، وَعَلِّمُوهُمْ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَأْمُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ لِيُنقِذُوهُمْ وَأَنفُسَكُمْ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، الَّتِي يُقُودُهَا النَّاسُ مِنَ الكُفْرِ، وَالْحِجَارَةِ، وَتَقُومُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، أَشِدَّاءُ عَلَيْهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ رَبَّهُمْ فِي أَمْرٍ بِهِ، وَيُبَادِرُونَ إِلَى فِعْلٍ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ^{٥٥}.

^{٥٢} - تربية الأولاد في الإسلام لعلوان - (١ / ١١٥)

^{٥٣} - محمد خير، فاطمة، منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ، ص ٢٠٠

^{٥٤} - الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣ / ٩٩

^{٥٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥١١٣)

" وهذه المرحلة هي أهم مرحلة بل أخطرهما في مجال تربية الأبناء، فهي مرحلة تأسيس العادات الحسنة وتكوينها وترسيخ العقيدة السليمة في أعماق الفكر والقلب، وتثبيتها والتوجيه الى الأخلاق الفاضلة وتثبيتها في جميع تصرفاتهم^{٥٦} وهي كما قال الشاعر^{٥٧}:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عودَه أبوه
وما دان الفتى بحجى ولكن يعلمه التدين أقربوه

وقال بعضهم^{٥٨}:

إِنَّ الْعُصُونَ إِذَا قَوْمَتَهَا اعْتَدَلَتْ وَلَا يَلِينُ إِذَا قَوْمَتْهُ الْخَشَبُ
قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحْدَاثَ فِي صِعْرٍ وَلَيْسَ يَنْفَعُ عِنْدَ الشَّيْبَةِ الْأَدَبُ

[وبالتالي] " فإن هذه المرحلة هي أهم مرحلة وأخطرهما، وأهمها المرحلة الأساسية في التلقين والتوجيه والتأسيس لهذه العقيدة السليمة، التي يجب أن يقوم بها الوالدان بشكل أساسي، بالاستعانة بالمربين إن أمكن ذلك، وضمن المنهج الإسلامي الصحيح النابع من القرآن الكريم والسنة المطهرة، مع الاستفادة من تربية السلف وحسن تطبيقهم لهذا المنهج^{٥٩}

ومرحلة الطفولة مهمة لأن:

أولاً: "مرحلة الطفولة مرحلة صفاء وخلو فكر، فتوجيه الطفل للناحية الدينية يجد فراغاً في قلبه، ومكاناً في فكره، وقبولاً من عقله .

^{٥٦} - محمد خير، فاطمه، منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ، ص ٢٠١

^{٥٧} - المعري، أبي العلاء، ديوان لزوم ما لا يلزم، حرره وشرح تعابيره وأغراضه، كمال الأزجي، المجلد الثاني/٤٩٦، بيروت، دار الجيل، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م .

^{٥٨} - الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري، أدب الدنيا والدين، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ص ٢٣٩، (أدب النفس)، المنصورة، مكتبة الإيمان.

^{٥٩} - محمد خير، فاطمه، منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ، ص ٢٠١-٢٠١

ثانيا:مرحلة الطفولة مرحلة تتوقد فيها ملكات الحفظ والذكاء،ولعل ذلك بسبب قلة الهموم،والأشغال التي تشغل القلب في المراحل الأخرى،فوجب استغلال هذه الملكات وتوجيهها الوجهة الصحيحة .

ثالثا:مرحلة الطفولة مرحلة طهر وبراءة، لم يتلبس الطفل فيها بأفكار هدامة،و لم تلوث عقله الميول الفكرية الفاسدة،التي تصده عن الاهتمام بالناحية الدينية،بخلاف لو بدأ التوجيه في مراحل متأخرة قليلا،تكون قد تشكلت لديه أفكار تحول دون تقبله لما تمليه الثقافة الدينية.

رابعا:أصبح العالم في ظل العولمة الحديثة،كالقرية الصغيرة،والفرد المسلم تتناوشه الأفكار المتضادة والمختلفة من كل ناحية،والتي قد تصده عن دينية،أو تشوش عليه عقيدته،فوجب تسليح المسلمين بالثقافة الدينية،ليكونوا على بصيرة من أمرهم،ويواجهوا هذه الأفكار،بعقول واعية .

خامسا:غرس الثقافة الدينية في هذه المرحلة يؤثر تأثيرا بالغا في تقويم سلوكه وحسن استقامته في المستقبل،فينشأ نشأة سليمة،باراً بالديه،وعضواً فعالاً في المجتمع .

سادسا:الأبناء رعية استرعاهم الله آباءهم،ومربيهم وأسرهم،ومجتمعهم،وهؤلاء جميعا،مسئولون عن هذه الرعية،ومحاسبون على التفريط فيها،كما أنهم ماجورون إن هم أحسنوا وأتقنوا.^{٦٠}

إن غرس العقيدة في النفوس هي أمثل الطرق ليجاد أفراد صالحين يستطيعوا أن يقوموا بدورهم كاملاً في الحياة.

المطلب الثاني:أسس غرس أركان الإيمان في الأطفال :

من خلال سيرة النبي - ﷺ - ومنهجه التربوي في تعليم أطفاله وأطفال الصحابة أسس دينهم يتضح لنا كيفية غرس أركان الإيمان في الأطفال وذلك من خلال أسس وهي ما يلي :

^{٦٠} - <http://saaid.net/tarbiah/>.htm

الأساس الأول: إحياء بذرة الفطرة في نفس الطفل والتي تتمثل بتلقين الطفل كلمة التوحيد بالأذان في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: "أَذَّنَ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ يَوْمَ وُلِدَ، فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى، وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى" ٦١

الفطرة هي: "الحلقة الثابتة المستقيمة التي وضعها الله -عز وجل- في الإنسان منذ ولادته، تتميز بمجذورها الغريزية الباطنية والتي لا تتحقق بدون تعليم ولا تتأثر بالعوامل الخارجية، كالعوامل الجغرافية والسياسية والاقتصادية" ٦٢

"ولكي نحمي بذور الفطرة في نفوس الأطفال علينا منذ الأيام الأولى لولادته بالتأذين في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى."

"من الأمور المسلم بها لدى علماء التربية والأخلاق أن الطفل حين يولد، يولد على فطرة التوحيد وعقيدة الإيمان بالله، وعلى أصالة الطهر والبراء، فإذا تمهأت له التربية المتزلية الواعية، والخلطة الاجتماعية الصالحة، والبيئة التعليمية المؤمنة، نشأ الولد - إن شاء الله - على الإيمان الراسخ والأخلاق الفاضلة والتربية الصالحة، وهذه الحقيقة من الفطرة الإيمانية قد قدرها القرآن الكريم وأكدها الرسول -ﷺ- ٦٣

قال تعالى: { فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (سورة الروم

قال الشهيد سيد قطب رحمه الله: "وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين وكلاهما من صنع الله وكلاهما موافق لناموس الوجود وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه. والله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل إليه هذا الدين ليحكمه ويصرفه ويطب له من المرض ويقومه من الانحراف. وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف

٦١ - شعب الإيمان - (١١ / ١٠٧) (٨٢٥٥) حسن لغيره

٦٢ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ١٨٦

٦٣ - الخداش، حاد الله بن حسن، المذهب المستفاد لتربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، ص ٦٤

الخبير. والفطرة ثابتة والدين ثابت: «لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ». فإذا انخرفت النفوس عن الفطرة لم يردّها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة. فطرة البشر وفطرة الوجود.^{٦٤}

وعن الزهريّ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلوات الله عليه - « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) .^{٦٥}

وقار الطحاوي: "اعتبرنا ما جاء من ذكر الفطرة في كتاب الله عز وجل فوجدنا الله عز وجل قد قال في كتابه { الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ } أي: خَالِقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ أَيْضًا: { وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي } [يس: ٢٢] أي: الَّذِي خَلَقَنِي، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا } [الروم: ٣٠] أي: مِلَّةَ اللَّهِ الَّتِي خَلَقَ النَّاسَ عَلَيْهَا، وَكَذَلِكَ أَيْضًا حَدَّثَنَا وَوَلَدُ النَّحْوِيِّ عَنِ الْمَصَادِرِيِّ عَنِ أَبِي عُبَيْدَةَ فِي أَشْيَاءَ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي وَكَانَتِ الْفِطْرَةُ فِطْرَتَيْنِ: فِطْرَةٌ يُرَادُ بِهَا الْخَلْقَةُ الَّتِي لَا تَعْبُدُ مَعَهَا وَفِطْرَةٌ مَعَهَا التَّعْبُدُ الْمُسْتَحَقُّ بِفِعْلِهِ الثَّوَابُ وَالْمُسْتَوْجِبُ بِتَرْكِهِ الْعِقَابُ، وَكَانَ قَوْلُهُ صلوات الله عليه " كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ " يُرِيدُ الْفِطْرَةَ الْمُتَعَبَّدُ أَهْلِهَا الْمُتَابِعُونَ وَالْمُعَاقِبُونَ فَكَانَ أَهْلُهَا الَّذِينَ هُمْ كَذَلِكَ مَا كَانُوا غَيْرَ بِالْغَيْنِ مِمَّنْ خُلِقَ لِلْعِبَادَةِ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات: ٥٦]، وَإِنْ كَانُوا قَبْلَ بُلُوغِهِمْ مَرْفُوعًا عَنْهُمْ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ غَيْرَ أَنَّهُمْ إِذَا عَبَّرَتْ عَنْهُمْ أَلْسِنَتُهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ إِيْمَانٍ أَوْ مِنْ كُفْرٍ كَانُوا مِنْ أَهْلِهِ، وَإِنْ كَانُوا غَيْرَ مُتَابِعِينَ عَلَى مَحْمُودِهِ وَغَيْرَ مُعَاقِبِينَ عَلَى مَذْمُومِهِ، كَمَا قَالَ صلوات الله عليه " فَمَا يَزَالُ عَلَيْهَا حَتَّى يُعْرَبَ عَنْهُ لِسَانُهُ " وَلِذَلِكَ قَبِلَ صلوات الله عليه إِسْلَامَ مَنْ لَمْ يَبْلُغْ وَأَدْخَلَهُ فِي حُمْلَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَفِي ذَلِكَ مَا يُوجِبُ خُرُوجَ مَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالرَّدَّةِ فِي تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الْإِسْلَامِ حَتَّى يَسْتَحِقَّ بِذَلِكَ الْمَنْعَ مِنَ الْمِيرَاثِ مِنْ أَبِيهِ الْمُسْلِمِينَ وَقَالَ صلوات الله عليه " فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُشْرِكَانِهِ " أَي: بِتَهْوِيدِهِمَا أَوْ بِنَصْرَانِيَّتِهِمَا أَوْ بِشْرِكِهِمَا فَيَكُونُ سَبِيًّا

^{٦٤} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٥ / ٢٧٦٧)

^{٦٥} - صحيح البخارى - المكثر - (١٣٥٩)

إِنْ كَانَ أَبَوَاهُ حَرَبِيَيْنِ، وَمَأْخُودًا بَعْدَ بُلُوغِهِ عَاقِلًا بِالْجَزِيَّةِ إِنْ كَانَ أَبَوَاهُ ذَمِّيَيْنِ، فَهَذَا عِنْدَنَا تَأْوِيلُ مَا قَدْ رَوَيْنَاهُ وَاللَّهُ نَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ^{٦٦}

قال الشوكاني " أي كل مولود يولد على الدين الحق فإذا لزم غيره فذلك لأصل ما يعرض له بعد الولادة من التغييرات من جهة أبويه أو سائر من يريه."^{٦٧}

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام، قال ابن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السلف. وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} الإسلام، واحتجوا بقول أبي هريرة في آخر حديث الباب: اقرؤوا إن شئتم {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} وبحديث عياض بن حمار عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم" الحديث. وقد رواه غيره فزاد فيه: "حنفاء مسلمين" ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى: {فِطْرَتَ اللَّهِ} لأنها إضافة مدح، وقد أمر نبيه بلزومها، فعلم أنها الإسلام.^{٦٨}

الأساس الثاني: تثبيت اعتقادهم بالله الواحد الأحد، وترسيخ حب الله تعالى :

لماذا نعلمهم حب الله تعالى:

أ- لأن الله تعالى قال عن الذين يحبونه: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (٣١) سورة آل عمران.

ب- لأن الله جل شأنه هو الذي أوجدنا من عدم، وسوى خلقنا وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً، ومن علينا بأفضل نعمة وهي الإسلام، ثم رزقنا بالكثير من فضله دون أن نستحق ذلك، ثم هو ذا يعدنا بالجنة جزاءً لأفعال هي من عطاءه وفضله، فهو المتفضل أولاً وآخراً.

^{٦٦} - شرح مشكل الآثار - (٤ / ١١) فما بعدها

^{٦٧} - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، نيل الإطّار شرح منتقى الأخبار، فهارس الكتاب العامة وضعها الشيخ خليل

مأمون شيخنا، ج ٧-٨ / ٢٤٨، بيروت، دار المعرفة، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م .

^{٦٨} - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار الفكر - (٣ / ٢٤٨)

ج - عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ ». قَالَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِذَا ذَكَرَ دَاوُدَ يُحَدِّثُ عَنْهُ قَالَ « كَانَ أَعْبَدَ الْبَشَرَ »^{٦٩}. ولنا في ذلك أسوة الحسنة.

وعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قِيلَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمِعْ، وَسَلْ تُعْطِ، قَالَ: فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَعْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَتَوَفَّنِي إِلَيْكَ، وَأَنَا غَيْرُ مَفْتُونٍ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبًّا يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ^{٧٠}.

وعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي أَتَانِي اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَا يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا، قَالَ: فَخَيَّلَ لِي مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْكُفَّارَاتِ وَالذَّرَجَاتِ، فَأَمَّا الذَّرَجَاتُ: فإِطْعَامُ الطَّعَامِ وَبَذْلُ السَّلَامِ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامًا، وَأَمَّا الْكُفَّارَاتُ: فَمَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ، وَجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ خَلْفَ الصَّلَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْ يُسْمِعْ، وَسَلْ تُعْطِ، قَالَ: قُلْتُ: فَعَلَّمَنِي، قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَعْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي إِلَيْكَ وَأَنَا غَيْرُ مَفْتُونٍ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبًّا يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ^{٧١}.

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ حَبَلٍ، قَالَ: أَحْتَبِي عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا صَلَاةَ الْعِدَاةِ فَقَالَ: إِنِّي صَلَّيْتُ الْبَارِحَةَ مَا قُضِيَ لِي وَوَضَعْتُ جَنِّي فِي الْمَسْجِدِ فَأَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ، يَعْنِي الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قُلْتُ: لَا أَيُّ رَبِّي، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قُلْتُ: لَا أَيُّ رَبِّ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ أَوْ قَالَ مِنْ

^{٦٩} - سنن الترمذى - المكثر - (٣٨٢٨) وقال هذا حديث حسن غريب.

^{٧٠} - المستدرک للحاکم (١٩٣٢) صحیح

^{٧١} - كشف الأستار - (٣ / ١٣) (٢١٢٨) حسن

بَيْنَ يَدَيَّ فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُهُ فَقُلْتُ: فِي الدَّرَجَاتِ وَالْكَفَّارَاتِ قَالَ: فَمَا الدَّرَجَاتُ ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَالصَّلَاةُ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَمَا الْكَفَّارَاتُ ؟ قُلْتُ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَنَقْلُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: سَلْ يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ وَأَنْ تَعْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي وَإِنْ أَرَدْتَ، أَوْ قَالَ: أَرَدْتَ بَيْنَ عِبَادِكَ، فِتْنَةً فَأَقْبِضْنِي إِلَيْكَ وَأَنَا غَيْرُ مَفْتُونٍ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ أَحَبَّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: تَعَلَّمُوهُنَّ وَأَدْرُسُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ حَقٌّ. ٧٢

د- لأن الحب يتولد عنه الاحترام والهيبه في السر والعلن، وما أحوجنا إلى أن يحترم أطفالنا ربهم ويهابونه- بدلاً من أن تكون علاقتهم به قائمة على الخوف من عقابه أو من جهنم- فتكون عبادتهم له متعة روحية يعيشون بها وتحفظهم من الزلل .

هـ- لأن الأطفال في الغالب يتعلقون بأبائهم وأمهاتهم -أو من يقوم برعايتهم وتربيتهم- أكثر من أي أحد، مع العلم بأن الآباء، والأمهات، والمربين لا يدومون لأطفالهم، بينما الله تعالى هو الحي القيوم الدائم الباقي الذي لا يموت، والذي لا تأخذه سنة ولا نوم، فهو معهم أينما كانوا وهو الذي يحفظهم ويرعاهم أكثر من والديهم،...، إذن فتعلقهم به وحبهم له يُعد ضرورة، حتى إذا ما تعرضوا لفقدان الوالدين أو أحدهما عرفوا أن لهم صدراً حانياً، وعماداً متيناً، وسنداً قوياً هو الله - سبحانه وتعالى- .

و- لأنهم إذا أحبوا الله عز وجل وعلموا أن القرآن كلامه أحبوا القرآن، وإذا علموا أن الصلاة لقاء مع الله فرحوا بسماع الأذان، وحرصوا على الصلاة، وخشعوا فيها، وإذا علموا أن الله جميل يحب الجمال فعلوا كل ما هو جميل وتركوا كل ما هو قبيح، وإذا علموا أن الله يحب التوابين والمتطهرين، والحسنين، والمتصدقين، والصابرين، والمقسطين، والمتوكلين، وأن الله مع الصابرين، وأن الله ولي المتقين، وأنه ولي الذين آمنوا وأن الله يدافع عن الذين

٧٢ - مسند الشاشي ٣٣٥ - (٢ / ٣٢٦) (١٣٣٢) حسن

آمنوا...، اجتهدوا ليتصفوا بكل هذه الصفات، ابتغاء مرضاته، وحبه، والفوز بولايته لهم، ودفاعه عنهم.

أما إذا علموا أن الله لا يحب الخائنين، ولا الكافرين، ولا المتكبرين، ولا المعتدين، ولا الظالمين، ولا المفسدين، وأنه لا يجب كل حَوَّان كفور، أو من كان مختالاً فخورا...، لابتعدوا قدر استطاعتهم عن كل هذه الصفات القبيحة حُباً في الله ورغبة في إرضاءه.

ز- لأنهم إذا أحبوا الله -جل وعلا- أطاعوا وأوامره واجتنبوا نواهيه بطيب نفس ورحابة صدر؛ وشبَّوا على تفضيل مراده على مرادهم، وتقدّم كل غال وثمين من أجله، والتضحية من أجل إرضاءه، وضبط الشهوات من أجل نيل محبته، فالمُحِبُّ لمن يحب مطيع.

ح- لأن حب الله يعني استشعار وجوده -عز وجل- معنا في كل وقت ومكان، مما يترتب عليه الشعور بالراحة والاطمئنان والثبات، وعدم القلق أو الحزن...، ومن ثم سلامة النفس والجسد من الأمراض النفسية والعضوية...، بل والأهم من ذلك السلامة من المعاصي والآثام.

وما أجمل قول القائل: مَنْ كان الله معه، فَمَنْ عليه؟!

ط- لأن أعز ما يملكه الإنسان - بعد إيمانه بالله عز وجل - هو الكرامة " وليس المال أو المنال، أو الجاه أو القدرة...، فالجرح يتعذب في داخله قبل أن يجاسبه الآخرون، لأنه على بصيرة من قرارة نفسه التي تحسُّ بغياب الكرامة بفعل الأفعال الدنيئة، أما الإنسان المحترم الذي يحسُّ بوفرة الكرامة لديه، فإنه أحرى أن يعتلي القمم السامية والمنازل الرفيعة... وهكذا كان شأن "يوسف" الصديق -عليه السلام- حين توسم فيه عزيز مصر أن ينفعه ذات يوم، ويكون خليفة له على شعبه، أو يتخذه ولدًا؛ لذا فقد قال لامرأته حين أتى بيوسف مستبشراً به: "أكرمى مثواه" أي أكرمي مكانته، واجعليه محط احترام وتقدير، ولم يوصها بأي شيء آخر... فلعله رأى أن التربية القائمة على أساس الكرامة تنتهي بالإنسان إلى أن يكون عالماً، وقادراً على أن يتخذ القرارات السليمة وفقاً لأسس وقواعد التفكير الحكيم، هذا بالإضافة إلى قدرته على وضعها موضع التنفيذ "

فإذا أردنا الكرامة ونتائجها لأطفالنا فما أحرانا بأن نهبها لهم من خلال حبهم لخالق الكرامة الذي كرم أباهم آدم وأسجد له الملائكة، وقال عنهم: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} (٧٠) سورة الإسراء...

وإذا أردنا لهم الدرجات العُلا في الدنيا والآخرة، فلا مفر من مساعدتهم على حب الله الذي يقودهم إلى التقوى،^{٧٣}

فيصيحوا من الذين قال عنهم: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (١٣) سورة الحجرات

طرق ترسيخ حب الله - سبحانه وتعالى - في الطفل :

ولنرسخ في أذهان أطفالنا أن حب الله تعالى يشتمل باتباع الآتي:

أولاً: " تزيه سبحانه الله تعالى وطاعته ومراقبة الله سبحانه وتعالى في سر السر والعلن : جاءت الرسائل السماوية كلها توضح وتؤكد تزيه الخالق فهو مُتَزَّهٌ عن الشركاء، له الألوهية وحده وله الربوبية وحده، وله الحاكمية وحده، وله الأمر والنهي وحده، {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُقُولُونَ عُلوًّا كَبِيرًا} (٤٣) سورة الإسراء^{٧٤}

وقال تعالى: {فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (١١) سورة الشورى

^{٧٣} فضيلة الشيخ " راتب النابلسي " محبة الله أصل الدين : محاضرة مسجلة على الرابط :

<http://www.alminbar.net/alkhutab/khutbaa.asp?mediaURL=zip> \ <http://saaid.net/tarbiah/>

كيف نربي أبناءنا على الإيمان، ص ٣، من مقالة منشورة على الرابط:

www.almodarresi.com/moha/e \ <http://saaid.net/tarbiah/>

^{٧٤} - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ١٩٢

الله سبحانه وتعالى هو خالق السماوات والأرض ومبدعهما بقدرته ومشيتته وحكمته، جعل لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل لكم من الأنعام أزواجاً ذكوراً وإناثاً، يكثركم بسببه بالتوالد، ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله؛ لأن أسمائه كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، وهو السميع البصير، لا يخفى عليه من أعمال خلقه وأقوالهم شيء، وسيجازيهم على ذلك.^{٧٥}

فليس هنالك من شيء يماثله - سبحانه وتعالى - «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ».. والفطرة تؤمن بهذا بدهة. فخالق الأشياء لا تماثله هذه الأشياء التي هي من خلقه.. ومن ثم فإنها ترجع كلها إلى حكمه عند ما تختلف فيما بينها على أمر، ولا ترجع معه إلى أحد غيره لأنه ليس هناك أحد مثله، حتى يكون هناك أكثر من مرجع واحد عند الاختلاف.

ومع أنه - سبحانه - «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ».. فإن الصلة بينه وبين ما خلق ليست منقطعة لهذا الاختلاف الكامل. فهو يسمع ويصير: «وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».. ثم يحكم حكم السميع البصير.

ثم إنه إذ يجعل حكمه فيما يختلفون فيه من شيء هو الحكم الواحد الفصل. يقيم هذا على حقيقة أن مقاليد السماوات والأرض كلها إليه بعد ما فطرها أول مرة، وشرع لها ناموسها الذي يديرها: «لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ».. وهم بعض ما في السماوات والأرض، فمقاليدهم إليه.^{٧٦}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدًّا وَهُوَ خَلْقَكَ، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: أَنْ تَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَهَا: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ

^{٧٥} - التفسير الميسر - (٨ / ٤٣٢)

^{٧٦} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٥ / ٣١٤٦)

مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا { (٦٨) سورة الفرقان ٧٧

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقَكَ، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعْظِيمٌ، ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ. ٧٨

لا بد للمربين أن يغرسوا في نفوس أطفالهم أن الله واحد لا شريك له وتوجه له بالعبادة والإخلاص قال تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (٥) سورة الفاتحة وهذه هي الكلية الاعتقادية التي تنشأ عن الكليات السابقة في السورة. فلا عبادة إلا لله، ولا استعانة إلا بالله.

وهنا كذلك مفرق طريق .. مفرق طريق بين التحرر المطلق من كل عبودية، وبين العبودية المطلقة للعبيد! وهذه الكلية تعلن ميلاد التحرر البشري الكامل الشامل. التحرر من عبودية الأوهام. والتحرر من عبودية النظم، والتحرر من عبودية الأوضاع. وإذا كان الله وحده هو الذي يعبد، والله وحده هو الذي يستعان، فقد تخلص الضمير البشري من استدلال النظم والأوضاع والأشخاص، كما تخلص من استدلال الأساطير والأوهام والخرافات ..

وهنا يعرض موقف المسلم من القوى الإنسانية، ومن القوى الطبيعية .. فأما القوى الإنسانية - بالقياس إلى المسلم - فهي نوعان: قوة مهتدية، تؤمن بالله، وتتبع منهج الله ..

وهذه يجب أن يؤازرها، ويتعاون معها على الخير والحق والصلاح .. وقوة ضالة لا تتصل بالله ولا تتبع منهجه. وهذه يجب أن يجارها ويكافحها ويغير عليها.

ولا يهولن المسلم أن تكون هذه القوة الضالة ضخمة أو عاتية. فهي بضالها عن مصدرها الأول - قوة الله - تفقد قوتها الحقيقية. تفقد الغذاء الدائم الذي يحفظ لها طاقتها. وذلك

٧٧ - صحيح البخارى - المكثر - (٤٤٧٧) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٦٧) وصحيح ابن حبان - (١٠) / (٢٦١)(٤٤١٤)

٧٨ - صحيح البخارى - المكثر - (٧٥٢٠) وصحيح ابن حبان - (١٠) / (٢٦٢)(٤٤١٥)

كما يفصل جرم ضخّم من نجم ملتهب، فما يلبث أن ينطفئ ويبرد ويفقد ناره ونوره، مهما كانت كتلته من الضخامة. على حين تبقى لأية ذرة متصلة بمصدرها المشع قوتها وحرارتها ونورها: «كَمْ مِنْ فِتَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتَّةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ» ..

غلبتها باتصالها بمصدر القوة الأول، وباستمدادها من النبع الواحد للقوة وللعزة جميعا. وأما القوى الطبيعية فموقف المسلم منها هو موقف التعرف والصدقة، لا موقف التخوف والعداء. ذلك أن قوة الإنسان وقوة الطبيعة صادرتان عن إرادة الله ومشيتته. محكومتان بإرادة الله ومشيتته، متناسقتان متعاونتان في الحركة والاتجاه.

إن عقيدة المسلم توحى إليه أن الله ربه قد خلق هذه القوى كلها لتكون له صديقا مساعدا متعاوناً وأن سبيله إلى كسب هذه الصداقة أن يتأمل فيها. ويتعرف إليها، ويتعاون وإياها، ويتجه معها إلى الله ربه وربها.

وإذا كانت هذه القوى تؤذيه أحيانا، فإنما تؤذيه لأنه لم يتدبرها ولم يتعرف إليها، ولم يهتد إلى الناموس الذي يسيرها.

ولقد درج الغربيون - ورثة الجاهلية الرومانية - على التعبير عن استخدام قوى الطبيعة بقولهم: «قهر الطبيعة» .. ولهذا التعبير دلالاته الظاهرة على نظرة الجاهلية المقطوعة الصلة بالله، وبروح الكون المستجيب لله.

فأما المسلم الموصول القلب بربه الرحمن الرحيم، الموصول الروح بروح هذا الوجود المسبحة لله رب العالمين ..

فيؤمن بأن هنالك علاقة أخرى غير علاقة القهر والجفوة. إنه يعتقد أن الله هو مبدع هذه القوى جميعا. خلقها كلها وفق ناموس واحد، لتتعاون على بلوغ الأهداف المقدر لها بحسب هذا الناموس. وأنه سخرها للإنسان ابتداء ويسر له كشف أسرارها ومعرفة قوانينها. وأن على الإنسان أن يشكر الله كلما هيا له أن يظفر بمعونة من إحداها. فالله هو الذي يسخرها له، وليس هو الذي يقهرها: «سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً» ..

وإذن فإن الأوهام لن تملأ حسه تجاه قوى الطبيعة ولن تقوم بينه وبينها المخاوف..إنه يؤمن بالله وحده، ويعبد الله وحده، ويستعين بالله وحده. وهذه القوى من خلق ربه. وهو يتأملها ويألفها ويتعرف أسرارها، فتبذل له معونتها، وتكشف له عن أسرارها. فيعيش معها في كون مأنوس صديق ودود.. وما أروع قول الرسول - ﷺ - وهو ينظر إلى جبل أحد: «هذا جبل يحبنا ونحبه».. ففي هذه الكلمات كل ما يحمله قلب المسلم الأول محمد - ﷺ - من ود وألفة وتجاوب، بينه وبين الطبيعة في أضخم وأحسن مجالها.^{٧٩}

وبعد أن نبين لهم ذلك ونوضح لهم أن الله رقيب علينا وعلى كل شيء في الكون، بعد ذلك نشعرهم بأن الله يراقبنا في السر والعلن.

" أما ترويضه [الطفل] على مراقبة الله وهو يعمل، فليتعلم الإخلاص لله رب العالمين في كل أقواله وأعماله وسائر تصرفاته.

أما ترويضه على مراقبة الله وهو يفكر فليتعلم الأفكار التي تقربه من خالقه العظيم، والتي بها ينفع نفسه وينفع مجتمعه وينفع الناس أجمعين، بل يجب أن يروّض على أن يكون عقله وقلبه وهواه تبعاً لما جاء به خاتم الأنبياء - ﷺ -

أما ترويضه على مراقبة الله وهو يحس... فليتعلم كل إحساس نظيف، وليتربى على كل شعور طاهر... فلا يحسد، ولا يحقد، ولا ينم، ولا يتمتع المتاع الدنس، ولا يشتهي الشهوات الباطلة..^{٨٠}

فإنه - سبحانه وتعالى - يسمع ويرى كل شيء سواء في السر والجمهور قال تعالى: { عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ } { ٩ } سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ } { ١٠ } سورة الرعد
يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ شَيْءٍ مِّمَّا يُشَاهِدُهُ الْعِبَادُ، وَمِمَّا يَغِيبُ عَنْهُمْ مِنْ عَوَالِمٍ لَا نِهَآيَةَ لَهَا، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، وَهُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَقَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا .

^{٧٩} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (١ / ٢٥)

^{٨٠} - علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج١/١٦٩-١٧٠

وَسَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ أَسْرَّ قَوْلَهُ وَلَمْ يَتَلَفَّظْ بِهِ، أَوْ جَهَرَ بِهِ وَأَعْلَنَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُهُ جَمِيعاً وَيَسْمَعُهُ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ؛ وَسَوَاءٌ عِنْدَهُ مَنْ اسْتَخْفَى فِي بَيْتِهِ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ، وَمَنْ ظَهَرَ وَسَارَ فِي النَّهَارِ (سَارِبٌ بِالنَّهَارِ)، فَإِنَّهُمَا فِي عِلْمِ اللَّهِ عَلَى السَّوَاءِ .^{٨١}

وبالتالي يشعر بان الله يراقبه فهذا ينعكس إيجابا علي سلوكه وشعوره وتصرفاته .
وقال رسول الله ﷺ - عن الإحسان: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)^{٨٢}

وقال النووي: معناه أنك إنما تراعى الآداب المذكورة إذا كنت تراه ويراك، لكونه يراك لا لكونك تراه فهو دائما يراك، فأحسن عبادته وإن لم تره، فتقدير الحديث: فإن لم تكن تراه فاستمر على إحسان العبادة فإنه يراك. قال: وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين، وهو عمدة الصديقين وبعيثة السالكون وكثر العارفين ودأب الصالحين، وهو من جوامع الكلم التي أوتيتها ﷺ، وقد ندب أهل التحقيق إلى مجالسة الصالحين، ليكون ذلك مانعا من التلبس بشيء من النقائص احتراماً لهم واستحياء منهم، فكيف بمن لا يزال الله مطلعاً عليه في سره وعلانيته؟ انتهى^{٨٣}

ماذا يجني أطفالنا من غرس روح المراقبة في نفوسهم:

- إن مراقبه الله في السر والعلن توقظ في ضميره الخوف فيبعده عن ارتكاب الذنوب والمعاصي فإذا أخطأ أو زل بسبب ضعفه البشري فإنه سرعان ما يبادر إلى التوبة والاستغفار .

- والمراقبة تؤدي إلى الحياء .

^{٨١} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٧١٧)

^{٨٢} - صحيح البخاري - المكثر - (٥٠) وصحيح مسلم - المكثر - (١٠٢) وصحيح ابن حبان - (١ / ٣٧٥) (١٥٩)

^{٨٣} - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار الفكر - (١ / ١٢٠)

وما أحوج الولد وهو صغير إلى هذا التوجيه حتى يواجه الحياة بنفسه مطمئنه وضمير يقظ واع يفسح أمامه الطريق ليخدم نفسه وأسرته ومجتمعه وبلاده.^{٨٤}

ثانياً: حسن الظن بالله واللجوء إليه والخوف منه:

إن حسن الظن بالله صفة راسخة على كل مؤمن إن يغرسها في قلبه. فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: حُسْنُ الظَّنِّ مِنْ حُسْنِ العِبَادَةِ.^{٨٥}

وعن أبي سفيان، قال: سَمِعْتُ جَابِرًا، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ: مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لَا يَمُوتَ إِلَّا وَظَنَّهُ بِاللَّهِ حَسَنًا، فَلْيَفْعَلْ.

وفي رواية عن جابر بن عبد الله، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ: لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ جَلًّا وَعَلا.^{٨٦}

وقال تعالى عن قافلة الأنبياء: {..إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} (سورة الأنبياء ٩٠)

أي: يبادرون إليها ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها، إلا انتهزوا الفرصة فيها، { وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا } أي: يسألوننا الأمور المرغوب فيها، من مصالح الدنيا والآخرة، ويتعوذون بنا من الأمور المرهوب منها، من مضار الدارين، وهم راغبون راهبون لا غافلون، لاهون ولا مدلون، { وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } أي: خاضعين متذللين متضرعين، وهذا لكمال معرفتهم برهيم.^{٨٧}

" إن الله فطر الإنسان على الخوف والرجاء ويعمل هذان الخطان باستمرار في نفسه، وبمقدار اتجاههما الاتجاه السليم؛ يفوز المسلم بالأمن في الدنيا وبالجنة في الآخرة " ^{٨٨}

الآثار الطيبة والثمار الحسنة التي يجنيها الفرد من خونه من الله:

^{٨٤} - سهام ص ١٩٦

^{٨٥} - صحيح ابن حبان - (٢ / ٣٩٩) (٦٣١) صحيح لغيره

^{٨٦} - صحيح ابن حبان - (٢ / ٤٠٤) (٦٣٧-٦٣٨) صحيح

^{٨٧} - تفسير السعدي - (١ / ٥٣٠)

^{٨٨} - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ١٩٨

(١) "إن الخوف من الله يجبي ضمير الإنسان على اليقظة والحشية، ومراقبة الله - جل وعلا -، فيمنع الإنسان من الاسترسال في المعاصي والآثام، ويجنيه الوقوع في الحرام، ويبعث في الإنسان روح الشجاعة، ويدفعه إلى الجهر بالحق، فلا يحسبون للخلق حساباً ولا يتهيئون من أحد، ولا يخافون من مخلوق قال تعالى: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا} (٣٩) سورة الأحزاب

يَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى الْأَنْبِيَاءَ الْكِرَامَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِ مُحَمَّدٍ، بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُومُونَ بِإِبْلَاجِ رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ إِلَى مَنْ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَتَرَدَّدُونَ فِي ذَلِكَ مَهْمًا كَانَ الْحُكْمُ الَّذِي يُرِيدُونَ تَبْلِيغَهُ ثَقِيلًا عَلَى نُفُوسِهِمْ. وَيَخَافُونَ اللَّهَ فِي تَرْكِهِمْ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ، وَلَا يَخَافُونَ أَحَدًا سِوَاهُ، وَكَفَى بِاللَّهِ مُعِينًا وَنَاصِرًا وَحَافِظًا لِأَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَمُحَاسِبًا عَلَيْهَا.^{٨٩}

(٢) إن الخوف من الله يقف حارساً يرغب الإنسان إلى الخير والاستقامة، ويحذره من الشر والانحراف، فإذا اقترب ذنباً فإنه يسارع بالتوبة والندم والاستغفار، والخائفون من الله هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

إن الإنسان إذا خاف من الله فإنه سوف يكف لسانه عن الغيبة والنميمة.... ولهذا يجب علينا كمربين أن نغرس في نفوس أطفالنا صفة الخوف من الله ليستيقظ ضميره من صغره، ويصمد أمام مغريات الدنيا.^{٩٠}

ثالثاً: الصلة بالله وبيان أثرها في الطاقات الإنسانية :

" إن الأساس في التربية الإيمانية هو أن يكون بين الإنسان وربّه إيصال دائم لا ينقطع، فالعبادة بجميع أنواعها وشتى صورها تشعر المؤمن أنه موصول بالله - سبحانه وتعالى - يستمد منه الهداية والعون، يدعو فيحيب الله دعاءه، [وبالتالي] فقد انعقدت بين الله وبين قلب هذا الطفل صلة لا تنقطع في النهار أو الليل، لا تنقطع في عمل أو شعور أو فكر أو قول.....

^{٨٩} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٤٥٣)

^{٩٠} - المصدر السابق سهام مهدي، ص ١٩٩-٢٠٠

إذا أردنا أن تظهر الفضائل الإنسانية الحقيقية في قلوب أطفالنا، فلنربّيهم على قاعدة تربوية يكون أساسها الارتباط الواقعي والصلة الدائمة بينهم وبين خالقهم^{٩١}

رابعاً: شكر الله اعترافاً بالجميل:

" وواجبنا... أن نلفت دائماً أنظار أولادنا إلى هذا الإنسان وما فيه من نعم ربانية لا تحصى، أو أن نُعلّمهم أن علينا واجباً نحو خالقنا - سبحانه وتعالى - الذي تفضل علينا بالنعم وهذا الواجب يتمثل بشكره تعالى على نعمه، وأن نقول لهم أن الشكر يتحقق بالعبادة والطاعة، { وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ } (١٨) سورة النحل

ما يجني العبد من شكره لله تعالى:

(١) الحفاظ على النعمة وعدم زوالها. قال تعالى: { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } (١١٢) سورة النحل

وهي حال أشبه شيء بحال مكة. جعل الله فيها البيت، وجعلها بلداً حراماً من دخله فهو آمن مطمئن، لا تمتد إليه يد ولو كان قاتلاً، ولا يجرؤ أحد على إيذائه وهو في جوار بيت الله الكريم. وكان الناس يتخطفون من حول البيت وأهل مكة في حراسته وحمايته آمنون مطمئنون. كذلك كان رزقهم يأتيهم هينا هنيئاً من كل مكان مع الحجيج ومع القوافل الآمنة، مع أنهم في وادٍ قفر جرد غير ذي زرع، فكانت تجي إليهم ثمرات كل شيء فيتذوقون طعم الأمن وطعم الرغد منذ دعوة إبراهيم الخليل.

ثم إذا رسول منهم، يعرفونه صادقاً أميناً، ولا يعرفون عنه ما يشين، يبعثه الله فيهم رحمة لهم وللعالمين، دينه دين إبراهيم باني البيت الذي ينعمون في جواره بالأمن والطمأنينة والعيش الرغيد فإذا هم يكذبونه، ويفترون عليه الافتراءات، ويتزلون به وبمن اتبعوه الأذى. وهم ظالمون.

^{٩١} - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٠١-٢٠٢

والمثل الذي يضربه الله لهم منطبق على حالهم، وعاقبة المثل أمامهم. مثل القرية التي كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله، وكذبت رسوله «فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» وأخذ قومها العذاب وهم ظالمون.

ويجسم التعبير الجوع والخوف فيجعل له لباسا ويجعلهم يذوقون هذا اللباس ذوقا، لأن الذوق أعمق أثرا في الحس من مساس اللباس للجلد. وتتداخل في التعبير استجابات الحواس فتضاعف مس الجوع والخوف لهم ولذعه وتأثيره وتغلغله في النفوس. لعلهم يشفقون من تلك العاقبة التي تنتظرهم لتأخذهم وهم ظالمون.^{٩٢}

(٢) زيادة النعمة قال تعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } (٧) سورة إبراهيم ونقف نحن أمام هذه الحقيقة الكبيرة: حقيقة زيادة النعمة بالشكر، والعذاب الشديد على الكفر.

نقف نحن أمام هذه الحقيقة تطمئن إليها قلوبنا أول وهلة لأنها وعد من الله صادق. فلا بد أن يتحقق على أية حال.. فإذا أردنا أن نرى مصداقها في الحياة، ونبحث عن أسبابه المدركة لنا، فإننا لا نبعد كثيرا في تلمس الأسباب.

إن شكر النعمة دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية. فالخير يشكر لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعي في الفطرة المستقيمة..

هذه واحدة.. والأخرى أن النفس التي تشكر الله على نعمته، تراقبه في التصرف بهذه النعمة. بلا بطر، وبلا استعلاء على الخلق، وبلا استخدام للنعمة في الأذى والشر والفساد.

وهذه وتلك مما يزكي النفس، ويدفعها للعمل الصالح، وللتصرف الصالح في النعمة. بما ينميها ويبارك فيها ويرضي الناس عنها وعن صاحبها، فيكونون له عوناً ويصلح روابط المجتمع فتنمو فيه الشروات في أمان. إلى آخر الأسباب الطبيعية الظاهرة لنا في الحياة. وإن كان وعد

^{٩٢} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٤ / ٢١٩٩)

اللّٰه بذاته يكفي لاطمئنان المؤمن، أدرك الأسباب أو لم يدركها، فهو حق واقع لأنه وعد اللّٰه.

والكفر بنعمة اللّٰه قد يكون بعدم شكرها. أو بإنكار أن اللّٰه واهبها، ونسبتها إلى العلم والخبرة والكد الشخصي والسعي! كأن هذه الطاقات ليست نعمة من نعم اللّٰه! وقد يكون بسوء استخدامها بالبطر والكبر على الناس واستغلالها للشهوات والفساد.. وكله كفر بنعمة اللّٰه ..

والعذاب الشديد قد يتضمن محق النعمة. عينا بذهاها. أو سحق آثارها في الشعور. فكم من نعمة تكون بذاتها نقمة يشقى بها صاحبها ويجسد الخالين! وقد يكون عذابا مؤجلا إلى أجله في الدنيا أو في الآخرة كما يشاء اللّٰه. ولكنه واقع لأن الكفر بنعمة اللّٰه لا يمضي بلا جزاء.

ذلك الشكر لا تعود على اللّٰه عائدته. وهذا الكفر لا يرجع على اللّٰه أثره. فاللّٰه غني بذاته محمود بذاته، لا بحمد الناس وشكرهم على عطايه.

«وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَمِيحًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ».. إنما هو صلاح الحياة يتحقق بالشكر، ونفوس الناس تزكو بالاتجاه إلى اللّٰه، وتستقيم بشكر الخير، وتطمئن إلى الاتصال بالمنعم، فلا تخشى نفاذ النعمة وذهاها، ولا تذهب حسرات وراء ما ينفق أو يضيع منها. فالمنعم موجود، والنعمة بشكره تزكو وتزيد.^{٩٣}

فالمخلفون من الأعراب - وكانوا من أعراب غفار ومزينة وأشجع وأسلم وغيرهم ممن حول المدينة - سيقولون اعتذارا عن تخلفهم: «شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا».. وليس هذا بعتذر. فللناس دائما أهل وأموال. ولو كان مثل هذا يجوز أن يشغلهم عن تكاليف العقيدة، وعن الوفاء بحقها ما تمض أحد قط بها.. وسيقولون «فَاسْتَغْفِرْ لَنَا».. وهم ليسوا صادقين في طلب الاستغفار كما ينبيء اللّٰه رسوله - ﷺ -: «يَقُولُونَ بِالْأَسْتِغْفَارِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ»..

^{٩٣} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٤ / ٢٠٨٨)

هنا يرد عليهم بتقرير حقيقة القدر الذي لا يدفعه تخلف، ولا يغيره إقدام وبحقيقة القدرة التي تحيط بالناس وتتصرف في أقدارهم كما تشاء. وبحقيقة العلم الكامل الذي يصرف الله قدره على وفقه: «قُلْ: فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا؟ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» ..

وهو سؤال يوحى بالاستسلام لقدر الله والطاعة لأمره بلا توقف ولا تلكؤ. فالتوقف أو التلكؤ لن يدفع ضررا، ولا يؤخر نفعاً. وانتحال المعاذير لا يخفى على علم الله. ولا يؤثر في جزائه وفق علمه المحيط. وهو توجيه تربوي في وقته وفي جوه وفي مناسبته على طريقة القرآن. «بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا، وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ، وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ، وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا» ..

وهكذا يقفهم عرايا مكشوفين، وجهها لوجه أمام ما أضمرها من نية، وما ستروا من تقدير، وما ظنوا بالله من سوء. وقد ظنوا أن الرسول ومن معه من المؤمنين ذاهبون إلى حتفهم، فلا يرجعون إلى أهلهم بالمدينة وقالوا: يذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة، وقتلوا أصحابه فيقاتلهم! - يشيرون إلى أحد الأحزاب - ولم يحسبوا حسابا لرعاية الله وحمايته للصادقين المتجردين من عباده. كما أنهم - بطبيعة تصورهم للأمور وخلو قلوبهم من حرارة العقيدة - لم يقدرُوا أن الواجب هو الواجب، بغض النظر عن تكاليفه كائنة ما كانت وأن طاعة رسول الله - ﷺ - يجب أن تكون بدون النظر إلى الريح الظاهري والخسارة الشكلية، فهي واجب مفروض يؤدي دون نظر إلى عاقبة أخرى وراءه.

لقد ظنوا ظنهم، وزين هذا الظن في قلوبهم، حتى لم يروا غيره، ولم يفكروا في سواه. وكان هذا هو ظن سوء بالله، الناشئ من أن قلوبهم بور. وهو تعبير عجيب موح. فالأرض البور ميتة جرداء. وكذلك قلوبهم.

وكذلك هم بكل كيانهم. بور. لا حياة ولا خصب ولا إثمار. وما يكون القلب إذ يخلو من حسن الظن بالله؟

لأنه انقطع عن الاتصال بروح الله؟ يكون بورا. ميتا مجرد نهايته إلى البوار والدمار.

وكذلك يظن الناس بالجماعة المؤمنة. الناس من أمثال أولئك الأعراب المنقطعين عن الله. البور الخالية قلوبهم من الروح والحياة. هكذا يظنون دائماً بالجماعة المؤمنة عند ما يبدو أن كفة الباطل هي الراجحة، وأن قوى الأرض الظاهرة في جانب أهل الشر والضلال وأن المؤمنين قلة في العدد، أو قلة في العدة، أو قلة في المكان والجاه والمال. هكذا يظن الأعراب وأشباههم في كل زمان أن المؤمنين لا ينقلبون إلى أهلهم أبداً إذا هم واجهوا الباطل المنتفش بقوته الظاهرة. ومن ثم يتجنبون المؤمنين حبا للسلامة ويتوقعون في كل لحظة أن يستأصلوا وأن تنتهي دعوتهم فيأخذونهم بالأحوط ويبعدون عن طريقهم الخفوف بالمهالك! ولكن الله يخيب ظن السوء هذا ويبدل المواقف والأحوال. بمعرفته هو، وبتدبيره هو، وحسب ميزان القوى الحقيقية.^{٩٤}

خامساً: الدعاء وبيان بركته وفضله :

علينا دائماً أن نكون قدوة للأطفال بأن نرفع أيدينا دائماً بالدعاء لله وطلب كل ما نريده ونبين لهم أن الإنسان ضعيف وفقير إلى الله يستمد قوته منه وحده سبحانه. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } (١٥) سورة فاطر إن الناس في حاجة إلى تذكيرهم بهذه الحقيقة في معرض دعوتهم إلى الهدى، ومجاهدتهم ليخرجوا مما هم فيه من الظلمات إلى نور الله وهداه. في حاجة إلى تذكيرهم بأنهم هم الفقراء المحاويج إلى الله. وأن الله غني عنهم كل الغنى. وأنهم حين يدعون إلى الإيمان بالله وعبادته وحمده على آلائه فإن الله غني عن عبادتهم وحمدهم، وهو الحمود بذاته. وأنهم لا يعجزون الله ولا يعززون عليه فهو إن شاء أن يذهب بهم ويأتي بخلق جديد من جنسهم أو من جنس آخر يخلفهم في الأرض. فإن ذلك عليه يسير

الناس في حاجة إلى أن يذكروا بهذه الحقيقة، لئلا يركبهم الغرور وهم يرون أن الله - جل وعلا - يعنى بهم، ويرسل إليهم الرسل ويجاهد الرسل أن يردوهم عن الضلالة إلى

^{٩٤} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٣٢١)

الهدى، ويخرجوهم من الظلمات إلى النور. ويركبهم الغرور فيظنون أنهم شيء عظيم على الله! وأن هداهم وعبادتهم تزيد شيئاً في ملكه تعالى! والله هو الغني الحميد.

وإن الله سبحانه يمنح العباد من رعايته، ويفيض عليهم من رحمته، ويغمرهم بسابغ فضله - بإرسال رسله إليهم، واحتمال هؤلاء الرسل ما يحتملون من إعراضهم وإيذائهم، وثباتهم على الدعوة إلى الله بعد الإعراض والإيذاء.. إن الله سبحانه إنما يعامل عباده هكذا رحمة منه وفضلاً وكرماً ومناً. لأن هذه صفاته المتعلقة بذاته. لا لأن هؤلاء العباد يزيدون في ملكه شيئاً بهداهم، أو ينقصون من ملكه شيئاً بعماهم. ولا لأن هؤلاء العباد مخلوقات نادرة عزيزة صعبة الإعادة أو الاستبدال، فيغتفر لهم ما يقع منهم لأنهم صنف لا يعاد ولا يستبدل.

وإن الإنسان ليدهش ويحار في فضل الله ومنه وكرمه، حين يرى هذا الإنسان الصغير الضئيل الجاهل القاصر، الضعيف العاجز، ينال من عناية الله ورعايته كل هذا القدر الهائل! والإنسان ساكن صغير من سكان هذه الأرض. والأرض تابع صغير من توابع الشمس. والشمس نجم مما لا عد له ولا حصر من النجوم. والنجوم إن هي إلا نقط صغيرة - على ضخامتها الهائلة - متناثرة في فضاء الكون الذي لا يعلم الناس حدوده. وهذا الفضاء الذي تتناثر فيه تلك النجوم كالنقط التائهة إن هو إلا بعض خلق الله! ثم ينال الإنسان من الله كل هذه الرعاية.. ينشئه، ويستخلفه في الأرض، ويهبه كل أدوات الخلافة - سواء في تكوينه وتركيبه أو تسخير القوى والطاقات الكونية اللازمة له في خلافته - ويضل هذا المخلوق ويتبجح حتى ليشرك بربه أو ينكره. فيرسل الله إليه الرسل، رسولا بعد رسول، ويتزل على الرسل الكتب والخوارق. ويطرده فضل الله ويفيض حتى ليتزل في كتابه الأخير للبشر قصصاً يحدث بها الناس، ويقص عليهم ما وقع لأسلافهم، ويحدثهم عن ذوات أنفسهم، ويكشف لهم عما فيها من قوى وطاقات، ومن عجز وضعف، بل إنه - سبحانه - ليحدث عن فلان وفلان بالذات، فيقول لهذا: أنت فعلت وأنت تركت، ويقول لذلك: هياك حلاً لمشكلتك، وهياك خلاصاً من ضيقتك! كل ذلك، وهذا الإنسان هو الساكن الصغير من سكان هذه الأرض، التابعة الصغيرة من توابع الشمس، التائهة في هذا الوجود الكبير حتى ما تكاد تحس! والله - سبحانه - هو فاطر السماوات والأرض، وخالق هذا الوجود

بما فيه ومن فيه بكلمة..مجرد توجه الإرادة.وهو قادر على أن يخلق مثله بكلمة وبمجرد توجه الإرادة ..

والناس خلقاء أن يدركوا هذه الحقيقة ليدركوا مدى فضل الله ورعايته ورحمته.وليستحيوا أن يستجيبوا للفضل الخالص والرعاية المجردة والرحمة الفائضة بالإعراض والجحود والنكران.فهني من هذه الناحية لمسة وجدانية موحية،إلى جانب أنها حقيقة صادقة واقعة.والقرآن يلمس بالحقائق قلوب البشر لأن الحقيقة حين تجلى أفعل في النفس ولأنه هو الحق وبالحق نزل.فلا يتحدث إلا بالحق،ولا يقنع إلا بالحق،ولا يعرض إلا الحق،ولا يشير بغير الحق ..^{٩٥}

وقال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} (٦٠) سورة غافر
يَحُثُّ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَلَى دُعَائِهِ،وَتَكْفَلُ لَهُمْ بِالْإِجَابَةِ عَلَى دُعَائِهِمْ؛وَدُعَاءُ الْعَبْدِ رَبَّهُ دَلِيلٌ عَلَى إِيمَانِهِ بِرَبِّهِ،وَخَوْفِهِ مِنْهُ،وَطَمَعِهِ فِي ثَوَابِهِ وَكَرَمِهِ،وَرَحْمَتِهِ،وَمَنْ اسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْتَمُّ بِإِجَابَةِ دُعَائِهِ لِأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ،وَأَنَّهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ،وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ الْخَلَائِقِ،وَتَصْرِيفِ شُؤْنِهِمْ،وَإِحْصَاءِ أَعْمَالِهِمْ،وَإِعَادَةِ بَعْثِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَحَاسِبَهُمْ عَلَيْهَا،وَيَجْزِيَهُمْ بِهَا
وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ فَإِنَّهُ سَيُدْخِلُهُمُ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ أَذِلَّةٌ صَاغِرُونَ .^{٩٦}

وللدعاء أدب لا بد أن يراعى.إنه إخلاص القلب لله.والثقة بالاستجابة مع عدم اقتراح صورة معينة لها،أو تخصيص وقت أو ظرف،فهذا الاقتراح ليس من أدب السؤال.والاعتقاد بأن التوجه للدعاء توفيق من الله،والاستجابة فضل آخر...

^{٩٥} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٥ / ٢٩٣٧)

^{٩٦} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٠٧٢)

فأما الذين يستكبرون عن التوجه لله فجزاؤهم الحق أن يوجهوا أضواء صاغرين لجهنم! وهذه نهاية الكبر الذي تنتفخ به قلوب وصدور في هذه الأرض الصغيرة، وفي هذه الحياة الرخيصة، وتنسى ضخامة خلق الله.

فضلا على نسيانها عظمة الله. ونسيانها للأخرة وهي آتية لا ريب فيها. ونسيانها للموقف الذليل في الآخرة بعد النفخة والاستكبار.^{٩٧}

أثر الدعاء التربوي :

(١) الدعاء من أسباب رفع البلاء

(٢) تذكير للنفس بحقيقة فقرها إلى الله - سبحانه وتعالى - وصلتها به، ومن ثم كانت حياة الرسول - ﷺ - دعاء دائماً، يدعو مع كل عمل وكل حركة بالليل والنهار.

(٣) الدعاء هو سبيل القوة الحقة، فمن وراء إيمانه وإحساسه أنه تحت رعاية الله وحفظه وأنه يستمتع إليه إذا شكاً، وأنه قريب يستجيب دعاءه، فإنه يجابه الحياة؛ أملاً في الله متوكلاً عليه.^{٩٨}

تذكرة :

علينا أن نتذكر ما يلي :

(١) أحب على تساؤلات طفلك الدينية بما يناسب مع سنّه ومستوى إدراكه وفهمه.

(٢) اعتدل في أوامرك ولا تحمل طفلك ما لا طاقة له به.

(٣) لا تلقن طفلك اسم الله من خلال الأحداث الأليمة .

(٤) حاول أن تذكر اسم الله تعالى أمام الطفل من خلال مواقف محببة سارة

(٥) ينبغي ألا نرعب الطفل بكثرة الحديث عن غضب الله وعذابه والنار.... بل بالترغيب بدلاً من الترهيب.^{٩٩}

^{٩٧} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٥ / ٣٠٩١)

^{٩٨} - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٠٨-٢٠٩

^{٩٩} - د. حسان شمسي باشا، كيف تربي أبنائك في هذا الزمان، ص ١٢٢، دمشق، دار القلم، ط ١، ١٤٢١ هـ -

٢٠٠١ م.

المطلب الثالث: ترسيخ حب النبي - ﷺ - وحب آل بيته وصحبه.

قال تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (٣١) سورة آل عمران

" إنَّ حبَّ الرسول - ﷺ - واجب على كل مسلم وهو يأتي بعد حُبِّه لله - سبحانه وتعالى - ، وقد أمرنا الله - سبحانه وتعالى - بحُبِّ الرسول - ﷺ - وقرن حُبَّه - سبحانه وتعالى - بحب الرسول - ﷺ - " ١٠٠

" يعطي القرآن الكريم الصورة الواضحة المميزة عن أخلاقه [محمد - ﷺ -] وأفعاله وأقواله قال تعالى: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } (٤) سورة القلم، ونحن نعيش بعيدين عنه بفاصلة زمنية هي أربعة عشر قرناً، ولقد أبقى القرآن الكريم الرسول العظيم - ﷺ - حياً في قلوب المسلمين متعاشياً في مشاعرهم وتفكيرهم يفضون تجاهه بمشاعر الحب والتقدير، فواجبنا كمربين أن نرسخ في نفوس أطفالنا حب رسول الله - ﷺ - وحب آل بيته، وأن نبين لهم أن حب رسول الله - ﷺ - يفوق كل حب، وأن حبه من الإيمان " ١٠١

عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَاَلِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. ١٠٢

" فبحب رسول الله - ﷺ - يتحقق الشرط الثاني من الشهادة، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وترسيخ محبة رسول الله - ﷺ - تحرك مشاعر الطفل وأحاسيسه ويقوى لديه الانتماء إلى هذا الدين وترسخ لديه عقيدة الإيمان به كرسول منزل، ولئيبين لأطفالنا أن محبة رسول الله - ﷺ - لا تتحقق بالأقوال دون الأفعال " ١٠٣

ولكن تتحقق باتباع الآتي:

١٠٠ - العك، خالد عبد الرحمن، تربية الأبناء والبنات، ص ١٠٦

١٠١ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٠٩-٢١٠

١٠٢ - صحيح البخاري - المكثر - (١٥١٤) وصحيح مسلم - المكثر - (١٧٨) وصحيح ابن حبان - (١) / (٤٠٥) (١٧٩)

١٠٣ - المصدر السابق (سهام) ص ٢١٠-٢١١

(١) الاستجابة القوية لأوامره وتنفيذها، واجتتاب نواهيه وبالبعد عنها، قال تعالى: {.. وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ..} (٧) سورة الحشر

وفي الظلال: " القاعدة الثانية - قاعدة تلقي الشريعة من مصدر واحد: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا» .. فهي كذلك تمثل النظرية الدستورية الإسلامية. فسلطان القانون في الإسلام مستمد من أن هذا التشريع جاء به الرسول - ﷺ - قرآناً أو سنة. والأمة كلها والإمام معها لا تملك أن تخالف عما جاء به الرسول. فإذا شرعت ما يخالفه لم يكن لتشريعها هذا سلطان، لأنه فقد السند الأول الذي يستمد منه السلطان .. وهذه النظرية تخالف جميع النظريات البشرية الوضعية، بما فيها تلك التي تجعل الأمة مصدر السلطات، بمعنى أن للأمة أن تشرع لنفسها ما تشاء، وكل ما تشرعه فهو ذو سلطان. فمصدر السلطات في الإسلام هو شرع الله الذي جاء به الرسول - ﷺ - والأمة تقوم على هذه الشريعة وتحرسها وتنفذها - والإمام نائب عن الأمة في هذا - وفي هذا تنحصر حقوق الأمة. فليس لها أن تخالف عما آتاه الرسول في أي تشريع.

فأما حين لا توجد نصوص فيما جاء به الرسول بخصوص أمر يعرض للأمة فسبيلها أن تشرع له بما لا يخالف أصلاً من أصول ما جاء به الرسول. وهذا لا ينقض تلك النظرية، إنما هو فرع عنها. فالمرجع في أي تشريع هو أن يتبع ما جاء به الرسول إن كان هناك نص. وألا يخالف أصلاً من أصوله فيما لا نص فيه. وتنحصر سلطة الأمة - والإمام النائب عنها - في هذه الحدود. وهو نظام فريد لا يماثله نظام آخر مما عرفته البشرية من نظم وضعية. وهو نظام يربط التشريع للناس بناموس الكون كله. وينسق بين ناموس الكون الذي وضعه الله له والقانون الذي يحكم البشر وهو من الله. كي لا يصطدم قانون البشر بناموس الكون، فيشقى الإنسان أو يتحطم أو تذهب جهوده أدراج الرياح! ^{١٠٤}

(٢) التأسى برسول الله - ﷺ - في أقواله وأفعاله باتخاذ القدوة الحسنة.

^{١٠٤} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٥٢٥)

" القدوة في التربية هي من أنجع الوسائل المؤثرة في إعداد الولد خلقياً، وتكوينه نفسياً واجتماعياً، ذلك لأن المربي هو المثل الأعلى في نظر الطفل، والأسوة الصالحة في عين الولد، يقلده سلوكياً ويحاكيه خلقياً من حيث يشعر أو لا يشعر، بل تنطبع في نفسه وإحساسه صورته القولية والفعلية والحسية والمعنوية من حيث يدري أو لا يدري" ١٠٥

قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (٢١) سورة الأحزاب.

يَحْتُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْاِقْتِدَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالتَّاسِّي بِهِ فِي صَبْرِهِ وَمَصَابِرَتِهِ وَمُرَابِطَتِهِ وَمُجَاهَدَتِهِ فَقَالَ لِلَّذِينَ أَظْهَرُوا الضَّجَرَ وَتَزَلُّوْا وَاضْطَرُّوْا فِي أَمْرِهِمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: هَلَّا اقْتَدَيْتُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ، وَتَأَسَّيْتُمْ بِشَمَائِلِهِ فَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ إِنْ كُنْتُمْ تَبْتَغُونَ ثَوَابَ اللَّهِ، وَتَخَافُونَ عِقَابَهُ، وَتَذْكُرُونَ اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، فَذَكَرَ اللَّهُ يُؤَدِّي إِلَيْكُمْ أُسْوَةً حَسَنًا - قُدْوَةً صَالِحَةً فِي كُلِّ أَمْرٍ. ١٠٦

لكن علينا أن نُعلم أطفالنا بأن يتخذوا الرسول - ﷺ - قدوتهم في الله ويتأسوا به ويسيروا على طريقه وبالتالي ينالوا السعادة في الدنيا والآخرة والطمأنينة والسكينة والفلاح.

حب آل بيت النبي - وأصحابه رضوان الله عليهم :

قال تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} (٣٣) سورة الأحزاب

{ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ } أي: اقررن فيها، لأنه أسلم وأحفظ لكنن، { وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى } أي: لا تكثرن الخروج متحلمات أو متطيبات، كعادة أهل الجاهلية الأولى، الذين لا علم عندهم ولا دين، فكل هذا دفع للشر وأسبابه.

ولما أمرهن بالتقوى عموماً، وبجزئيات من التقوى، نص عليها [الحاجة] النساء إليها، كذلك أمرهن بالطاعة، خصوصاً الصلاة والزكاة، اللتان يحتاجهما، ويضطر إليهما كل أحد، وهما

١٠٥ - علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج ٢/ ٦٠٧.

١٠٦ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٤٣٥)

أكبر العبادات، وأجل الطاعات، وفي الصلاة، الإخلاص للمعبود، وفي الزكاة، الإحسان إلى العبيد.

ثم أمرهن بالطاعة عموماً، فقال: { وَأَطِيعَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } يدخل في طاعة الله ورسوله، كل أمر، أمراً به أمر إيجاب أو استحباب. { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ } بأمر كن بما أمرُكُنَّ به، ونهيكن بما نهاكُنَّ عنه، { لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ } أي: الأذى، والشَّر، والخبث، يا { أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } حتى تكونوا طاهرين مطهرين.

أي: فاحمدوا ربكم، واشكروه على هذه الأوامر والنواهي، التي أخبركم بمصلحتها، وأنها محض مصلحتكم، لم يرد الله أن يجعل عليكم بذلك حرجاً ولا مشقة، بل لتزكى نفوسكم، ولتطهر أخلاقكم، وتحسن أعمالكم، ويعظم بذلك أجركم. ١٠٧

علينا أن نحب آل بيت النبي - ﷺ - ونسير حسب هجهم. ولنخبر أولادنا عنهم ولنتأس بهم لأنهم: " أعلم المسلمين وأعبدهم وأورعهم وأتقاهم وأكرمهم وأحلمهم، وأشجعهم إلى جميع صفات الكمال " ١٠٨

وقال تعالى: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لَيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } (٢٩) سورة الفتح

إنها صورة عجيبة يرسمها القرآن الكريم بأسلوبه البديع. صورة مؤلفة من عدة لقطات لأبرز حالات هذه الجماعة المختارة، حالاتها الظاهرة والمضمرة. فلقطة تصور حالتهم مع الكفار ومع أنفسهم: «أشداء على الكفار رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» ولقطة تصور هيئتهم في عبادتهم: «تراهم رُكَّعًا سُجَّدًا».. ولقطة تصور قلوبهم وما يشغلها ويجيش بها: «يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا».. ولقطة تصور أثر العبادة والتوجه إلى الله في سمتهم وسحتهم

١٠٧ - تفسير السعدي - (١ / ٦٦٣)

١٠٨ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢١٧

وسماتهم: «سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ».. «ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ».. وهذه صفتهم فيها.. ولقطات متتابعة تصورهم كما هم في الإنجيل.. «كَزَّرَعَ أَخْرَجَ شَطَأَهُ» «فَأَزْرَهُ».. «فَاسْتَعْلَظَ» «فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ».. «يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ».. «لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ» وتبدأ الآية بإثبات صفة محمد - ﷺ - صفته التي أنكرها سهيل بن عمرو ومن وراءه من المشركين: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ».. ثم ترسم تلك الصورة الوضيئة بذلك الأسلوب البديع. والمؤمنون لهم حالات شتى. ولكن اللقطات تتناول الحالات الثابتة في حياتهم، ونقط الارتكاز الأصلية في هذه الحياة. وتبرزها وتصوغ منها الخطوط العريضة في الصور الوضيئة.. وإرادة التكريم واضحة في اختيار هذه اللقطات، وتثبيت الملامح والسمات التي تصورها. التكريم الإلهي لهذه الجماعة السعيدة.

إرادة التكريم واضحة، وهو يسجل لهم في اللقطة الأولى أنهم: «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ»..

أشداء على الكفار وفيهم آباؤهم وإخوانهم وذوو قراباتهم وصحابتهم، ولكنهم قطعوا هذه الوشائج جميعا. رحماء بينهم وهم فقط إخوة دين. فهي الشدة لله والرحمة لله. وهي الحمية للعقيدة، والسماحة للعقيدة. فليس لهم في أنفسهم شيء، ولا لأنفسهم فيهم شيء. وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم، كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها. يشتدون على أعدائهم فيها، ويلينون لإخوانهم فيها. قد تجردوا من الأنانية ومن الهوى، ومن الانفعال لغير الله، والوشيجة التي تربطهم بالله.

وإرادة التكريم واضحة وهو يختار من هياتهم وحالاتهم، هيئة الركوع والسجود وحالة العبادة: «تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا».. والتعبير يوحي كأنما هذه هياتهم الدائمة التي يراها الرائي حينما رآهم. ذلك أن هيئة الركوع والسجود تمثل حالة العبادة، وهي الحالة الأصلية لهم في حقيقة نفوسهم فعبر عنها تعبيرا يثبتها كذلك في زمانهم، حتى لكأنهم يقضون زمانهم كله ركعا سجدا.

واللقطة الثالثة مثلها. ولكنها لقطة لبواطن نفوسهم وأعماق سرائرهم: «يَتَتَعَوْنَ فِضًّا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا».. فهذه هي صورة مشاعرهم الدائمة الثابتة. كل ما يشغل بالهم، وكل ما

تتطلع إليه أشواقهم، هو فضل الله ورضوانه. ولا شيء وراء الفضل والرضوان يتطلعون إليه ويشغلون به.

واللقطة الرابعة تثبت أثر العبادة الظاهرة والتطلع المضمّر في ملامحهم، ونضحها على سماتهم: «سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ».. سيماهم في وجوههم من الوضاعة والإشراق والصفاء والشفافية، ومن ذبول العبادة الحي الوضيء اللطيف. وليست هذه السيماء هي النكتة المعروفة في الوجه كما يتبادر إلى الذهن عند سماع قوله: «مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ».. فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة. واختار لفظ السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله في أكمل صورها. فهو أثر هذا الخشوع. أثره في ملامح الوجه، حيث تتوارى الخيلاء والكبرياء والفراهة. ويحل مكانها التواضع النبيل، والشفافية الصافية، والوضاعة المهادنة، والذبول الخفيف الذي يزيد وجه المؤمن وضاعة وصباحة ونبلا.

وهذه الصورة الوضيئة التي تمثلها هذه اللقطات ليست مستحدثة. إنما هي ثابتة لهم في لوحة القدر ومن ثم فهي قديمة جاء ذكرها في التوراة: «ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ».. وصفتهم التي عرفهم الله بها في كتاب موسى، وبشر الأرض بما قبل أن يجيئوا إليها.

«وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ».. وصفتهم في بشارته. بمحمد ومن معه، أنهم: «كَرَّرَ عِ آخْرَجَ شَطَأَهُ».. فهو زرع نام قوي، يخرج فرخه من قوته وخصوبته. ولكن هذا الفرخ لا يضعف العود بل يشده. «فَأَزْرَهُ».. أو أن العود آزر فرخه فشده. «فَاسْتَعْلَظَ» الزرع وضخمت ساقه وامتألت. «فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ» لا معوجا ومحنيا. ولكن مستقيما قويا سويا..

هذه صورته في ذاته. فأما وقعه في نفوس أهل الخبرة في الزرع، العارفين بالنامي منه والذابل المثمر منه والبائر. فهو وقع البهجة والإعجاب: «يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ». وفي قراءة يعجب «الزارع».. وهو رسول الله - ﷺ - صاحب هذا الزرع النامي القوي المخصب البهيج.. وأما وقعه في نفوس الكفار فعلى العكس. فهو وقع الغيظ والكمد: «لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ».. وتعمد إغائة الكفار يوحى بأن هذه الزرعة هي زرعة الله. أو زرعة رسوله، وأنهم ستار للقدرة وأداة لإغائة أعداء الله! وهذا المثل كذلك ليس مستحدثا، فهو ثابت في صفحة

القدر. ومن ثم ورد ذكره قبل أن يجيء محمد ومن معه إلى هذه الأرض. ثابت في الإنجيل في بشارته. بمحمد ومن معه حين يجيئون.

وهكذا يثبت الله في كتابه الخالد صفة هذه الجماعة المختارة.. صحابة رسول الله ﷺ.. فتثبت في صلب الوجود كله، وتتجاوب بما أرجأوه، وهو يتسمع إليها من بارئ الوجود. وتبقى نموذجاً للأجيال، تحاول أن تحققها، لتحقيق معنى الإيمان في أعلى الدرجات. وفوق هذا التكريم كله، وعد الله بالمغفرة والأجر العظيم: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا».. وهو وعد يجيء في هذه الصيغة العامة بعد ما تقدم من صفتهم، التي تجعلهم أول الداخلين في هذه الصيغة العامة.

مغفرة وأجر عظيم.. وذلك التكريم وحده حسبهم. وذلك الرضى وحده أجر عظيم. ولكنه الفيض الإلهي بلا حدود ولا قيود، والعطاء الإلهي عطاء غير مجذوذ.

ومرة أخرى أحاول من وراء أربعة عشر قرناً أن أستشرف وجوه هؤلاء الرجال السعداء وقلوبهم. وهم يتلقون هذا الفيض الإلهي من الرضى والتكريم والوعد العظيم. وهم يرون أنفسهم هكذا في اعتبار الله، وفي ميزان الله، وفي كتاب الله. وأنظر إليهم وهم عائدون من الحديبية، وقد نزلت هذه السورة، وقد قرئت عليهم.

وهم يعيشون فيها بأرواحهم وقلوبهم ومشاعرهم وسماتهم. وينظر بعضهم في وجوه بعض فيرى أثر النعمة التي يحسها هو في كيانه.

وأحاول أن أعيش معهم لحظات في هذا المهرجان العلوي الذي عاشوا فيه.. ولكن أن لبشر لم يحضر هذا المهرجان أن يتذوقه. إلا من بعيد؟! اللهم إلا من يكرمه الله إكرامهم: فيقرب له البعيد؟! فاللهم إنك تعلم أنني أتطلع لهذا الزاد الفريد!!^{١٠٩}

المطلب الرابع: الإيمان بالملائكة:

يجب على المربين التدرج في غرس العقيدة للطفل، ابتداء بغرس حب الله ورسوله وآله وصحبه، ثم ملائكته، وسوف نتكلم الآن - إن شاء الله تعالى - عن الإيمان بالملائكة^{١١٠}.

^{١٠٩} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٣٣١)

^{١١٠} - انظر إلى سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٢٠ - ٢٢٨

وعند التدرج يراعى الاستعداد العقلي لقبول ما يقال له ويبدأ بتوضيح:

أ) من هم الملائكة .

ب) وما هي صفاتهم

ت) وما يفعلون وكم عددهم.

الملائكة هم: " من العالم غير المنظور، عالم الغيب أو عالم ما وراء الطبيعة، ولا يعلم حقيقتهم إلا الله سبحانه، وهم من عباد الله المسخرين لطاعته والمجتدين لتنفيذ أوامره. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم وإهم لا يتوالدون ولا يوصفون بذكوره ولا بأنوثه ...

وقد خلق الله سبحانه وتعالى الملائكة من نور "فَعَنَ عَائِشَةُ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِنْ مِمَّا قَدْ وُصِفَ لَكُمْ."^{١١١} والإيمان بهم هو التصديق الجازم بوجودهم وبصفتهم وبأعمالهم .

من صفات الملائكة:

١) مخلوقون من نور.

٢) أنهم متفاوتون في الخلق والأقدار متفاوتاً لا يعلمه إلا الله .

قال تعالى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (١) سورة فاطر
٣) لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون قال تعالى: { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } {٢٦} لَّا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِه يَعْمَلُونَ (٢٧) } سورة الأنبياء

٤) منحوا القدرة على التشكل بأشكال مختلفة.

من أعمال الملائكة ووظائفهم:

الزنتاني، عبد الحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص ١٠٦-١١١
١١١ - صحيح مسلم- المكثر - (٧٦٨٧) - صحيح ابن حبان - (٢٥ / ١٤) (٦١٥٥)

(١) الوحي: وهذه الوظيفة خاصة بجبريل - عليه السلام - فهو الذي ينزل على الأنبياء والرسول بالوحي.

(٢) تسجيل أعمال الناس.

(٣) الاستغفار للمؤمنين وطلب الرحمة لهم.

(٤) رعاية الجنة وأهلها" قال تعالى: { وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ } (٧٣) سورة الزمر، والقيام بشؤون النار وأهلها

قال تعالى: { وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) } سورة الزمر أعداد الملائكة :

الملائكة لا يحصون عددًا في علم المخلوقات، لكنرتهم الكاثرة ولأنهم من جنود الرحمن، قال تعالى: { وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ } (٣١) سورة المدثر

الشار التي يجنيها الأطفال من إيمانهم بالملائكة :

(١) الإيمان بالملائكة يدل على صدق الإيمان، لأن الملائكة ليسوا من عالم الشهادة بل هم من عالم الغيب، وقد أوجب الله الإيمان بهم، وقد جعل الله الإيمان بهم، وقد جعل الله - سبحانه وتعالى - الإيمان بالغيب من أبرز صفات المؤمنين قال تعالى { الم } { ١ } { ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } { ٢ } { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } (٣) { سورة البقرة

٢) تنمية الشعور بالمسؤولية ودوام المراقبة لله سبحانه، لأن الله - عز وجل - قد وكل بنا الملائكة يحصون علينا أعمالنا صغيرها وكبيرها، وهم معنا يطلعون علينا ويسجلون ذلك في سجلات سوف تعرض علينا يوم القيامة ونحاسب عليها فيدفعنا ذلك لمحاسبة أنفسنا على أعمالنا والازدياد من أعمال الطاعة والخير والبعد عن المعاصي.

٣) زيادة الشكر لله - عز وجل - وحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ومنها أعمال الملائكة التي تساعد المؤمن على الازدياد من أعمال الخير.

٤) تقوية ثقة المؤمن بنصر الله وتأييده، وذلك عندما يعتقد المؤمن أن هناك ملائكة قد كلفوا بنصره وتأييده، كما حدث ذلك لرسول الله ﷺ - في معركة بدر.

٥) حمل الإنسان على التشبه بهم، في الإقدام على الطاعات، والابتعاد عن المعاصي. "١١٢"

المطلب الخامس: الإيمان بالكتب السماوية:

من أركان العقيدة الإسلامية الإيمان بجميع الكتب السماوية قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} (١٣٦) سورة النساء

فهو بيان لعناصر الإيمان التي يجب أن يؤمن بها الذين آمنوا. بيان للتصور الإسلامي الاعتقادي:

فهو إيمان بالله ورسوله. يصل قلوب المؤمنين برهم الذي خلقهم، وأرسل إليهم من يهديهم إليه، وهو الرسول - ﷺ - وإيمان برسالة الرسول وتصديقه في كل ما ينقله لهم عن ربهم الذي أرسله.

وهو إيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله. يربطهم بالمنهج الذي اختاره الله لحياتهم وبينه لهم في هذا الكتاب والأخذ بكل ما فيه، بما أن مصدره واحد، وطريقه واحد وليس بعضه بأحق من بعضه بالتلقي والقبول والطاعة والتنفيذ.

١١٢ - انظر التفاصيل في كتابي ((الواضح في أركان الإيمان)) وكتابي ((الإيمان بالملائكة وبيان صفاتهم))

وهو إيمان بالكتاب الذي أنزل من قبل.. بما أن مصدر الكتب كلها واحد هو الله وأساسها كذلك واحد هو إسلام الوجه لله وإفراد الله سبحانه بالألوهية - بكل خصائصها - والإقرار بأن منهج الله وحده هو الذي تجب طاعته وتنفيذه في الحياة .. وهذه الوحدة هي المقتضى الطبيعي البديهي لكون هذه الكتب - قبل تحريفها - صادرة كلها عن الله. ومنهج الله واحد، وإرادته بالبشر واحدة، وسبيله واحد، تتفرق السبل من حولها وهي مستقيمة إليه واصلة.

والإيمان بالكتاب كله - بوصف أن الكتب كلها كتاب واحد في الحقيقة - هو السمة التي تنفرد بها هذه الأمة المسلمة. لأن تصورهما لربها الواحد، ومنهجها الواحد، وطريقه الواحد، هو التصور الذي يستقيم مع حقيقة الألوهية. ويستقيم مع وحدة البشرية. ويستقيم مع وحدة الحق الذي لا يتعدد .. والذي ليس وراءه إلا الضلال «فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ؟».

وبعد الأمر بالإيمان، يجيء التهديد على الكفر بعناصر الإيمان، مع التفصيل فيها في موضع البيان قبل العقاب: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا» ..

وقد ذكر في الأمر الأول الإيمان بالله وكتبه ورسله. ولم يذكر الملائكة. وكتب الله تتضمن ذكر الملائكة وذكر اليوم الآخر، ومن مقتضى الإيمان بهذه الكتب الإيمان بالملائكة وباليوم الآخر. ولكنه يبرزها هنا، لأنه موطن الوعيد والتهديد، الذي يبين فيه كل عنصر على التحديد.

والتعبير بالضلال البعيد غالبا يحمل معنى الإبعاد في الضلال، الذي لا يرجى معه هدى ولا يرتقب بعده مآب! ^{١١٣}

" لا بد أن يؤمن المسلم بجميع كتب الله - سبحانه وتعالى - المترلة على رسله الكرام؛ ليلبغوا بها دينه وشرعه إلى عباده، وذلك حتى يكتمل إيمان المسلم وتصح عقيدته." ^{١١٤}

^{١١٣} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٢ / ٧٧٧)

" وهذه الكتب هي الصحف المتزلة على إبراهيم -عليه السلام- والتوراة المتزلة على موسى -عليه السلام- والزبور على داوود -عليه السلام- والإنجيل المتزل على عيسى بن مريم -عليه السلام- ثم خاتمها المصدق لها والمهيمن عليها،...، وأشملها وأكملها وأعظمها والموجه إلى البشرية كاملة: القرآن الكريم المتزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ

١١٥

وعلينا أن نؤمن بجميع الكتب السماوية ولكن الإنجيل والتوراة الموجودة الآن حُرِّفَتْ، وبالتالي لا يمكن أن نؤمن بما جاء بها.

ثُمَّ الإيمان بالكتب السماوية :

(١) يزيد من معرفة المؤمن بكتب الله التي أنزلها على عباده وما كان فيها من عقائد وشرائع، وذلك من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة في ذلك.

(٢) أنه يبين للمؤمن أن جميع العقائد التي دعت إليها هذه الكتب واحدة ولكن الشرائع مختلفة بحسب الزمان والمكان. "١١٦"

(٣) " الاستهداء بما جاء في القرآن الكريم الخاتم للكتب السماوية، والناسخ لشرائعها وأحكامها والمهيمن عليها، والذي لم يفرط الله تعالى فيه من شيء، والذي جعله تبياناً لكل شيء، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي تكفل بحفظه أبد الدهر من التحريف والتبديل، وذلك حتى تفلح العملية التربوية في تكوين الإنسان الصالح، لأن القرآن الكريم يرسم المنهج الرشيد الذي يحقق للفرد كماله الإنساني والخُلُقِي والروحي، بما يصلح ديناه وأخراه، ويرسم معالم الحياة الفاضلة السعيدة للمجتمع المتعاون على البر والتقوى، المتكافل في السراء والضراء، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. "١١٧"

١١٤ - انظر إلى محمد خير، فاطمه، منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ، ص ٣٣٨-٣٦٨ السائح، عبد الحميد، عقيدة المسلم وما يتصل بها، ص ٢٣٤-٢٨٠، سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية،

ص ٢٣٤، الزنتاني، عبد الحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص ١١٢

١١٥ - الزنتاني، عبد الحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص ١١٢

١١٦ - محمد خير، فاطمه، منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ، ص ٣٦٧

١١٧ - الزنتاني، عبد الحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص ١١٤

المطلب السادس: الإيمان بالرسول عليهم السلام

على المرين أن يغرسوا في نفوس أبنائهم التصديق الجازم بأن الله أرسل الرسل مبشرين
بالجنة لمن يطيع أوامر الله، ومندرين بالنار لمن يعصي الله^{١١٨}، قال تعالى: {رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ
وْمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} (١٦٥)
سورة النساء

" ولا يكمل إيمان المسلم ولا يصح إلا بإيمانه بالأنبياء والرسل جميعاً من أولهم آدم -عليه
السلام- إلى خاتمهم سيدنا محمد -ﷺ- وقد اصطفى الله -عز وجل- من خلقه من البشر
رسلاً أظهاراً ليلغوا عنه دينه وشرعه، ويهدوا عباده إلى الصراط المستقيم ويخرجوهم من
الظلمات إلى النور، وأيدهم الله بالبينات والمعجزات كبرهان على صدقهم، وإقناع الناس
برسالاتهم." ^{١١٩}

قال تعالى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (٧٥) سورة
الحج

اقتضت مشيئة الله تعالى أن يختار رسلاً من ملائكته الكرام، فيما يشاء إبلاغه إلى رسوله
من البشر، وأن يختار رسلاً من البشر لإبلاغ رسالاته إلى الناس، فكيف تقترون على من
اختاره الله رسولا إليكم؟ والله سميع لأقوال العباد، بصير بأحوالهم. عليهم بمن يستحق
منهم أن يختار رسلاً من البشر لإبلاغ رسالاته إلى الناس، فكيف تقترون على من
اختاره الله رسولا إليكم؟ والله سميع لأقوال العباد، بصير بأحوالهم. عليهم بمن يستحق
منهم أن يختاره الله لحمل رسالته. ^{١٢٠}

١١٨ - انظر إلى محمد خير، فاطمه، منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ، ص ٣٦٩-٣٩٥، السائح، عبد الحميد، عقيدة
المسلم وما يتصل بها، ص ١٩٨-٢١٨. سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية،
ص ٢٣٢-٢٣٥

١١٩ - الزنتاني، عبد الحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص ١١٤-١١٥

١٢٠ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٥٥٠)

وقال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } (١١٠) سورة الكهف
 قُلْ يَا مُحَمَّدٌ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمَكْذِبِينَ بِرِسَالَتِكَ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ، فَمَن زَعَمَ أَنِّي كَاذِبٌ فَلْيَأْتِ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ فِيمَا أُخْبِرُكُمْ بِهِ، مِن الْمَاضِي، عَمَّا سَأَلْتُمْ مِنْ قِصَصِ أَهْلِ الْكَهْفِ، وَخَبَرِ ذِي الْقُرْنَيْنِ، مِمَّا هُوَ مُطَابِقٌ لِلْحَقِيقَةِ وَوَاقِعُ الْحَالِ، وَلَوْ لَمْ يُطَلِّعْنِي عَلَيْهِ اللَّهُ رَبِّي لِمَا عَلَّمْتُهُ .
 وَأَنَا أُخْبِرُكُمْ أَنَّ إِلَهُكُمْ الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ . فَمَن كَانَ يَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ (لِقَاءَ رَبِّهِ)، وَجَزَاءَهُ الْحَسَنَ فِي الْآخِرَةِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا خَيْرًا مُّوَافِقًا لِلشَّرْعِ، وَلَا يُرِدْ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى .
 (وَمُؤَافَقَةُ الْعَمَلِ لِلشَّرْعِ، وَابْتِعَاءُ وَجْهِ اللَّهِ بِهِ هُمَا الرُّكْنَانِ الْأَسَاسِيَّانِ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يَتَقَبَّلُهُ اللَّهُ) . ١٢١ .

وقال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } (١٠٧) سورة الأنبياء
 وَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدٌ بِهَذَا وَأَمْثَالِهِ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ إِلَّا لِرَحْمَةِ النَّاسِ، وَهَدَايَاهُمْ فِي شُؤُونِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَلَا يَهْتَدِي بِهِ إِلَّا الْمُتَهَيِّئُونَ لِتَقْبُلِ الْهُدَى . ١٢٢
 لقد أرسل الله رسوله رحمة للناس كافة ليأخذ بأيديهم إلى الهدى، وما يهتدي إلا أولئك المتهيئون المستعدون .

وإن كانت الرحمة تتحقق للمؤمنين ولغير المؤمنين ..

إن المنهج الذي جاء مع محمد ﷺ - منهج يسعد البشرية كلها ويقودها إلى الكمال المقدر لها في هذه الحياة .

ولقد جاءت هذه الرسالة للبشرية حينما بلغت سن الرشد العقلي: جاءت كتابا مفتوحا للعقول في مقبل الأجيال، شاملا لأصول الحياة البشرية التي لا تتبدل، مستعدا لتلبية الحاجات المتجددة التي يعلمها خالق البشر، وهو أعلم بمن خلق، وهو اللطيف الخبير .

١٢١ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٢٥٠)

١٢٢ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٤٩٦)

ولقد وضع هذا الكتاب أصول المنهج الدائم لحياة إنسانية متجددة. وترك للبشرية أن تستنبط الأحكام الجزئية التي تحتاج إليها ارتباطات حياتها النامية المتجددة، واستنباط وسائل تنفيذها كذلك بحسب ظروف الحياة وملاساتها، دون اصطدام بأصول المنهج الدائم. وكفل للعقل البشري حرية العمل، بكفالة حقه في التفكير، وبكفالة مجتمع يسمح لهذا العقل بالتفكير.

ثم ترك له الحرية في دائرة الأصول المنهجية التي وضعها لحياة البشر، كيما تنمو وترقى وتصل إلى الكمال المقدر لحياة الناس في هذه الأرض.

ولقد دلت تجارب البشرية حتى اللحظة على أن ذلك المنهج كان وما يزال سابقا لخطوات البشرية في عمومها، قابلا لأن تنمو الحياة في ظلاله بكل ارتباطاتها نموا مطردا. وهو يقودها دائما، ولا يتخلف عنها، ولا يقعد بها، ولا يشدها إلى الخلف، لأنه سابق دائما على خطواتها متسع دائما لكامل خطواتها.

وهو في تليته لرغبة البشرية في النمو والتقدم لا يكبت طاقاتها في صورة من صور الكبت الفردي أو الجماعي، ولا يجرمها الاستمتاع بثمرات جهدها وطيبات الحياة التي تحققها. وقيمة هذا المنهج أنه متوازن متناسق. لا يعذب الجسد ليسمو بالروح، ولا يهمل الروح ليستمتع الجسد.

ولا يقيد طاقات الفرد ورغائبه الفطرية السليمة ليحقق مصلحة الجماعة أو الدولة. ولا يطلق للفرد نزواته وشهواته الطاغية المنحرفة لتؤذي حياة الجماعة، أو تسخرها لإمتاع فرد أو أفراد.

وكافة التكاليف التي يضعها ذلك المنهج على كاهل الإنسان ملحوظ فيها أنها في حدود طاقته، ولمصلحته وقد زود بالاستعدادات والمقدرات التي تعينه على أداء تلك التكاليف، وتجعلها محببة لديه - مهما لقي من أجلها الآلام أحيانا - لأنها تلي رغبة من رغائبه، أو تصرف طاقة من طاقاته.

ولقد كانت رسالة محمد - ﷺ - رحمة لقومه ورحمة للبشرية كلها من بعده والمبادئ التي جاء بها كانت غريبة في أول الأمر على ضمير البشرية، لبعدها ما كان بينها وبين واقع الحياة

الواقعية والروحية من مسافة. ولكن البشرية أخذت من يومها تقرب شيئاً فشيئاً من آفاق هذه المبادئ. فتزول غرابتها في حسها، وتتبناها وتنفذها ولو تحت عناوات أخرى.

لقد جاء الإسلام لينادي بإنسانية واحدة تذوب فيها الفوارق الجنسية والجغرافية. لتلتقي في عقيدة واحدة ونظام اجتماعي واحد.. وكان هذا غريباً على ضمير البشرية وتفكيرها وواقعها يومذاك. والأشراف يعدون أنفسهم من طينة غير طينة العبيد.. ولكن ها هي ذي البشرية في خلال نيف وثلاثة عشر قرناً تحاول أن تقفوا على خطى الإسلام، فتتعثرون في الطريق، لأنها لا تهتدي بنور الإسلام الكامل. ولكنها تصل إلى شيء من ذلك المنهج - ولو في الدعاوى والأقوال - وإن كانت ما تزال أمم في أوروبا وأمريكا تتمسك بالعنصرية البغيضة التي حاربها الإسلام منذ نيف وثلاث مائة وألف عام.

ولقد جاء الإسلام ليسوي بين جميع الناس أمام القضاء والقانون. في الوقت الذي كانت البشرية تفرق الناس طبقات، وتجعل لكل طبقة قانوناً. بل تجعل إرادة السيد هي القانون في عهدي الرق والإقطاع..

فكان غريباً على ضمير البشرية يومذاك أن ينادي ذلك المنهج السابق المتقدم بمبدأ المساواة المطلقة أمام القضاء..

ولكن ها هي ذي شيئاً فشيئاً تحاول أن تصل - ولو نظرياً - إلى شيء مما طبقة الإسلام عملياً منذ نيف وثلاث مائة وألف عام.

وغير هذا وذلك كثير يشهد بأن الرسالة الحمديّة كانت رحمة للبشرية وأن محمداً - ﷺ - إنما أرسل رحمة للعالمين. من آمن به ومن لم يؤمن به على السواء. فالبشرية كلها قد تأثرت بالمنهج الذي جاء به طائفة أو كارهة، شاعرة أو غير شاعرة وما تزال ضلال هذه الرحمة وارفة، لمن يريد أن يستظل بها، ويستروح فيها نسائم السماء الرخية، في هجير الأرض المحرق وبخاصة في هذه الأيام.

وإن البشرية اليوم لفي أشد الحاجة إلى حس هذه الرحمة ونداها. وهي قلقة حائرة، شاردة في متاهات المادية، وجحيم الحروب، وجفاف الأرواح والقلوب..

وبعد إبراز معنى الرحمة وتقريره يؤمر الرسول - ﷺ - بأن يواجه المكذبين المستهزئين، بملخص رسالته التي تنبع منها الرحمة للعالمين: «قُلْ: إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ. فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ؟».

فهذا هو عنصر الرحمة الأصيل في تلك الرسالة. عنصر التوحيد المطلق الذي ينقذ البشرية من أوهام الجاهلية، ومن أثقال الوثنية، ومن ضغط الوهم والخرافة. والذي يقيم الحياة على قاعدتها الركينة، فيربطها بالوجود كله، وفق نواميس واضحة وسنن ثابتة، لا وفق أهواء ونزوات وشهوات. والذي يكفل لكل إنسان أن يقف مرفوع الرأس فلا تنحني الرؤوس إلا لله الواحد القهار. هذا هو طريق الرحمة.. «فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ؟»^{١٢٣}.

ثمّار الإيمان بالرسول عليهم السلام:

" إن فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة النبوية المطهرة، توجه العملية التربوية ببرامجها ومناهجها ووسائلها التعليمية والتربوية في مختلف مراحل تعليم وتربية الناشئين إلى ترسيخ الإيمان بالرسول الأخيار عامة، وبخاتمهم سيدنا محمد - ﷺ - خاصة والذي أرسلهم الله تعالى لطفاً منه إلى عباده هدايتهم وإرشادهم.

وذلك كله قصد تحضير الناشئين على التأسي بهم والافتداء بأخلاقهم والاهتداء بسنتهم والاسترشاد بسيرتهم، وجعلهم الرمز الحي والقدوة المثلى والأسوة الحسنة في العبادة والطاعة وفي الإيمان والعمل وفي الصدق والإخلاص وفي العدل والأمانة وفي الأخلاق والسلوك وفي السيرة والتصرف، وفي المواقف، والاتجاهات، وفي المثابرة والاجتهاد، وفي الصبر على المكارِه والشدائد وفي الجلد والتحمل، وفي أداء الحقوق والقيام بالواجبات وفي شتى مناسط الحياة والمعاملات والعلاقات. " ^{١٢٤}.

^{١٢٣} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٤ / ٢٤٠١)

^{١٢٤} - الزنتاني، عبد الحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص ١١٧-١١٨. انظر إلى محمد

خير، فاطمه، منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ، ص ٣٩٣-٣٩٥

قال تعالى: {أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهَدَاهُمْ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ} (٩٠) سورة الأنعام ١٢٥

فهؤلاء الرهط الكرام الذين يقودون موكب الإيمان، هم الذين هداهم الله. وهداهم الذي جاءهم من الله فيه القدوة لرسول الله - ﷺ - ومن آمن به. فهذا الهدى وحده هو الذي يسير عليه. وهذا الهدى وحده هو الذي يحتكم إليه، وهذا الهدى وحده هو الذي يدعو إليه ويشر به.. قائلًا لمن يدعوهم: « { قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ } .. للعالمين .. لا يختص به قوم ولا جنس ولا قريب ولا بعيد .. إنه هدى الله لتذكير البشر كافة. ومن ثم فلا أجر عليه يتقاضاه. وإنما أجره على الله! ١٢٦

المطلب السابع: الإيمان باليوم الآخر :

اليوم الآخر : " هو نهاية الحياة الدنيا وبداية الحياة الأخرى، الذي جعله الله للحساب والثواب والعقاب.

الإيمان باليوم الآخر: هو التصديق الجازم واليقين القاطع بما يكون بعد الموت من الحياة البرزخية، وأحوال القبر والبعث والحشر والنشر والصحف والميزان والحساب والجزاء والصراط والحوض والشفاعة والجنة والنار " ١٢٧

نبقى في تربية الطفل على هذا التسلسل السابق تدريجياً حتى نصل إليه إلى أن الدنيا فانية وهي دار اختبار وابتلاء وأن الإنسان لم يخلق عبثاً وإنما لهدف وغاية قال تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} (١١٥) سورة المؤمنون أي: {أَفَحَسِبْتُمْ} أيها الخلق { أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا } أي: سدى وباطلا تأكلون وتشربون وتمرحون، وتتمتعون بلذات الدنيا، وترتكبكم لا نأمركم، و[لا] ننهاكم ولا نثيبكم، ولا نعاقبكم؟ ولهذا قال: { وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } لا يخطر هذا ببالكم، { فَتَعَالَى اللَّهُ }

١٢٥ - انظر التفاصيل في كتابي ((الواضح في أركان الإيمان))

١٢٦ - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٢ / ١١٤٤)

١٢٧ - محمد خير، فاطمه، منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ، ص ٣٩٦. انظر إلى، السائح، عبد الحميد، عقيدة المسلم وما يتصل بها، ص ٣١٢-٣٢٩

أي: تعاضم وانتفع عن هذا الظن الباطل، الذي يرجع إلى القدح في حكمته. { الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } فكونه ملكا للخلق كلهم حقا، في صدقه، ووعدده، ووعيده، مألوها معبودا، لما له من الكمال { رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } فما دونه من باب أولى، يمنع أن يخلقكم عبثا. ١٢٨

وأن أعمال الدنيا ستكون في كفه موازيننا يوم القيامة. قال تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } (٤٦) سورة فصلت. الأهداف التربوية المترتبة على الإيمان باليوم الآخر والتي لها أثرها الفعال في نفوس ومشاعر وقلوب الأطفال:

" ترشد فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة العملية التربوية بمناهجها ووسائلها، وتوجه القائمين عليها من آباء ومربين ومسؤولين إلى جني ثمار التأثيرات الإيجابية للإيمان باليوم الآخر - لما فيه من ترسيخ للإيمان والعقيدة بأركانها المتعددة. - ولما فيه من إحساس دائم بخشية الله تعالى ومراعاته في السر والعلن. - ولما فيه من إيقاظ متواصل للضمير الديني والخلقي وصحوة للعقل وتحريك للوجدان. - يدفع الفرد المسلم إلى اتباع سبل الهدى والرشاد، وفعل الخيرات والصالحات، وتجنب حبائل الشرك والضلال وعدم الترددي في مهاوي الفساد والمنكرات. " ١٢٩

المطلب الثامن: الإيمان بالقدر خيره وشره :

عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى، قَالَ يَزِيدُ: لَا تَرَى، عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَحْدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، مَا الْإِسْلَامُ؟

١٢٨ - تفسير السعدي - (١ / ٥٦٠)

١٢٩ - الزنتاني، عبد الحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص ١٢٢ . انظر إلى، محمد خير، فاطمه، منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ، ص ٤٢٨-٤٣٠. سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٤٠-٢٤١، وانظر التفاصيل في كتابي ((الواضح في أركان الإيمان))

فَقَالَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجَبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدْرُ كُلُّهُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ يَزِيدُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ بِهَا مِنَ السَّائِلِ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحِفَاةَ الْعُرَاةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبِنَاءِ قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، قَالَ: فَلَبِثَ مَلِيًّا، قَالَ يَزِيدُ: ثَلَاثًا، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَأْكُمُ يَعْلَمُكُمْ دِينَكُمْ. ١٣٠

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا يُؤْمِنُ الْمَرْءُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. ١٣١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ؛ أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا غُلَامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنِ بِاللَّهِ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَفْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ. ١٣٢

الإيمان بالقدر هو: "التصديق واليقين القاطع بأن كل شيء من خير أو شر، أو حركة أو سكوت، ...، إنما يقع على علم من الله تعالى ومشيئته وقدرته، وأنه تعالى الفعال لما يريد لا

١٣٠ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ١٨٥) (٣٦٧) وصحيح مسلم - المكثر - (١٠٢)

١٣١ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٦٣٧) (٦٧٠٣) صحيح

١٣٢ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٧٥٣) (٢٦٦٩) وسنن الترمذى - المكثر - (٢٧٠٦) صحيح

يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تقديره" ١٣٣

ويخاطب المربي الطفل قائلاً: "وأنت يا ولدي كما يمتحنك معلموك في المدرسة لمعرفة اجتهدك في الدروس، ومقدار التفاوت بينك وبين غيرك من زملائك الطلاب، كذلك - سبحانه وتعالى - يمتحن عباده ويختبرهم، ويمتحن بعضهم بالملك والسلطان والغنى والصحة، وآخرين بالفقر والمرض والنكبات" ١٣٤

" فعلينا كمربين أن نفهم أطفالنا مسألة القضاء والقدر على قدر ما يبلغه عقولهم.

إننا نجلس إلى جانب أطفالنا وبكل بساطة وروية فنقول لهم: إن الإنسان في الدنيا معرض لكل أنواع المصائب والآلام ولعله يفتقر بعد غنى ويمرض بعد صحة... فماذا يصنع؟ ليس له إلا التسليم، والصبر والرضى بقضاء الله تعالى، والأخذ بالأسباب المشروعة... راجياً الثواب والأجر في الآخرة" ١٣٥

قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (٢٢) سورة الحديد

مَا أَصَابَكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ مَّصَائِبٍ فِي آفَاقِ الْأَرْضِ كَفَحَطَّ وَجَدَبٍ وَقَلَّةِ رِزْقٍ... وَمَا أَصَابَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَمْرٍ وَأَسْقَامٍ وَنَكَبَاتٍ.. إِلَّا وَهُوَ مَسْطُورٌ فِي أُمَّ الْكِتَابِ عِنْدَ اللَّهِ، قَبْلَ أَنْ يَبْرَأَ اللَّهُ هَذِهِ الْخَلِيقَةَ (أَوْ قَبْلَ أَنْ يَبْرَأَ اللَّهُ هَذِهِ النَّفُوسَ)، وَعَلِمَ اللَّهُ السَّابِقُ بِمَا سَيَقَعُ مِنْ أَحْدَاثٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ، وَإِتْبَائُهُ فِي كِتَابٍ، هُوَ سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَيْهِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ. ١٣٦

١٣٣ - محمد خير، فاطمه، منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ، ص - ٤٣٤ بواسطة د. محمد حافظ الشريد، العقديّة الواضحة، ص ٦٨-٦٩

١٣٤ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٣٦

١٣٥ - المصدر نفسه، ص ٢٤٢-٢٤٣

١٣٦ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٩٧٥)

فعلى الإنسان أن يؤمن بالقضاء والقدر ويأخذ دائماً بالأسباب متوكلاً على الله طالباً منه التوفيق " وتؤكد فلسفة التربية الإسلامية، أن الإيمان بالقضاء والقدر ليس مدعاة للتواكل، والعجز والسلبية والهروب من الواقع، بل هو في حقيقته محرك داخلي للإنسان المسلم، ليتحدى المصاعب ويتخطى العراقيل ويتحمل الشدائد ويمتاز المكاره "١٣٧

ويمكن أن أذكر للطفل نماذج واقعية حدثت مع أناس مثل مرض أصابهم وكيف أن هذا المرض في المستقبل كانت النتيجة الحتمية له خير لصاحبه.

أثر الإيمان بالقضاء والقدر في نفوس أولادنا :

(١) عندما يعلم الطفل أن إيمان المؤمن يتجدد كلما مرت به الحن والشدائد، فهو يعلم ابتداء كتمرة لإيمانه الصادق؛ أن الله - سبحانه وتعالى - في كل صرف من الصروف إرادة، وأن الله لا يريد به إلا خيراً فهو على موعد في هذه الحياة مع أقدار الله، فإن نفسه لا تضيق ولا تجزع إنما يواجه الشدائد بنفس راضية بقضاء الله وقدره "١٣٨

قال تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} (٥١) سورة التوبة

قُلْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَهْؤَلَاءِ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا يُصِيبُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَصَائِبِ، وَتَسْؤُهُمْ النِّعْمَةُ الَّتِي تُصِيبُ الْمُسْلِمِينَ: نَحْنُ تَحْتِ مَشِيئَةِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ، وَمَا قَدْرُهُ لَنَا سَيِّئَاتِنَا، وَلَيْسَ لَهُ مَانِعٌ وَلَا دَافِعٌ. وَنَحْنُ مُتَوَكِّلُونَ عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ، فَلَا نَيْأَسُ عِنْدَ الشَّدَّةِ، وَلَا نَبْطِرُ عِنْدَ النِّعْمَةِ . ١٣٩

(٢) " كذلك عندما يعلم أطفالنا: أن مجريات الأمور بيد الله سبحانه، وبأنه سبحانه يفعل ما يشاء ويختار، لأنه له مطلق التصرف في ملكه فإن ذلك يؤدي إلى زيادة ارتباطه بخالقه وتوجهه إليه، ومن ثم تعلق آماله ودعائه ورجاءه به.

١٣٧ - الزنتاني، عبد الحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص ١٢٥-١٢٦

١٣٨ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٤٩

١٣٩ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٢٨٧)

(٣) تحقيق التوازن والاطمئنان القلبي داخل الإنسان^{١٤٠}

عندما يشعر المؤمن أن كل ما يحصل له من خير أو شر هو خير له ولا يوجد به أي شر فهذا يشعره بالاطمئنان والاستقرار النفسي الداخلي.

" إن غرس الإيمان بالقضاء والقدر في قلب الطفل وعقله، فإنه سوف يواجه مشاكله وأتاعبه وهمومه بصدر رحب بقضاء الله وقدره ومن ثم يسلم أمره إلى الله ويعيش بعد ذلك مطمئن القلب هادئ البال^{١٤١}

(٤) " من آمن بقدر الله سبحانه لا يجزع ولا يفزع ولا يسخط عند المصائب ونزول النوائب بل يستسلم لقدر الله ويحتسب عند الله الثواب ويذكر عند الصدمة الأولى قول الله تعالى: { وَتَلْبُؤُوكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧] }

يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ سَيَلْبُؤُهُمْ وَيَخْتَبِرُهُمْ بِقَلِيلٍ (بِشَيْءٍ) مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ، وَيَذْهَبُ بَعْضُ الْمَالِ، وَيَمُوتُ بَعْضُ الْأَصْحَابِ وَالْأَقْرَابِ وَالْأَحْبَابِ، وَيَنْقُصُ غِلَالَ الْمَزَارِعِ... فَمَنْ صَبَرَ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ أَثَابَهُ، وَمَنْ قَنَطَ وَلَجَّ أَحَلَّ بِهِ عِقَابَهُ .
أَمَّا الصَّابِرُونَ الَّذِينَ خَصَّهُمُ اللَّهُ بِالْبَشْرَى فَهُمْ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ مِنَ اللَّهِ، وَإِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ مُصِيبَةٌ صَبَرُوا، وَتَمَسَّكُوا بِقَوْلِهِمْ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أَيَّ إِنْتَهُمْ عَبِيدُ اللَّهِ وَمُلْكُهُ، وَإِنْتَهُمْ رَاجِعُونَ إِلَيْهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ .

يُثْنِي اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّابِرِينَ، وَيُخَبِّرُ بِأَنَّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ، وَأَنَّهُمْ يَجِدُونَ أَثَرَهَا فِي بَرْدِ قُلُوبِهِمْ عِنْدَ نَزُولِ الْمُصِيبَةِ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الْمُهْتَدُونَ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ، وَإِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَأَنَّهُمْ اسْتَسَلَّمُوا الْقَضَاءِ اللَّهِ فَلَمْ يَسْتَحُذِ الْجَزَعُ عَلَيْهِمْ .^{١٤٢}

١٤٠ - المصدر السابق (سهام) ص ٢٤٩

١٤١ - المصدر نفسه ص ٢٥٠

١٤٢ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٦٢)، وانظر التفاصيل في كتابي ((الواضح في أركان الإيمان))

المطلب التاسع: تعليم الطفل القرآن والسنة النبوية المطهرة :

قال العلامة عبد الله علوان رحمه الله: " إنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها، فإذا كان صلاح أول هذه الأمة بالقرآن تلاوةً وعملاً وتطبيقاً، وعزتها بالإسلام فكرةً وسلوكاً وتحقيقاً، فأخر هذه الأمة لا تصل إلى مراتب الصلاح، ولا تتحقق مظاهر العزة، إلا أن نربط أولادنا بهذا القرآن الكريم فهماً وحفظاً وتلاوةً وتفسيراً ونخشعاً وعملاً وسلوكاً وأحكاماً، وبهذا نكون قد كوّننا في عصرنا الحاضر جيلاً قرآنياً مؤمناً صالحاً تقياً، على يديه تقوم عزة الإسلام وبفضل همته العالية الجبارة يرتفع في العالمين صرحُ الدولة الإسلامية لتناهض الأمم في عزتها وقوتها وحضارتها.

فاحرص - أخي المرابي - أن تهيب لأولادك وبناتك من يعلمهم القرآن الكريم سواء أكان التعليم لهم في البيت أو في المسجد، أو في مراكز تعليم القرآن الكريم. واعلم أنك إذا قمت بهذه المهمة على وجهها الصحيح، فتكون قد قمت بواجب المسؤولية نحو ولدك وربطته بالقرآن روحاً وفكراً وتلاوةً وعملاً وأحكاماً" ١٤٣

وأوصى الإمام الغزالي المرابين بتعليم أولادهم " القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين" ١٤٤

" كذلك يجب الاهتمام بتعليم أولادنا السنة النبوية المطهرة لأنها التطبيق العملي والبيان القوي للتربية الإسلامية للنشء، فكل بحث في تربية الطفل نجد له أصلاً ومنبعاً من إرشاد المرابي الأكبر - ﷺ - فالحديث الشريف ذو أثر كبير في الإيمان والسلوك، وإن أحاديث الرسول - ﷺ - لها أثر كبير في بناء النفس والروح الجهادية، فهي تجذب وتصل وتنفذ وتفقد

١٤٥

١٤٣ - علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج٢/٢٧٢

١٤٤ - الغزالي، أبو حامد بن محمد، إحياء علوم الدين، و بذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للإمام زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ج٣/١١٠، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.

١٤٥ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٥٢

وليبدأ بتعليمه الأربعين النووية، ثم رياض الصالحين، وشروجهما ..
 "لا بد للمربي - أو الوالدين - أن يهتما أثناء تلاوة الطفل بتفسير موجز بسيط للقرآن
 حتى تفتح معاني القرآن قلب وعقل الصغير، للقرآن تأثير كبير على النفس البشرية
 عامة، يهزها ويجذبها ويحرك أعماقها، وكلما اشتدت النفس صفاءً، كلما ازدادت
 تأثراً، والطفل أقوى الناس صفاءً، وفطرته ما زالت نقية، والشيطان ما زال في كبوته
 تجاهها، وإذا تأملنا الآيات المكية وجدناها قصيرة تناسب مع نفسه القصير، بالإضافة إلى
 قصار السور التي تقدم للطفل موضوعاً متكاملًا بأسطر قليلة، سهلة الحفظ قوية التأثير"^{١٤٦}
 وعلى المربين الاهتمام بغرس فضل تلاوة القرآن الكريم في نفوس أطفالهم لأهمية تلاوة
 القرآن الكريم .

قال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ
 فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} (١٢١) سورة البقرة
 وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ طَائِفَةٌ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ بِخُشُوعٍ وَإِمْعَانٍ، وَتَدَّبَّرُونَ مَعْنَاهَا، وَيَفْقَهُونَ
 أَسْرَارَهَا وَحَكْمَهَا، وَأُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ يَا مُحَمَّدٌ هُوَ الْحَقُّ، فَيُؤْمِنُونَ
 بِهِ، وَيَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، (كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ) . وَمَنْ يَكْفُرْ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ بَعْدَ
 مَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ الْحَقُّ، مِنَ الرُّؤْسَاءِ الْمَعَانِدِينَ، وَالْجُهَّالِ الْمُقَلِّدِينَ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا
 سَعَادَةَ الدُّنْيَا، وَالْمَجْدَ وَالسِّيَادَةَ الَّتِي يُعْطِيهَا اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُ دِينَهُ^{١٤٧}

وبالتالي على المربين أخذ أولادهم إلى المسجد وتسجيلهم بمراكز تعليم التجويد، فإن كان
 المربي على قدرة لتعليم طفله تلاوة القرآن الكريم فذلك أفضل. فعن عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ
 قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « إِنْ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »^{١٤٨} .
 وَعَنْ عُثْمَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ.^{١٤٩}

^{١٤٦} - العك، خالد عبد الرحمن، تربية الأبناء والبنات في ضوء القرآن والسنة، ص ١٢٠

^{١٤٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٢٨)

^{١٤٨} - صحيح البخارى - المكثر - (٥٠٢٨)

^{١٤٩} - صحيح البخارى - المكثر - (٥٠٢٧) وصحيح ابن حبان - (١ / ٣٢٥) (١١٨)

المطلب العاشر: الثبات على العقيدة والتضحية من أجلها:

" إن العقيدة الإسلامية تؤثر في الفرد والمجتمع، فهي تشعر الإنسان بقيمته الذاتية وخصائصه الإنسانية، ليسير في سلوكه الحيوي بوحى من هذه العقيدة، وهذا أرقى مستوى يصل إليه الفرد،...، وحين تنغرس العقيدة المؤمنة في نفوس معتنقيها، فإنها تعطي ضمانات لأصحابها بإصلاح النفوس والعقول والأرواح، فبدون عقيدة لا ينفع علم ولا تنفع تربية ولا يردع قانون... كذلك العقيدة تنمي بالفرد حب الخير لذاته لا طمعاً بنفع ولا انسياقاً وراء غرض دنيوي أو هوى، كما تشيع فيه روح التفاؤل وتبعد عنه روح القنوط واليأس، وبذلك يجيى المسلم للأمل والعمل والجد،...، والعقيدة لها أثر كبير في المجتمع، فهي توحد الهدف بين الفرد ومجتمعه، مما يضمن لها التماسك والتحاب.

فالعقيدة كهذه يجب التضحية من أجلها بالمال والنفوس، فلنرب أطفالنا ولنسع جهدنا إلى أن نربطهم دائماً بالعقيدة الإلهية، ولننمي فيهم روح الفداء والتضحية من أجلها، وكلنا يعلم أن الطفل المسلم اليوم يواجه الكثير من التحديات، وتخطط له المؤامرات والدسائس، لتحرفه عن دينه السوي، ولتخرجه من دائرة الشريعة السمحاء.

فالصبر والثبات والتضحية هي الأصل للنجاح، والحصول عليهم ليس سهلاً، فالثبات والصبر يكونان من باب الرياضة النفسية التي لا بد منها لضمان ثبوته على عقيدته، لقد نُدب إلى التضحية والثبات كما ندب إلى الصبر ووعد عليهما بالأجر العظيم.^{١٥٠}

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (١١١) سورة التوبة
يُرْغَبُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ فِي الْجِهَادِ، وَيُخَيِّرُهُمْ بَيْنَهُ سَيَعُوضُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ عَنْ بَدَلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لِتَكُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَإِلْحِقَاقِ الْحَقِّ، وَإِقَامَةِ الْعَدْلِ فِي الْأَرْضِ، فَهُمْ حِينَ يُجَاهِدُونَ يَقْتُلُونَ أَعْدَاءَهُمْ، وَيُقْتَلُونَ هُمْ، وَهُمْ فِي كِلَا الْحَالَيْنِ مُثَابُونَ

١٥٠ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٥٦-٢٥٨. انظر إلى محمد

خير، فاطمه، منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ، ص ٤٥٣ - ٤٧٦

عَلَى ذَلِكَ . وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهَذَا الْجَزَاءِ الْحَقِّ، وَجَعَلَهُ حَقًّا عَلَيْهِ فِي التَّوْرَةِ
وَإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ .

ثُمَّ يَدْعُو اللَّهُ تَعَالَى مِنَ التَّزَمِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِعَهْدِهِ لِلَّهِ إِلَى الْإِسْتِبْشَارِ بِذَلِكَ الْفَوْزِ
الْعَظِيمِ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَفَاءً بِالْعَهْدِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنْهُ
التَّزَامًا بِالْوَعْدِ الَّذِي يَقْطَعُهُ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ رِيحٌ أَكْبَرُ مِنَ الرِّيحِ الَّذِي
يُحَقِّقُهُ الْمُؤْمِنُونَ فِي هَذِهِ الصَّفَقَةِ .^{١٥١}

ولنحدث أطفالنا عن مواقف من الصبر والثبات والتضحية من السلف الصالح، وفي مجتمعنا
الحاضر .

" إن مسؤولية التربية العقائدية لدى المربين والآباء والأمهات هي مسؤولية هامة وخطيرة
لأنها تهدف إلى خلق الشخصية الإسلامية السوية التي تحمل رسالة الإسلام إلى العالم بكل
ما يهدف إليه الإسلام من فضائل وأخلاق "التحقيق الاستخلاف في الأرض، قال
تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ
فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ }
(٣٠) سورة البقرة .

" فلنعمل على استقرار العقيدة وثباتها في أعماق أنفس أطفالنا لأنها تجعلهم أعزة فلا
يدلون، بل أنوفهم شامخة أمام كل قوى الأرض لا ترهب سلطاناً ولا تخضع لهوى ولا
تنطلق وراء الشهوات والملذات. "١٥٢

المطلب الحادي عشر - تعريفه أول ما يعقل أحكام الحلال والحرام:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا يَقُولُ: اْعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاتَّقُوا مَعَاصِيَ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمُرُوا أَهْلِيكُمْ بِالذِّكْرِ، يُنْجِيكُمْ مِنَ النَّارِ "١٥٣

١٥١ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٣٤٧)

١٥٢ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٥٩

١٥٣ - أدب النفوس للأجري (٨) حسن

وَعَنْ قَتَادَةَ، قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ قَالَ: قَالَ: يَقِيهِمْ أَنْ يَأْمُرَهُمْ
بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَنْ يَقُومَ عَلَيْهِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَأْمُرُهُمْ بِهِ وَيُسَاعِدُهُمْ عَلَيْهِ، فَإِذَا
رَأَيْتَ لِلَّهِ مَعْصِيَةً رَدَعْتَهُمْ عَنْهَا، وَزَجَرْتَهُمْ عَنْهَا^{١٥٤}

وعن مُحَمَّد بن زياد قال سمعتُ أبا هريرة - رضي الله عنه - قال أخذ الحسن بن علي - رضي الله
عنهما - تمرًا من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - « كخ كخ - ليطرحها
ثم قال - أما شعرت أننا لا نأكل الصدقة »^{١٥٥}.

وعن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بتمر من تمر الصدقة، فتناول الحسن بن علي
تمرًا، فلاكها في فيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: كخ كخ، إنا لا تحل لنا الصدقة.^{١٥٦}
وعن أبي هريرة، قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنه تمرًا من تمر الصدقة فألقاها في
فيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: كخ كخ، ألقاها، فألقاها، فقال: أما علمت أنا آل محمد لا تحل لنا
الصدقة؟^{١٥٧}

والسر في هذا:

حتى يفتح الولد عينيه منذ نشأته على أوامر الله فيروّض على امتثالها، وعلى اجتناب نواهيه
فيدرّب على الابتعاد عنها... وحين يتفهم الولد منذ تعقله أحكام الحلال والحرام، ويرتبط
منذ صغره بأحكام الشريعة فإنه لا يعرف سوى الإسلام تشريعاً ومنهاجاً..



١٥٤ - جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (٣١٨٩٦) صحيح

١٥٥ - صحيح البخاري - المكثر - (٦ / ٣) (١٤٩١)

١٥٦ - صحيح ابن حبان - (٨ / ٨٩) (٣٢٩٤) صحيح

١٥٧ - مسند أبي عوانة (٢١٠٩) صحيح

المبحث الثاني البناء العبادي

المطلب الأول: تكامل العقيدة مع العبادة في تربية الطفل :

" إن الطفولة ليست مرحلة تكليف وإنما هي مرحلة إعداد وتدريب للوصول إلى مرحلة التكليف عند البلوغ .

والعبادة هي الطاعة المتكاملة المترافقة المترابطة مع كمال الخوف وكمال الحب، والطاعة منبثقة عن قناعة عقلية بأن الله تعالى خالق كل شيء وقادر على كل شيء، ويدخل الجنة الصالحين من عباده ويدخل النار الأشقياء والكافرين من خلقه " ١٥٨

" والعبادة هي العبودية لله وحده والتلقي من الله وحده في أمر الدنيا والآخرة، ثم هي الصلة الدائمة بالله في هذا كله " ١٥٩

إن الأحكام التشريعية العبادية إنما هي منبثقة عن القاعدة الأساسية؛ ألا وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

فلو انعدم إيمان المسلم برسالة سيدنا محمد ﷺ - ونبوته لما كان هناك صلاة وصوم ولا حج ولا زكاة.

" وباعتبار أن العقيدة أصل وعنها قد صدرت العبادة، فإن فصل العبادة عن العقيدة يعتبر بمثابة فصل الشجرة عن جذرها،...، وذلك أن العبادة هي الترجمة المحسوسة لصدق الإيمان وحسن تركز العقيدة في قلب المؤمن " ١٦٠

" والعقيدة تمثل الجانب النظري من الدين وقد دعا الرسول ﷺ - الناس إليها في بدء رسالته، أما الشريعة فهي الجانب العملي من الدين " ١٦١

١٥٨ - حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٤٠

١٥٩ - محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ج ١/٣٤، دار الشروق، ط ٦، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

١٦٠ - المصدر السابق، ص ١٤١

١٦١ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٦٣.

" إنَّ النواحي العبادية هي الأمور المهمة التي لا بدَّ من أخذها بكل اهتمام وجدية على طريق تكملة بناء الإنسان المسلم وتتم هذه الخطوة عن طريق الوالدين والمربين؛ بأن يعودوا الطفل على ممارسة الأمور العبادية من صوم وصلاة وما شابه ذلك، والغاية من ذلك تعويد الطفل وتدريبه على فعل العبادات والطاعات، وإن لم يدرك ما الفائدة منها، وما المنفعة المترتبة عليها، إلا أن ممارسته على فعلها مع تشجيعه عليها بحيث تصبح عادة لديه، فلا يصعب عليه متى كبر وشبَّ أن يؤدي صلاته، وحتى تصبح الصلاة وما فيها من فائدة جزءاً من تفكيره وسلوكه " ١٦٢

المطلب الثاني: الصلاة :

الصلاة في الاصطلاح: " هي أقوال وأفعال مفتوحة بالتكبير ومختمة بالتسليم، بشرائط مخصوصة " ١٦٣ .

مراحل تأسيس العبادة لدى الطفل المسلم :

(١) مرحلة الأمر بالصلاة :

يبدأ الوالدان بتوجيه الأوامر للطفل بأن يقف معهما في الصلاة وذلك في بداية وعيه وإدراكه. ١٦٤

" لا بدَّ أن تقوم التربية في البيت عن طريق المحاكاة والقذوة والتلقين، ذلك أن الطفل ينشأ فيعمل ما يعلّمه أبواه، فإذا كانا يقيمان الصلاة فعل مثلهما وانطبعت في ذهنه تلك الصورة وتأثر بها مدى الحياة " ١٦٥

١٦٢ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٦٥

١٦٣ - الجزيري، عبد الرحمن بن محمد عوض، الفقه على المذاهب الأربعة، ج ١/١٣٨، القاهرة، مؤسسة المختار، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م.

١٦٤ - انظر إلى العك، خالد عبد الرحمن، تربية الأبناء والبنات في ضوء القرآن والسنة، ص ١٢١. سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٧٢. حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٤٥. إبراهيم الخطيب، زهدي محمد عيد، تربية الطفل في الإسلام، ص ٦٠. سميح أبو مغلي وآخرون، تربية الطفل في الإسلام، ص ٥٥

١٦٥ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٧٢

(٢) مرحلة تعليم الطفل الصلاة: حيث يبدأ الوالدان بتعليم الطفل أركان الصلاة وواجباتها ومفاسداتها وقد حدد النبي - ﷺ - سنَّ السابعة بداية المرحلة للتعليم.

عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ وَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ».^{١٦٦}

" انظر في قوله: مروا لمدة ثلاث سنوات يعني من سبع إلى عشر، ثلاث سنوات في كل سنة ٣٦٠ يوماً تقريباً في ٣ سنوات = ١٠٨٠ يوماً تقريباً في خمس أوامر عند كل صلاة تقول له: صلَّ = ١٠٨٠ × ٥ = ٥٤٠٠ أمر بالصلاة بدون ضرب أو نهر أو تعذيب ."^{١٦٧}

لقد كان الرسول - ﷺ - يعلم الأطفال ما يحتاجونه في الصلاة، فعن أبي الحوراء السعدية قال قال الحسن بن علي رضي الله عنهما علمني رسول الله - ﷺ - كلمات أقولهن في الوتر « اللهم اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ وَقِنِي شَرًّا مَا قَضَيْتَ فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ وَإِنَّهُ لَا يَدِلُّ مَنْ وَالَيْتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ ».^{١٦٨}

(٣) مرحلة الأمر بالصلاة والضرب على تركها:

" وتبدأ في سنِّ العاشرة من عمر الطفل، فإذا قصر في صلاته أو هماون وتكاسل في إداؤها، فعند ذلك يجوز للوالدين استخدام الضرب تأديباً له على ما فرط في حق نفسه، وعلى ظلمه لها باتباع سبل الشيطان"^{١٦٩}

ويكون الضرب " ضرب المعلم المربي المشفق لا ضرب المنتقم، وذلك لكي يضعوا الطفل في موقع الجدية وليعلم أن هذا الأمر جد لا هزل فيه، فعل لا قول، ويشترط في الضرب أن يؤلم بعض الشيء لا أن يشوهه أو يجرح"^{١٧٠}

^{١٦٦} - سنن أبي داود - المكثر - (٤٩٤) صحيح

^{١٦٧} - <http://saaid.net/tarbiah/> .htm٢٠

^{١٦٨} - سنن الترمذي - المكثر - (٤٦٦) صحيح

^{١٦٩} - العك، خالد عبد الرحمن، تربية الأبناء والبنات في ضوء القرآن والسنة، ص ١٢٢

^{١٧٠} - حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٤٩

أن نفهم الطفل سبب الضرب كأن نقول لهم حديث رسول الله - ﷺ -، فعن عمرو بن شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ ». ١٧١

(٤) مرحلة اصطحاب الأطفال إلى المساجد لصلاة الجماعة:

" الصلاة فريضة عبادية غير أن لها من الفوائد والثمار الكثيرة، فهي تشد المؤمنين برباط الإيمان، فتقوي الرابطة الاجتماعية بحصول التعارف داخل المسجد، فكم هو فعل حسن أن يصطحب الآباء والمربون الأطفال إلى المساجد وقد ارتدوا اللباس الأبيض النظيف متطهرين للصلاة، متوضئين لها الوضوء التام،...، ويقبل المربون مع أطفالهم إلى المساجد، وقلوبهم عامرة بالإيمان مشتاقة للمثول بين يدي ربها طمعاً بمرضاته وجناته وخوفاً من غضبه وناره " ١٧٢

" والغاية من صلاة الجمعة تربية الإنسان على المساواة الحقيقية فكلهم عباد الله اجتمعوا في بيته تظلمهم ظلال الأخوة والمحبة والمصالح المشتركة " ١٧٣

الفوائد التي يجنيها الطفل من الصلاة في المساجد :

(١) " يحسُّ بقوة ارتباطه بجماعة المصلين من المؤمنين الذين هم أبناء مجتمعه في الحي والبلدة.

(٢) ينمو عنصر الأخوة الصادقة، فيشعر الطفل بأنه أخ قريب لكل الذين صلوا معه في المسجد.

(٣) المسجد بيت الله يشعر القادم إليه أنه في ضيافة الله، وعليه أن يراقب نفسه في هذا البيت أكثر من أي مكان آخر، مما يجعل مشاعره تسمو في أجواء رحبة عامرة بالروحانية الصادقة والتقوى العامرة.

١٧١ - سنن أبي داود - المكثر - (٤٩٥) صحيح

١٧٢ - حلي، عبد الحميد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٥٠

١٧٣ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٧٨

(٤) بتعليم الطفل بصلاح الجماعة في المسجد الترتيب والتنظيم وتوحيد الصفوف المعبرة عن وحدة القلوب.

(٥) تصيغ صلاة الجماعة في المسجد الطفل صياغة خُلُقِيَّة، فيتشكّل لديه إحساس يومي بتفقد إخوانه المواظبين على الصلاة جماعة معه، وبذا يتكون عنده الدافع للاهتمام بشؤون الناس عامة .

(٦) يجيد آداب السماع إلى الوعظ والإرشاد. ١٧٤

(٥) مرحلة حضور صلاة الجماعة :

عَنْ عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ ». ١٧٥

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَسَمِعَ وَأَنْصَتَ غَفَرَ لَهُ مَا بَيْنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى، فَقَدْ لَعَا. ١٧٦

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ عَامِدًا إِلَى الْمَسْجِدِ فَوَجَدَ النَّاسَ قَدْ صَلَّوْا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِثْلَ أَجْرِ مَنْ حَضَرَهَا وَلَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ». ١٧٧

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ السَّلْمِيُّ: كُنْتُ، وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنْتَهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بَرَجْلًا بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا، جُرَّاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا نَبِيُّ، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيِّ؟

١٧٤ - المصدر السابق، ص ١٥٠-١٥١. انظر إلى سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٧٨-٢٧٩

١٧٥ - صحيح مسلم- المكثر - (٦٠١)

١٧٦ - صحيح مسلم- المكثر - (٢٠٢٥) و صحيح ابن حبان - (١٧ / ٧) (٢٧٧٩)

١٧٧ - سنن النسائي- المكثر - (٨٦٣) صحيح

قَالَ: أَرْسَلَنِي اللَّهُ، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أُرْسَلْتُ؟ قَالَ: أُرْسَلَنِي بِصَلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْتَانِ، وَأَنْ يُوحَدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: حُرٌّ وَعَبْدٌ، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي، قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي، وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي، فَجَعَلْتُ أَنْخَبِرُ الْأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ، حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ، وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقَيْتَنِي بِمَكَّةَ، قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ؟ قَالَ: صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ، حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسْحَرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ، حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَالْوَضُوءُ حَدَّثَنِي عَنْهُ؟ قَالَ: مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ، فَيَتَمَضَّمُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَشِرُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنْامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنْامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنَّهُ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ، إِلَّا أَنْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.

فَحَدَّثَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبَا أُمَامَةَ، صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ: يَا عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ، أَنْظِرْ مَا تَقُولُ؟! فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ يُعْطَى هَذَا الرَّجُلُ؟! فَقَالَ عَمْرُو: يَا أَبَا أُمَامَةَ، لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَأَقْتَرَبَ أَجْلِي، وَمَا بِي حَاجَةٌ أَنْ أَكْذِبَ

عَلَى اللَّهِ، وَلَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، لَوْ لَمْ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا مَرَّةً، أَوْ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَبَدًا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. ١٧٨

على المرين جعل الصبي يرتاد المسجد في الجمعة وغيرها من أجل حسن تربيته إذ هو بذلك يحصل على فوائد كثيرة منها ١٧٩:

(١) عندما يبلغ، يكون معتاداً على إقامة صلاة الجمعة.

(٢) تأثره بسماع الخطبة إذ فطرته تكون حساسة لالتقاط أحاديث الإيمان وسيرة الرسول

— ﷺ —

(٣) بسماعه الخطبة يلتقط أحاديث الإيمان خاصة أنه في سنٍّ يحسن فيه الاستقبال، وله فيها تدريب على سماع الموعدة والعلم

(٤) يتألف مع مجتمعه ويتعارف بالناس، إضافة إلى أن حضوره يزيد من مخزونه المعرفي الاجتماعي والإنساني.

(٥) يكون الطفل بحضوره لصلاة الجمعة من الحاضرين للساعة المستجاب فيها الدعاء التي حدّث عنها رسول الله — ﷺ — . فعن أبي هريرة، قال: قال أبو القاسم ﷺ: فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ لَا يُؤَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّيُ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ. ١٨٠

(٦) تزود صلاة الجمعة الطفل بطاقة إيمانية روحية تجعله قادراً على أداء الصلوات الخمس، وتساعد على أداء الطاعات الأخرى بين الجمعة والجمعة.

(٧) يتعرف الطفل من خلال صلاة الجمعة على علماء الأمة، مما يجعله محترماً لهم مقدراً لعلمهم.

ثم تأتي مرحلة اصطحاب الطفل لصلاة العيد وتعليمه صلاة الاستخارة والحاجة.

وسائل عملية في كيفية تعليم الطفل الصلاة:

١٧٨ - صحيح مسلم - المكثر - (١٩٦٧)

١٧٩ - حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٥١-١٥٢. العك، خالد عبد

الرحمن، تربية الأبناء والبنات في ضوء القرآن والسنة، ص ١٢٣

١٨٠ - صحيح ابن حبان - (٧ / ١٠) (٢٧٧٣) صحيح

(١) " القدوة:لابد أن يكون الأب والأم قدوة حسنة لأبنائهم بأن يكونا حريصين على أداء الصلاة في أوقاتها لأن فاقد الشيء لا يعطيه . لا بد أن يرى الأبناء الأب إذا حان وقت الصلاة يبادر إلى المسجد،أما ما يكون من بعض الآباء من تهاون وعدم حرص على الصلاة في جماعة والصلاة في البيت وبعيدا عن أعينهم ،فإن ذلك يغرس فيهم التهاون بالصلاة . لا بد أن يبين الوالد لأولاده مدى حزنه وندمه على فوات الصلاة في جماعة وأن يرى الأبناء منه التأثير على فواتها ويروا الأب يصلي أمامهم ،ويحثهم على الصلاة معه إذا فاتتهم كذلك .جميل أن يطلب الأب والأم من الأبناء إيقاظهم للصلاة وكذلك تنبيههم إذا دخل وقت الصلاة وكانا مشغولين ببعض الأعمال وذلك حتى يحس الأبناء باهتمام الوالدين بأمر الصلاة والأجمل أن يمدح من يوقظه للصلاة من أبنائه وأن يكافئه بهدية ولو كانت بسيطة .

(٢) الترغيب والترهيب:

يقدم الترغيب على الترهيب

أساليب الترغيب:

- أن يذكر الأب لأبنائه أن الصلاة هي جزء بسيط من شكر الله على نعمه الكثيرة علينا .
- أن يذكر الأب لأبنائه فوائد الصلاة في الدنيا والآخرة ،ففي الدنيا للصلاة فوائد كثيرة فهي رياضة وهي وقاية من أمراض العمود الفقري والمفاصل وهي راحة وطمأنينة وهي تعلم السمع والطاعة والنظام وترتيب الأوقات .. الخ وفي الآخرة الجنة وما فيها من نعيم مقيم .

- أن يجعل الأب مسابقة لأبنائه في المحافظة على الصلاة ويجعل جائزة قيمة للفائز منهم .
- يمدح من يصلي من الأبناء أمام أقاربه وأمام جيرانه ويكون المدح لأنه حافظ على الصلوات. وهناك أساليب كثيرة للترغيب يمكن أن تطبقوها .

أساليب الترهيب:

- يذكر الأب لأولاده حكم تارك الصلاة وعقوبته في الدنيا والآخرة.

• يتدرج مع أولاده بأن يبدأ أولاً بالمعاقبة وإبداء الضيق والغضب لمن لم يصل ثم إذا لم يفلح ذلك يجرمهم من بعض الأمور التي يحبونها كالمصروف مثلاً، وكالحرمان من الخروج من البيت مع الأصحاب، وكحرمانه من الهدايا التي يعطيها للمتفوقين.. الخ.

• إذا لم ينفع معه ذلك فإن آخر الدواء الكي كما يقال، فلا بد من استعمال الشدة كالضرب بالعصا، فعن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ وَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ».^{١٨١}
نعم من الرحمة بهم أن تقسو عليهم في أمر الصلاة فالله يقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } (٦) سورة التحريم.

٣) إظهار الاهتمام بالصلاة وتقديمها على كل شيء:

• لا بد للأب إذا رجع من المسجد أن يسأل ويتفقد أولاده صلوا أم لم يصلوا حتى يحسوا أنه حريص على أن يصلوا.

أخيراً حتى يطيعك أولادك وينفذوا أوامرك لا بد أن يحبوك أولاً، لا بد أن تحسن علاقتك معهم، وأن تكون علاقتك معهم قوية، وأن يروك دائماً جالسا معهم في البيت.^{١٨٢}

وللصلاة فوائد حمة فبالإضافة إلى الراحة والطمأنينة النفسية فلها آثار خلقية عديدة، فقد قال تعالى: { أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } (٤٥) سورة العنكبوت.

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ يُوجِّهُ خِطَابَهُ لِرَسُولِهِ ﷺ، بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ تَعَالَى: وَأَدِمِ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ تَقْرُبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِتِلَاوَتِهِ، وَتَذَكُّرًا لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْفَوَائِدِ، وَاعْمَلْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالْآدَابِ وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ، وَأَدِّهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ بِخُشُوعِهَا وَرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا، لِأَنَّ الصَّلَاةَ إِنْ تَمَّتْ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ كَانَتْ لَهَا فَائِدَتَانِ:

^{١٨١} - سنن أبي داود - المكثر - (٤٩٤) - صحيح

^{١٨٢} - http://www.saaaid.net/tarbiah/ - http://www.saaaid.net/tarbiah/

- أَمَا تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ وَتَحْمِلُ الْمُؤْمِنَ عَلَى مُجَانِبَتِهَا، وَتَرْكُهَا لِمُنَافَاةِ الصَّلَاةِ لِفَعْلِ الْفَاحِشَةِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ .

- وَفِيهَا فَائِدَةٌ أَعْظَمُ، أَلَا وَهِيَ ذِكْرُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَهُ، وَيُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ بِشُرُوطِهَا، وَيُسَبِّحُونَهُ وَيَحْمَدُونَهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ بِهِ .^{١٨٣}

وأقم الصلاة إن الصلاة - حين تقام - تنهى عن الفحشاء والمنكر. فهي اتصال بالله ينجل صاحبه ويستحيي أن يصطحب معه كبائر الذنوب وفواحشها ليلقى الله بها، وهي تطهر وتجرد لا يتسق معها دنس الفحشاء والمنكر وثقلتهما.

فهي حين تقام ذكر لله. «وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ». أكبر إطلاقاً أكبر من كل اندفاع ومن كل نزوع. وأكبر من كل تعبد وخشوع.

«وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ» .. فلا يخفى عليه شيء، ولا يلتبس عليه أمر. وأنتم إليه راجعون. فمجازيكم بما تصنعون ..^{١٨٤}

ولها آثار اجتماعية فالمؤمن يصبح " عضواً نافعاً في المجتمع الذي يعيش فيه، يعمل وينتج ويعمّ خيره على الناس كافة "^{١٨٥}

أما عن الفوائد الصحية فهي كثيرة، ابتداءً من الوضوء وانتهاءً بالتسليم، ففيها اتقاء من الأمراض وتفرغ للطاقة الكهرومغناطيسية عن طريق السجود وهذا ما اكتشفه العلم الحديث.

" ووضع الركوع والسجود وما يحدث فيه من ضغط على أطراف أصابع القدمين يؤدي إلى تقليل الضغط على الدماغ ."^{١٨٦}

المطلب الثالث: الصيام وبيان حكمه على الطفل وأثره عليه:

^{١٨٣} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٢٦٧)

^{١٨٤} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٥ / ٢٧٣٨)

^{١٨٥} - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٧٥

^{١٨٦} - الإسلام والصحة، مقالة مهمة موجودة على الرابط /<http://www.khayma.com/salattar.htm>

الصيام: " هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وسائر المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، بنية الصوم تقرباً إلى الله - عز وجل - " ١٨٧

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (١٨٣) سورة البقرة.

أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّوْمِ تَهْدِيًا لِنُفُوسِهِمْ، وَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ أَوْجَبَ الصَّوْمَ عَلَى الْأُمَّمِ السَّابِقَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، لِذَلِكَ فَإِنَّهُ يُوجِبُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ الصَّوْمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لِيُعِدَّهُمْ لِتَقْوَى اللَّهِ، بِتَرْكِ الشَّهَوَاتِ الْمُبَاحَةِ الْمَيْسُورَةِ امْتِثَالاً لِأَمْرِهِ، وَاحْتِسَاباً لِلْأَجْرِ عِنْدَهُ، فَتَرَبَّى بِذَلِكَ الْعَزِيمَةُ وَالْإِرَادَةُ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ. ١٨٨

" والصيام وسيلة لتقوى الله - عز وجل - بفعل الواجبات وترك المحرمات " ١٨٩

وهو " عباده بين العبد وربه لا رقابة اجتماعية أو قانونية عليها " ١٩٠

قال الحافظ ابن حجر: " والجمهور على أنه لا يجب على من دون البلوغ، واستحب جماعة من السلف منهم ابن سيرين والزهري وقال به الشافعي أنهم يؤمرون به للتمرين عليه إذا أطاقوه، ووحده أصحابه بالسبع والعشر كالصلاة، ووحده إسحاق باثنتي عشرة سنة، وأحمد في رواية بعشر سنين. وقال الأوزاعي: إذا أطاق صوم ثلاثة أيام تباعاً لا يضعف فيهن حمل على الصوم، والأول قول الجمهور... " ١٩١

" الصيام مدرسة تربوية عالية الأحداث ووسيلة روحية فعّالة وناجحة لمصلحة الإنسان [وقد] أجمع المسلمون على وجوب صيام رمضان. " ١٩٢

١٨٧ - التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، مختصر الفقه الإسلامي، ص ٦٢٣، بيت الأفكار الدولية، ط ٤، ١٤٢٣هـ -

٢٠٠٢م -

١٨٨ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٩٠)

١٨٩ - مختصر الفقه الإسلامي ص ٦٢٤

١٩٠ - حلي، عبد الحميد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٥٦

١٩١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار الفكر - (٤ / ٢٠٠)

١٩٢ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٨٠

وتبرز الغاية الكبيرة من الصوم بأنها " التقوى هي التي تستيقظ في القلوب وهي تؤدي هذه الفريضة، طاعة لله، وإيثارا لرضاه. والتقوى هي التي تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية، ولو تلك التي تمجس في البال، والمخاطبون بهذا القرآن يعلمون مقام التقوى عند الله، ووزنها في ميزانه. فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم. وهذا الصوم أداة من أدواتها، وطريق موصل إليها. ومن ثم يرفعها السياق أمام عيونهم هدفاً وضيئاً يتجهون إليه عن طريق الصيام .. «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» .. ١٩٣

أثر الصيام في نفس الطفل :

- " ترشد فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة العملية التربية ببرامجها ومناهجها وأهدافها إلى تأكيد فريضة الصوم وتأصيلها وترسيخها في نفس الفرد المسلم منذ أن يصبح مكلفاً بها شرعياً وقادراً عليها صحياً، لأن لها أبلغ الآثار الإيجابية الفعالة في تقوية إيمانه وتوحيده في عقيدته وعبادته، وإيقاظ ضميره وصحة وجدانه، وإحساسه برقابة مولاه، وشعوره بحضوره المستمر معه أينما كان، وترقية خلقه، وتركيز روحه، وكسر حدة شهوته، والدربة على التحكم في انفعالاته وضبط غرائزه ونزواته، وتربية روح الاحتمال والصبر لديه، وتفجير معاني العطف والشفقة والرفق والخير في نفسه، وتحريك مشاركته الوجدانية الصادقة للآخرين وإعانة المحتاجين منهم والمعوزين، وتقوية ميله الاجتماعي فيعمل مع غيره على حفظ كيان جماعته بالتكافل والتراحم والتعاون، فضلاً عما للصوم من ميزة كبيرة في حفظه لصحة الصائم البدنية ووقايته من الأمراض والعلل المختلفة." ١٩٤

- " يعتاد ألا يتكلم كذباً ولا زوراً ولا غشاً ولا يمارس غدراً ولا خيانة ولا إيذاءً أو عدواناً على الناس في أمواتهم أو أعراضهم" ١٩٥

فَعَنْ أَبِي صَالِحٍ الرَّيَّانِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أُجْزَى بِهِ . وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمٌ

١٩٣ - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (١ / ١٦٨)

١٩٤ - الزنتاني، عبد الحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص ١٣٧-١٣٨

١٩٥ - حلي، عبد الحميد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٥٨

صَوْمٍ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرُفُثُ وَلَا يَصْحَبُ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ
وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ
فَرَحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ ..^{١٩٦}

- يتعلم النظام لأن المسلم في رمضان يأكل بنظام، وينام بنظام ويستيقظ بنظام، ولذا فإنك
ترى أن النظام يتجلى في المجتمع الإسلامي بأروع صورته في رمضان^{١٩٧}

المطلب الرابع: الزكاة :

الزكاة: "هي النماء والزيادة، وهي حق واجب في مال خاص لطائفة مخصوصة في وقت
خاص^{١٩٨}"

^{١٩٦} - صحيح البخاري- المكثر - (١٩٠٤) وصحيح مسلم- المكثر - (٢٧٦٢) وصحيح ابن حبان - (٨ / ٢٥٩) (٣٤٨٢)

ولخولف: خلف فم والصائم يخل خلوفا: إذا تغيرت ريجه من ترك الأكل والشرب، والخلفة منه.
يرفث: الرفث: كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة، وقيل: والتصريح بذكر الجماع، وهو الحرام في الحج على
الحرم، فأما الرفث في الكلام إذا لم يخاطب به امرأة، فلا يجرم عليه، ولكن يستحب له تركه.
يصحب: الصخب: الضجة والجلبة.

الصوم لي وأنا أجزئي به: إنما خص الصوم والجزاء عليه بنفسه عز وجل وإن كانت العبادات كلها له، وجزاؤها منه، لأن
جميع العبادات التي يتقرب بها العباد إلى الله عز وجل، من صلاة، وحج، وصدقة، وأتبتل واعتكاف ودعاء وقربان
وهدي، وغير ذلك من أنواع العبادات، قد عبد المشركون بها آلهتهم، وكانوا يتخذونه من دون الله ناددا، ولم يسمع أن
طائفة من طوائف المشركين وفي الأزمان المتقدمة عبدت آهتها بالصوم، ولا تقربت إليها به، ولا دانته به، ولا عرف
الصوم في العبادات إلا من جهة الشرائع، فذلك قال الله عز وجل: «الصوم لي» أي: لم يشاركني فيه أحد، ولا عبد به
غيري، فأنا حينئذ أجزئي به على قدر اختصاصه بي، وأنا أتولى الجزاء عليه بنفسي، لا أكله إلى أحد (غيري) من ملك
مقرب أو غيره، وقد ذكر العلماء في معنى هذا الحديث وجوها من التأويل، لاتداني هذا القول ولا تقاربة، إذ ما من قول
منها إلا وباقي العبادات تشاركه فيه وهذا القول أخبرني به الأمير مجاهد الدين أبو منصور قايماز بن عبد الله - أدام الله
سعاده - وذكر أنه مما وقع له ابتكارا، ولم يسمعه من أحد، ولا وقف عليه في كتاب، ولم أسمع أنا من غيره، ولقد أصاب
فيما وقع له وأحسن، وفقه الله بعرفانه. جامع الأصول في أحاديث الرسول - (٩ / ٤٥٣)

^{١٩٧} - حلي، عبد الحميد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٥٨

^{١٩٨} - التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، مختصر الفقه الإسلامي ص ٥٩٣، وانظر إلى الصابوني، محمد علي، فقه

العبادات، ص ٩، بيروت، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

قال تعالى: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (١٠٣) سورة التوبة
يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَمْوَالِ الَّذِينَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ، صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَسِ الْبُخْلِ، وَالطَّمَعِ، وَالْقَسْوَةِ عَلَى الْفُقَرَاءِ، وَتُزَكِّيَ بِهَا أَنْفُسَهُمْ، وَتَرْفَعَهُمْ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ حَتَّى يَكُونُوا أَهْلًا لِلسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِأَنْ يَدْعُو لَهُمْ، وَيَسْتَعْفِرَ لَهُمْ (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ)، لِأَنَّ صَلَاةَ الرَّسُولِ رَحْمَةٌ بِهِمْ، وَرَاحَةٌ لِأَنْفُسِهِمْ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لَاعْتِرَافِهِمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَسَمِيعٌ لِدُعَاءِ الرَّسُولِ لَهُمْ، عَلِيمٌ بِإِخْلَاصِهِمْ فِي تَوْبَتِهِمْ، وَنَدَمِهِمْ مِنْ هَذِهِ الذُّنُوبِ .^{١٩٩}

" ليس الهدف من أخذ الزكاة جمع المال وإنفاقه على الفقراء والمحتاجين فحسب، بل الهدف أن يعلو بالإنسان عن المال، ليكون سيِّداً له، لا عبداً له، ومن هنا جاءت الزكاة ليزكوا المعطي والآخذ وتطهرهما."^{٢٠٠}

وقد ذكر الله الزكاة في القرآن مقرونة بعبادة عظيمة وهي الصلاة في أكثر من ثلاثين موضعاً. قال تعالى: { فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (١١) سورة التوبة

الآثار التربوية لفريضة الزكاة على الفرد والمجتمع :

الزكاة هي " منهاج تربوي وعلاج عملي أصيل لضعف النفس، وتطهيرها من داء الشح والأثرة وعبادة المال "^{٢٠١}

" وترشد فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، العملية التربوية، من خلال برامجها ومناهجها وتوجيهاتها إلى الحرص على تكوين الفرد كعضو صالح في جماعة صالحة، تربطه

^{١٩٩} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٣٣٩)

^{٢٠٠} - التويجري ص ٥٩٣-٥٩٤، انظر إلى إبراهيم الخطيب، زهدي محمد عيد، تربية الطفل في الإسلام، ص ٦٤-٦٥ .

سميح أبو مغلي وآخرون، تربية الطفل في الإسلام، ص ٥٧

^{٢٠١} - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٩١

بها مصالح ومنافع وغايات مشتركة، فيعمل على خيرها والرفع من مستواها والمشاركة بفائض ماله في إعانة الفقراء والمساكين والمحتاجين.

والمساهمة بثروته في تنمية ثروة الجماعة ومالها، واستثماره وترشيده فيها يعود بالخير على الجماعة كلها، ويجول دون تكديس الأموال وتخزينها، لأنَّ في ذلك تعطيلاً لوظيفتها التي خصها الله تعالى بها، للرفع من مستوى الحياة البشرية وتطويرها وإشاعة السعادة بين الجميع، والتخفيف من آلام الفقراء والمعوزين وإزالة شقائهم وسد حاجاتهم، ومن شأن الزكاة كتشريع رباني حكيم إذا رُسِّخت في نفس الناشئ منذ طفولته من خلال عملية التربية والتنشئة الاجتماعية، أن تؤدي إلى خلق مجتمع عادل رحيم تسوده المحبة بدل الحقد، والتعاطف بدل التقاطع والتعاون بدل الاستغلال والتكافل بدل الصراع والسعادة بدل الشقاء، وتقوى فيه روح الانتماء الاجتماعي بين أفرادها جميعاً، فيتعاونون على البر والتقوى والإحسان، فينقص البخل والشح والأنانية في نفوس الأثرياء، وتختفي الكراهية والحقد والحسد من نفوس الفقراء، ويعيش الجميع في وئام ومحبة وسلام".^{٢٠٢}

المطلب الخامس: الحج:

الحج: "هو التعبد لله - عز وجل - بأداء المناسك على ما جاء في سنة رسول الله - ﷺ - في مكان مخصوص وفي زمان مخصوص"^{٢٠٣}

قال تعالى: { إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ } { ٩٦ } فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧) } سورة آل عمران.

إن أول بيت بُني لعبادة الله في الأرض هو بيت الله الحرام الذي في "مكة"، وهذا البيت مبارك تضاعف فيه الحسنات، وتنتزل فيه الرحمات، وفي استقباله في الصلاة، وقصده لأداء الحج والعمرة، صلاح وهداية للناس أجمعين.

^{٢٠٢} - الزنتاني، عبد الحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص ١٣٤

^{٢٠٣} - التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، مختصر الفقه الإسلامي ص ٦٧٨

في هذا البيت دلالات ظاهرات أنه من بناء إبراهيم، وأن الله عظمه وشرفه، منها: مقام إبراهيم عليه السلام، وهو الحجر الذي كان يقف عليه حين كان يرفع القواعد من البيت هو وابنه إسماعيل، ومن دخل هذا البيت أمن على نفسه فلا يناله أحد بسوء. وقد أوجب الله على المستطيع من الناس في أي مكان قصد هذا البيت لأداء مناسك الحج. ومن جحد فريضة الحج فقد كفر، والله غني عنه وعن حجّه وعمله، وعن سائر خلقه. ٢٠٤

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » . ٢٠٥

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، والعمرتان أو العمرة إلى العمرة يكفر ما بينهما. ٢٠٦

إذا أحرم الصبي بالحج صح نفلاً، فإن كان مميزاً فعل كما يفعل البالغ من الرجال والنساء، وإن كان صغيراً عقد عنه الإحرام وليه، ويطوف ويسعى به، ويرمي عنه الجمرات، والأفضل أن يؤدي ما قدر عليه من مناسك الحج أو العمرة، وإذا بلغ فيما بعد لزمه أن يحج حجة الإسلام.

إذا حج الصغير أو المملوك، ثم بلغ الصغير وعتق المملوك فعلى كل واحد منهما حجة أخرى.

يصح حج الصبي، ومن حج به فهو مأجور. ٢٠٧ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رفعت امرأةً صبيّاً لها فقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال: «نعم ولك أجر». أخرجه مسلم ٢٠٨
محاسن وأسرار الحج :

٢٠٤ - التفسير الميسر - (١ / ٣٩٥)

٢٠٥ - صحيح البخاري - المكثر - (١٥٢١)

٢٠٦ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٥٣) (٧٣٥٤) - ٧٣٤٨ - صحيح

٢٠٧ - التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، مختصر الفقه الإسلامي ص ٦٥١. وانظر إلى سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٩٧ والموسوعة الفقهية الكويتية - (١٧ / ٢٧) والموسوعة الفقهية الكويتية - (٨ / ٢٠١)

٢٠٨ - صحيح مسلم - المكثر - (٣٣١٧)

- (١) الحج مظهر عملي للأخوة الإسلامية، ووحدة الأمة الإسلامية حيث تذوب في الحج فوارق الأجناس والألوان واللغات والأوطان والطبقات، وتبرز حقيقة العبودية والأخوة، فالجميع بلباس واحد يتجهون لقلبة واحدة ويعبدون إلهاً واحداً .
- (٢) والحج مدرسة يتعود فيها المسلم على الصبر ويتذكر فيها اليوم الآخر وأهواله ويستشعر فيه لذة العبودية، ويعرف عظمة ربه، وافتقار الخلائق كلها إليه.
- (٣) والحج موسم كبير لكسب الأجر، تضاعف فيه الحسنات وتكفر فيه السيئات،...، فيرجع من الحج نقياً من الذنوب كيوم ولدته أمه.
- (٤) تذكير بأحوال الأنبياء والرسول -عليهم الصلاة والسلام- ودعوتهم وجهادهم، وأخلاقهم وتوظيف النفس على فراق الأهل والولد .
- (٥) الحج ميزان يعرف به المسلمون أحوال بعضهم وما هم عليه من علم أو جهل أو غنى أو فقر أو استقامة أو انحراف.^{٢٠٩}
- " ومما تقدم يتضح لنا أن فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة تركز على العبادات كمصدر حيوي وهام للعملية التربوية المستمرة والمتصلة بالنسبة للفرد والجماعة معاً، فالصلوات الخمس تربية يومية، وصالاة الجمعة تربية أسبوعية، وصالاة العيدين وصوم رمضان وإيتاء الزكاة والحج، تربية سنوية فكأن التربية الإسلامية هي بحق تربية حياة متواصلة من مهد الإنسان إلى لحدده، تحمل في طياتها أسباب السعادة في الدارين لمن اتقى ربه وتمسك بالفرائض وحرص على أدائها في أوقاتها المعلومة ووفق شروطها وأحكامها الشرعية المسنونة ويزيد الله تعالى الذين آمنوا هدىً وأجرًا وخيراً ولا خوف عليهم في الدنيا والآخرة ولا هم يحزنون.^{٢١٠}



^{٢٠٩} - التويجري، ص ٦٤٧-٦٤٨

^{٢١٠} - الزنتاني، عبد الحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص ١٤٠

المبحث الثالث البناء الأخلاقي

نقصد بالتربية الخلقية مجموعة المبادئ الخلقية، والفضائل السلوكية والوجدانية التي يجب أن يتلقنها الطفل ويكتسبها ويعتاد عليها منذ تمييزه وتعقله إلى أن يصبح مكلفاً إلى أن يتدرج شاباً إلى أن يخوض خضم الحياة..

ومما لا شك فيه، ولا جدال معه أن الفضائل الخلقية والسلوكية والوجدانية هي ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ، والتنشئة الدينية الصحيحة..

فالطفل منذ نعومة أظفاره حين ينشأ على الإيمان بالله، ويتربى على الخشية منه، والمراقبة له، والاعتماد عليه، والاستعانة به، والتسليم لجناحه فيما ينوب ويروع.. تصبح عنده الملكة الفطرية، والاستجابة الوجدانية لتقبل كل فضيلة ومكرمة، والاعتقاد على كل خلق فاضل كريم.. لأن الوازع الديني الذي تأصل في ضميره، والمراقبة الإلهية التي ترسخت في أعماق وجدانه، والمحاسبة النفسية التي سيطرت على تفكيره وإحساساته.. كل ذلك بات حائلاً بين الطفل وبين الصفات القبيحة والعادات الآثمة المذولة، والتقاليد الجاهلية الفاسدة.. بل إقباله على الخير يصبح عادة من عاداته، وتعشقه المكارم والفضائل يصير خلقاً أصيلاً من أبرز أخلاقه وصفاته..

وحينما تكون التربية للطفل بعيدة عن العقيدة الإسلامية، مجردة من التوجيه الديني، والصلة بالله عز وجل.. فإن الطفل - لا شك - يترعرع على الفسوق والانحلال، وينشأ على الضلال والإلحاد، بل سيُتبع نفسه هواها، ويسير خلف نوازع النفس الأمارة، ووساوس الشيطان، وفقاً لمزاجه وأهوائه وأشواقه الهابطة.

(فإن كان مزاجه من النوع "الهادئ المسالم" عاش في الحياة غافلاً بليداً، حياً كميّت، وموجوداً كمفقود، ولا يحس أحد بحياته، ولا يترك فراغاً بعد موته، ورحم الله من قال:

فذاك الذي إن عاش لم يُنتفع به وإن مات لا تبكي عليه أقاربه

وإن كان يغلب على نفسه الجانب "البهيمي" جرى وراء الشهوات والملذات يقتحم إلى بلوغها كل حرمة، ويسلك من أجلها كل طريق.. لا حياء يردعه، ولا ضمير يقمعه، ولا عقل يمنعه، يقول ما قاله أبو النواس:

إنما الدنيا طعام وشراب وتندام فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام

وإن كان مزاجه من النوع "العصبي" جعل همه العلوّ في الأرض، والاستكبار على الناس، وإظهار السلطة والتحكم في الرقاب، والفخر بلسانه، والاختيال بفعاله، ولم يهمله في سبيل ذلك أن يبني قصرًا من حجاجم البشر، وأن يزخرفه بدماء الأبرياء، شعاره ما قاله الشاعر الجاهلي^{٢١١}:

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ
وَنَحْنُ الْحَاكِمُونَ إِذَا أُطْعِمْنَا وَنَحْنُ الْعَازِمُونَ إِذَا عُصِينَا
وَنَحْنُ التَّارِكُونَ لِمَا سَخَطْنَا وَنَحْنُ الْآخِذُونَ لِمَا رَضِينَا
وَأَنَا الْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا وَأَنَا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا
وَأَنَا التَّارِكُونَ إِذَا سَخَطْنَا وَأَنَا الْآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا
وَأَنَا الْعَاصِمُونَ إِذَا أُطْعِمْنَا وَأَنَا الْعَازِمُونَ إِذَا عُصِينَا
وَتَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِرًا وَطِينَا
مَلَأْنَا الْبِرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَظَهَرَ الْبَحْرُ تَمْلُؤُهُ سَفِينَا
إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَ

وإن كان يغلب عليه الجانب "الشيطاني" دبر المكائد، وفرق بين الأحبة، ووضع الأغنام ليدمر، وسمّم الآبار ليقتل، وعكر المياه، ليصطاد، وزين الإثم، وأغرى بالفاحشة، وأوقع العداوة والبغضاء بين الناس، وقال مع الشاعر^{٢١٢}:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضُرُّ، فَإِنَّمَا يُرْجَى الْفَتَى كَيْمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعَا

٢١١ - تراجم شعراء موقع أدب - (٤٩ / ٢٥٩) والبيات لعمرو بن كلثوم من معلقته

٢١٢ - تراجم شعراء موقع أدب - (٣٦ / ٣٤٤) والحيوان - (١ / ٢٠٩)

وهكذا يدور كل من هؤلاء حيث تدور نفسه الأمارة، ويندفع حيث يدفعه مزاجه المنحرف، وينقاد لأمر هواه، والهوى يعمي ويصم، وهو إله معبود، قال تعالى: {..وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (٥٠) سورة القصص. والذي نخلص إليه بعدما تقدم: أن التربية الإيمانية هي التي تعدل المزاج المنحرف، وتقوم المعوج الفاسد، وتصلح النفس الإنسانية.. وبدونها لا يمكن أن يتحقق إصلاح، ولا أن يتم استقرار، ولا يتقوم خلق...^{٢١٣}

فلا عجب بعد الذي ذكرناه أن تُولي شريعة الإسلام اهتمامها البالغ بتربية الأولاد من الناحية الخلقية، وأن تصدر توجيهاتها القيمة في تخليق الولد على الفضائل والمكارم، وتأديبه على أفضل الأخلاق، وأكرم العادات!.

عَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدَهُ نُحَالًا أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ.^{٢١٤}

وعن الحارث بن الثعمان سمعت أنس بن مالك يحدث عن رسول الله ﷺ - أنه قال « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم »^{٢١٥}.

وعن أبي الضحى، قال: كان الضحاك بن قيس يقول: يا أيها الناس، علموا أولادكم وأهليكم القرآن، فإنه من كتب الله له من مسلم أن يدخله الجنة أتاه ملكان فاكنتفاه فقالا له: اقرأ وارتنق في درج الجنة حتى ينزلوا به حيث انتهى عمله من القرآن.^{٢١٦}

وعن علي بن أبي طالب في قوله عز وجل: { قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا } [التحریم: ٦] قال: " علموا أنفسكم وأهليكم الخير "^{٢١٧}

وعن عبد الله، قال: " حافظوا على أبنائكم في الصلاة، وعودوهم الخير فإن الخير عادة".

^{٢١٣} - تربية الأولاد في الإسلام لعلوان - (١ / ١٣١)

^{٢١٤} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٧١٦) (١٦٧١٠) - ١٦٨٣٠ - صحيح

^{٢١٥} - سنن ابن ماجه - المكثر - (٣٨٠٢) - ضعيف

^{٢١٦} - مصنف ابن أبي شيبة - (١٣ / ٣٧٥) (٣٥٩٣٨) - صحيح

^{٢١٧} - شعب الإيمان - (١١ / ١٥٦) (٨٣٣١) - صحيح

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "تَعَوَّدُوا الْخَيْرَ فَإِنَّمَا الْخَيْرُ بِالْعَادَةِ".^{٢١٨}
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ مِنْ حَقِّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحْسِنَ اسْمَهُ، وَأَنْ يُحْسِنَ أَدَبَهُ".^{٢١٩}

فيؤخذ من مجموعة هذه الأحاديث التربوية على المرين - ولاسيما الآباء والأمهات - مسؤولية كبرى في تأديب الأولاد على الخير، وتخليقهم على مبادئ الأخلاق. ومسؤوليتهم في هذا المجال مسؤولية شاملة بكل ما يتصل بإصلاح نفوسهم، وتقوم اعوجاجهم، وترفعهم عن الدنيا، وحسن معاملتهم للآخرين.. فهم مسؤولون عن تخليق الأولاد منذ الصغر على الصدق، والأمانة، والاستقامة، والإيثار، وإغاثة الملهوف، واحترام الكبير، وإكرام الضيف، والإحسان إلى الجار، والمحبة للآخرين.. ومسؤولون عن تزيه ألسنتهم من السباب، والشتائم والكلمات النابية القبيحة، وعن كل ما ينبئ عن فساد الخلق، وسوء التربية..

ومسؤولون عن ترفعهم عن دنيا الأمور، وسفاسف العادات، وقبائح الأخلاق، وعن كل ما يحط بالروعة والشرف والعفة.. ومسؤولون عن تعويدهم على مشاعر إنسانية كريمة، وإحساسات عاطفية نبيلة، كالإحسان إلى اليتامى، والبر بالفقراء، والعطف على الأرامل والمساكين.. إلى غير ذلك من هذه المسؤوليات الكبيرة الشاملة التي تتصل بالتهذيب، وترتبط بالأخلاق..^{٢٢٠}

وسيكون كلامنا من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول: خلق تأديب الأطفال:

" إنَّ التربية الخُلُقِيَّة هي روح التربية الإسلامية وعنايتها بالتربية الخُلُقِيَّة لا يعني إهمال الجوانب الأخرى، فلا بد من العناية بكل ما يتصل بالطفل إذ أنه بحاجة إلى قوه في جسمه وعقله وروحه وعلمه، لذا نجد أن الجانب الروحي والعبادي لا ينفصل عن الجانب الخُلُقِي.

^{٢١٨} - المعجم الكبير للطبراني - (٨ / ١٦٥) (٩٠٥٤ و ٩٠٥٥) صحيح

^{٢١٩} - كشف الأستار - (٢ / ٤١١) (١٩٨٤) حسن لغيره

^{٢٢٠} - انظر تربية الأولاد في الإسلام لعلوان

إن الأخلاق في السنة النبوية لم تدع جانباً من جوانب الحياة الإنسانية إلا رسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع في تناسق وتكامل وبناء. فالنبي - صلي الله عليه وسلم - قد بلغ القمة في الأخلاق وأفضل طريق للوصول إلى مكارم الأخلاق هو طريق رسول الله - صلي الله عليه وسلم - والذي خاطبه تعالى بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (٤) سورة القلم ٢٢١ وتتجاوب أرجاء الوجود بهذا الثناء الفريد على النبي الكريم ويثبت هذا الثناء العلوي في صميم الوجود! ويعجز كل قلم، ويعجز كل تصور، عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود، وهي شهادة من الله، في ميزان الله، لعبد الله، يقول له فيها: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ». ومدلول الخلق العظيم هو ما هو عند الله مما لا يبلغ إلى إدراك مداه أحد من العالمين! ودلالة هذه الكلمة العظيمة على عظمة محمد - ﷺ - تبرز من نواح شتى:

تبرز من كونها كلمة من الله الكبير المتعال، يسجلها ضمير الكون، وتثبت في كيانه، وتتردد في المأ الأعلى إلى ما شاء الله.

وتبرز من جانب آخر، من جانب إفاقة محمد - ﷺ - لتلقيها. وهو يعلم من ربه هذا، قائل هذه الكلمة. ما هو؟ ما عظمتها؟ ما دلالة كلماتها؟ ما مداها؟ ما صداها؟ ويعلم من هو إلى جانب هذه العظمة المطلقة، التي يدرك هو منها مالا يدركه أحد من العالمين.

إن إفاقة محمد - ﷺ - لتلقي هذه الكلمة، من هذا المصدر، وهو ثابت، لا ينسحق تحت ضغطها الهائل - ولو أنها ثناء - ولا تتأرجح شخصيته تحت وقعها وتضطرب.. لتلقيه لها في طمأنينة وفي تماسك وفي توازن.. هو ذاته دليل على عظمة شخصيته فوق كل دليل.

ولقد رويت عن عظمة خلقه في السيرة، وعلى لسان أصحابه روايات منوعة كثيرة. وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روي عنه. ولكن هذه الكلمة أعظم بدالاتها من كل شيء آخر. أعظم بصدورها عن العلي الكبير.

وأعظم بتلقي محمد لها وهو يعلم من هو العلي الكبير، وبقائه بعدها ثابتاً راسخاً مطمئناً. لا يتكبر على العباد، ولا ينتفخ، ولا يتعاضم، وهو الذي سمع ما سمع من العلي الكبير! والله

٢٢١ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٠٢ - ٣٠٣

أعلم حيث يجعل رسالته. وما كان إلا محمد - ﷺ - بعظمة نفسه هذه - من يحمل هذه الرسالة الأخيرة بكل عظمتها الكونية الكبرى. فيكون كفتا لها، كما يكون صورة حية منها.

إن هذه الرسالة من الكمال والجمال، والعظمة والشمول، والصدق والحق، بحيث لا يحملها إلا الرجل الذي يثني عليه الله هذا الثناء. فتطبيق شخصيته كذلك تلقي هذا الثناء. في تماسك وفي توازن، وفي طمأنينة.

طمأنينة القلب الكبير الذي يسع حقيقة تلك الرسالة وحقيقة هذا الثناء العظيم. ثم يتلقى - بعد ذلك - عتاب ربه له ومؤاخذته إياه على بعض تصرفاته، بذات التماسك وذات التوازن وذات الطمأنينة. ويعلن هذه كما يعلن تلك، لا يكتف من هذه شيئاً ولا تلك.. وهو هو في كلتا الحالتين النبي الكريم. والعبد الطائع. والمبلغ الأمين.

إن حقيقة هذه النفس من حقيقة هذه الرسالة. وإن عظمة هذه النفس من عظمة هذه الرسالة. وإن الحقيقة المحمدية كالحقيقة الإسلامية لأبعد من مدى أي مجهر يملكه بشر. وقصارى ما يملكه راصد لعظمة هذه الحقيقة المزدوجة أن يراها ولا يحدد مداها. وأن يشير إلى مسارها الكوني دون أن يحدد هذا المسار! ومرة أخرى أحد نفسي مشدوداً للوقوف إلى جوار الدلالة الضخمة لتلقي رسول الله - ﷺ - لهذه الكلمة من ربه، وهو ثابت راسخ متوازن مطمئن الكيان.. لقد كان - وهو بشر - يثني على أحد أصحابه، فيهتز كيان صاحبه هذا وأصحابه من وقع هذا الثناء العظيم. وهو بشر وصاحبه يعلم أنه بشر. وأصحابه يدركون أنه بشر. إنه نبي نعم. ولكن في الدائرة المعلومة الحدود. دائرة البشرية ذات الحدود.. فأما هو فيتلقى هذه الكلمة من الله. وهو يعلم من هو الله. هو بخاصة يعلم من هو الله! هو يعلم منه ما لا يعلمه سواه. ثم يصطر ويتماسك ويتلقى ويسير... إنه أمر فوق كل تصور وفوق كل تقدير!!!

إنه محمد - وحده - هو الذي يرقى إلى هذا الأفق من العظمة.. إنه محمد - وحده - هو الذي يبلغ قمة الكمال الإنساني المجانس لنفخة الله في الكيان الإنساني. إنه محمد - وحده - هو الذي يكافئ هذه الرسالة الكونية العالمية الإنسانية حتى لتمثل في شخصه حية، تمشي

على الأرض في إهاب إنسان .. إنه محمد - وحده الذي علم الله منه أنه أهل لهذا المقام. والله أعلم حيث يجعل رسالته - وأعلن في هذه أنه على خلق عظيم. وأعلن في الأخرى أنه - جل شأنه وتقدست ذاته وصفاته، يصلي عليه هو وملائكته «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ».

وهو - جل شأنه - وحده القادر على أن يهب عبدا من عباده ذلك الفضل العظيم .. ثم إن لهذه اللفتة دلالتها على تمجيد العنصر الأخلاقي في ميزان الله وأصالة هذا العنصر في الحقيقة الإسلامية كأصالة الحقيقة الحمديّة.

والناظر في هذه العقيدة، كالناظر في سيرة رسولها، يجد العنصر الأخلاقي بارزا أصيلا فيها، تقوم عليه أصولها التشريعية وأصولها التهذيبية على السواء .. الدعوة الكبرى في هذه العقيدة إلى الطهارة والنظافة والأمانة والصدق والعدل والرحمة والبر وحفظ العهد، ومطابقة القول للفعل، ومطابقتها معا للنية والضمير والنهي عن الجور والظلم والخداع والغش وأكل أموال الناس بالباطل، والاعتداء على الحرمات والأعراض، وإشاعة الفاحشة بأية صورة من الصور .. والتشريعات في هذه العقيدة لحماية هذه الأسس وصيانة العنصر الأخلاقي في الشعور والسلوك، وفي أعماق الضمير وفي واقع المجتمع. وفي العلاقات الفردية والجماعية والدولية على السواء.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - ﷺ : «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^{٢٢٢}... فالرسول ﷺ فيلخص رسالته في هذا الهدف النبيل.

وتتوارد أحاديثه تترى في الحض على كل خلق كريم، وتقوم سيرته الشخصية مثالا حيا وصفحة نقية، وصورة رفيعة، تستحق من الله أن يقول عنها في كتابه الخالد: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» .. فيمجد بهذا الثناء نبيه - ﷺ - كما يمجد به العنصر الأخلاقي في منهجه الذي جاء به هذا النبي الكريم، ويشد به الأرض إلى السماء، ويعلق به قلوب الراغبين إليه - سبحانه - وهو يدلهم على ما يجب ويرضى من الخلق القويم.

^{٢٢٢} - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (١٠ / ١٩١) (٢١٣٠١) صحيح

وهذا الاعتبار هو الاعتبار الفذ في أخلاقية الإسلام. فهي أخلاقية لم تنبع من البيئة، ولا من اعتبارات أرضية إطلاقاً وهي لا تستمد ولا تعتمد على اعتبار من اعتبارات العرف أو المصلحة أو الارتباطات التي كانت قائمة في الجليل. إنما تستمد من السماء وتعتمد على السماء. تستمد من هتاف السماء للأرض لكي تتطلع إلى الأفق.

وتستمد من صفات الله المطلقة ليحققها البشر في حدود الطاقة، كي يحققوا إنسانيتهم العليا، وكي يصبحوا أهلاً لتكريم الله لهم واستخلافهم في الأرض وكي يتأهلوا للحياة الرفيعة الأخرى: «فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ».. ومن ثم فهي غير مقيدة ولا محدودة بحدود من أي اعتبارات قائمة في الأرض إنما هي طليقة ترتفع إلى أقصى ما يطيقه البشر، لأنها تتطلع إلى تحقيق صفات الله الطليقة من كل حد ومن كل قيد.

ثم إنها ليست فضائل مفردة: صدق. وأمانة. وعدل. ورحمة. وبر... إنما هي منهج متكامل، تتعاون فيه التربية التهذيبية مع الشرائع التنظيمية وتقوم عليه فكرة الحياة كلها واتجاهاتها جميعاً، وتنتهي في خاتمة المطاف إلى الله. لا إلى أي اعتبار آخر من اعتبارات هذه الحياة! وقد تمثلت هذه الأخلاقية الإسلامية بجمالها وتوازنها واستقامتها واطرادها وثباتها في محمد - ﷺ - وتمثلت في ثناء الله العظيم، وقوله: «وَأِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ».. ٢٢٣ القبيح. ٢٢٤

المطلب الثاني: أنواع الأخلاق النبوية للأطفال:

(١) خلق الحياء:

" إن ما يتوج الأخلاق كلها خلق الحياء، لأنه من أقوى البواعث على الاتصاف بما هو حسن واجتناب ما هو قبيح وبالتالي فإنه يقود صاحبه إلى أن يسلك مدارج الكمال والفضيلة، ومن ثم يرقى في أعين الناس ويكسب المثوبة منه تعالى، والحياء أول قوة يشدد عليها المرءون لأنها تدل على العقل، وعلى أن الولد قد أحسن القبيح، وبالتالي فإن إحساسه

٢٢٣ - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٦٥٦)

٢٢٤ - إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٢٧٥

ذلك يجنبه الوقوع في قبائح الفعال والأقوال، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « دَعَهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ »^{٢٢٥} .

والحياء ليس هو التغير والانكسار الذي يعتري الإنسان من خوف يندم عليه، ولكن يتمثل في أمور: حفظ الحواس، حفظ البطن من الشراهة، ترك ما حرم الله من زينة الدنيا، فعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ " قَالَ: قُلْنَا: إِنَّا نَسْتَحْيِي اللَّهَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ، وَمَا وَعَى وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ، وَمَا حَوَى وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْأَخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ " ^{٢٢٦}

لذا يجب على الآباء والمربين أن يأخذوا أبناءهم بهذا الخلق، وأن يتخيروا لهم الأصدقاء مما اتصفوا بصفة الحياء والأخلاق الحسنة، وعلى المربي أن يكون حكيماً؛ فلا يبالغ في أخذ الناشئين لهذا الخلق إلى حد يصل بهم إلى الخجل وضعف الشخصية، وإنما حياء يعمل على ارتياد النفس إلى معالي الأمور واقتحام المشاق والجرأة في الحق " ^{٢٢٧}.

(٢) خلق الصدق والتحرز من الكذب :

الصدق: صدق فلان في الحديث: أخبر بالواقع ^{٢٢٨}
والكذب: خلاف الصدق ^{٢٢٩}

" إن الصدق دعامة الفضائل، ومظهر من مظاهر السلوك النظيف ودليل الكمال وعنوان الرقي، بالصدق توطن الثقة بين الأفراد والجماعات، لا يستغني عنه حاكم ولا تاجر، ولا رجل ولا امرأة ولا صغير ولا كبير. " ^{٢٣٠}

^{٢٢٥} - صحيح البخارى - المكثر - (٢٤)

^{٢٢٦} - شعب الإيمان - (١٣ / ١٤٠) (١٠٠٧٧) حسن

وضعفه الشيخ ناصر الدين الألبان - رحمه الله - في المشكاة (١٦٠٨) دون أن ينتبه أنه حسنه في صحيح الجامع (٩٣٥) !

^{٢٢٧} - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٤٦-٣٤٧

^{٢٢٨} - إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٥٣٦

^{٢٢٩} - المصدر نفسه، ص ٨١٦

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } (١١٩) سورة التوبة
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ، وَرَاقِبُوهُ بَأْدَاءِ فَرَائِضِهِ وَوَاجِبَاتِهِ، وَاجْتَنَابِ نَوَاهِيهِ، وَأَصْدُقُوا
 وَالزَّمُوا الصِّدْقَ تَكُونُوا أَهْلَهُ، وَتَنَجُّوا مِنَ الْمَهَالِكِ، وَيَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرْجًا مِنْ أُمُورِكُمْ
 وَمَخْرَجًا. ٢٣١

والصدق " يولد في النفوس الطمأنينة والسكينة، بينما الكذب فإنه يورث القلق
 والاضطراب" ٢٣٢

والصدق يهدي إلى البر والجنة، فعن عبد الله قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَلَيكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ
 الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ
 صِدْقًا، وَإِنَّ الْكُذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ
 حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا. ٢٣٣

" وإذا كانت التربية الفاضلة في نظر المربين تعتمد على القدوة الصالحة، فجدير بكل مرب
 مسؤول ألا يكذب على أطفاله بحجة إسكاتهم من بكاء، أو ترغيبهم في أمر أو تسكيتهم
 من غضب، فإنهم إن فعلوا ذلك يكونون قد عودوهم عن طريق الإيحاء والمحاكاة والقدوة
 السيئة على أفبح العادات، وأرذل الأخلاق ألا وهي رذيلة الكذب" ٢٣٤

وعلى أن نغرس فيهم أنه لا يوجد كذبة بيضاء وكذبة نيسان، فالكذب هو الكذب، إلا في
 ثلاثة حالات معينة قد نص عليها الشرع، فعن أبي أيوب رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ: لَا يَجِلُّ الْكُذْبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الرَّجُلُ يَكْذِبُ امْرَأَتَهُ يُرْضِيهَا بِذَلِكَ، وَقَالَ النَّبِيُّ
 ﷺ: الْحَرْبُ خُدْعَةٌ، وَالرَّجُلُ يَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ يُصْلِحُ بَيْنَهُمَا. ٢٣٥

٢٣٠ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٥٠
 ٢٣١ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٣٥٥)
 ٢٣٢ - حلي، عبد الحميد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٣٠
 ٢٣٣ - صحيح مسلم - المكثر - (٦٨٠٥) وصحيح ابن حبان - (١ / ٥٠٩) (٢٧٤)
 ٢٣٤ - علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج١/١٨٤. وانظر إلى الخدش، جاد الله بن حسن، المهذب
 المستفاد لتربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، ص ٧٦-٧٧
 ٢٣٥ - مسند أبي عوانة (٥٢٥٧) صحيح

قال الشيخ: هذه أمور قد يضطر الإنسان فيها إلى زيادة القول ومجاوزة الصدق طلباً للسلامة ودفعاً للضرر عن نفسه، وقد رخص في بعض الأحوال في اليسير من الفساد لما يؤمل فيه من الصلاح. والكذب في الإصلاح بين اثنين هو أن ينمي من أحدهما إلى صاحبه خيراً أو يبلغه جميلاً وإن لم يكن سمعه منه ولا كان إذناً له فيه يريد بذلك الإصلاح. والكذب في الحرب هو أن يظهر من نفسه قوة ويتحدث بما يشحذ به بصيرة أصحابه ويقوي منتهم ويكيد به عدوهم في نحو ذلك من الأمور.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال الحرب خدعة وكان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كثيراً ما يقول في حروبه صدق الله ورسوله فيتوهم أصحابه أنه يحدث عن رسول الله ﷺ وكان يقول إنما أنا رجل محارب.

فأما كذب الرجل زوجته فهو أن يعدها ويمنيها ويظهر لها من المحبة أكثر مما في نفسه يستدبر بذلك محبتها ويستصلح به خلقها. ^{٢٣٦}

وَمِنْهُ: الْكَذِبُ لِدَفْعِ ظَالِمٍ عَلَى مَالٍ لَهُ أَوْ لِعَيْبِهِ أَوْ عَرِضٍ، وَفِي سِتْرِ مَعْصِيَةٍ مِنْهُ أَوْ مِنْ غَيْرِهِ. وَقَدْ نُقِلَ عَنِ النَّوَوِيِّ: الظَّاهِرُ إِبَاحَةُ حَقِيقَةِ الْكَذِبِ فِي الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ، وَلَكِنَّ التَّعْرِيفَ أَوْلَى. ^{٢٣٧}

لماذا يكذب الأطفال؟:

- " قد يكذب الطفل تحدياً لوالديه اللذين يعاقبانه بشدة، فهو يكذب هرباً من العقاب.

- وقد يكذب مازحاً مع أصدقائه بُغية الفكاهة.

- وقد يكذب الطفل الذي يشعر بالنقص لكي يستدرّ عطف المحيطين به .

- وقد يدعي أنه مريض، لأنه لا يريد الذهاب إلى المدرسة. " ^{٢٣٨} وغير ذلك

ولكي نُخلِّص الأبناء من عادات الكذب:

- " نحدّثه عن الصدق وأهميته دون إكراه أو ضغط، نشعره بالعطف والمحبة ونشجع فيه الثقة

بالنفس ونُبصِّره بأهمية الأمانة والصدق فيما يقوله ويفعله ونذكر له أحاديث الرسول -

^{٢٣٦} - معالم السنن للخطابي ٢٨٨ - (٤ / ١٢٣)

^{٢٣٧} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (١١ / ٢٥٦)

^{٢٣٨} - حسان شمسي باشا، كيف تربي أبنائك في هذا الزمان، ص ١١٦-١١٧

ﷺ - التي تحت على الصدق، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّهُ قَالَ: دَعَنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيَهُ؟ قَالَتْ: تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كَذِبَةٌ. ٢٣٩
وَعَنْ قَيْسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبُ الْإِيمَانِ. ٢٤٠
-ومن أخطر الأمور أن يعترف الطفل بخطئه ثم يعاقبه بعد اعترافه فكأننا نعاقبه على الصدق، وندفع الطفل دفعاً إلى الكذب " ٢٤١

(٣) الأمانة والاحترام من الخيانة :

الأمانة: الوفاء ٢٤٢

" كشف الحق أن الأمانة دعامة بقاء الإنسان ومستقر أساس الحكومات وروح العدالة وحدها وهي أحد عناصر تكامل الشخصية " ٢٤٣
قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} (٥٨) سورة النساء
يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَىٰ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا. وَأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ يَشْمَلُ جَمِيعَ الْأَمَانَاتِ الْوَاجِبَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ: مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ...) وَمِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ (كَالْوَدَائِعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُؤْتَمَنُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ بِيَدِ أَصْحَابِهَا وَتَأْتِقَ وَبَيِّنَاتٍ عَلَيْهَا) . هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي عُمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، فَقَدْ كَانَتْ لَهُ حِجَابَةُ الْكَعْبَةِ . وَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ مَكَّةَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ طَافَ الرَّسُولُ ﷺ بِالْكَعْبَةِ، ثُمَّ دَعَا بِعُمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، وَأَخَذَ مِنْهُ مُفْتَاخَ الْكَعْبَةِ وَدَخَلَهَا . فَجَاءَهُ الْعَبَّاسُ (وَقِيلَ بَلْ جَاءَهُ عَلِي)

٢٣٩ - مصنف ابن أبي شيبة - (١٣ / ١٥٣) (٢٦١٢٢) حسن

٢٤٠ - مصنف ابن أبي شيبة - (١٣ / ١٥١) (٢٦١١٥) صحيح

٢٤١ - المصدر نفسه، ص ١١٧-١١٨

٢٤٢ - إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٤٨

٢٤٣ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٥٥

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْمَعْ لَنَا حَجَابَةَ الْكَعْبَةِ مَعَ السَّقَايَةِ . فَدَعَا رَسُولَ اللَّهِ بَعْثَمَانَ بْنَ أَبِي طَلْحَةَ وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْمِفْتَاحَ، وَخَرَجَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ .

وَيَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَحْكُمُوا بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ، وَأَنْ يَكُونَ الْعَدْلُ عَاماً لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَلِكُلِّ أَحَدٍ، وَأَنْ لَا يَمْنَعَهُمْ مِنْ إِقَامَةِ الْعَدْلِ حَقْدٌ أَوْ كَرَاهِيَةٌ أَوْ عَدَاوَةٌ .

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ، وَيَعِظُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ الشَّرْعُ الْكَامِلُ، وَفِيهِ خَيْرُهُمْ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِقَوْلِ الْعِبَادِ، بَصِيرٌ بِأَفْعَالِهِمْ، فَيَجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِمَا يَسْتَحِقُّ .^{٢٤٤}

ومن مجالات الأمانة :

(١) والأمانات تبدأ من الأمانة الكبرى .. الأمانة التي ناط الله بها فطرة الإنسان والتي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها «الإنسان» .. أمانة الهداية والمعرفة والإيمان بالله عن قصد وإرادة وجهد واتجاه. فهذه أمانة الفطرة الإنسانية خاصة. فكل ما عدا الإنسان ألهمه ربه الإيمان به، والاهتداء إليه، ومعرفته، وعبادته، وطاعته. وألزمه طاعة ناموسه بغير جهد منه ولا قصد ولا إرادة ولا اتجاه. والإنسان وحده هو الذي وكل إلى فطرته، وإلى عقله، وإلى معرفته، وإلى إرادته، وإلى اتجاهه، وإلى جهده الذي يبذله للوصول إلى الله، بعون من الله: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» .. وهذه أمانة حملها وعليه أن يؤديها أول ما يؤدي من الأمانات .

ومن هذه الأمانة الكبرى، تنبثق سائر الأمانات، التي يأمر الله أن تؤدي:

ومن هذه الأمانات: أمانة الشهادة لهذا الدين .. الشهادة له في النفس أولاً. بمجاهدة النفس حتى تكون ترجمة له. ترجمة حية في شعورها وسلوكها. حتى يرى الناس صورة الإيمان في هذه النفس. فيقولوا:

ما أطيب هذا الإيمان وأحسنه وأزكاه وهو يصوغ نفوس أصحابه على هذا المثال من الخلق والكمال! فتكون هذه شهادة لهذا الدين في النفس يتأثر بها الآخرون .. والشهادة له بدعوة الناس إليه، وبيان فضله ومزيبته - بعد تمثل هذا الفضل وهذه المزية في نفس الداعية - فما

^{٢٤٤} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٥١)

يكفي أن يؤدي المؤمن الشهادة للإيمان في ذات نفسه، إذا هو لم يدع إليها الناس كذلك، وما يكون قد أدى أمانة الدعوة والتبليغ والبيان. وهي إحدى الأمانات .. ثم الشهادة لهذا الدين بمحاولة إقراره في الأرض منهجا للجماعة المؤمنة ومنهجا للبشرية جميعا .. المحاولة بكل ما يملك الفرد من وسيلة، وبكل ما تملك الجماعة من وسيلة. فإقرار هذا المنهج في حياة البشر هو كبرى الأمانات بعد الإيمان الذاتي. ولا يعنى من هذه الأمانة الأخيرة فرد ولا جماعة .. ومن ثم ف «الجهاد ماض إلى يوم القيامة» على هذا الأساس .. أداء لإحدى الأمانات ..

ومن هذه الأمانات - الداخلة في ثنايا ما سبق - أمانة التعامل مع الناس ورد أماناتهم إليهم: أمانة المعاملات والودائع المادية. وأمانة النصيحة للرعي وللرعية. وأمانة القيام على الأطفال الناشئة. وأمانة المحافظة على حرمت الجماعة وأموالها وثغراتها ... وسائر ما يجلبه المنهج الرباني من الواجبات والتكاليف في كل مجالي الحياة على وجه الإجمال .. فهذه من الأمانات التي يأمر الله أن تؤدي ويحملها النص هذا الإجمال ..

فأما الحكم بالعدل بين «الناس» فالنص يطلقه هكذا عدلا شاملا «بين الناس» جميعا. لا عدلا بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب. ولا عدلا مع أهل الكتاب، دون سائر الناس .. وإنما هو حق لكل إنسان بوصفه «إنسانا». فهذه الصفة - صفة الناس - هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني. وهذه الصفة يلتقي عليها البشر جميعا: مؤمنين وكفاراً. أصدقاء وأعداء. سودا وبيضاً. عربا وعجماً. والأمة المسلمة قيمة على الحكم بين الناس بالعدل - متى حكمت في أمرهم - هذا العدل الذي لم تعرفه البشرية قط - في هذه الصورة - إلا على يد الإسلام، وإلا في حكم المسلمين، وإلا في عهد القيادة الإسلامية للبشرية .. والذي افتقدته من قبل ومن بعد هذه القيادة فلم تذق له طعما قط، في مثل هذه الصورة الكريمة التي تتاح للناس جميعا.

لأنهم «ناس»! لا لأية صفة أخرى زائدة عن هذا الأصل الذي يشترك فيه «الناس»! وذلك هو أساس الحكم في الإسلام كما أن الأمانة - بكل مدلولاتها - هي أساس الحياة في المجتمع الإسلامي.

والتعقيب على الأمر بأداء الأمانات إلى أهلها والحكم بين الناس بالعدل هو التذكير بأنه من وعظ الله - سبحانه - وتوجيهه. ونعم ما يعظ الله به ويوجه: «إِنَّ اللَّهَ نَعِمًا يَعْظُكُم بِهِ» ..

ونقف لحظة أمام التعبير من ناحية أسلوب الأداء فيه. فالأصل في تركيب الجملة: إنه نعم ما يعظكم الله به .. ولكن التعبير يقدم لفظ الجلالة، فيجعله «اسم إن» ويجعل نعم ما «نعما» ومتعلقاتها، في مكان «خبر إن» بعد حذف الخبر .. ذلك ليوحي بشدة الصلة بين الله - سبحانه - وهذا الذي يعظهم به ..

ثم إنها لم تكن «عظة» إنما كانت «أمرا» .. ولكن التعبير يسميه عظة. لأن العظة أبلغ إلى القلب، وأسرع إلى الوجدان، وأقرب إلى التنفيذ المنبعث عن التطوع والرغبة والحياء! ثم يجيء التعقيب الأخير في الآية يعلق الأمر بالله ومراقبته وحشيتته ورجائه: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا» ..

والتناسق بين المأمور به من التكليف وهو أداء الأمانات والحكم بالعدل بين الناس وبين كون الله سبحانه «سميعاً بصيراً» مناسبة واضحة ولطيفة معا .. فالله يسمع ويصير، قضايا العدل وقضايا الأمانة. والعدل كذلك في حاجة إلى الاستماع البصير وإلى حسن التقدير، وإلى مراعاة الملابسات والظواهر، وإلى التعمق فيما وراء الملابسات والظواهر. وأخيراً فإن الأمر بهما يصدر عن السميع البصير بكل الأمور.^{٢٤٥}

(٢) أمانة إحسان معاملة أفراد الأمة: كأن تكون أميناً على الودائع المستودعة لديك من الأموال أو حفظ أسرار المجتمع فلا تهتك ستره ولا تفشي سره " ٢٤٦" وبالتالي في غرس هذا الخلق في أولادنا لا يخرج جيل به عملاء خائنين لوطنهم ولدينهم.

(٣) أمانة المنصب: فإسناد المناصب العامة يجب أن يكون إلى الأقوياء، والأكفاء المخلصين. وجميع الحقوق المشروعة للحكومة أمانة في عنق الحاكم وهو مسؤول عن حمايتها وتمكينهم منها، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ: فَالْأَمِيرُ رَاعٍ

^{٢٤٥} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٢ / ٦٨٨)

^{٢٤٦} - حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٣٣

عَلَى النَّاسِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ. ٢٤٧

وعن عبد الله بن دينار، أنه سمع ابن عمر، يقول: قال رسول الله ﷺ: كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسْئُولٌ عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ عليهم وهو مسْئُولٌ عنهم، والرجل راعي أهل بيته وهو مسْئُولٌ عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسْئُولَةٌ عنهم، وعبد الرجل راعٍ على مال سيده وهو مسْئُولٌ عنه، فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسْئُولٌ عن رعيته. ٢٤٨

وعن الحسن، قال: عاد عبيد الله بن زياد معقل بن يسار في مرضه الذي مات فيه، فقال معقل: إني محدثك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، لو علمت أن لي حياة ما حدثتك به، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد يستريحه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاشٍ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة. ٢٤٩

" من ذلك يظهر حرص الإسلام على هذا الخلق لأن فقدانهم أو اصر المجتمع ويذهب بقيمه هباءً، ويصبح أفرادهم كائنات غادرة لا تقوم بمسؤولية، ولا ترضى عهداً ولا ذمة. فمن الواجب ترسيخ هذا الخلق الأصيل منذ الطفولة كي ينمو في داخل الفرد ويتعرع، ليصبح أميناً بناءً في حياته، يحمل الخير لنفسه وأهله والناس أجمعين " ٢٥٠

(٤) خلق حفظ السر :

" لقد عني رسول الله ﷺ - بحفظ السر لدى الأطفال، لأن هذا الخلق يسهم في تكوين إرادة الطفل الواعية الفاعلة، لأن الطفل يريد أن يتكلم بما يملك من معارف أو معلومات

٢٤٧ - صحيح البخاري - المكثر - (٨٩٣) وصحيح مسلم - المكثر - (٤٨٢٨) وصحيح ابن حبان - (١٠ / ٣٤١)

(٤٤٨٩)

٢٤٨ - صحيح ابن حبان - (١٠ / ٣٤٣) (٤٤٩١) صحيح

٢٤٩ - صحيح مسلم - المكثر - (٣٨٠) وصحيح ابن حبان - (١٠ / ٣٤٦) (٤٤٩٥)

٢٥٠ - المصدر السابق، (حلي) ص ١٣٤

،فعندما تدربه على حفظ السر فإنه يتدرب على بذل جهد نفسي مخالف لطبائع الطفولة الفطرية، فإذا نما [جعل] حفظ السر فيه، وإن عدداً من الصفات والسجايا تنمو مع هذا الخلق مثل قوة الإرادة وانضباط اللسان ورباطه الجأش، مما يتسبب في غرس الثقة الاجتماعية ونمو بذرة القوة في نفس الناشئة. ٢٥١

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: انْتَهَى إِلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ، وَأَنَا فِي غِلْمَانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدَيَّ، فَأَرْسَلَنِي بِرِسَالَةٍ وَقَعَدَ فِي ظِلِّ جِدَارٍ، أَوْ فِي جِدَارٍ، حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا أَتَيْتُ أُمَّ سُلَيْمٍ، قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِرِسَالَةٍ، قَالَتْ: وَمَا هِيَ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: احْفَظْ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ بَعْدَ أَحَدًا قَطُّ. ٢٥٢

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ الْحَزَّارِ، قَالَ: دَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ أُمَّ سَلَمَةَ، فَقَالُوا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، حَدِّثِينَا عَنْ سِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ: كَانَ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ سَوَاءً، ثُمَّ نَدِمْتُ، فَقُلْتُ: أَفْشَيْتُ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ: فَلَمَّا دَخَلَ أَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: أَحْسَنْتِ. ٢٥٣

وَعَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: تَأَيَّمْتُ حَفْصَةَ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ حُنَيْسِ بْنِ حُدَافَةَ السَّهْمِيِّ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَتُوفِّيَ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ عُمَرُ: فَلَقَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنَّ شَيْئًا أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتُ عُمَرَ، فَقَالَ: سَأَنْظُرُ فِي ذَلِكَ، قَالَ: فَلَبِثْتُ لَيْالِي، فَلَقَيْتُ، فَقَالَ: مَا أُرِيدُ النِّكَاحَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: إِنَّ شَيْئًا أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتُ عُمَرَ، قَالَ: فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ أَوْجَدُ عَلَيْهِ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيْالِي، فَخَطَبَهَا إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ، فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا لَمَّا

٢٥١ - حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٣٤. وانظر إلى سهام مهدي

جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٥٨-٣٦٠

٢٥٢ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٦٠٤) (١٣٤٦٩) ١٣٥٠٣ - صحيح

٢٥٣ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ٦٢٢) (٢٦٦٣٧) ٢٧١٧٢ - صحيح

عَرَضْتَ عَلَيَّ، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُهَا، وَلَمْ أَكُنْ أَفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَوْ تَرَكْتُهَا لَنَكَحْتُهَا. ٢٥٤

(٥) العفو والتواضع:

" إن الأخلاق الإسلامية شملت كل مناحي الحياة وما من خلق إلا يسهم في بناء المجتمع في جانب من جوانب الحياة، فإذا ما تمسك الأفراد والمجتمع بأخلاق الإسلام؛ أصبح قوياً تسوده الأخوة.

وخلق العفو والتواضع والتسامح واحد من هذه الركائز التي إذا ما اعتمد عليها انتصر المرء بما على أهوائه ونزواته، ونمت فيه نوازع الرحمة والخير والصفح والمغفرة ٢٥٥

إن العفو من الآداب التي اتصف بها رسول الله ﷺ - قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (سورة آل عمران).

لَقَدْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِكَ مَا يَسْتَحِقُّ الْمَلَأَةَ وَالتَّعْنِيفَ، بِمُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ، إِذْ تَخَلَّوْا عَنْكَ حِينَ اشْتَدَّ الْحَرْبُ، وَشَمَّرُوا لِلْهَزِيمَةِ وَالْحَرْبِ قَائِمَةً، وَمَعَ ذَلِكَ لِنْتَ لَهُمْ، وَعَامَلْتَهُمْ بِالْحُسْنَى، لِرَحْمَةٍ أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِي قَلْبِكَ، وَحَصَّكَ بِهَا. وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ. ثُمَّ قَالَ لَوْ كُنْتَ حَسِنًا جَافِيًا فِي مُعَامَلَتِهِمْ لَتَفَرَّقُوا عَنْكَ، وَلَتَفَرَّوْا مِنْكَ، وَلَمْ يَسْكُنُوا إِلَيْكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ جَمَعَهُمْ عَلَيْكَ، وَأَلَانَ جَانِبَكَ لَهُمْ تَأْلَفًا لِقُلُوبِهِمْ. ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَهَفَوَاتِهِمْ، وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ اللَّهُ، وَأَنْ يُشَاوِرَهُمْ فِي الْأَمْرِ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ، وَشَجْدًا لِهَمَمِهِمْ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ. فَإِذَا شَاوَرْتَهُمْ فِي الْأَمْرِ، وَعَزَمْتَ عَلَىٰ إِنْغَاذِهِ، فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فِيهِ، لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَيَتَّقُ بِنَصْرِهِ. ٢٥٦

٢٥٤ - صحيح ابن حبان - (٩ / ٣٤٧) (٤٠٣٩) صحيح

٢٥٥ - المصدر نفسه، (حلي) ص ١٣٥

٢٥٦ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٥٢)

" إن المتواضعين هم أهل الله والمتكبرين ليس لهم من بره حظ ولا نصيب، لأن الكبرياء
صفة مختصة بالله وحده " ٢٥٧

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً يَرْفَعُهُ اللَّهُ دَرَجَةً، حَتَّى
يَجْعَلَهُ فِي أَعْلَىٰ عِلِّيِّينَ، وَمَنْ يَتَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً يَضَعُهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّىٰ يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ
السَّافِلِينَ، وَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ صَمَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ بَابٌ وَلَا كُوَّةٌ، لَخَرَجَ مَا غَيْبَهُ
لِلنَّاسِ كَأَنَّ مَا كَانَ ٢٥٨ .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَوْلُهُ ﷺ: مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً يُرِيدُ بِهِ مَنْ تَوَاضَعَ لِلْمَخْلُوقِينَ
فِي اللَّهِ، فَأَضْمَرَ الْخَلْقَ فِيهِ، وَقَوْلُهُ: وَمَنْ يَتَكَبَّرُ أَرَادَ بِهِ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ فَأَضْمَرَ الْخَلْقَ فِيهِ إِذِ
الْمُتَكَبِّرُ عَلَى اللَّهِ كَافِرٌ بِهِ.

قَالَ أَبُو عُثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ: سَمِعْتُ ذَا الثُّونِ بْنَ إِبرَاهِيمَ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ: مَنْ أَرَادَ التَّوَاضُعَ
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ لَهُ: أَفْهَمَ مَا أَلْقَىٰ إِلَيْكَ رَحِمَكَ اللَّهُ، مَنْ أَرَادَ التَّوَاضُعَ فَلْيُوجِّهْ نَفْسَهُ
إِلَىٰ عِظْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّهَا تَذُوبُ وَتَصْغُرُ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَىٰ سُلْطَانِ اللَّهِ ذَهَبَ سُلْطَانُ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ
النُّفُوسَ كُلَّهَا حَقِيرَةٌ عِنْدَ هَيْبَتِهِ، وَمَنْ أَشْرَفَ التَّوَاضِعُ أَنْ لَا يَنْظُرَ الْعَبْدُ إِلَىٰ نَفْسِهِ دُونَ
اللَّهِ، وَمَعْنَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: " مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ "، يَقُولُ: مَنْ تَدَلَّلَ بِالْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ إِلَى
اللَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ، يَعْنِي بِاللِّانْقِطَاعِ إِلَيْهِ ٢٥٩

وَعَنْ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الْخِيَارِ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَ اللَّهُ
حِكْمَتَهُ، وَقَالَ: ائْتَعَشْ نَعَشَكَ اللَّهُ، فَهُوَ فِي نَفْسِهِ صَغِيرٌ وَفِي أَنْفُسِ النَّاسِ كَبِيرٌ، وَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا
تَعَظَّمَ وَعَدَا طَوْرَهُ وَهَضَهُ اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ، وَقَالَ اخْسَأْ خَسَأَكَ اللَّهُ، فَهُوَ فِي نَفْسِهِ كَبِيرٌ وَفِي
أَنْفُسِ النَّاسِ صَغِيرٌ حَتَّىٰ لَهْوٍ أَحْفَرُ عِنْدَهُ مِنْ خَنْزِيرٍ. ٢٦٠

٢٥٧ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٦١

٢٥٨ - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٤٩١) (٥٦٧٨) حسن

٢٥٩ - شعب الإيمان - (١٠ / ٥٠٢) (٧٨٧٩)

٢٦٠ - مصنف ابن أبي شيبة - (١٩ / ١٤٤) (٣٥٦٠٢) صحيح

وعن الزهري، قال: أخبرني أنس بن مالك قال: كنا جُلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: " يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة " فطلع رجلٌ من الأنصار، تنطفُ لحيته من وضوئه، قد تعلق نعليه في يده الشمال، فلما كان العُد، قال النبي ﷺ، مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى. فلما كان اليوم الثالث، قال النبي ﷺ، مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لأحيتُ أبي فاقسمتُ أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت؟ قال: نعم. قال أنس: وكان عبد الله يحدثُ أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئاً، غير أنه إذا تعارَّ وتقلب على فراشه ذكر الله عزَّ وجلَّ وكبر، حتى يقوم لصلاة الفجر. قال عبد الله: غير أنني لم أسمعهُ يقولُ إلَّا خيراً، فلما مضت الثلاث ليلٍ وكذتُ أن أحقرَ عمله، قلتُ: يا عبد الله إني لم يكن بيني وبين أبي غضبٌ ولا هجرٌ ثم، ولكن سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ لك ثلاثٍ مراراً: " يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة " فطلعتُ أنت الثلاث مراراً، فأردتُ أن آوي إليك لأنظرَ ما عملك، فأفتدي به، فلم أركُ تعملُ كثيراً عملاً، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ، فقال: ما هو إلَّا ما رأيت. قال: فلما وليتُ دعائي، فقال: ما هو إلَّا ما رأيت، غير أنني لا أجدُ في نفسي لأحدٍ من المسلمين غشاً، ولا أحسدُ أحداً على خيرٍ أعطاه الله إياه. فقال عبد الله هذه التي بلغت بك، وهي التي لا

تُطبق^{٢٦١}

" فعلينا تنظيف الصدر من الأحقاد لأن الحقد يعني دوام العداوة بين الناس وهذا يخالف هدى الإسلام. والتواضع يُجذّر خلق الحب والود والتراحم " ٢٦٢

المطلب الثالث - التحذير من الأخلاق الهابطة:

هناك عدة أخلاق منتشرة بين الأطفال لا مراعاتها والتحذير منها وهي:

١- خلق الكذب:

٢٦١ - مُسنَدُ أحمدَ بن حنبلٍ (١٢٥٠٢) صحيح

٢٦٢ - حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٣٦

وهو خلق ذميمة فواجب على الآباء والمربين أن يراقبوا أولادهم حتى لا يقعوا في ذلك الخلق الشنيع.

ويكفي الكذب تشنيعاً وتقبيحاً أن عده الإسلام من خصال النفاق فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهَا كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ. "٢٦٣".

٢- خلق السرقة:

وهو لا يقل خطراً عن الكذب، وهو منتشر في البيئات المتخلفة التي لم تتخلق بأخلاق الإسلام، ولم تترب على مبادئ التربية والإيمان. ومن المعلوم بداهة أن الطفل منذ نشأته إن لم ينشأ على مراقبة الله والخشية منه، وأن يتعود على الأمانة وأداء الحقوق، فإن الولد - لاشك - سيدرج على الغش والسرقة والخيانة، وأكل الأموال بغير حق، بل يكون شقياً مجرمًا، يستجير منه المجتمع، ويستعيد من سوء فعالة الناس لهذا كان لزاماً على الآباء أن يغرّسوا في نفوس أبنائهم عقيدة المراقبة لله، والخشية منه، وأن يعرفوهم بالنتائج الوخيمة التي تنجم عن السرقة وتستفحل بسبب الغش والخيانة.

٣- خلق السباب والشتائم:

وهو خلق قبيح منتشر في محيط الأولاد خاصة من تربوا بعيداً عن هدى القرآن، والالتزام بالإسلام.

يقول الشيخ عبد الله علوان رحمه الله: "والسبب في انتشار ظاهرة السباب والشتائم. بين الأولاد يعود إلى أمرين:
الأول: القدوة السيئة:

٢٦٣ - صحيح ابن حبان - (١ / ٤٨٨) (٢٥٤) وصحيح البخاري - المكثر - (٣٤) وصحيح مسلم - المكثر -

فالولد حينما يسمع من أبويه كلمات الفحش والسباب وألفاظ الشتيمة والمنكر.. فإن الولد - لاشك - سيحاكي كلماتهم، ويتعود ترداد ألفاظهم. فلا يصدر منه في النهاية إلا كلام فاحش، ولا يتلفظ إلا بمنكر القول وزوره.

الثاني: الخلطة الفاسدة:

فالولد الذي يُلقى للشارع، ويُترك لقرناء السوء، ورفقاء الفساد، فمن البديهي أن يتلقن منهم لغة اللعن.

لهذا كله وجب على الآباء والأمهات والمربين جميعاً أن يعطوا للأولاد القدوة الصالحة في حسن الخطاب، وتهذيب اللسان، وجمال اللفظ والتعبير كما يجب عليهم أن يجنبوهم لعب الشارع، وصحبة الأشرار، وقرناء السوء - حتى لا يتأثروا من انحرافهم ويكتسبوا من عاداتهم.

ويجب عليهم كذلك أن يصروهم مغبة آفات اللسان ونتيجة البذاءة في تحطيم الشخصية، وسقوط المهابة، وإثارة البغضاء والأحقاد بين أفراد المجتمع.

ويمكنك أن تُلقي على أسماعهم بعض الأحاديث التي تنهى عن اللعن والسب فعَنْ زُبَيْدٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنِ الْمُرْجَةِ، فَقَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ « سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » ٢٦٤ ..

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضى الله عنهما - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قَالَ « يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ » ٢٦٥ .

٤ - خلق الميوعة والانحلال:

يقول الشيخ عبد الله علوان: "أما ظاهرة الميوعة والانحلال فهي من أقبح الظواهر التي تفشت بين أولاد المسلمين وبناتهم في هذا العصر الذي يلعب بالقرن العشرين، فحيثما أجلت النظر تجد كثيراً من المراهقين الشباب والمراهقات الشابات قد انساقوا وراء التقليد

٢٦٤ - صحيح البخارى - المكثر - (٤٨) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٣٠)

٢٦٥ - صحيح البخارى - المكثر - (٥٩٧٣)

الأعمى، وانخرطوا في تيار الفساد والإباحية دون رادع من دين، أو وازع من ضمير، كأن الحياة في تصورهم عبارة عن متعة زائلة، وشهوة هابطة، ولذة محرمة، فإذا ما فاتهم هذا فعلى الدنيا السلام.

وقد ظن بعض ذوي العقول الفارغة أن آية النهوض بالرقص الماجن، وعلامة التقدم بالاحتلاط الشائن، ومقياس التجديد بالتقليد الأعمى، فهؤلاء قد انهزموا من نفوسهم، وانهزموا من ذوات شخصياتهم وإرادتهم قبل أن يهزموا في ميادين الكفاح والجهاد.

فترى الواحد من هؤلاء ليس له هم في الحياة إلا أن يتخنفس في مظهره، وأن يتخلع في مشيته، وأن يتصنع في منطقه، وأن يبحث عن ساقطة مثله ليذبح رجولته عند قدمها، ويقتل شخصيته في التودد إليها.. وهكذا يسير من فساد إلى فساد، ومن ميوعة إلى ميوعة حتى يقع في نهاية المطاف في الهاوية التي فيها دماره، وهلاكه.

ومن هنا يتعين على المرابي أن يهذب أخلاق الولد وأن يعده عن صحبة السوء وأن يربطه بالصحبة الطيبة، وعليه أيضاً أن يباشر الولد فإذا وجد منه اعوجاجاً سارع بتقويمه قبل أن يتأصل فيه.^{٢٦٦}

ورحم الله من قال:

كل من أهمل ذاتيته فهو أولى الناس طرّاً بالفناء
لن يرى من الدهر شخصيته كل من قلّد عيش الغرباء

المطلب الرابع: أنواع الآداب النبوية للأطفال :

أدب الله عباده بآداب كثيرة، وهذه الآداب حلية المسلم تزين نفسه الباطنة، وأفعاله الظاهرة.

والأدب استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً، وعبر بعضهم عنه بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق.. والأدب مأخوذ من المأدبة وهي الدعوة إلى الطعام، سمي بذلك لأنه يدعي إليه .

^{٢٦٦} - تربية الأولاد في الإسلام لعلوان - (١ / ١٣٥)

وترتبط الآداب بالعقيدة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً، ذلك أن العقيدة هي التي تحفز الإنسان نحو السلوك الطيب، وأن انتفاء العقيدة عنده سيقود إلى كل الاحتمالات السلبية والتفكك والانحراف، وبناء على ذلك فإن الآداب الإسلامية هي وليدة العقيدة التي تستقر في قلب الإنسان، وهي العامل المحرك المؤثر وبدون ذلك لا مكانة للآداب بغير عقيدة. ولهذا تنقلب الآداب إلى نتائج عكسية تتمثل في السلوك الذميم كالرذائل والفواحش مثلاً، ذلك إذا لم يكن هناك عقيدة ثابتة صحيحة تتهدب معها النفس ويتقوم بها الاعوجاج.^{٢٦٧}

أما الأدب فقيل عنه: "يا بني احرز حظك من الأدب وفرغ له قلبك، فإنه أعظم أن يخالطه دنس، واعلم أنك إذا اقتربت عشت به، وإن تغربت كان لك كالصاحب الذي لا وحشة معه، يا بني الأدب لقاح العقل وذكاء القلب وعنوان الفضل"^{٢٦٨}

"لتكوين الخلق السوي في الطفل ينبغي أن تعلمه الواجبات التي ينبغي عليه القيام بها وهذا التعليم يتم بالقدوة والتربية والتوجيه، والواجبات التي ينبغي على الطفل أدائها ليست إلا الواجبات المعتادة نحو نفسه بالتحلي بالصدق والأمانة والكرامة والحياء....، مما يحافظ على مكانته الإنسانية وواجباته نحو الآخرين من احترام حقوقهم منذ وقت مبكر حتى يكون فاضلاً في تصرفاته محترماً لحقوق الغير"^{٢٦٩}

(١) الأدب مع الله سبحانه وتعالى :

المسلم إذا نظر إلى ما لله تعالى عليه من منن لا تحصى ونعم لا تعد اكتنفته من ساعة علوقه نطفة في رحم أمه وتساييره إلى أن يلقي ربه سبحانه وتعالى فيشكر الله تعالى عليها بلسانه بالثناء عليه بما هو أهله وبجوارحه بتسخيرها في طاعته فيكون هذا أدبا منه مع الله سبحانه وتعالى، إذ ليس من الأدب في شيء كفران النعم وحبود فضل المعمر والتنكر له وإحسانه وإنعامه والله سبحانه يقول: {وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ

^{٢٦٧} - معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه

^{٢٦٨} - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٠٥ بواسطة محمد الديلمي، إرشاد القلوب، ص ١٦٠

^{٢٦٩} - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣١١-٣١٢

تَجَارُونَ} (٥٣) سورة النحل، ويقول سبحانه {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ} (١٨) سورة النحل، ويقول الحق سبحانه {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} (١٥٢) سورة البقرة.

وينظر المسلم إلى علمه تعالى به واطلاعه على جميع أحواله فيمتلئ قلبه منه مهابة ونفسه له وقارا وتعظيما فيخجل من معصيته ويستحي من مخالفته والخروج عن طاعته فيكون هذا أدبا مع الله سبحانه وتعالى، إذ ليس من الأدب في شيء أن يجاهر العبد سيده بالمعاصي أو يقابله بالقبائح والردائل وهو يشهده وينظر إليه قال تعالى: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤)} [نوح: ١٣، ١٤]، وقال تعالى: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} (١٩) سورة النحل

وقال تعالى: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (٦١) سورة يونس.

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ أَحْوَالِ رَسُولِهِ وَأُمُورِهِ، سَوَاءً مِنْهَا مَا هُوَ خَاصٌّ بِهِ، أَوْ مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِشُؤْنِ الدَّعْوَةِ، وَأَنَّهُ لَا يَتْلُو مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مِنْ قُرْآنٍ أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ اللَّهُ تَعَالَى وَتَهَجُّدًا بِهِ، أَوْ تَبْلِيغًا لَهُ لِلنَّاسِ، وَلَا يَقُومُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِمْ، بِعَمَلٍ صَالِحٍ أَوْ غَيْرِ صَالِحٍ، كَبِيرٍ أَوْ صَغِيرٍ، إِلَّا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى رَقِيبًا عَلَيْهِمْ فَيَحْفَظُهُ لَهُمْ، وَيَجْزِيهِمْ بِهِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَغِيبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ صَغُرَ أَوْ كَبُرَ حَتَّى وَلَوْ كَانَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، أَوْ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، فَكُلُّ شَيْءٍ مُحْصَى عِنْدَهُ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ. ٢٧٠

وينظر المسلم إليه تعالى وقد قدر عليه وأخذ بناصيته وأنه لا مفر له ولا مهرب ولا منجأ ولا ملجأ منه إلا إليه فيفر إليه تعالى ويطرح بين يديه ويفوض أمره إليه ويتوكل عليه فيكون هذا أدبا منه مع ربه وخالقه إذ ليس من الأدب في شسء الفرار مما لا مفر منه ولا مهرب ولا الاعتماد على من لا قدره له ولا الاتكال على من لا حول ولا قوة له، قال

٢٧٠ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٤٢٦)

تعالى: {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (٥٦) سورة هود
 إِنِّي وَكَّلْتُ أُمُورِي إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ الْحَقُّ، خَلَقَ الْمَخْلُوقَاتِ كُلَّهَا، وَجَعَلَهَا تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَهُوَ الْحَاكِمُ الْعَادِلُ الَّذِي لَا يَجُوزُ فِي حُكْمِهِ. وَأَفْعَالُهُ تَعَالَى، تَجْرِي عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ فِي مُلْكِهِ .

أَمَّا الْأَصْنَامُ وَالْأَوْثَانُ فَهِيَ حَجَارَةٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا .^{٢٧١}
 وقال: {فَفِرُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} (٥٠) سورة الذاريات
 فَالْجُؤُوا إِلَى اللَّهِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَسْرِعُوا إِلَى طَاعَتِهِ، وَعَاعْتَمِدُوا عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ، فَإِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ، أَنْذَرِكُمْ عِقَابَهُ، وَأَخَوَّفِكُمْ مِنْ عَذَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ بِالْأَمَمِ الْخَالِيَةِ الَّتِي كَذَّبَتْ رُسُلَهَا، وَكَفَرَتْ بِرَبِّهَا، وَإِنِّي مُبِينٌ لَكُم مَّا يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْذَرُوهُ .^{٢٧٢}
 وقال تعالى: {قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (٢٣) سورة المائدة.

وينظر المسلم إلى الطاف الله تعالى به في جميع الأمور وإلى رحمته له ولسائر خلقه فيطمع في المزيد من ذلك فيتضرع له بخالص الضراعة والدعاء ويتوسل إليه بطيب القول وصالح العمل فيكون هذا أدبا مع الله مولاه، إذ ليس من الأدب في شيء اليأس من رحمة التي وسعت كل شيء ولا القنوط من إحسانه الذي قد عم البرايا .

قال تعالى: { وَآكُتِبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } (١٥٦) سورة الأعراف .

وَأُثِبْتُ لَنَا، بِرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ { وَآكُتِبْ لَنَا } حَيَاةً طَيِّبَةً فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، مِنْ عَافِيَةٍ وَبَسْطَةٍ فِي الرِّزْقِ، وَتَوْفِيقٍ لِّطَاعَةٍ، وَمَثُوبَةٍ حَسَنَةٍ فِي الْآخِرَةِ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَنَيْلِ رِضْوَانِكَ، إِنَّنَا تُبْنَا إِلَيْكَ { هُدُنَا إِلَيْكَ } مِمَّا فَرَطَ مِنْ سَفَهَاتِنَا مِنْ عِبَادَةِ الْعِجَلِ، وَمِنْ تَقْصِيرِ الْعُقَلَاءِ مِنَّا فِي

٢٧١ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٥٣٠)

٢٧٢ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٦٠٤)

نَهَيْهِمْ وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ. وَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى دُعَاءِ مُوسَى قَائِلًا: لَقَدْ أُوجِبْتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابِي خَاصًّا أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْعُصَاةِ، الَّذِينَ لَمْ يُتُوبُوا، أَمَّا رَحْمَتِي فَقَدْ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَسَأُنَبِّئُ رَحْمَتِي بِمَشِيئَتِي لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ الْكُفْرَ وَالْمَعَاصِي، وَيُؤَدُّونَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَيُؤْتُونَ الصَّدَقَاتِ الَّتِي تَنَزَّكَى بِهَا نُفُوسُهُمْ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَيُصَدِّقُونَ بِجَمِيعِ آيَاتِي الدَّالَّةِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ، وَيُصَدِّقُونَ رُسُلِي، وَمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ .^{٢٧٣}

وقال تعالى: {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} (١٩) سورة الشورى.

يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ لُطْفِهِ بِعِبَادِهِ سَوَاءٌ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، فَهُوَ يُوسِّعُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَيَدْفَعُ عَمَّنْ يُرِيدُ الْبَلَاءَ، وَهُوَ الْقَوِيُّ الَّذِي لَا يُعَالَبُ، الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُقَهَّرُ .^{٢٧٤}

وقال تعالى على لسان النبي يعقوب عليه السلام: {يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوَسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} (٨٧) سورة يوسف.

وقال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (٥٣) سورة الزمر

قل -أيها الرسول- لعبادي الذين تَمَادَوْا فِي الْمَعَاصِي، وَأَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِإِتْيَانِ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ نَفُوسَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ: لَا تَيَاسُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ؛ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِكُمْ، إِنْ اللَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لِمَنْ تَابَ مِنْهَا وَرَجَعَ عَنْهَا مَهْمًا كَانَتْ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ لَذُنُوبِ التَّائِبِينَ مِنْ عِبَادِهِ، الرَّحِيمُ بِهِمْ.^{٢٧٥}

وينظر المسلم إلى شدة بطش ربه وإلى قوة انتقامه وإلى سرعة حسابه فيتقيه بطاعته ويتوقاه بعدم معصيته فيكون هذا أدبا منه مع الله تعالى. إذ ليس من الأدب عند ذوي الألباب أن يتعرض بالمعصية والظلم العبد الضعيف العاجز للرب العزيز القادر والقوي القاهر وهو

^{٢٧٣} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١١١١)

^{٢٧٤} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤١٧٠)

^{٢٧٥} - التفسير الميسر - (٨ / ٢٧١)

يقول: {لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} (١١) سورة الرعد .

لله تعالى ملائكة يتعاقبون على الإنسان من بين يديه ومن خلفه، يحفظونه بأمر الله ويحسون ما يصدر عنه من خير أو شر. إن الله سبحانه وتعالى لا يغير نعمة أنعمها على قوم إلا إذا غيروا ما أمرهم به فعصوه. وإذا أراد الله بجماعة بلاء فلا مفر منه، وليس لهم من دون الله من وال يتولى أمورهم، فيجلب لهم المحبوب، ويدفع عنهم المكروه.^{٢٧٦}

ويقول: {إِن بَطَشَ رَبُّكَ لَشَدِيدٌ} (١٢) سورة البروج، ويقول: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ} (٤) سورة آل عمران.

وينظر المسلم إلى الله تعالى عند معصيته والخروج عن طاعته وكأن وعيده قد تناوله وعذابه قد نزل به وعقابه قد حل بساحته كما ينظر إليه تعالى عند طاعته واتباع شرعه وكأن وعده قد صدقه له وكأن حلة رضاه قد خلعهما عليه فيكون هذا من المسلم حسن الظن بالله، إذ ليس من الأدب أن يسيء المرء الظن بالله فيعصيه ويخرج عن طاعته ويظن أنه غير مطلع عليه ولا مؤاخذه على ذنبه وهو يقول: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنْنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ} (٢٢) وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنْنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤) { [فصلت: ٢٢ - ٢٤]

كما أنه ليس من الأدب مع الله أن يتقيه المرء ويطيعه ويظن أنه غير مجازيه بحسن عمله ولا هو قابل منه عبادته وطاعته وهو الحق يقول: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} (٥٢) سورة النور، ويقول تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} (١٦٠) سورة الأنعام، ويقول سبحانه: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ

٢٧٦ - التفسير الميسر - (٤ / ٢٢٣)

عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٨٤) سورة القصص، ويقول سبحانه: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٩٧) سورة النحل.

وخلاصة القول إن شكر المسلم ربه على نعمه وحياءه منه تعالى عن الميل إلى معصيته وصدق الأنابة إليه والتوكل عليه ورجاء رحمته والخوف من نعمته وحسن الظن به في إنجاز وعده وإنفاذ وعيده فيمن شاء من عباده هو أدبه مع الله ويقدر تمسكه به ومحافظته عليه تعلو درجته ويرتفع مقامه وتسمو مكانته وتعظم كرامته فيصبح من أهل ولاية الله تعالى ورعايته ومحط رحمته ومترل نعمته، وهذا أقصى ما يطلبه المسلم ويتمناه طوال حياته. فالأدب مع الله هو سلوك الأنبياء والصالحين وإذا كان التأدب مع أصحاب الفضل واجباً فإن من أوجب الواجبات التأدب مع الله سبحانه وتعالى ومن صور التأدب مع الله ما يلي :

الإخلاص :

الإخلاص له سبحانه في العمل قال الله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} (١١٠) سورة الكهف
عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَخَيْرُ إِذَا قَالَ لِلَّهِ وَإِذَا عَمِلَ لِلَّهِ. ^{٢٧٧}
وقال أبو الأشهب: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّ لَكَ سِرًّا، وَإِنَّ لَكَ عَلَانِيَةً، فَسِرُّكَ أَمْلَكُ بِكَ مِنْ عَلَانِيَتِكَ، وَإِنَّ لَكَ عَمَلًا وَإِنَّ لَكَ قَوْلًا فَعَمَلُكَ أَمْلَكُ بِكَ مِنْ قَوْلِكَ. ^{٢٧٨}

الشرك :

الحذر من الوقوع في الشرك صغيرة وكبيرة فهذا مما لا يحبه الله ولا يرضاه قال الله تعالى: (وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) الأنعام ٨٨

الشكر:

شكر نعمته عليك والاعتراف بها قال الله تعالى: (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) النحل ٨٨

^{٢٧٧} - مصنف ابن أبي شيبة - (١٣ / ٥٢٣) (٣٦٤٣٦) صحيح

^{٢٧٨} - مصنف ابن أبي شيبة - (١٣ / ٥٢٣) (٣٦٤٣٧) صحيح

وقوله تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)

إبراهيم ٧

التعظيم:

تعظيمه وتوقيره وتعظيم شعائره قال الله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) الزمر ٦٧، وقال تعالى: (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً) نوح ١٠٣، وقال أيضاً: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) الحج ٣٢

التقوُّل على الله:

عدم القول على الله بغير علم لقوله تعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتُرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) النحل ١١٦

المراقبة:

استشعار مراقبة الله لك في السر والعلانية وأنه مطلع عليك وأنت في ملكه وقبضته قال تعالى: (وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) التغابن ٤

الخشية والإنابة:

الخشية والخوف منه ورجاؤه قال الله تعالى: (فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي) البقرة ١٠٥، وقال سبحانه وتعالى: (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) آل عمران ١٧٥، وقال: (وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً) الإسراء ٧٥

التوبة:

التوبة والإنابة إليه وطلب المغفرة منه قال الله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً) النساء ٦٤

الدعاء:

دعاؤه والتضرع إليه والانكسار بين يديه قال الله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) البقرة . ١٨٦

وقوله عز وجل: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلِلَّةٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) النمل ٦٢

(٢) الأدب مع الرسول ﷺ :

إن المسلم يشعر في قرارة نفسه بوجوب الأدب الكامل مع رسول الله - ﷺ - الذي أكرمنا الله ببعثته وجعلنا من أتباعه لعدة أسباب منها:

١- أن الله تعالى قد أوجب له الأدب عليه الصلاة والسلام على كل مؤمن ومؤمنة؛ وذلك بصريح كلامه عز وجل إذ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات: ١).

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢)

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَعْفَرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الحجرات: ٣).

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا﴾ (الحجرات: ٤-٥).

وقال: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ (النور: ٦٣)

وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ (النور: ٦٢).

٢- أن الله تعالى قد فرض على المؤمنين طاعته وأوجب محبته فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (محمد: ٣٣).

وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧)
 وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل
 عمران: ٣١)

فَمَنْ وَجِبَتْ طَاعَتُهُ وَحُرِمَتْ مَخَالَفَتُهُ لَزِمَ التَّأَدُّبَ مَعَهُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ.

٣- أن الله عز وجل قد حكمه فجعله إماماً وحاكماً قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
 بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ
 فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً
 وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ
 إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٤٨) سورة المائدة

وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ
 حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٦٥) سورة النساء

أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أن هؤلاء لا يؤمنون حقيقة حتى يجعلوك حكاماً فيما وقع
 بينهم من نزاع في حياتك، ويتحاكموا إلى سنتك بعد مماتك، ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقاً
 مما انتهى إليه حكمك، وينقادوا مع ذلك انقياداً تاماً، فالحكم بما جاء به رسول الله ﷺ من
 الكتاب والسنة في كل شأن من شؤون الحياة من صميم الإيمان مع الرضا والتسليم.^{٢٧٩}

وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ
 اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١) سورة الأحزاب

٤- أن الله تعالى قد فرض محبته على لسانه فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ -
 قال: «فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده
 »^{٢٨٠}. ومن وجبت محبته وجب الأدب إزاءه ولزم التأدب معه .

^{٢٧٩} - التفسير الميسر - (٢ / ٦٥)

^{٢٨٠} - صحيح البخارى - المكثر - (١٤) وصحيح مسلم - المكثر - (١٧٨)

٥ - ما احنصه به ربه تعالى من جمال الخلق والخلق وما حباه به من كمال النفس والذات فهو أجمل مخلوق وأكمله على الإطلاق ومن كان هذا حاله كيف لا يجب التأدب معه .

٦ - كذلك فإنه بعد الآية الكريمة الأولى التي تحدّثت عن الأصل العام الذي يضبط حياة المسلم (في التلقي عن الله عز وجل ورسوله ﷺ).. جاءت الآيات الكريمة التالية تتحدّث عن: الآداب الواجبة على الأمة تجاه نبيها ﷺ، الذي يتلقون منه منهجهم ودينهم:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) (الحجرات ٢).. أي: - يا أيها الذين آمنوا: إذا كلمتم رسول الله ﷺ فالتزموا الأدب الكامل، واحفضوا أصواتكم ولا ترفعوها فوق صوته، وحين مخاطبته لا تجهروا بالقول كما يجهر بعضكم لبعض، ولا تخاطبوه باسمه وكنيته، بل خاطبوه بما هو أهل له، وبما يميّز مقامه عن مقامكم.. لأنكم إن فعلتم، أي إن خاطبتموه باسمه وكنيته ورفعت أصواتكم فوق صوته.. فقد يسوقكم ذلك إلى الاستخفاف بمن يبلغكم رسالة الله عز وجل، وبالتالي إلى الاستخفاف بالرسالة ذاتها، وهذا قد يؤدي إلى بطلان ثواب أعمالكم وضياعها دون أن تدروا أو تشعروا بهذا المترلق الخطير، الذي قد يوصلكم إلى الكفر المحييط للعمل.. إنه تحذيرٌ وتخويفٌ للمؤمنين من اتباع ذلك السلوك.

(إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) (الحجرات ٣).

- أما الذين يغضّون أصواتهم ويخفضونها في حضرة رسول الله ﷺ، فقد هياأ الله قلوبهم لتلقي الهبة العظيمة والجائزة الكبيرة منه عز وجل، وهي هبة التقوى، التي ستؤدي في النتيجة إلى الخوف منه سبحانه، وإلى الإنابة إليه، ثم إلى استحقاق مغفرته جل وعلا واستحقاق أجره العظيم الذي يؤدي إلى الجنة.. إنه ترغيبٌ عميقٌ بعد تحذيرٌ مخيفٌ!..

(إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الحجرات ٣).

- ثم أشارت الآيات الكريمة إلى حادث وقع مع وفد بني تميم (في عام الوفود)، حين قدموا على رسول الله ﷺ، وكانوا أعراباً جفّاءً، فنادوا من وراء حجرات النبي عليه الصلاة

والسلام، المطلّة على المسجد النبويّ الشريف: يا محمد!.. اخرج إلينا!.. فكّره رسول الله ﷺ هذه الجفوة وهذا الإزعاج: (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ).. لأنهم لم يبلغوا في صفاتهم العقلية ما يدلّهم على كيفية التعامل مع الذي يبلغ رسالة الله عز وجل، ولم يتبعوا أدب العاقلين الناضجين في التعامل مع الناس.

لقد كان الأجدر بهم أن ينتظروا ويصبروا حتى تخرج إليهم، فذلك أفضل لهم عند الله وعند الناس، لما فيه من مراعاة للأدب في مقام النبوة.. ولكن الله عز وجل يقول بعد ذلك: (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، وهو ترغيب بالتوبة والإنابة (الرجوع) إليه، والعودة إلى الأصول في التعامل مع رسول الله ﷺ، ثم الترغيب في الرحمة والمغفرة، إذ اقتصر قول الله عز وجل على تحذيرهم وتقريعهم، ولم يتزل العقاب عليهم.. مراعاة لطبيعتهم القاسية التي تتمتع بالجفاء.

كيف امثل المؤمنون من صحابة رسول الله ﷺ بهذه الآيات؟!..

- منهم من أقسم ألا يكلمه إلا سرّاً (أبو بكر الصديق رضي الله عنه).. ومنهم من حرص على خفض صوته حتى يستفهمه رسول الله ﷺ.. ومنهم من بقي خائفاً وجالاً من أن يحبّط عمله لأن صوته جهورياً حاداً (ثابت بن قيس).. ومنهم.. ومنهم.

- في صلح الحديبية، يقول مفاوض قريش (عروة بن مسعود الثقفي): (والله ما تنخّم رسول الله نخامةً إلا وقعت في كفّ رجلٍ منهم (يقصد الصحابة).. ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه.. وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه (أي الماء الناتج عن الوضوء).. وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده..).. (والله لقد وفدتُ على قيصر في ملكه.. وعلى كسرى في ملكه.. وعلى النجاشي في ملكه.. والله ما رأيت ملكاً قطّ، يُعظّمه أصحابه مثل ما يعظّم أصحابُ محمدٍ محمداً)..!

فلنتأمّل، ولنتدبّر، وليكن الصحابة رضوان الله عليهم قدوتنا!..

لنتدبّر في الدروس والعظات المستوحاة من الآيات الكريمة

١- وجوب الأدب مع رسول الله ﷺ، في حياته وحضرته.. وبعد مماته، وذلك مع سنته وأحاديثه وسيرته.

٢- الصغائر قد تجرّ إلى الكبائر، والإساءة إلى رسول الله ﷺ من الكبائر التي قد تؤدي إلى الكفر المحبط للعمل.

٣- إنَّ مما يُرتكَب من الذنوب.. ما يذهب بثواب الأعمال، من غير أن يدري المخطئ أحياناً أبعاد عمله المسيء الذي يرتكبه!..

لذلك علينا مراقبة أعمالنا وأقوالنا جيداً، كي لا نقع بالخطأ والذنب الذي يؤدي بصالحات أعمالنا (وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم)!!..

٤- إنَّ الأدب يدلُّ على التمتع بالعقل، فمن كان مؤدّباً فهو عاقل، ومن جرح أدبه فهو ناقص العقل.

٥- الأدب والتأدّب مع رسول الله ﷺ.. يقتضي التأدّب مع العلماء المؤمنين المخلصين، الذين يعملون لإقامة شرع الله، وللدفاع عن حرّماته.. فإنهم ورثة الأنبياء.. وكذلك التأدّب مع كل ذي شأنٍ من أصحاب العلم والفكر، الذين يرومون رفعة هذه الأمة الإسلامية، ويعملون على الدفاع عنها وعن دينهم، ويجتهدون في دفع الخبث والشبهات عنها، وفي تعرية أعدائها والدخلاء عليها وعلى منهجها الإسلامي القويم.^{٢٨١}

هذه هي بعض موجبات الأدب معه - ﷺ - وغيرها كثير ولكن كيف يكون الأدب؟ وماذا يكون؟ وهذا ما ينبغي أن يعلم!

يكون الأدب معه - ﷺ - :

١ - بطاعته واقتفاء أثره وترسم خطاه في جميع مسالك الدنيا والدين. قال تعالى: {مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} (٨٠) سورة النساء

٢ - ان لا يقدم على حبه وتوقيره وتعظيمه حب مخلوق او توقيره او تعظيمه كائنا من كان. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ

^{٢٨١} - http://www.odabasham.net/show.php?sid= ١٥٠٠٦

يَكُونُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْفُرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْفُرُهُ أَنْ تُوقَدَ لَهُ نَارٌ فَيُحْدَقَ فِيهَا. ٢٨٢

٣ - موالة من كان يوالى ومعاداة من كان يعادى والرضا بما كان يرضى به والغضب لما كان يغضب اليه. قال تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (٥٥) سورة المائدة

٤ - إحلال اسمه وتوقيره عند ذكره والصلاة والسلام عليه واستعظامه وتقدير شمائله وفضائله. قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٩)} [الفتح: ٨، ٩]

٥ - تصديقه في كل ما أخبر به من أمر الدنيا والدين وشأن الغيب في الحياة الدنيا وفي الآخرة. قال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (٧) سورة الحشر

٦ - إحياء سنته وإظهار شريعته وإبلاغ دعوته وإنفاذ وصاياه. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدَّثَنَا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ. ٢٨٣

٧ - خفض الصوت عند قبره وفي مسجده لمن أكرمه الله بزيارته وشرفه بالوقوف على قبره ﷺ، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُعْضُونَ أَسْوَاتِهِمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} (٣) سورة الحجرات

٨ - حب الصالحين وموالاتهم بحبه وبغض الفاسقين ومعاداتهم ببغضه .

٢٨٢ - صحيح البخارى - المكثر - (١٦) وصحيح مسلم - المكثر - (١٧٤) وصحيح ابن حبان - (١) / (٤٧٤)(٢٣٨)

٢٨٣ - صحيح البخارى - المكثر - (٣٤٦١) وصحيح ابن حبان - (١٤ / ١٤٩) (٦٢٥٦)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ ﷺ: قَوْلُهُ: بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً أَمْرٌ قَصَدَ بِهِ الصَّحَابَةُ، وَيَدْخُلُ فِي جُمْلَةِ هَذَا الْخَطَابِ مَنْ كَانَ يَوْصِفُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي تَبْلِيغِ مَنْ بَعْدَهُمْ عَنْهُ ﷺ، وَهُوَ فَرَضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ إِذَا قَامَ الْبَعْضُ بِتَبْلِيغِهِ سَقَطَ عَنِ الْآخَرِينَ فَرَضُهُ، وَإِنَّمَا يَلْزَمُ فَرَضِيَّتَهُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُ مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهِ، وَأَنَّهُ مَتَى امْتَنَعَ عَنْ بَنِيهِ، خَانَ الْمُسْلِمِينَ، فَحِينَئِذٍ يَلْزَمُهُ فَرَضُهُ.

هذه هي مظاهر الآداب معه - ﷺ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ إِخْوَانَنَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا إِخْوَانَكَ، قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ يَأْتِي بَعْدَكَ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ فِي خَيْلٍ دُهُمٍ بِهِمْ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَلْيَدَادَنَّ رَجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يَدَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ أَلَا هَلُمَّ، فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: فَسُحْقًا فَسُحْقًا فَسُحْقًا. ٢٨٤

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَدِدْتُ أَنِّي لَقَيْتُ إِخْوَانِي، قَالَ: فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوْلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانُكَ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْني. ٢٨٥

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: فَقَدَ النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةَ أَصْحَابِهِ، وَكَانُوا إِذَا نَزَلُوا أَنْزَلُوهُ وَسَطَهُمْ فَفَزِعُوا، وَظَنُّوا أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَ لَهُ أَصْحَابًا غَيْرَهُمْ، فَإِذَا هُمْ بِخَيْالِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَبُرُوا حِينَ رَأَوْهُ وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَشَفَقْنَا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ اخْتَارَ لَكَ أَصْحَابًا غَيْرَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا بَلْ. أَنْتُمْ أَصْحَابِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنَّ اللَّهَ أَيَقْظَنِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ نَبِيًّا وَلَا رَسُولًا إِلَّا وَقَدْ سَأَلَنِي مَسْأَلَةً أَعْطَيْتُهَا إِيَّاهُ، فَسَلْ: يَا مُحَمَّدُ تُعْطِ. فَقُلْتُ: مَسْأَلَتِي شَفَاعَةٌ لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشَّفَاعَةُ؟ قَالَ: أَقُولُ يَا رَبِّ شَفَاعَتِي الَّتِي اخْتَبَأْتُ عِنْدَكَ، فَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: نَعَمْ. فَيُخْرِجُ رَبِّي بَقِيَّةَ أُمَّتِي مِنَ النَّارِ فَيَنْبِذُهُمْ فِي الْجَنَّةِ. ٢٨٦

٢٨٤ - صحيح مسلم - المكثر - (٦٠٧) - وصحيح ابن حبان - (١٦ / ٢٢٤) (٧٢٤٠)

هم: جمع بهيم وهو الأسود وقيل الذي لا يخالط لونه لون سواه - الدهم: جمع أدهم وهو الأسود

٢٨٥ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٣٩٩) (١٢٥٧٩) (١٢٦٠٧) - حسن لغيره

٢٨٦ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٥٦٥) (٢٢٧٧١) (٢٣١٥٢) - حسن

فالمسلمُ يجتهد دائماً في أدائها كاملة والمحافظة عليها تامة، إذ كماله موقوف عليها وسعادته منوطة بها والمسؤول الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للتأدب مع نبينا ﷺ وأن يجعلنا من أتباعه وأنصاره وشيعته وأن يرزقنا طاعته وأن لا يجرمنا شفاعته.. اللهم آمين...! ^{٢٨٧}

(٣) الأدب مع الوالدين :

قال تعالى: { وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا أَمَا يُبْلَغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) } [الإسراء: ٢٣ - ٢٥]

يُأْمُرُ اللهُ تَعَالَىٰ عِبَادَهُ بِعِبَادَتِهِ وَحُدَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ (وَقَضَىٰ رَبُّكَ - يَعْنِي أَمْرَ رَبُّكَ وَوَصَّى)، وَوَصَّى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، فَإِذَا بَلَغَا الْكِبَرَ، أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا، عِنْدَ أَبْنَائِهِمَا، فَعَلَى الْإِبْنَاءِ أَلَّا يُسْمِعُوهُمَا قَوْلًا سِيئًا حَتَّى وَلَا تَأْفُقَا (وَأُفٌ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى الضَّحْرِ وَالصِّيقِ)، وَيَجِبُ أَنْ لَا يَنْتَهَرُوهُمَا، وَأَنْ لَا يَصْدُرَ مِنْهُمُ إِلَيْهِمَا فِعْلٌ قَبِيحٌ يَدُلُّ عَلَى سُوءِ الْأَدَبِ . وَأَمَرَ اللهُ الْإِبْنَاءَ بِالْإِحْسَانِ فِي الْقَوْلِ إِلَى الْآبَوَيْنِ وَتَوْقِيرِهِمَا، وَبِاسْتِعْمَالِ الْكَلَامِ الطَّيِّبِ الْكَرِيمِ فِي مُخَاطَبَتِهِمَا (فَلَا نِعْمَةَ تَصِلُ إِلَى الْإِنْسَانِ أَعْظَمُ مِنْ نِعْمَةِ الْخَالِقِ ثُمَّ نِعْمَةُ الْآبَوَيْنِ) .

وَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى الْإِبْنَاءَ بِالتَّوَاضُعِ لِلْآبَوَيْنِ فِي تَصَرُّفِهِمْ مَعَهُمَا، حَتَّى يَبْدُو الْإِبْنَاءُ وَكَأَنَّهُمْ أَذْلَاءٌ مِنْ شِدَّةِ الرَّحْمَةِ، لَا يَرُدُّونَ لَهُمَا طَلِبًا، وَلَا يَرْفُضُونَ لَهُمَا أَمْرًا . ثُمَّ أَمَرَ الْإِبْنَاءَ بِالدُّعَاءِ لِلْآبَوَيْنِ، وَالتَّرَحُّمِ عَلَيْهِمَا، جَزَاءَ مَا احْتَمَلَاهُ فِي تَرْبِيَةِ الْإِبْنَاءِ مِنْ عَنَاءٍ وَمَشَقَّةٍ وَعَنْتِ . رَبُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ مِنْ تَعْظِيمِكُمْ أَمْرَ آبَائِكُمْ وَأَمَهَاتِكُمْ، وَالْبِرِّ بِهِمْ، وَمِنِ الاسْتِخْفَافِ بِحُقُوقِهِمْ، وَالعُقُوقِ لَهُمْ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَى حَسَنِ ذَلِكَ وَسَيِّئِهِ، فَاحْذَرُوا أَنْ تُضْمِرُوا لَهُمْ سُوءًا، أَوْ تَجْعَلُوا لَهُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عُقُوقًا، فَاتُّمُّوا إِنْ

^{٢٨٧} - انظر كتابي ((الخلاصة في حقوق النبي ﷺ))

أَصْلَحْتُمْ نِيَّاتِكُمْ فِيهِمْ، وَأَطَعْتُمْ رَبَّكُمْ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ الْبِرِّ بِهِمْ، بَعْدَ هَفْوَةٍ كَانَتْ مِنْكُمْ، أَوْ زَلَّةٍ فِي وَاجِبٍ لَهُمْ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْفِرُ لَكُمْ مَا فَرَطَ مِنْكُمْ، فَهُوَ غَفَّارٌ لِمَنْ يَتُوبُ مِنْ ذَنْبِهِ، وَيَرْجِعُ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَى طَاعَتِهِ. ^{٢٨٨}

بهذه العبارات الندية، والصور الموحية، يستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة في قلوب الأبناء.

ذلك أن الحياة وهي مندفعة في طريقها بالأحياء، توجه اهتمامهم القوي إلى الأمام. إلى الذرية. إلى الناشئة الجديدة. إلى الجيل المقبل. وقلما توجه اهتمامهم إلى الوراء. إلى الأبوة. إلى الحياة المولية. إلى الجيل الذاهب! ومن ثم تحتاج البنوة إلى استجاشة وجدانها بقوة لتعطف إلى الخلف، وتتلفت إلى الآباء والأمهات.

إن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد. إلى التضحية بكل شيء حتى بالذات. وكما تمتص النابتة الخضراء كل غذاء في الحبة فإذا هي فتات، ويمتص الفرخ كل غذاء في البيضة فإذا هي قشر كذلك يمتص الأولاد كل رحيق وكل عافية وكل جهد وكل اهتمام من الوالدين فإذا هما شيخوخة فانية - إن أمهلها الأجل - وهما مع ذلك سعيدان! فأما الأولاد فسرعان ما ينسون هذا كله، ويندفعون بدورهم إلى الأمام. إلى الزوجات والذرية.. وهكذا تندفع الحياة.

ومن ثم لا يحتاج الآباء إلى توصية بالأبناء. إنما يحتاج هؤلاء إلى استجاشة وجدانهم بقوة ليذكروا واجب الجيل الذي أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف! وهنا يجيء الأمر بالإحسان إلى الوالدين في صورة قضاء من الله يحمل معنى الأمر المؤكد، بعد الأمر المؤكد بعبادة الله.

ثم يأخذ السياق في تظليل الجو كله بأرق الظلال وفي استجاشة الوجدان بذكريات الطفولة ومشاعر الحب والعطف والحنان: «أَمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا».. والكبر له جلاله، وضعف الكبر له إجماءه وكلمة «عِنْدَكَ» تصور معنى الالتجاء

^{٢٨٨} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٠٥٣)

والاحتماء في حالة الكبر والضعف .. «فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا» وهي أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب ألا يند من الولد ما يدل على الضجر والضييق، وما يشي بالإهانة وسوء الأدب ..

« وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا » وهي مرتبة أعلى إيجابية أن يكون كلامه لهما يشي بالإكرام والاحترام. «وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ» وهنا يشف التعبير ويلطف، ويبلغ شغاف القلب وحنايا الوجدان. فهي الرحمة ترق وتلطف حتى لكأنها الذل الذي لا يرفع عينا، ولا يرفض أمرا. وكأنما للذل جناح يخفضه إيذانا بالسلام والاستسلام. «وَقُلْ: رَبِّ ارْحَمْنَاهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا» فهي الذكرى الحانية. ذكرى الطفولة الضعيفة يرهاها الولدان، وهما اليوم في مثلها من الضعف والحاجة إلى الرعاية والحنان. وهو التوجه إلى الله أن يرحمهما فرحمة الله أوسع، ورعاية الله أشمل، وحنان الله أرحب. وهو أقدر على جزائهما بما بذلا من دمهما وقلبهما مما لا يقدر على جزائه الأبناء.

عن سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ، أَنَّهُ شَهِدَ ابْنَ عُمَرَ وَرَجُلًا يَمَانِيًّا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، حَمَلُ أُمِّهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، يَقُولُ :

إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُدَّلُّ إِنْ أُذِعِرَتْ رِكَابُهَا لَمْ أُذَعِرْ

ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ أَتُرَانِي حَزَيْتَهَا؟ قَالَ: لَا، وَلَا بِزَفْرَةٍ وَاحِدَةٍ ٢٨٩.

ولأن الانفعالات والحركات موصولة بالعقيدة في السياق، فإنه يعقب على ذلك يرجع الأمر كله لله الذي يعلم النوايا، ويعلم ما وراء الأقوال والأفعال: «رُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ، إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا».

وجاء هذا النص قبل أن يمضي في بقية التكليف والواجبات والآداب ليرجع إليه كل قول وكل فعل وليفتح باب التوبة والرحمة لمن يخطئ أو يقصر، ثم يرجع فيتوب من الخطأ والتقصير. وما دام القلب صالحا، فإن باب المغفرة مفتوح. والأوابون هم الذين كلما أخطأوا عادوا إلى ربهم مستغفرين. ٢٩٠.

٢٨٩ - الأَدَبُ الْمُفْرَدُ لِلْبُخَارِيِّ (١١) صحيح

٢٩٠ - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٤ / ٢٢٢١)

عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَفْتِهَا، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي ٢٩١.

" وعلى الأولاد أن يتخيروا في مخاطبة آباءهم أجمل الكلمات وألطف العبارات، وأن يكون قولهم كريماً لا يصحبه شيء من العنف " ٢٩٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - ﷺ - قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي قَالَ « أُمُّكَ ». قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ « أُمُّكَ ». قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ « أُمُّكَ ». قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ « ثُمَّ أَبُوكَ » البخاري ٢٩٣.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أَبُوكَ، قَالَ: فَيَرُونَ أَنَّ لِلْأُمَّ ثَلَاثِي الْبِرِّ. ٢٩٤

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ - ﷺ - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ». ثَلَاثًا. قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ». وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِّمًا فَقَالَ « أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ ». قَالَ فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ. ٢٩٥.

السلام عليهما عند الدخول عليهما والخروج من عندهما، وقرن السلام بتقبيل يديهما. عَنْ جَهْمٍ، أَنَّهُ قَالَ: جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ أَرَدْتُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ

٢٩١ - صحيح البخاري - المكثر - (٥٢٧)

٢٩٢ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣١٥

٢٩٣ - صحيح البخاري - المكثر - (٥٩٧١)

٢٩٤ - صحيح ابن حبان - (١٧٦ / ٢) (٤٣٣) صحيح

٢٩٥ - صحيح البخاري - المكثر - (٢٦٥٤)

الله، فَقَالَ: " هَلْ مِنْ أَبَوَيْكَ مِنْ حَيٍّ ؟ " قُلْتُ: نَعَمْ أُمِّي، قَالَ: " فَالزَّمْ رَجُلَهَا " قَالَ: فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَقَالَ: " وَيَحَكَ الزَّم رَجُلَهَا، فَتَمَّ الْحِنَّةُ " ٢٩٦

تعظيم قدرهما، وإكرام شأنهما وإجلال مقامهما، والوقوف لهما احتراماً عند دخولهما.

التأدب عند مخاطبتهما، ولين القول لهما، وعدم رفع الصوت فوق صوتهما.

تلبية نداءهما، والمساورة لقضاء حوائجهما، وطاعة أمرهما، وتنفيذ وصاياهما، وعدم الاعتراض على قولهما، إلا إذا أمراً. معصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) ﴾ لقمان.

ووصينا الإنسان بوالديه أن يبرهما، ويحسن إليهما بالقول والعمل، وإن جاهداك -أيها الإنسان- على أن تشرك معي في عبادتي، فلا تمتثل أمرهما. ويلحق بطلب الإشراك بالله، سائر المعاصي، فلا طاعة لمخلوق كائناً من كان في معصية الله سبحانه، كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ. إلي مصيركم يوم القيامة، فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من صالح الأعمال وسيئها، وأجازيكم عليها. ٢٩٧

إدخال السرور على قلوبهما بالإكثار من برهما، وتقديم الهدايا لهما، والتودد لهما بفعل كل ما يجبانه ويفرحان به. فعن الحجاج بن دينار، قال: قال رسول الله ﷺ: إن من البر بعد البر أن تُصليَ عليهما مع صلاتك، وأن تصومَ عنهما مع صيامك، وأن تصدقَ عنهما مع صدقتك. ٢٩٨

المحافظة على أموالهما وأمتعتهما، وعدم أخذ شيء منهما إلا بإذنها.

٢٩٦ - معرفة الصحابة لأبي نعيم - (٢ / ٦٣٤) (١٧٠٣) حسن

٢٩٧ - التفسير الميسر - (٧ / ١٣٠)

٢٩٨ - مصنف ابن أبي شيبة - (٣ / ٣٨٧) (١٢٢١٠) معضل

المحافظة على سمعتهم، والحذر من التسبب في شتمهما. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « مِنْ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ يَشْتَمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قَالَ « نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ » ٢٩٩ .

تفقد مواضع راحتهم، وتجنب إزعاجهما أثناء نومهما، أو الدخول عليهما في غرفتهما إلا بإذنهما.

تجنب مقاطعتهم في كلامهما، أو مجادلتهم، أو معاندتهما، أو لومهما، أو السخرية منهما، أو الضحك والقهقهة بخصرتهم.

تجنب مد اليد إلى الطعام قبلهما، أو الاستئثار بالطيبات دونهما.

تجنب التقدم في المشي عليهما، أو الدخول أو الخروج أو الجلوس قبلهما.

عن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَوْ غَيْرِهِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَبْصَرَ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا: مَا هَذَا مِنْكَ؟ فَقَالَ: أَبِي، فَقَالَ: لِمَا تُسَمِّهِ بِاسْمِهِ، وَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ ٣٠٠ .

تجنب الاضطجاع أو مد الرجل أمامهما، أو الجلوس في مكان أعلى منهما.

استشارتهما في جميع الأمور، والاستفادة من رأيهما وتجربتهما وقبول نصائحهما.

الإكثار من الدعاء لهما، والطلب من الله تعالى أن يجزيهما كل خير على فضلهما وإحسانهما وتربيتهما.

الإكثار من زيارة قبريهما إن توفيا، والإكثار من ذكرهما والترحم عليهما.

العمل بوصيتهم، وصلة أرحامهم، وخدمة أحبائهم من بعدهما.

عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ قَالَ بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - إِذَا جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بَرِّ أَبِي شَيْءٌ أَبْرُهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا قَالَ « نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا » .. رواه أبو داود ٣٠١ .

٢٩٩ - صحيح مسلم - المكثر - (٢٧٣)

٣٠٠ - الأَدَبُ الْمُفْرَدُ لِلْبُخَارِيِّ (٤٥) صحيح

٣٠١ - سنن أبي داود - المكثر - (٥١٤٤) حسن

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ « أَبْرُّ الْبَرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وَدَّ أَبِيهِ ».^{٣٠٢}

تَجَنَّبُ الْأُمُورَ الْمُؤْذِيَةَ إِلَى الْعُقُوقِ وَمِنْهَا:

الغضب منهما، والنظر شزر لهما، والإعراض بالوجه عنهما، والتأفف من قولهما أو فعلهما، والتضجر منهما، ورفع الصوت عليهما، وقرعهما بكلمات مؤذية أو جارحة، وجلب الإهانة لهما، والاستعلاء عليهما، واعتبار الولد نفسه مساويا لأبيه أو أفضل من والديه، والحياء من الانتساب إليهما لفقركهما بعد أن يصبح ذا مركز أو نعمة أو جاه، والبخل عليهما ونسيان فضلتهما، وتفضيل غيرهما عليهما، ومصاحبة إنسان غير بار بوالديه.

(٤) أدب الاحترام والتوقير:

" من الاتجاهات الخلقية التي يجب على البيت مراعاتها وغرسها في نفس الولد الاحترام والتوقير للكبير والصغير، وفائدة هذه الخصال أنها بمرور الأعوام لا ينحصر هذا الاحترام للأشخاص فقط، بل يتناول المثل العليا والمبادئ المثلى والقيم الروحية، فيحترم نفسه ومن ثم يحترم ويوقر الآخرين، ثم يحترم الحياة والكرامة الشخصية والقانون وغير ذلك"^{٣٠٣}

فعلى المربين أن يعلموا أطفالهم احترام وتوقير الكبار والعلماء، وتقديمهم في الكلام، والعطف على الصغار.

فَعَنْ عَقِيلِ بْنِ طَلْحَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو جَرِيٍّ الْهَجِيمِيُّ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَعَلَّمْنَا شَيْئًا نَنْفَعُنَا اللَّهُ بِهِ، فَقَالَ: لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلُوكَ فِي إِتَاءِ الْمُسْتَسْقِي، وَلَوْ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَاكَ، وَوَجْهَكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَلَا يُحِبُّهَا اللَّهُ وَإِنْ امْرُؤٌ شَتَمَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ، فَلَا تَشْتُمُهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنْ أَجْرَهُ لَكَ، وَوَبَّالَهُ عَلَيَّ مِنْ قَالِهِ"^{٣٠٤}.

^{٣٠٢} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٦٧٨)

^{٣٠٣} - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣١٦

^{٣٠٤} - - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢٨١) (٥٢٢) حسن

(٥) أدب الأخوة داخل البيت وخارجه:

لقد ألزم الإسلام كلاً من الاخوة والأخوات الأدب في القول والمعاملة والمعاشرة، وأوجب عليهم الإحسان لبعضهم على بعض حتى تدوم المحبة والمودة بينهم وحتى يسود الأسرة جو من الوئام والألفة والصفاء، وتخيم السعادة على جوانب البيت بأسره وعلى جميع نواحيه .
فالإخوة ثمرات الوالدين، وهم أقرب الأرحام، وألصقهم بالنفس، وأحبهم إلى القلب، وهم الذين يقضي معهم الإنسان صدر حياته، أيام الطفولة والنماء، والبراءة والنقاء جنباً إلى جنب في البيت والمدرسة وعلى الطعام والشراب، وأثناء الليل والنهار.. لذلك أمر الله تعالى بالوفاء إليهم، وصلاتهم، والإحسان إليهم، ونهى عن قطيعتهم والإساءة إليهم ونسيان عهد المودة والأولى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحْمُ فَقَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ قَالَتْ بَلَى. قَالَ فَذَاكَ لَكَ ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ } فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) { محمد، رواه مسلم^{٣٠٥}.

وهذه جملة من الآداب الإسلامية الخاصة بمعاملة الإخوة والأخوات.

احترام الإخوة الكبار وتوقيرهم، والعطف على الصغار مع الرحمة والعناية والحنان.
عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفَ حَقَّ كَبِيرَنَا. "٣٠٦".

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: الْأَمْرُ بِتَرْكِ اسْتِحْقَارِ الْمَعْرُوفِ أَمْرٌ قَصِدَ بِهِ الْإِرْشَادُ وَالزَّجْرُ عَنْ إِسْبَالِ الْإِزَارِ زَجْرٌ حَتْمٌ لِعَلَّةِ مَعْلُومَةٍ وَهِيَ الْخِيَلَاءُ، فَمَتَى عُدِمَتِ الْخِيَلَاءُ، لَمْ يَكُنْ بِإِسْبَالِ الْإِزَارِ بَأْسٌ وَالزَّجْرُ عَنِ الشَّتِيمَةِ إِذَا شَوْتَمَ الْمَرْءُ، زَجْرٌ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَقَبْلَهُ، وَبَعْدَهُ، وَإِنْ لَمْ يُشْتَم.

^{٣٠٥} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٦٨٢)

^{٣٠٦} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٦٤٤) (٦٧٣٣) صحيح

وَعَنْ أَبِي رَمْتَةَ، قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: " بَرَّ أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ ثُمَّ أَذْنَاكَ أَذْنَاكَ " ٣٠٧

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " حَقُّ كَبِيرِ الْأُخُوَّةِ عَلَى صَغِيرِهِمْ، كَحَقِّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ " ٣٠٨

معاملة الإخوة عموماً بالعطف والرفقة واللين واللباقة والإحسان.

التزام حسن الخلق في معايشرة الإخوة، والتحلي بالتواضع وخفض الجناح والإيثار والخدمة والمحبة والتعاون وإنكار الذات.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي ٣٠٩

الابتداء بالسلام عليهم عند الدخول عليهم، ومصافحتهم، والبشاشة في وجوههم.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ - « لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ » . رواه مسلم ٣١٠ .

مراعاة شعور الإخوة بعدم الفرح أمام حزين، وعدم الأكل أمام صائم، وعدم الصخب أمام نائم.

محبة الخير لهم، والعمل على إيصاله إليهم، فعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » البخاري ٣١١ .

الشكر على معروفهم، بعد مكافأهم عليه بأحسن منه. فعَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَأْتُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا اللَّهَ لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنْ قَدْ كَفَأْتُمُوهُ. ٣١٢

٣٠٧ - الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ (٧٣٥٤) حسن

٣٠٨ - أَخْبَارُ أُصْبَهَانَ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ (٣٩٨) فيه لين

٣٠٩ - صحيح ابن حبان - (٩ / ٤٨٥) (٤١٧٧) صحيح

٣١٠ - صحيح مسلم - المكتز - (٦٨٥٧)

٣١١ - صحيح البخاري - المكتز - (١٣)

٣١٢ - صحيح ابن حبان - (٨ / ١٩٩) (٣٤٠٨) صحيح

الاهتمام بشؤونهم، والتعرف إلى أحوالهم، وتفقد حاجاتهم، والعمل على مساعدة من يستطيع مساعدته في حاجة أو دراسة أو مال. عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ سَالِمًا أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .^{٣١٣}

بذل النصيحة لهم، ودعوتهم إلى الخير بالحكمة والموعظة الحسنة، وتذكيرهم بأداء فرائض الله بالترغيب والترهيب. قال تعالى: { وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى } (١٣٢) سورة طه.

الانتصار لهم إن كانوا على حق، والغيرة عليهم، والمحافظة على سمعتهم. عَنِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَنْصِرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ». فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصِرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصِرُهُ قَالَ « تَحْجِرُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ ». رواه البخاري^{٣١٤}.

الاعتذار منهم عن المفوات والزلات، والتغاضي عما يصدر منهم من هنات وسيئات، وقبول اعتذارهم وعدم معاتبتهم عليها على الدوام، فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِمَنْ تُحَرِّمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: عَلَى كُلِّ هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، قَرِيبٍ، سَهْلٍ.^{٣١٥}

الإصلاح بين المتخاصمين منهم، وتجنب التقاطع والتدابير والتباغض والتحاسد وسوء الظن. تجنب إيذاء أحد منهم باليد أو بالسب أو بالكلام أو بالمزاح غير المهذب.

^{٣١٣} - صحيح البخاري - المكثر - (٢٤٤٢) - وصحيح مسلم - المكثر - (٦٧٤٣)

^{٣١٤} - صحيح البخاري - المكثر - (٦٩٥٢)

^{٣١٥} - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢١٦) (٤٧٠) صحيح

قال الماوردي: بين بهذا الحديث أن حسن الخلق يدخل صاحبه الجنة ويحرمه على النار فإن حسن الخلق عبارة عن كون الإنسان سهل العريكة لين الجانب طلق الوجه قليل النفور طيب الكلمة كما سبق لكن لهذه الأوصاف حدود مقدرة في مواضع مستحقة فإن تجاوز بها الخير صارت ملقاً وإن عدل بها عن مواضعها صارت نفاقاً والملق ذل والنفاق لؤم. فيض القدير، شرح الجامع الصغير (٦ / ٢٧٨)

تجنب الخصومات والمجادلات والخلافات.

تجنب التدخل في شؤونهم الخاصة، أو استخدام حوائجهم الشخصية دون إذن، فعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادًا لِلَّهِ إِخْوَانًا. ٣١٦
وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: لَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ - قَالَ إِسْمَاعِيلُ فِي حَدِيثِهِ: وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ - التَّقْوَى هَا هُنَا، التَّقْوَى هَا هُنَا، يُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثًا، يَحْسَبُ امْرئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. " رواه مسلم ٣١٧.

مراعاة الحشمة والأدب في الكلام واللباس، وخاصة عند اختلاف الجنس، وغض البصر عن النقائص والعورات.

والأخوة في الدين هي أعلى مراتب الأخوة وأعظمها، وهي رباط اجتماعي لا يمثله رباط آخر ولا يقاربه، ولذلك وجدنا الأب يجارب ولده في الإسلام والزوج يقاتل زوجته والأخ يعادي أخاه من أجل مرضاة الله، والمراد بالأخوة هنا أخوة الدين والعقيدة، فإذا أضيف إليها أخوة النسب فهي مقدمة على غيرها، وهي أولى بالبر عن سواها فالأقربون أولى بالمعروف، ولذا جاء نداء القرآن بالدعوة إلى الإحسان إليهم: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٢١٥) سورة البقرة

وجاء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٨) سورة النساء، وجاء قوله تعالى: " كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ

٣١٦ - صحيح البخاري - المكثر - (٥١٤٣) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٧٠١) وصحيح ابن حبان - (١٢) /

(٥٠٠) (٥٦٨٧)

٣١٧ - صحيح مسلم - المكثر - (٦٧٠٦)

(١٨٠) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١)
[البقرة: ١٨٠، ١٨١] ،

وَعَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ
صَدَقَةٌ، وَالصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ. ٣١٨

وفي الحديث ما يؤكد أن قرابة المسلم هم أحق الناس بصلته وبره وإحسانه
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: " وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَا يُعَذِّبُ اللَّهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مَنْ رَحِمَ الْيَتِيمَ، وَلَانَ لَهُ فِي الْكَلَامِ، وَرَحِمَ يَتْمَهُ وَضَعَفَهُ، وَلَمْ يَتَطَاوَلْ عَلَى جَارِهِ
بِفَضْلِ مَا آتَاهُ اللَّهُ " وَقَالَ: " يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَدَقَةً مِنْ
رَجُلٍ، وَلَهُ قَرَابَةٌ مُحْتَاجُونَ إِلَى صِلَتِهِ وَيَصْرِفُهَا إِلَى غَيْرِهِمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ
إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ ٣١٩

ومن مستلزمات الأخوة أن تحب في أخيك إيمانه وعبادته وطاعته لربه واستسلامه
لخالقه، كما أنه من مستلزمات الأخوة أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك وتكره له ما
تكره لنفسك وأن تؤدي ما عليك من حقوق له حسبما جاء بها الإسلام، وأن تفرج
كربته وأن تستر عورته وأن تفرح لفرحه وتخزن لحزنه وأن تمدد بمالك إن احتاج إليه، ومن
هنا يتضح الفرق بين رباط الدم والنسب وبين رباط الإسلام والعقيدة فإن رباط الإسلام
أقوى وهو حاكم على رباط النسب والدم ومهيمن عليه وهو الرباط الباقي فلا يفنى
والأبدي فلا يزول بعد الموت وهو المعبر عن كيان الإنسان ومكانته عند الله في الدنيا
والآخرة، وهو وحده أساس السعادة والسيادة والكرامة والعزة، وهو إشراقة النور في قلب
المؤمن وبدونه يكون الظلام ومضلات الهوى، وبالإيمان يتغير الفكر والسلوك وأنواع
المعاملات والتصرفات ولذا جاء قوله سبحانه وتعالى { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ
أَخْوَابِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (١٠) سورة الحجرات

٣١٨ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٥٦٨) (١٦٢٣٣) - ١٦٣٣٩ - صحيح

٣١٩ - المعجم الأوسط للطبراني - (٩٠٧٤) فيه ضعف

وقد منَّ سبحانه على المؤمنين بهذه الأخوة فقال: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } (١٠٣) سورة آل عمران

ولقد كان الميراث أول الإسلام بالأخوة في الدين لا بالنسب ولم يكن أحد من المسلمين في يده درهم ودينار وهو يرى أنه أحق بديناره أو درهمه من أخيه المسلم، بل كان يرى أن إخوانه أحق بما في يده منه حتى استحقوا قول ربه: { وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (٩) سورة الحشر .

(٦) أدب احترام المعلم :

" للعلماء درجات رفيعة، فهم قادة الأمة ورواد البحث، وهم ورثة الأنبياء الذين تناط بهم مواجهة الانحلال والفساد، وتحقيق العدل ونشر العلم " ٣٢٠

عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ ذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ - رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « فَضَّلُ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضَلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ ». ٣٢١

وعن كثير بن قيس، قال: كنتُ جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق، فأتاه رجل، فقال: يا أبا الدرداء، إني أتيتك من مدينة الرسول في حديث بلغني أنك تُحدثه عن رسول الله ﷺ، فقال أبو الدرداء: أما جئت لحاجة، أما جئت لتجارة، أما جئت إلا لهذا الحديث؟ قال: نعم، قال: فيأتي سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، والملائكة تضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من في السماوات، ومن في الأرض، والحيتان في الماء، وفضل العالم على

٣٢٠ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣١٩

٣٢١ - سنن الترمذي - المكثر - (٢٩٠١) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب.

العابد، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وأورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر. ٣٢٢

وفي جامع بيان العلم: "من حق العالم ألا تُكثِرَ عليه بالسؤال، ولأ تُعنته بالجواب وأن لا تلح عليه إذا كسل ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تُفشين له سرّاً، ولا تُعتابن عنده أحداً، ولا تُطلبن عثرته، وإن زلّ قبلت معذرتّه، وعليك أن تُوقره وتُعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلسن أمامه وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته" أنشدني يوسف بن هارون لنفسه في قصيدة له:

وأجله في كل عين علمه فيرى له الإجلال كل جليل

وكذلك العلماء كالخلفاء عند الناس في التعظيم والتبجيل

قال أبو عمر: ورؤينا من وجوه كثيرة عن أبي سلمة، أنه قال: "لو رفقّت بآبن عباس لاستخرجت منه علماً كثيراً" قال الشعبي: "كان أبو سلمة يماري ابن عباس؛ فحرم بذلك علماً كثيراً" وقال الحكماء: إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك عليّ أن تقول" وقال الحسين بن عليّ لابنه: "يا بني، إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت، ولا تقطع على أحد حديثاً وإن طال حتى يمسك" وقال الشعبي: "جالسوا العلماء؛ فإنكم إن أحسنتم حمدوكم وإن أسأتم تأولوا لكم وعذروكم وإن أخطأتم لم يعنفوكم وإن جهلتم علموكم وإن شهدوا لكم نفعوكم" ٣٢٣

"من الحقوق الاجتماعية الهامة التي يجب أن يتبين المربون لها تربية أولادهم على احترام المعلم وتوقيره، بالقيام له والسلام، وعدم رفع الصوت وحسن الجلوس، وعدم فعل ما يكره والمبادرة إلى خدمته فيما يطلبه ويريده. ونعلم أولادنا أن ينظروا إلى معلمهم بعين الإجلال

٣٢٢ - صحيح ابن حبان - (١ / ٢٨٩) (٨٨) صحيح

٣٢٣ - جامع بيان العلم << باب جامع في آداب العالم والمتعلم >> (٦١٤)

مع إظهار فضائله ومحاسنه وعدم التحدث في مجلسه بالإصغاء إليه، وعدم التلهي والانصراف عنه، والاستفهام منه بلطف " ٣٢٤

" وَيَبْغِي لِلْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِمُعَلِّمِهِ وَيَنْظُرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْإِحْتِرَامِ، وَيَرَى كَمَالَ أَهْلِيَّتِهِ " وَرُجْحَانَهُ عَلَى أَكْثَرِ طَبَقَتِهِ، فَذَلِكَ أَقْرَبُ إِلَى انْتِفَاعِهِ بِهِ وَرُسُوخِ مَا سَمِعَهُ مِنْهُ فِي ذَهْنِهِ .
- وَلِيَحْذَرَ الْمُتَعَلِّمُ الْبَسْطَ عَلَى مَنْ يُعَلِّمُهُ وَإِنْ أَنْسَهُ، وَالْإِدْلَالَ عَلَيْهِ وَإِنْ تَقَدَّمَتْ صُحْبَتُهُ، وَلَا يُظْهِرُ لَهُ الْإِسْتِكْفَاءَ مِنْهُ وَالْإِسْتِعْنَاءَ عَنْهُ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ كُفْرًا لِنِعْمَتِهِ وَاسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِ .

- وَلَا يَبْغِي أَنْ تَبْعَنَهُ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ لِلْمُعَلِّمِ عَلَى قَبُولِ الشُّبْهَةِ مِنْهُ، وَلَا يَبْغِي لَهُ أَنْ يُعِنَّتْ مُعَلِّمُهُ بِالسُّؤَالِ، وَلَا يَدْعُوهُ تَرْكُ الْإِعْنَاتِ لِلْمُعَلِّمِ إِلَى التَّقْلِيدِ فِيمَا أَخَذَ عَنْهُ . وَلَيْسَتْ كَثْرَةُ السُّؤَالِ فِيمَا تَبَسَّ إِعْنَاتًا، وَلَا قَبُولُ مَا صَحَّ فِي النَّفْسِ تَقْلِيدًا .
إِلَّا أَنَّهُ لَا يَلِجُ فِي السُّؤَالِ إِلَّا حَاحًا مُضْجِرًا، وَيَعْتَنِمُ سُؤَالَ عِنْدَ طَيْبِ نَفْسِهِ وَفَرَاعِهِ، وَيَتَلَطَّفُ فِي سُؤَالِهِ وَيُحْسِنُ حِطَابَهُ .

- وَلِيَأْخُذَ الْمُتَعَلِّمُ حِظَّهُ مِمَّنْ وَحَدَّ طَلَبَتُهُ عِنْدَهُ مِنْ نَبِيهِ وَخَامِلٍ، وَلَا يَطْلُبُ الصِّيتَ وَحُسْنَ الذِّكْرِ بِاتِّبَاعِ أَهْلِ الْمَنَازِلِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، إِذَا كَانَ النَّفْعُ بَعْضِهِمْ أَعَمَّ، إِلَّا أَنْ يَسْتَوِيَ النَّفْعَانِ فَيَكُونُ الْأَخْذُ عَمَّنِ اشْتَهَرَ ذِكْرَهُ وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ أَوْلَى، لِأَنَّ الْإِتْسَابَ إِلَيْهِ أَجْمَلَ وَالْأَخْذَ عَنْهُ أَشْهَرُ .

- وَيَبْغِي أَنْ يَكُونَ حَرِيصًا عَلَى التَّعَلُّمِ مُوَظَّبًا عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ، لَيْلًا وَنَهَارًا حَاضِرًا وَسَفَرًا، وَلَا يُذْهِبُ مِنْ أَوْقَاتِهِ شَيْئًا فِي غَيْرِ الْعِلْمِ إِلَّا بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ لِأَكْلِ وَنَوْمٍ قَدْرًا - لَا بُدَّ مِنْهُ - وَنَحْوَهُمَا مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ . " ٣٢٥

(٧) أدب الجار :

المجتمع المسلم كيان واحد مترابط هكذا يريد الله - سبحانه وتعالى - للمجتمع أن يكون، قال تعالى: {وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى

٣٢٤ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٢٠-٣٢١

٣٢٥ - الموسوعة الفقهية الكويتية - (١٣ / ١٠)

وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُجُورًا} (٣٦) سورة النساء
وعن الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي
تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ
بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى» ٣٢٦.

" والجار في الإسلام مكرم أيما إكرام، محترم أيما احترام، فقد أوصى الرسول ﷺ - به
وندب الأطفال الصغار لاحترامه، كما طالب الإسلام الآباء أن يورثوا حب الجار لأطفالهم
وأن يتجنبوا أذاهم على نحو مقصود وغير مقصود بأي صورة من الصور." ٣٢٧
عَنْ عَمْرَةَ، أَنَّهَا سَمِعَتْ عَائِشَةَ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِيَنِي
بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لِيُورِثَنِي. ٣٢٨

" وعلى الجار كف الأذى عن الجار كالزنى والسرقة والشتم وعليه حماية جاره بالإحسان
له ورفع الضرر عنه، واحتمال أذى الجار والصفح والحلم إليه" ٣٢٩

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " مَنْ أَعْلَقَ بَابَهُ دُونَ جَارِهِ
مَخَافَةً عَلَى أَهْلِهِ وَمَالِهِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُؤْمِنٍ، وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ لَمْ يَأْمَنْ جَارُهُ بِوَأْتِقَهُ، أَتَدْرِي مَا
حَقُّ الْجَارِ: إِذَا اسْتَعَانَكَ أَعْنَتُهُ، وَإِذَا اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ، وَإِذَا افْتَقَرَ عُدْتَ عَلَيْهِ، وَإِذَا مَرِضَ
عُدْتَهُ، وَإِذَا أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَأْتَهُ، وَإِذَا أَصَابَهُ مُصِيبَةٌ عَزَيْتَهُ، وَإِذَا مَاتَ اتَّبَعْتَ جَنَازَتَهُ، وَلَا تَسْتَطِيلُ
عَلَيْهِ بِالْبِنَاءِ تَحْجُبُ عَنْهُ الرِّيحُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تُؤْذِيهِ بِقِتَارٍ قَدْرِكَ إِلَّا أَنْ تَعْرِفَ لَهُ مِنْهَا، وَإِنْ
اشْتَرَيْتَ فَآكِهَةً فَاهْدِ لَهُ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَادْخِلْهَا سِرًّا، وَلَا يَخْرُجْ بِهَا وَلَدُكَ لِيَغِيظَ بِهَا
وَلَدَهُ، أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَبْلُغُ حَقُّ الْجَارِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ رَحِمَ اللَّهُ "
فَمَا زَالَ يُوصِيهِمْ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ سَيُورِثُهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " الْجِيرَانُ

٣٢٦ - صحيح مسلم - المكثر - (٦٧٥١)

٣٢٧ - حلي، عبد الحميد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١١٧

٣٢٨ - أخرجه الجماعة المسند الجامع - (٢٠ / ٢٤٣) (١٦٩٦٢)

٣٢٩ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٢٢-٣٢٥، باختصار

ثَلَاثَةٌ: فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلَاثَةٌ حُقُوقٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقَّانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقٌّ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ ثَلَاثَةٌ حُقُوقٌ فَالْحَجَّارُ الْمُسْلِمُ الْقَرِيبُ لَهُ حَقُّ الْحَجَّارِ، وَحَقُّ الْإِسْلَامِ، وَحَقُّ الْقَرَابَةِ، وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقَّانِ فَالْحَجَّارُ الْمُسْلِمُ لَهُ حَقُّ الْحَوَارِ، وَحَقُّ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ فَالْحَجَّارُ الْكَافِرُ لَهُ حَقُّ الْحَوَارِ " قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُطْعِمُهُمْ مِنْ نُسُكِنَا، قَالَ: " لَا تُطْعِمُوا الْمُشْرِكِينَ شَيْئًا مِنْ النَّسْكِ " ٣٣٠

وقال عبيد بن عمير، في قصصه: كَانَ يُقَالُ: " مِنْ حَقِّ الْحَجَّارِ عَلَيْكَ أَنْ تُعْرِفَهُ مَعْرُوفَكَ، وَتَكْفَى عَنْهُ أَدَاكَ، وَمِنْ حَقِّ الْقَرَابَةِ أَنْ تَصِلَهُ إِذَا قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَهُ إِذَا حَرَمَكَ، وَإِنْ أَوْلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ، وَإِنْ أَنْقَصَ النَّاسَ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مَنْ هُوَ دُونَهُ " ٣٣١

(٨) أدب الاستئذان :

" أدب اجتماعي رفيع وهو واجب على الكبير والصغير، وله مكانة خاصة في التشريع الإسلامي حتى خصه الله تعالى بآيات مباركات كريمات " ٣٣٢

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (٥٨) سورة النور

هذه الآية تشمل آداب الاستئذان بين الأقارب بعضهم على بعض، فقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين، بأن يستأذِنَهُمْ خَدَمُهُمْ (الذين مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) وأطفالهم الذين لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ .

- قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ إِذْ يَكُونُ النَّاسُ نِيَامًا فِي فُرْشِهِمْ .
- وَوَقْتَ الْقِيْلُولَةِ بَعْدَ الظَّهِيرَةِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَضَعُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ فِي تِلْكَ الْحَالِ مَعَ أَهْلِهِ .
- وَوَقْتَ النَّوْمِ (بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ) .

٣٣٠ - شعب الإيمان - (١٢ / ١٠٥) (٩١١٣) ضعيف

٣٣١ - شعب الإيمان - (١٠ / ٥٤٨) (٧٩٧٠) صحيح

٣٣٢ - حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١١٩

فَيُؤَمِّرُ الْخَدَمَ وَالْأَطْفَالَ بِأَلَّا يَهْجُمُوا عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ . وَقَالَ تَعَالَى إِنَّ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ هِيَ عَوْرَاتٌ لِلنَّاسِ . أَمَّا فِي غَيْرِ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ إِذَا دَخَلْتُوا لِأَنَّهُمْ فِي خِدْمَةِ الْبَيْتِ يَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى إِنَّهُ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ آيَاتِهِ وَأَحْكَامَهُ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِمَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ، حَكِيمٌ فِيَمَا يَشْرَعُ . ٣٣٣

إن الاستئذان يبدأ على مراحل:

قبل الاحتلام يستأذن في ثلاث أوقات قبل صلاة الفجر ووقت القيلولة وبعد صلاة العشاء ليلاً .

بيد أن الطفل إذا بلغ مرحلة الحلم والبلوغ ، كان التوجيه القرآني بوجوب استئذانه دائماً قال تعالى: { وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلْمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (٥٩) سورة النور "

فَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَأْذِنُونَ فِي الْعَوْرَاتِ الثَّلَاثِ مَبْلُغَ الرَّجَالِ (الْحُلْمِ) ، وَجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْتَأْذِنُوا عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَحْوَالِ الثَّلَاثَةِ كَمَا يَسْتَأْذِنُ مَنْ سَبَقُوهُمْ فِي الْبُلُوغِ ، مِنْ وَالدِ الرَّجُلِ وَأَقَارِبِهِ ، وَكَمَا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ مَا ذَكَرَ غَايَةَ الْبَيَانِ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ لَكُمْ مَا فِيهِ سَعَادَتُكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وَأَخِرَتِكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِ خَلْقِهِ ، حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَقَدْرِهِ . ٣٣٤

وللاستئذان آداب أخرى وهي مرتبة كما يلي:

(أ) أن يسلم ثم يستأذن:

" من يريد الاستئذان لا يواجهه الباب بكليته إنما يقف على يمينه أو شماله، فإذا أذن له دخل وإلا انصرف دون انزعاج أو احتجاج "

٣٣٣ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٧٣١)

٣٣٤ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٧٣٢)

عَنْ رُبْعِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ - وَهُوَ فِي بَيْتٍ فَقَالَ أَلْجُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - لَخَادِمِهِ « اخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِمَهُ الْاسْتِئْذَانَ فَقَالَ لَهُ قُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلْ ». فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلْ فَأُذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ - فَدَخَلَ. ٣٣٥

(ب) أن يعلن عن اسمه أو صفته أو كنيته:

عَنْ أَبِي مُوسَى - ﷺ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - دَخَلَ حَائِطًا وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الْحَائِطِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ « ائْذِنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ». فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ « ائْذِنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ». فَإِذَا عُمَرُ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ، فَسَكَتَ هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ « ائْذِنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى سُنَّيْبِيهِ ». فَإِذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ. ٣٣٦

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَدَفَقْتُ الْبَابَ، فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: أَنَا أَنَا مَرَّتَيْنِ كَأَنَّهُ كَرِهَهُ. ٣٣٧

(ج) أن يستأذن ثلاث مرات:

فَعَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، يَقُولُ: كُنَّا فِي مَجْلِسٍ عِنْدَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، فَأَتَى أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ بَعْضًا حَتَّى وَقَفَ، فَقَالَ: أَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ سَمِعَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: الْاسْتِئْذَانَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ، وَإِلَّا فَارْجِعْ؟ قَالَ أَبِي: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمْسَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، فَارْجَعْتُ، ثُمَّ جِئْتُهُ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي جِئْتُهُ أَمْسَ، فَسَلَّمْتُ ثَلَاثًا، ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَقَالَ: قَدْ سَمِعْنَاكَ وَنَحْنُ حِينئذٍ عَلَى شُغْلٍ، فَلَوْ اسْتَأْذَنْتَ حَتَّى يُؤْذَنَ لَكَ؟ قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ كَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَوَاللَّهِ لَأَوْجَعَنَّ ظَهْرَكَ أَوْ لَتَأْتِيَنِي بِمَنْ يَشْهَدُ لَكَ عَلَى هَذَا، قَالَ: فَقَالَ أَبِي: وَاللَّهِ لَا يَقُومُ مَعَكَ إِلَّا أَحَدُنَا سَنًا، قُمْ يَا أَبَا سَعِيدٍ، فَقُمْتُ حَتَّى أَتَيْتُ عُمَرَ فَقُلْتُ: قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ هَذَا. ٣٣٨

٣٣٥ - سنن أبي داود - المكثر - (٥١٧٩) صحيح

٣٣٦ - صحيح البخاري - المكثر - (٣٦٩٥) - الحائط: البستان

٣٣٧ - صحيح ابن حبان - (١٣ / ١٢٥) (٥٨٠٨) صحيح

٣٣٨ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٧٥٣) وصحيح ابن حبان - (١٣ / ١٢٧) (٥٨١٠)

ويحسن أن يكون بين استئذان المرة الأولى والثانية انتظار مقدار أربع ركعات مظنة أن يكون المستأذن عليه في صلاة أو في قضاء حاجة...

(د) أن لا يدق الباب بعنف:

ولاسيما إن كان رب المنزل أباه أو أستاذه أو ذا فضل.. وعَنْ أَنَسٍ: "أَنَّ أَبَوَابَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ تُقْرَعُ بِالْأَظْفِيرِ" ٣٣٩

وكان السلف يقرعون أبواب أشياخهم بالأظافر. وهذا يدل على مبالغتهم في الاحترام والأدب. وهو حسن لمن قُرب محله من بابه، وأما من بُعد عن الباب فيقرع بحسب ما يحصل به المقصود. وأما إذا كان على الباب جرس كما جرى العرف اليوم. فيقرع المستأذن بقرعة خفيفة لطيفة لتدل على لطفه وكرم أخلاقه وحسن معاملته.

(هـ) أن يتحول عن الباب عند الاستئذان:

مظنة وقوف امرأة أجنبية أثناء فتح الباب، والاستئذان شرع من أجل النظر، وهذا ما أكده عليه الصلاة والسلام لأصحابه، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ أَطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرِ فِي حُجْرِ النَّبِيِّ ﷺ - وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ - مَدْرَى يَحْكُ بِهِ رَأْسَهُ فَقَالَ « لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعْتُ بِه فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الْإِسْتِذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصْرِ » . ٣٤٠

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: لَا تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا، وَلَكِنْ ائْتَوْهَا مِنْ حَوَائِجِهَا، ثُمَّ سَلِّمُوا فَإِنْ أُذِنَ لَكُمْ فَادْخُلُوا، وَإِلَّا فَارْجِعُوا. ٣٤١

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تَلْقَاءِ وَجْهِهِ وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الْأَيْمَنِ أَوْ الْأَيْسَرِ وَيَقُولُ « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ » . وَذَلِكَ أَنَّ الدُّورَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ سُبُورًا. ٣٤٢

٣٣٩ - شعب الإيمان - (٣ / ١٠٩) (١٤٣٧) صحيح لغيره

٣٤٠ - صحيح البخاري - المكثر - (٦٢٤١) - المدري: مشط له أسنان يسيرة

٣٤١ - مسند البزار كاملا - (٢ / ٢١) (٣٤٩٩) صحيح

٣٤٢ - سنن أبي داود - المكثر - (٥١٨٨) صحيح

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ - عليه السلام - « لَوْ أَنَّ امْرَأً أَطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ، فَخَذَفْتَهُ بِعَصَاةٍ، فَفَقَّاتَ عَيْنَهُ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ جُنَاحٌ »^{٣٤٣}
 وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ عليه السلام قَالَ: مَنْ أَطَّلَعَ إِلَى دَارِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَفَقَّرُوا عَيْنَهُ، فَلَا دِيَةَ وَلَا قِصَاصَ.^{٣٤٤}

(و) أن يرجع إذا قال له رب المتزل ارجع:

لقوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٢٨) سورة النور .

وعلى المستأذن ألا يجد في ذلك حرجاً ولا غضاضة لامتناله أمر الله سبحانه في الرجوع.
 هذه أهم القواعد التي وضعها الإسلام في آداب الاستئذان، فما على المرين إلا أن يتقيدوا بها، ويعلموها أولادهم، ليعتادوها في حياتهم الاجتماعية، وفي تعاملهم مع الناس^{٣٤٥}

(٩) أدب الحديث:

" إن الإسلام منهج حياة كامل فهو ينظم حياة الإنسان في كل أطوارها ومراحلها، وفي كل علاقاتها وارتباطاتها، وفي كل حركاتها وسكناتها. ومن ثم يتولى بيان الآداب اليومية الصغيرة، كما يتولى بيان التكاليف العامة الكبيرة وينسق بينها جميعاً، ويتجه بها إلى الله في النهاية."^{٣٤٦}

" فالرسول - عليه السلام - لم يترك أمراً صغيراً كان أم كبيراً يتعلق بسلوك الإنسان إلا وجعل له حكماً ورأياً، كأداب الكلام وسلوك الحديث.

^{٣٤٣} - صحيح البخارى - المكثر - (٦٩٠٢) - حذف:رمى بالحصى

^{٣٤٤} - صحيح ابن حبان - (١٣ / ٣٥١) (٦٠٠٤) صحيح

^{٣٤٥} - انظر تربية الأولاد في الإسلام لعنوان

^{٣٤٦} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٤ / ٢٥٣١)

فالحديث وسيلة التفاهم الأساسية بين الناس وهو مفتاح الشخصية وعنوانها والكاشف عنها، فإذا عرف الطفل أسلوب الحديث والحوار منذ الصغر فإنه سوف يكبر ويعرف كيف يُحدّث الناس على الطريق المثلى والتي تحمل المضمون القيم الراقي.

إن الحديث مع الآخرين في الإسلام له أصوله وآدابه، على المسلم التقيّد بها إرضاءً لله عزوجل وتجنباً لسخطه وعقابه، ومن أجل هذا يبين لنا الرسول ﷺ في أحاديث عدة خطورة اللسان وما يؤدي بصاحبه إلى الوقوع في الهلاك.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرٌ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِرَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَذُكُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟: الصَّوْمُ حُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَصَلَاةَ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ قَرَأَ: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}، حَتَّى بَلَغَ: {يَعْمَلُونَ}، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ؟ فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: كُفَّ عَالِيكَ هَذَا فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاحِدُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاحِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟. ٣٤٧

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِنْ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقَى لَهَا بَالًا، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقَى لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ ». ٣٤٨

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَلْقَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَهُ جُلُوسًا فِي السُّوقِ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَهُ شَرَفٌ، فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّ لَكَ حَقًّا، وَإِنَّكَ لَتَدْخُلُ عَلَيَّ هَؤُلَاءِ

٣٤٧ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٣٥٠) (٢٢٠١٦) (٢٢٣٦٦) - صحيح لغيره

٣٤٨ - صحيح البخارى - المكثر - (٦٤٧٨)

الأمراء، وتكلم عندهم، وإني سمعت بلال بن الحارث صاحب رسول الله ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن العبد ليتكلم بالكلمة، ولا يراها بلغت حيث بلغت، فيكتب الله له بها رضاه إلى يوم القيامة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة لا يراها بلغت حيث بلغت، يكتب الله لها سخطه إلى يوم يلقاه، فانظر يا ابن أخي ما تقول، وما تكلم، فرب كلام كثير قد منعتني ما سمعت من بلال بن الحارث. ٣٤٩

وعن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب. ٣٥٠

أما آداب الحديث فهي على التالي :

(١) التمهّل بالكلام أثناء الحديث حتى يفهم المستمع المراد، منه وأن يكون الحديث منظوماً مرتباً واضح المعنى ليفهم من كان جالساً. عن عائشة - رضی الله عنها أن النبي - ﷺ كان يحدث حديثاً لو عدّه العادُّ لأحصاه ٣٥١ .

(٢) " أن يحسن اختيار الألفاظ والكلمات المناسبة حتى لا ينفر المستمعين ولا يزرع الحاضرين ،... وأن يتعد عن التصنع في الكلام والتكليف في فصاحة اللسان، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ، فيما يعلم نافع، أنه قال: إن الله عز وجل يبغض البليغ من الرجال، الذي يتخلل بلسانه، كما تخلل البقرة بلسانها. ٣٥٢

٣٤٩ - صحيح ابن حبان - (١ / ٥٢١) (٢٨٧) صحيح

٣٥٠ - صحيح البخارى - المكثر - (٦٤٧٧) وصحيح مسلم - المكثر - (٧٦٧٣) صحيح ابن حبان - (١٣) / (١٥) (٥٧٠٧)

٣٥١ - صحيح البخارى - المكثر - (٣٥٦٧)

٣٥٢ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٦٠٣) (٦٥٤٣) صحيح

تكلنتك أمك أي فقدتك. ويريد إذا كنت هكذا فالموت خير لك لئلا تزداد سوءا. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ٢١٧ / ١.

(٣) المخاطبة على قدر التفهم: يجب أن لا يخاطب الناس إلا على قدر عقولهم بأسلوب يتماشى وثقافة من يخاطبهم ويتفق مع عقولهم وعلى قدر فهمهم وأعمارهم. قَالَ عَلِيٌّ حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ^{٣٥٣}

(٤) يجب أن لا يتكلم كثيراً وأن لا يقاطع كلام غيره، وإن سبقه أحد إلى الحديث فعليه أن لا يتدخل إلا بعد أن ينتهي، وعلى من أراد الكلام أن يستوثق من وضوح الفكرة في ذهنه، وعلى المرء أن لا يتكلم إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك .

(٥) ألا يرفع بالكلام صوتاً مستكراً، ولا يترعج له انزعاجاً مستهجنًا، ولهذا أدب لقمان ابنه في هذا الخصوص بقوله قال تعالى حكاية عن لقمان: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ﴾ (١٩) سورة لقمان

وامشِ مُقْتَصِدًا فِي مَشْيِكَ، عَدْلًا وَسَطًا بَيْنَ الْبَطِيءِ الْمَتَثَبِّطِ، وَالسَّرِيعِ الْمَفْرَطِ، وَلَا تُبَالِغْ فِي الْكَلَامِ، وَلَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، وَحِينَمَا لَا تَكُونُ هُنَاكَ حَاجَةً إِلَى رَفْعِ الصَّوْتِ، فَذَلِكَ يَكُونُ أَوْفَرَ لِلْمُتَكَلِّمِ، وَأَبْسَطَ لِنَفْسِ السَّمَاعِ. ثُمَّ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ مُنْفَرًا إِيَّاهُ مِنْ رَفْعِ صَوْتِهِ حِينَمَا لَا يَكُونُ هُنَاكَ حَاجَةً لِذَلِكَ: إِنَّ الْحِمَارَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ عِنْدَ التَّهْيِيقِ، وَلَكِنَّ الصَّوْتَ الَّذِي يَصْدُرُ عَنْهُ قَبِيحٌ مُنْكَرٌ، فَلَا يَلِيقُ بِالْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ أَنْ يَفْعَلَ فِعْلَ الْحِمَارِ. ^{٣٥٤}

فخفض الصوت عند محادثة الناس فيه أدب وثقة بالنفس، واطمئنان إلى صدق الحديث، ورفع أي رفع الصوت دليل على فقدان ذلك.

وبناء على ما ذكر ينبغي على الآباء والمربين أن يعودوا أبناءهم وتلاميذهم على الالتزام بآداب الإسلام في الحديث مع الآخرين، وأن يكون الحديث بقدر ما تدعو إليه الضرورة وبشرط عدم رفع الصوت في وجه المخاطب حتى لا يكون ذلك مصدر أذى من الحديث بغير داع أو من جراء رفع الصوت. ^{٣٥٥}

(١٠) من آداب السلام :

^{٣٥٣} - صحيح البخارى - المكثر - (١٢٧)

^{٣٥٤} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٣٦٩)

^{٣٥٥} - انظر معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان

يبعث العالم اليوم عن السلام كأقصى ما يتمناه الإنسان، وغاية ما ترجوه البشرية، في حين نجد أن الإسلام منذ أربعة عشر قرناً قد مجد السلام وكرمه، ثم حققه ونشره، بعد أن غرسه في قلب كل مسلم وعلى لسانه وفي كل أعماله.

قدس السلام فجعله اسماً من أسماء الله الحسنى التي أمر الله تعالى الناس أن يدعوه بها: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (٢٣) سورة الحشر

والسلام هو تحية أبي البشر هدية زفتها له الملائكة الأبرار، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ وَطُولِهِ سِتُونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلِيكَ النَّفْرِ، وَهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعَ مَا يُحْيُونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ. قَالَ: فَذَهَبَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ. قَالَ: فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا. فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ. ٣٥٦

ولما جاءت الملائكة سيدنا إبراهيم عليه السلام تبشره بإسحاق قدمت بين يديها عند الدخول تحية السلام: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) [الذاريات: ٢٤ - ٢٥] } .

وأمر الله تعالى عباده بالسلام على النبي ﷺ فقال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (٥٦) سورة الأحزاب. والإسلام هو دين السلام قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (٢٠٨) سورة البقرة. والسلام كلمة مقدسة يكررها المسلم في كل صلاة عدة مرات، ثم يختم صلاته بقوله "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" وهو خير ما في الإسلام، فعن عبد الله بن عمرو، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ

٣٥٦ - صحيح البخارى - المكثر - (٦٢٢٧) وصحيح مسلم - المكثر - (٧٣٤٢) وصحيح ابن حبان - (١٤ / ٣٣)

ﷺ، أَيِ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ. ٣٥٧

وإذا كان للسلام هذه الأهمية في الإسلام، فإن له آداباً كثيرة على المسلم أن يراعيها في معرفة أحكامه، وكيفية إلقائه، وغير ذلك من الآداب الكريمة التي لا تترك نقيراً ولا فتيلاً ولا قطميراً:

(١) أن يرسخ في نفسه أن التحية من شأنها أن تؤلف القلوب وتقوي الصلوات، وهي مظهر من مظاهر المدنية السليمة، عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ. ٣٥٨

وعن الزبير بن العوام، أن النبي ﷺ قال: "دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ مِنْ قِبَلِكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ: تَخْلُقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنَّهُ يَخْلُقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكَ لَكُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ" ٣٥٩

(٢) أن يعلمه صيغة السلام، وهي (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) فهي تجلب المحبة وتقوي عرى المودة. فعن عمران، أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: عَشْرٌ. ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: عَشْرُونَ. ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: ثَلَاثُونَ. ٣٦٠

وعن عروة بن الزبير، أن رجلاً سلم عليه، فقال: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ عُرْوَةُ: "مَا تَرَكَ لَنَا فَضْلاً، إِنَّ السَّلَامَ أَنْتَهَى إِلَيَّ: وَبَرَكَاتُهُ" ٣٦١

٣٥٧ - صحيح البخاري - المكثر - (١٢) - صحيح مسلم - المكثر - (١٦٩) - وصحيح ابن حبان - (٢ / ٢٥٨) (٥٠٥)

٣٥٨ - صحيح مسلم - المكثر - (٢٠٣) - وصحيح ابن حبان - (١ / ٤٧٢) (٢٣٦)

٣٥٩ - شعب الإيمان - (١١ / ١٨٢) (٨٣٧٣) صحيح لغيره

٣٦٠ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٧٠٨) (١٩٩٤٨) ٢٠١٩٠ - صحيح

٣٦١ - شعب الإيمان - (١١ / ٣٦٤) (٨٦٧٥) صحيح

وَعَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا قَالَ: يَقُولُ: "إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكَ أَخُوكَ الْمُسْلِمُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ، فَقُلْ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، أَوْ رُدَّهَا، تَقُولُ إِنْ لَمْ يَقُلْ لَكَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرُدَّ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، كَمَا سَلَّمَ، وَلَا تَقُلْ: وَعَلَيْكَ" ٣٦٢ (٣) أن يعلمه أن السلام سنة مؤكدة، وأما رده فهو فرض لازم ٣٦٣ لقوله تعال: {وَإِذَا حَيَّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا} (٨٦) سورة النساء

وَإِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ، فَرُدُّوا السَّلَامَ عَلَيْهِ بِأَفْضَلٍ مِنْهُ، أَوْ رُدُّوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ (فَإِذَا قَالَ لَكُمْ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَرُدُّوا عَلَيْهِ قَائِلِينَ: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ) فَالزِّيَادَةُ مَنْدُوبَةٌ، وَالْمِثَالَةُ مَفْرُوضَةٌ . ٣٦٤

(٤) " أن يُسلم القادم على من يقدم عليه، والراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير، عن ثابت مولى عبد الرحمن بن زيد أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله - ﷺ - « يُسَلِّمُ الرَّابِطُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَاعِدِ عَلَى الْكَثِيرِ » ٣٦٥ .

وَعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُسَلِّمُ الرَّابِطُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْمَاشِيَانِ أَيُّهُمَا بَدَأَ فَهُوَ أَفْضَلُ ٣٦٦ (٥) أن نعلمه إذا دخل على أهل بيته، أن يلقي عليهم السلام " ٣٦٧

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُونُ بَرَكََةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ » . ٣٦٨

٣٦٢ - شعب الإيمان - (١١ / ٣٦٣) (٨٦٧٣) حسن

٣٦٣ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٣٠-٣٣٢

٣٦٤ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٧٩)

٣٦٥ - صحيح البخارى - المكثر - (٦٢٣٢) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٧٧٢)

٣٦٦ - كشف الأستار - (٢ / ٤٢٠) (٢٠٠٦) صحيح

٣٦٧ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٣٢

٣٦٨ - سنن الترمذى - المكثر - (٢٩١٥) حسن

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يَا أَنَسُ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ، يَكْثُرُ خَيْرُ بَيْتِكَ " ٣٦٩

وعنه جابر قال: إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً قَالَ: مَا رَأَيْتُهُ إِلَّا يُوجِبُهُ قَوْلُهُ: { وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا } (٨٦) سورة النساء ٣٧٠

(١١) أدب مظهر الطفل:

" مظهر يتعلق بشعر الطفل وحلقاته ومظهر لباسه ولونه وخروجه به في الطريق، بالنسبة للولد فهمي الرسول - ﷺ - عن حلق بعض الشعر وترك بعضه. فعن ابن عمر، عن النبي ﷺ: أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْقَزَعِ أَنْ يُحْلَقَ رَأْسُ الصَّبِيِّ وَيُتْرَكَ بَعْضُ شَعْرِهِ. ٣٧١
وعن صفية، قالت: سَمِعْتُ عَائِشَةَ، تَقُولُ: إِنَّ جَارِيَةَ زَوْجَهَا فَمَرَضَتْ، فَتَمَعَّطَ شَعْرَهَا، فَأَرَادُوا أَنْ يَصْلُوا فِي شَعْرَهَا، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ وَالْمُؤَاصِلَةَ ٣٧٢ .

كما استحب الرسول - ﷺ - تسريح الشعر وتمشيطة ليكون زينة وجمالاً ويضفي الاحترام والوقار على صاحبه، فلا يتشبه بأهل الموضات وأهل العيب واللهو. عن جابر، قال: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْتَرًا فِي مَنْزِلِنَا، فَرَأَى رَجُلًا شَعْنًا، فَقَالَ: أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَا يُسْكِنُ بِهِ شَعْرَهُ وَرَأَى رَجُلًا عَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ، فَقَالَ: أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَا يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ. ٣٧٣

٣٦٩ - مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ لِلْخَرَّاطِيِّ (٧٩٩) حسن لغيره

٣٧٠ - الْأَدَبُ الْمُفْرَدُ لِلْبُخَارِيِّ (١١٣٦) صحيح

٣٧١ - صحيح البخاري - المكثر - (٥٩٢١) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٦٨١) وصحيح ابن حبان - (١٢ / ٣١٨) (٥٥٠٧)

٣٧٢ - صحيح البخاري - المكثر - (٥٩٣٤) وصحيح ابن حبان - (١٢ / ٣٢٤) (٥٥١٤)

فَأَمْرَقَ: مَرَقَ الصَّوْفَ وَالشَّعْرَ عَنِ الْإِهَابِ أَوْ تَمَرَّقَ [وَاْمَرَقَ]: إِذَا انْتَشَرَ، وَانْمَرَّقَ الْجِلْدُ.

الواصلة: التي تصل للمرأة شعرها بشعر آخر زور. و«الموصولة» المفعول بها ذلك. و«المستوصلة» التي تطلب أن يفعل بها ذلك، وتأمر من يفعله بها

٣٧٣ - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٢٩٤) (٥٤٨٣) صحيح

شعث رأسه: تغير وتلبد من قلة تعهده بالدهن - يسكن: ينظم ويمشط

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، عَثَرَ بِأُسْكُفَّةٍ، أَوْ عَتَبَةَ، الْبَابِ، فَشَجَّ فِي جَبْهَتِهِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمِيطِي عَنْهُ، أَوْ نَحِّي عَنْهُ، الْأَذَى قَالَتْ: فَتَقَدَّرْتُ، قَالَتْ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْصُهُ ثُمَّ يَمْجُهُ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ كَانَ أُسَامَةُ جَارِيَةً لَكَسَوْتُهُ، وَحَلَيْتُهُ حَتَّى أَنْفِقَهُ ٣٧٤.

[أما بالنسبة للباس الأطفال فقد] دعا الإسلام إلى لبس الجميل من الثياب دون تكبر ولا مفاخرة، كما يستحب أن تكون الثياب بيضاء نظيفة، " ٣٧٥

فَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « الْبَسُوا الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ وَكَفْنَا فِيهَا مَوْتَاكُمْ ». ٣٧٦.

(١٢) آداب المشي والجلوس:

(١) " على المرء أن يتقيد بصفات مشية عباد الرحمن ليربي أولاده بالفعل على ذلك قال تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} (٦٣) سورة الفرقان

يَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ بِأَنَّهُمْ مُتَوَاضِعُونَ، يَسِيرُونَ عَلَى الْأَرْضِ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ وَرِفْقٍ (هَوْنًا) مِنْ غَيْرِ تَجَبُّرٍ وَلَا اسْتِكْبَارٍ، وَإِذَا سَفِهَ عَلَيْهِمُ الْجَاهِلُونَ بِالْقَوْلِ لَمْ يُقَابِلُوهُمْ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا وَقَوْلًا مَعْرُوفًا، وَيُرُدُّونَ عَلَيْهِمْ قَائِلِينَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ. ٣٧٧.

فها هي ذي السمة الأولى من سمات عباد الرحمن: أنهم يمشون على الأرض مشية سهلة هينة، ليس فيها تكلف ولا تصنع، وليس فيها خيلاء ولا تنفج، ولا تصعير حد ولا تخلع أو ترهل. فالمشية ككل حركة تعبير عن الشخصية، و عما يستكن فيها من مشاعر. والنفس السوية المطمئنة الجادة القاصدة، تخلع صفاتها هذه على مشية صاحبها، فيمشي مشية سوية مطمئنة جادة قاصدة. فيها وقار وسكينة، وفيها حد وقوة. وليس معنى: «يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ

٣٧٤ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ٤٣٢) (٢٥٨٦١) (٢٦٣٨٦) - حسن

٣٧٥ - عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٢١

٣٧٦ - سنن الترمذي - المكتز - (٣٠٤٠) قَالَ أَبُو عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٣٧٧ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٨٠٠)

هُوناً» أنهم يمشون متماوتين منكسي الرعوس، متداعي الأركان، متهاوي البنيان كما يفهم بعض الناس ممن يريدون إظهار التقوى والصلاح!

وهذا رسول الله - ﷺ - كان إذا مشى تكفاً تكفياً، وكان أسرع الناس مشية، وأحسنها وأسكنها، فعن أبي هريرة، قال: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ، كأنما الأرض تطوى له، إننا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث^{٣٧٨}.

وعن علي بن أبي طالب، قال: " كان رسول الله ﷺ، ليس بالقصير ولا بالطويل، ضخم الرأس واللحية شثن الكفين والقدمين ضخم الكراديس، مشرب وجهه حمرة طويل المسربة إذا مشى تكفاً تكفاً كأنه ينحط من صلب لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ"^{٣٧٩}

وهم في جدهم ووقارهم وقصدهم إلى ما يشغل نفوسهم من اهتمامات كبيرة، لا يتلفتون إلى حماقة الحمقى وسفه السفهاء، ولا يشغلون بالهم ووقتهم وجهدهم بالاشتباك مع السفهاء والحمقى في جدل أو عراك، ويترفعون عن المهاترة مع المهاترين الطائشين: «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا: سلاماً» لا عن ضعف ولكن عن ترفع ولا عن عجز إنما عن استعلاء، وعن صيانة للوقت والجهد أن ينفقا فيما لا يليق بالرجل الكريم المشغول عن المهاترة بما هو أهم وأكرم وأرفع.^{٣٨٠}

(٢) أن يسيروا سيرا متوازناً لا سرعة فيها ولا بطء.

(٣) أن يعض الطرف وقت المشي، والنظر إلى الأرض، وأن يترك الأكل وقت المشي، إلا إذا كان جائعاً، فعن ابن عمر، قال: كنا على عهد رسول الله ﷺ نأكل ونحن نمشي، ونشرب ونحن قيام.^{٣٨١}

^{٣٧٨} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٣٩٨) (٨٩٤٣) - ٨٩٣٠ - حسن

^{٣٧٩} - شعب الإيمان للبيهقي (١٣٩٨) - حسن

لتكفو: الميل في المشي إلى قدام. كما تتكفاً السفينة في جريها، والأصل فيه الهمز، فترك.

كأنما ينحط من صلب، قريب من التكفو: أي: كأنه ينحدر من موضع عال

^{٣٨٠} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٥ / ٢٥٧٧)

^{٣٨١} - صحيح ابن حبان - (١٢ / ١٤١) (٥٣٢٢) صحيح

٤) نعلم الطفل إذا كان في جلسة مع جماعة عدم الثأوب والتمطي ولا يمد رجليه ولا يفرقع أصابعه.

٥) ألا يبصق على الأرض وإذا اضطر يضعها في ورقة. " ٣٨٢

(١٣) آداب الطعام والشراب:

١- بركة الطعام الوضوء قبله بغسل اليدين والضم والوضوء بعده :

عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: قَرَأْتُ فِي التَّوْرَةِ: بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ بَعْدَهُ، قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَرَأْتُ فِي التَّوْرَةِ فَقَالَ: بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ. ٣٨٣

وضوء الطعام ليس وضوء الصلاة وضوء الطعام غسل اليدين والضم فقط، فإذا أمسكت بشيء في يدك سابقاً، أو خلعت حذاءك، أو وضعت يدك على حائط قد يكون قدراً، أو قد يكون طفلاً لم ينظف نفسه ووضع يده على الحائط، أو مسكت شيئاً غير نظيف، أثناء النهار يجوز أن يكون الفم مفتوحاً ويوجد غبار أو أشياء لا ترى، فبركة الطعام الوضوء قبله بغسل اليدين والضم، والوضوء بعده .

٢- التسمية في أول الطعام والحمد في آخره :

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ ». ٣٨٤

معنى التسمية: بسم الله أشرب هذا الماء، أن هذا الماء من نعم الله، وللتسمية معنيان: الأول أن تذكر أن هذه نعمة من الله، أن تذكر بفضل الله عليك، والثاني أن تشرب وفق السنة، أن تذكر بسنة رسول الله في الشرب، تذكر النعمة، وتطبيق السنة، هذه معنى التسمية، بسم الله أشرب يعني أشرب ماء هو من نعمة الله، وأشرب ماء وفق ما أمر الله، هذه معنى التسمية .

٣٨٢ - حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٢٤-١٢٧، باختصار. وانظر إلى

سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٤٠-٣٤٤

٣٨٣ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٨٢٦) (٢٣٧٣٢) (٢٤١٣٣) - حسن

٣٨٤ - سنن أبي داود - المكثر - (٣٧٦٩) صحيح

وَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِي. ^{٣٨٥}

٣— ألا يعيب طعاماً قدّم إليه ولا يمدحه :

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: مَا عَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِذِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ. ^{٣٨٦}

٤— أن يأكل بيمينه ومما يليه :

فَعَنْ وَهَبِ بْنِ كَيْسَانَ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ » . فَمَا زِلْتُ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. ^{٣٨٧}

٥— ألا يأكل متكئاً :

أَلَا يَأْكُلُ مَتَّكِنًا لَمَّا فِيهِ مِنَ الضَّرْرِ الصَّحِّيِّ، وَظَوَاهِرِ الْكِبَرِ، بِالطَّبْعِ إِلَّا الْمَرْضَى فِي الْمُسْتَشْفِيَّاتِ، أَمَا غَيْرُ الْمَرِيضِ يَجِبُ أَنْ يَأْكُلَ وَهُوَ جَالِسٌ جَلْسَةَ نِظَامِيَّةٍ . فَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْأَقْمَرِ سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « لَا أَكُلُ مَتَّكِنًا » ^{٣٨٨} .

٦— يستحبّ التحدّث على الطعام :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - سَأَلَ أَهْلَهُ الْأُدْمَ فَقَالُوا مَا عِنْدَنَا إِلَّا خَلٌّ . فَدَعَا بِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ بِهِ وَيَقُولُ « نِعْمَ الْأُدْمُ الْخَلُّ نِعْمَ الْأُدْمُ الْخَلُّ » . ^{٣٨٩}

فالأب يحدثهم ويستمع إلى أولاده، بموعظة، بقصة، بطرفة مثلاً، وقد يكون أحد أطفال العائلة في المدرسة فيقول: هكذا تكلمت المعلمة، فهذا شيء جميل مع الطعام، فمن السنة التحدّث مع الطعام.

٧— الدعوة للمضيف :

^{٣٨٥} - صحيح مسلم- المكثر - (٧٠٦٩) وصحيح ابن حبان - (١٢ / ٣٥٠) (٥٥٤٠)

^{٣٨٦} - صحيح البخارى- المكثر - (٣٥٦٣) وصحيح مسلم- المكثر - (٥٥٠١) وصحيح ابن حبان - (١٤ /

(٣٤٨) (٦٤٣٧)

^{٣٨٧} - صحيح البخارى- المكثر - (٥٣٧٦)

^{٣٨٨} - صحيح البخارى- المكثر - (٥٣٩٨)

^{٣٨٩} - صحيح مسلم- المكثر - (٥٤٧٣)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: أَفْطَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ سَعْدٍ، فَقَالَ: أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ. ^{٣٩٠}

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - جَاءَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ فَأَكَلَ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ ». ^{٣٩١}

٨- أن لا يأكل الصغار قبل الكبار :

الصغار لا يأكلون قبل أن يأكل أكبر إنسان في الجلسة، والآن يُعمَل بهذا في المآدب الرسمية، فإذا بدأ بالأكل أعلى شخصيّة بالمأدبة الكل بعده يأكل، هكذا السنّة، فإذا وجد أولاد يجلسون مع أبيهم، أو طلاب مع أستاذهم بترهه، ووضع الطعام، فالطالب ليس له الحق في أن يأكل قبل أن يأكل أستاذه، فإذا تناول قطعة من الطعام فهذا خلاف للسنّة، فلا يأكل الكل إلا بعد أن يمدّ يده رئيس هذه الجلسة أو أمير هذه الجماعة ويأكل أول لقمة، وليس للأمير — أمير المائدة أو أمير الترهة — ليس له الحق في أن يبدأ الطعام إلا بعد أن يحضر كل من معه ويتأكد من ذلك، فالكل بمكانه، والطعام موزّع توزيعاً جيّداً، ثم يبدأ بالطعام وعازماً عليهم بأن يتفضلوا الطعام، وهم ليس من حقهم أن يبدؤوا قبله فهذا من دقة النظام فعن حذيفة، قال: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا، لَمْ نَضَعْ أَيْدِينَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَضَعُ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَاتِبًا تُدْفِعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَاتِمًا يُدْفِعُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذَكَّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةَ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ، لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا. ^{٣٩٢}

٩- لعق الأصابع بعد الطعام :

^{٣٩٠} - صحيح ابن حبان - (١٢ / ١٠٧) (٥٢٩٦) صحيح

^{٣٩١} - سنن أبي داود - المكثر - (٣٨٥٦) صحيح

^{٣٩٢} - صحيح مسلم - المكثر - (٥٣٧٨)

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ. قَالَ وَقَالَ « إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَدَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ ». وَأَمَرْنَا أَنْ نَسْأَلَ الْقِصْعَةَ قَالَ « فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ ». ٣٩٣

وقال أبو الدرداء: " أَحْسِنُوا مُجَاوِرَةَ نِعَمِ اللَّهِ، لَا تَمْلُوهَا، وَلَا تَنْفِرُوهَا، فَإِنَّهَا لَقَلَّمَا نَفَرَتْ عَنْ قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَيْهِمْ " ٣٩٤

من آداب الشراب :

١- استحباب التسمية والحمد والشرب ثلاثاً :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَشْرَبُوا وَاحِدًا كَشْرَبِ الْبَعِيرِ، وَلَكِنْ اشْرَبُوا مَثْنٍ وَثَلَاثَ، وَسَمُّوا إِذَا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ، وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ. ٣٩٥

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا شَرِبَ يَتَنَفَّسُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَقَالَ: هُوَ أَهْنَأُ وَأَبْرَأُ وَأَمْرَأُ. ٣٩٦

٢- نهى الرسول ﷺ عن الشرب من في القرب :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - نَهَى النَّبِيُّ ﷺ - أَنْ يُشْرَبَ مِنْ فِي السَّقَاءِ . ٣٩٧

أي من فمها، من فم الزجاجية، أو الإبريق مباشرة، فقد نهى النبي أن يكون الشرب هكذا .
وإنما نهى عن الشرب من في السقاء من أجل ما يخاف من أذى عسائه يكون فيه لا يراه الشارب، حتى يدخل جوفه، فاستحب أن يشرب من إناء ظاهر يُبصره ٣٩٨ .

٣- كراهية النفخ في الشراب :

عَنْ أَبِي الْمُثَنَّى الْجُهَنِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنِ النَّفْخِ فِي الشَّرَابِ؟ قَالَ: أَبُو

٣٩٣ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٤٢٦) - نسلت: نمنح

٣٩٤ - الزُّهْدُ وَالرَّقَائِقُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ (١٧٩٥) فِيهِ انْقِطَاعُ

٣٩٥ - سنن الترمذى - المكثر - (٢٠٠٦) فِيهِ ضَعْفُ

٣٩٦ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٤٠٥) وَصَحِيحُ ابْنِ حِبَانَ - (١٢ / ١٤٧) (٥٣٣٠)

٣٩٧ - صحيح البخارى - المكثر - (٥٦٢٨)

٣٩٨ - جامع الأصول في أحاديث الرسول - (٥ / ٧٨)

سَعِيدٌ: نَعَمْ، قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَا أَرُوى مِنْ نَفْسٍ وَاحِدٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَأَبِنِ الْقَدَحَ عَنْ فِيكَ ثُمَّ تَنَفَّسْ قَالَ: فَإِنِّي أَرَى الْقَدَاةَ فِيهِ، قَالَ: فَأَهْرَقْهَا. ٣٩٩

فمثلاً شرب أحد الناس ثلاثاً حسب السنّة ولكن في المرّة الثانية ترك الإناء على فمه وتنفّس بداخله، فأحياناً الزفير يحمل بعض الأمراض، فالسنّة ما بين الشربتين أبعد القدح عن فيك، لذلك نهى النبي ﷺ أن يتنفّس في الإناء أو ينفخ فيه لما في ذلك من الأمراض الصحيّة، والمنافاة للآداب الاجتماعيّة .

٤ — استحباب الشرب والأكل جالساً :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - نَهَى عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا ٤٠٠ .
ويجوز الشرب واقفاً لحاجة، فعن ابن عمر، قال: كُنَّا نَأْكُلُ وَنَحْنُ نَمْشِي، وَنَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيَامٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ٤٠١

فمثلاً إذا كنت في الكعبة — زادها الله شرفاً — والازدحام شديد فإذا أردت أن تشرب قاعداً فستجد الناس فوقك، فاشرب واقفاً، النبي ﷺ شرب ماء زمزم واقفاً — وهي حالات قليلة — الأولى فيها أن تشرب قاعداً، فالنبي ﷺ شرب قائماً لئلا يوجد حرج عند الحالات الضروريّة .

٥ — النهي عن الشرب في آنية الذهب والفضّة :

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَنْ شَرِبَ فِي إِنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فَإِنَّمَا يُجْرَجُ فِي بَطْنِهِ نَارًا مِنْ جَهَنَّمَ » ٤٠٢ .

٦ — النهي عن امتلاء المعدة بالأكل والشرب :

٣٩٩ - صحيح ابن حبان - (١٢ / ١٤٥) (٥٣٢٧) صحيح

٤٠٠ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٣٩٧)

٤٠١ - صحيح ابن حبان - (١٢ / ١٤٣) (٥٣٢٥) صحيح

٤٠٢ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٥٠٩) - يجرجر: يجدر فيه

عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " مَا مَلَأَ آدَمِيَّ وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أَكَلَاتُ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَهَا مَحَالَةٌ فَتُلْتُ طَعَامُهُ، وَتُلْتُ شَرَابُهُ، وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ " ٤٠٣

(١٤) آداب الإنصات أثناء تلاوة القرآن :

قال تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (٢٠٤) سورة الأعراف

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْقُرْآنَ بَصَائِرٌ لِلنَّاسِ وَهَدًى وَرَحْمَةٌ، أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِنْصَاتِ إِلَيْهِ عِنْدَ تَلَاوَتِهِ لِلانْتِفَاعِ بِهَدَاةِ، وَإِعْظَامًا لَهُ وَاحْتِرَامًا. فَإِذَا قَرَأَ الْإِمَامُ فِي صَلَاةِ الْجَهْرِ فَالْمُؤْتَمِنُونَ بِهِ يَنْصِتُونَ وَلَا يَقْرَأُونَ مَعَهُ. ٤٠٤

فلاستماع إلى هذا القرآن والإنصات له - حيثما قرىء - هو الأليق بجلال هذا القول، وبجلال قائله سبحانه! وإذا قال الله أفلا يستمع الناس وينصتون؟! ثم رجاء الرحمة لهم: «لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ».. ما الذي يخصه بالصلاة؟ وحيثما قرىء القرآن، واستمعت له النفس وأنصتت، كان ذلك أرجى لأن تعي وتأثر وتستجيب فكان ذلك أرجى أن ترحم في الدنيا والآخرة جميعا..

إن الناس يخسرون الخسارة التي لا يعارضها شيء بالانصراف عن هذا القرآن.. وإن الآية الواحدة لتصنع أحيانا في النفس - حين تستمع لها وتنصت - أعاجيب من الانفعال والتأثر والاستجابة والتكيف والرؤية والإدراك، والطمأنينة والراحة، والنقلة البعيدة في المعرفة الواعية المستنيرة.. مما لا يدركه إلا من ذاقه وعرفه! وإن العكوف على هذا القرآن - في وعي وتدبر لا مجرد التلاوة والترنم! - لينشئ في القلب والعقل من الرؤية الواضحة البعيدة المدى ومن المعرفة المطمئنة المستيقنة ومن الحرارة والحيوية والانطلاق! ومن الإيجابية والعزم والتصميم ما لا تدانيه رياضة أخرى أو معرفة أو تجريب! وإن رؤية حقائق الوجود - من خلال التصوير القرآني - وحقائق الحياة، ورؤية الحياة البشرية وطبيعتها وحاجاتها من

٤٠٣ - شعب الإيمان - (٧ / ٤٤٧) (٥٢٦١) صحيح

٤٠٤ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١١٥٩)

خلال التقريرات القرآنية، لهي رؤية باهرة واضحة دقيقة عميقة. تهدي إلى معالجتها وإلى مزاولتها بروح أخرى، غير ما توجه إليه سائر التصويرات والتقريرات البشرية ..

وهذا كله أرحى إلى الرحمة .. وهو يكون في الصلاة وفي غير الصلاة. وليس هناك ما يخصص هذا التوجيه القرآني العام بالصلاة كما روى القرطبي عن النحاس.^{٤٠٥}

وعن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَافِعًا لِأَصْحَابِهِ، وَعَلَيْكُمْ بِالزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقْرَةَ وَآلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَائِتَانِ، أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، وَعَلَيْكُمْ بِسُورَةِ الْبَقْرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ.^{٤٠٦}

الزهراوين: لون أزهر: نير، والزهر، والزهرة البياض النير، وهو أحسن الألوان البيض.

الغمامة: السحابة، والجمع الغمام.

الغياية: كل شيء أظل الإنسان وغيره من فوقه، وهي كالسحابة، وأراد به: أن السورة كالشيء الذي يظل الإنسان من الأذى في الحر والبرد وغيرهما.

الفرق: الجماعة المنفردة من الغنم والطيور ونحو ذلك.

صواف: جمع صافة، وهي التي تصف أجنحتها عند الطيران.

تحاجان: المحاجة: المخاصمة والمجادلة، وإظهار الحجة.

الاستحصاء: والإحصاء: جمع الشيء وعده والإحاطة به.

" فالاستماع له والإنصات واجب إسلامي وهو الجدير بجليل الكلام وعظمة المتكلم ، فعندئذ تتزل الرحمة. فحيثما قرأ القرآن وحيثما تلاه المؤمنون تتزلت الرحمات وصفت النفوس وزكت القلوب لأن في القرآن الذكر والأحكام والعبادة والتشريع."^{٤٠٧}

^{٤٠٥} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٣ / ١٤٢٥)

^{٤٠٦} - صحيح مسلم - المكثر - (١٩١٠) وصحيح ابن حبان - (١ / ٣٢٣) (١١٦)

^{٤٠٧} - حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهنجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٢٧. وانظر إلى سهام مهدي

جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٤٤-٣٤٦

" وعلينا ألا ننسى أثر العقيدة الطيبة في استحابة الطفل، فالمرابي الذي يوقر القرآن ويحمله ويحسن الاستماع إليه، سيكون له أكبر الأثر في نفس الطفل وعظيم تقديره لكلام الله تعالى^{٤٠٨}

إنه كتاب الله، منزلته كمنزلة منزلته، وتعظيمه من تعظيم قائله، والأدب معه أدب مع الله سبحانه وحرى بالمسلم أن يتعلم هذه الآداب ليلتزمها مع كتاب الله الكريم.

١- أن يقصد بقراءته وجه الله تعالى، وتعلم أحكام كتابه، وتنفيذ أمر ربه بتلاوة القرآن الكريم.

قال الله تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ } (٥) سورة البينة.

وهذه هي قاعدة دين الله على الإطلاق: عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، والميل عن الشرك وأهله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة: «وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ».. عقيدة خالصة في الضمير، وعبادة لله، تترجم عن هذه العقيدة، وإنفاق للمال في سبيل الله، وهو الزكاة.. فمن حقق هذه القواعد، فقد حقق الإيمان كما أمر به أهل الكتاب، وكما هو في دين الله على الإطلاق. دين واحد. وعقيدة واحدة، تتوالى بها الرسالات، ويتوافى عليها الرسل.. دين لا غموض فيه ولا تعقيد. وعقيدة لا تدعو إلى تفرق ولا خلاف، وهي بهذه النصاعة، وبهذه البساطة، وبهذا التيسير. فأين هذا من تلك التصورات المعقدة، وذلك الجدل الكثير؟^{٤٠٩}

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى قَاصٍ يقرأُ ثُمَّ سَأَلَ فَاسْتَرْجَعَ ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلَيْسَ أَلِ اللَّهِ بِهِ فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ ». رواه الترمذي^{٤١٠}.

٢- أن يكون على طهارة من الحدثن، فالطهارة من الجنابة والحيض والنفاس فرض لقراءة القرآن أو مس المصحف وحمله.

٤٠٨ - العك، خالد عبد الرحمن، تربية الأبناء والبنات في ضوء القرآن والسنة، ص ١٢٩

٤٠٩ - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٩٥٢)

٤١٠ - سنن الترمذي - المكثر - (٣١٦٧) والصحيحة (٢٥٧) و صحيح الجامع (٦٤٦٧) صحيح لغيره

قال تعالى: { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) } الواقعة.

إن هذا القرآن الذي نزل على محمد لقرآن عظيم المنافع، كثير الخير، غزير العلم، في كتاب مَصُونٌ مستور عن أعين الخلق، وهو الكتاب الذي بأيدي الملائكة. لا يَمَسُّ القرآن إلا الملائكة الكرام الذين طهرهم الله من الآفات والذنوب، ولا يَمَسُّه أيضاً إلا المتطهرون من الشرك والجنابة والحدث. وهذا القرآن الكريم منزل من رب العالمين، فهو الحق الذي لا مرية فيه.^{٤١١}

فَعَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَمَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَا وَرَجُلَانِ: رَجُلٌ مِنَّا، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، أَحْسَبُ فَبَعَثَهُمَا وَجْهًا، وَقَالَ: إِنَّكُمَا عَلِجَانِ فَعَالِجَانِ عَنْ دِينِكُمَا، ثُمَّ دَخَلَ الْمَخْرَجَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ مَاءٍ فَتَمَسَّحَ بِهَا ثُمَّ جَاءَ، فَقَرَأَ الْقُرْآنَ قِرَاءَةً فَأَنْكَرْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي الْخَلَاءَ فَيَقْضِي الْحَاجَةَ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَأْكُلُ مَعَنَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَلَا يَحْجُبُهُ عَنِ الْقُرْآنِ شَيْءٌ لَيْسَ الْجَنَابَةُ، أَوْ إِلَّا الْجَنَابَةُ " ابن خزيمة^{٤١٢}.

٣- تنظيف الفم بالسواك وغيره، لأنه مجرى كلام الله تبارك وتعالى.

فَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ إِنَّ أَفْوَاهَكُمْ طُرُقٌ لِلْقُرْآنِ فَطَيِّبُوهَا بِالسَّوَاكِ. " رواه ابن ماجه^{٤١٣}

٤- يستحب للقارئ أن يجلس مستقبلاً القبلة إذا تمكن من ذلك، فعن ابن عمر، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَكْرَمُ الْمَجَالِسِ مَا اسْتُقْبِلَ بِهِ الْقِبْلَةَ " الطبراني^{٤١٤}

٤١١ - التفسير الميسر - (١٠ / ١٥)

٤١٢ - صحيح ابن خزيمة - (١ / ١١٧) حسن

٤١٣ - سنن ابن ماجه - المكثر - (٣٠٦) ومعجم ابن الأعرابي - (١٧٥٧) ضعيف

٤١٤ - المعجم الكبير للطبراني - (١١ / ٣٣٦) (٧٦٦) والسنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٧ / ٢٧٢) (١٤٩٨٢)

حسن لغيره

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شَرَفًا، وَإِنْ شَرَفَ الْمَجَالِسِ مَا اسْتُقْبِلَ بِهِ الْقِبْلَةُ، وَمَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ أَخِيهِ مِنْ غَيْرِ أَمْرِهِ، فَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي النَّارِ. ^{٤١٥}
ويجوز أن يقرأ قائما أو ماشيا أو مضجعا أو في فراشه أو في الطريق أو على غير ذلك من الأحوال وله الأجر، وإن كان دون الأول ^{٤١٦}.

٥- طهارة المكان والثياب ونظافتهما، والتجمل والتطيب استعدادا لمناجاة الله تعالى
بتلاوة كلامه. قال تعالى: {وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ} (٤) سورة المدثر، يحتمل أن المراد بثيابه، أعماله كلها، وبتطهيرها تخليصها والنصح بها، وإيقاعها على أكمل الوجوه، وتنقيتها عن المبطلات والمفسدات، والمنقصات من شر ورياء، [ونفاق]، وعجب، وتكبر، وغفلة، وغير ذلك، مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته.

ويدخل في ذلك تطهير الثياب من النجاسة، فإن ذلك من تمام التطهير للأعمال خصوصا في الصلاة، التي قال كثير من العلماء: إن إزالة النجاسة عنها شرط من شروط الصلاة. ويحتمل أن المراد بثيابه، الثياب المعروفة، وأنه مأمور بتطهيرها عن [جميع] النجاسات، في جميع الأوقات، خصوصا في الدخول في الصلوات، وإذا كان مأمورا بتطهير الظاهر، فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن ^{٤١٧}.

٦- التعوذ والبسملة قبل البدء بالتلاوة. قال تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} (٩٨) سورة النحل.
يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ وَعِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ بِأَنْ يَسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، إِذَا أَرَادُوا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ. ^{٤١٨}

^{٤١٥} - المعجم الكبير للطبراني - (٩ / ١٩٧) (١٠٦٣٠) حسن لغيره

^{٤١٦} - انظر: غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب - (٣ / ٣٨٢) ولواقح الأنوار القدسية في بيان العهود الحمديّة -

(٢ / ٨٧) وفتاوى واستشارات الإسلام اليوم - (١ / ٥١٠) معنى حديث: "خير المجالس ما استقبل به القبلة"

^{٤١٧} - تفسير السعدي - (١ / ٨٩٥)

^{٤١٨} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٩٩٩)

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ، فَهُوَ أَقْطَعُ. ٤١٩

٧- **المدائمة على قراءة القرآن، بالتزام ورد يومي وإن قل، وتجنب هجران القرآن ونسيان تلاوته.** عن الحسن، قال: قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: " لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا، وإنِّي لأكره أن يأتي عليَّ يومٌ لا أنظرُ في المصحفِ " وما مات عثمان حتى حرق مصحفه من كثرة ما كان يدرسه النظر فيها ٤٢٠

قال تعالى: { وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠) } الفرقان. وقال الرسول مشتكيًا إلى ربه: يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا، أَيُّ أَنْ قَوْمِي الَّذِينَ بَعَثْتَنِي إِلَيْهِمْ لَأَدْعُوهُمْ إِلَى تَوْحِيدِكَ، وَأَمَرْتَنِي بِإِبْلَاحِ الْقُرْآنِ إِلَيْهِمْ، قَدْ هَجَرُوا كِتَابَكَ، وَتَرَكُوا الْإِيمَانَ بِكَ، وَلَمْ يَأْبَهُوا بِوَعِيدِكَ، بَلْ أَعْرَضُوا عَنِ اسْتِمَاعِهِ وَأَتَّبَعَهُ ٤٢١. وعن أبي موسى عن النبي ﷺ - قال « تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقْلِهَا » رواه مسلم ٤٢٢.

٨- **الإقبال بشغف وشوق ومحبة على كلام الله تعالى حتى يتملك عليه مشاعره وأحاسيسه، وقلبه وفكره وروحه، ويعين على ذلك طرح كل ما يشغله من أفكار أو كلام أو هموم الحياة الدنيا، وخصوصا في صلاة الليل.** قال تعالى: { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } الزمر ٢٣.

الله تعالى أنزل أحسن الحديث قرآناً يشبه بعضه بعضاً (مثنائي)، ويتردد فيه القول، مع الموعظ والأحكام ليفهم الناس ما أراد ربهم تعالى، وإذا تليت معه آيات العذاب والعقاب أفسحرت لها جلود الذين يخشون ربهم، ووجلّت لها قلوبهم، وإذا تليت آيات الرحمة

٤١٩ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي - (١٢١٩) وفيه ضعف

٤٢٠ - شعب الإيمان - (٣ / ٥١٠) (٢٠٣٠) حسن

٤٢١ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٧٦٧)

٤٢٢ - صحيح مسلم - المكثر - (١٨٨٠) - العقل: جمع العقال وهو الخبل الذي يربط به البعير

وَالْمَعْرِفَةَ وَالنَّوَابِ تَلِينَ قُلُوبُهُمْ، وَتَطْمَئِنُّ نَفْسُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ. وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ فَقَدْ هَدَاهُ اللَّهُ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ سَيَعْرِضُ عَنِ الْحَقِّ فَلَيْسَ لَهُ مَنْ يَهْدِيهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ. ٤٢٣

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ". رواه الطبراني ٤٢٤.

٩- تحسين الصوت وتزيينه عند التلاوة، والتغني بالقرآن ليكون أشد وقعاً، وأكبر تأثيراً في القلوب.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ « مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ ». متفق عليه ٤٢٥.

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: " مَنْ لَمْ يَتَعَنَّ بِالْقُرْآنِ فَلَيْسَ مِنَّا ". رواه أبو يعلى ٤٢٦.

وَعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَرِيزٌ كَأَرِيزِ الْمَرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ. " ابن حبان ٤٢٧

٤٢٣ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٩٦٠)

٤٢٤ - المعجم الكبير للطبراني - (٨ / ٣٨) (٨٥٧٥) صحيح

٤٢٥ - صحيح البخاري - المكثر - (٧٥٤٤) وصحيح مسلم - المكثر - (١٨٨٣)

والذي يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت مطلوب، فإن لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع، كما قال ابن أبي مليكة أحد رواة الحديث، وقد أخرج ذلك عنه أبو داود بإسناد صحيح، ومن جملة تحسينه أن يراعى فيه قوانين النغم، فإن الحسن الصوت يزداد حسناً بذلك، وإن خرج عنها أثر ذلك في حسنه، وغير الحسن ربما انجر بمراعاتها، ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بفتح الأداء. انظر "الفتح" ٦٨/٩-٧٢.

٤٢٦ - مسند أبي يعلى الموصلي (٤٧٥٥) حسن لغيره

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: قَوْلُهُ ﷺ: يَتَعَنَّ بِالْقُرْآنِ، يُرِيدُ يَتَحَرَّنُ بِهِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْعُنْيَةِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْعُنْيَةِ لَقَالَ: يَتَعَنَّي بِهِ، وَلَمْ يَقُلْ: يَتَعَنَّي بِهِ، وَلَيْسَ التَّحَرُّنُ بِالْقُرْآنِ نَقَاءَ الْحَرَمِ، وَطَيْبَ الصَّوْتِ، وَطَاعَةَ اللَّهْوَاتِ بِأَنْوَاعِ النَّعْمِ بِوَفَاقِ الْوَقَاعِ، وَلَكِنَّ التَّحَرُّنَ بِالْقُرْآنِ هُوَ أَنْ يُقَارِنَهُ شَيْئَانِ: الْأَسْفُ وَالتَّلْهُفُ: الْأَسْفُ عَلَى مَا وَقَعَ مِنَ التَّقْصِيرِ، وَالتَّلْهُفُ عَلَى مَا يُؤْمَلُ مِنَ التَّوْفِيرِ، فَإِذَا تَأَلَّمَ الْقَلْبُ وَتَوَجَّعَ، وَتَحَرَّنَ الصَّوْتُ وَرَجَعَ، بَدَرَ الْجَفْنَ بِالذَّمُوعِ، وَالْقَلْبُ بِاللَّمُوعِ، فَحِينَئِذٍ يَسْتَلْذُّ الْمُتَهَجِّدُ بِالمُنَاحَاةِ، وَيَفِرُّ مِنَ الخَلْقِ إِلَى وَكْرِ الخَلَوَاتِ، رَجَاءَ غُفْرَانِ السَّلْفِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالتَّجَاوُزِ عَنِ الجِنَايَاتِ وَالْعُيُوبِ، فَتَسْأَلُ اللَّهُ التَّوْفِيقَ لَهُ. صحيح ابن حبان - (٣ / ٢٨)

١٠ - قراءة القرآن حسب قواعد التجويد، وترتيبه على النحو الذي وضعه علماء القرآن بتأديته حرفاً حرفاً، من غير استعجال، وكما ورد عن السلسلة المتصلة بالنبي ﷺ في تلقي القرآن الكريم، قال ابن الجزري:

والأخذ بالتجويد حتم لازم..... من لم يجود القرآن آثم
لأنه به الإله أنزله..... وهكذا منه إلينا وصله

وهذا الواجب يتأدى بالتطبيق العملي للأحكام على ما يقرؤه القارئ، ولو كان لا يعلم قواعد التجويد وأحكامه نظرياً، فالمهم أن يقرأ بالترتيل ما أمره الله تعالى، والترتيل هو تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف كما قال أهل العلم، قال تعالى: { وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) } المزمّل.

وَأَقْرَأَ الْقُرْآنَ مُتَمَهِّلاً فِي قِرَاءَتِهِ، لَأَنَّ ذَلِكَ يُعِينُ عَلَى فَهْمِ مَعَانِيهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَكَذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَقْرَأُ الْقُرْآنَ^{٤٢٨}

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ مَمْلُوكٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أُمَّ سَلَمَةَ عَنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِاللَّيْلِ وَقِرَاءَتِهِ، فَقَالَتْ: مَا لَكُمْ وَلِصَلَاتِهِ وَلِقِرَاءَتِهِ؟ كَانَ يُصَلِّي قَدْرَ مَا يَنَامُ، وَيَنَامُ قَدْرَ مَا يُصَلِّي، وَإِذَا هِيَ تَنَعَّتْ قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً حَرْفًا حَرْفًا. " أحمد^{٤٢٩}.

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ ». رواه مسلم^{٤٣٠}.

٤٢٧ - صحيح ابن حبان - (٣ / ٣٠) (٧٥٣) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ ﷺ: فِي هَذَا الْخَبَرِ بَيَانٌ وَأَضِحٌ أَنَّ التَّحْرُزَ الَّذِي أَدْنَى اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِيهِ بِالْقُرْآنِ وَاسْتَمَعَ إِلَيْهِ هُوَ التَّحْرُزُ بِالصَّوْتِ مَعَ بَدَائِيهِ وَنَهَائِيهِ، لِأَنَّ بَدَاءَتَهُ هُوَ الْعَزْمُ الصَّحِيحُ عَلَى الْإِنْقِلَاعِ عَنِ الْمَزْجُورَاتِ، وَنَهَائِيهِ هُوَ الْفُورُ الشَّمِيرُ فِي أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ، فَإِذَا اشْتَمَلَ التَّحْرُزُ عَلَى الْبَدَائِيَةِ الَّتِي وَصَفْتُهَا، وَالنَّهَائِيَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا، صَارَ الْمُتَحْرِزُ بِالْقُرْآنِ كَأَنَّهُ قَذَفَ بِنَفْسِهِ فِي مَقْلَاعِ الْقُرْبَةِ إِلَى مَوْلَاهُ، وَلَمْ يَتَعَلَّقْ بِشَيْءٍ دُونَهُ.

٤٢٨ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٣٥٧)

٤٢٩ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ٥٨٩) (٢٦٥٢٦) (٢٧٠٦١) - صحيح

٤٣٠ - صحيح مسلم - المكثر - (١٨٩٨) - يتتبع: يتردد في قراءته

١١- التدبّر: تُسَنُّ الْقِرَاءَةَ بِالتَّدْبِيرِ وَالتَّفْهَمِ، فَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ، وَالْمَطْلُوبُ الْأَهْمُ، وَبِهِ تَنْشَرِحُ الصُّدُورُ، وَتَسْتَبِيرُ الْقُلُوبُ. قَالَ تَعَالَى: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ } (سورة ص / ٢٩)

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْكَ، يَا مُحَمَّدُ، هَذَا الْقُرْآنَ، وَفِيهِ خَيْرٌ وَبَرَكَةٌ، وَتَفْعٌ وَهُدًى لِلنَّاسِ، لِيُرْشِدَهُمْ إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُهُمْ وَسَعَادَتُهُمْ، وَلِيَتَدَبَّرَهُ أَوْلُو الْأَفْهَامِ وَالْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ. وَتَدَبَّرَ الْقُرْآنَ لَا يَكُونُ بِحُسْنِ تِلَاوَتِهِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ، وَاتِّبَاعِ مَا جَاءَ فِيهِ مِنْ أَوْامِرٍ، وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى عَنْهُ ٤٣١ .

وَقَالَ: { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } (سورة محمد / ٢٤)
أَفَلَا يَتَدَبَّرُ الْمُنَافِقُونَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ مَوَاعِظٍ وَعِبَرٍ لِيَعْلَمُوا خَطَأَ مَا هُمْ مُقِيمُونَ عَلَيْهِ، أَمْ أَنْ قُلُوبَهُمْ وَضَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا أَقْفَالًا فَهِيَ تَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ فَهْمِ الْقُرْآنِ وَتَدَبَّرِ عِظَاتِهِ؟ ٤٣٢
وَصِفَةُ ذَلِكَ أَنْ يَشْغَلَ قَلْبُهُ بِالتَّفَكُّرِ فِي مَعْنَى مَا يَلْفِظُ بِهِ فَيَعْرِفُ مَعْنَى كُلِّ آيَةٍ، وَيَتَأَمَّلُ الْأَوْامِرَ وَالنَّوَاهِيَ، وَيَعْتَقِدُ قَبُولَ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ مِمَّا قَصَرَ عَنْهُ فِيمَا مَضَى اعْتَذَرَ وَاسْتَعْفَرَ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ اسْتَبَشَّرَ وَسَأَلَ، أَوْ عَذَابٍ أَشْفَقَ وَتَعَوَّذَ، أَوْ تَنْزِيهِ نَزَّهَ وَعَظَّمَ، أَوْ دُعَاءٍ تَضَرَّعَ وَطَلَّبَ ٤٣٣ .

وَعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقَّ الْفَقْهِ؟ مَنْ لَمْ يُفْنِطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُرْحِصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، وَلَمْ يُؤْمِنْتَهُمْ مَكْرَ اللَّهِ، وَلَمْ يَتْرِكِ الْقُرْآنَ إِلَى غَيْرِهِ. أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَقُّهُ، وَلَا خَيْرَ فِي فِقْهِ لَيْسَ فِيهِ تَفْهَمٌ، وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ ٤٣٤ .

٤٣١ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٨٧٨)

٤٣٢ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٤٤٨)

٤٣٣ - الإتيان ص ١٠٦، والبرهان في علوم القرآن ١ / ٤٥٥، والتبيان في آداب حملة القرآن ص ٤٥، الموسوعة الفقهية

الكويتية - (١٣ / ٢٥٥)

٤٣٤ - الزهد أبي داود - (١ / ١١٥) (١١١) حسن موقوف

وَعَنْ أَبِي حَمَزَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنِّي سَرِيعُ الْقِرَاءَةِ، وَإِنِّي أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثٍ فَقَالَ: "لَأَنْ أَقْرَأَ الْبَقْرَةَ فِي لَيْلَةٍ فَأَدَّبَهَا وَأُرْتُلَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ كَمَا تَقُولُ" وفي رواية "أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ أَجْمَعَ هَذِرَةً" ٤٣٥

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَقْرَأِ الْقُرْآنَ فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ. "٤٣٦"
وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا يُجَاوِزُونَ الْعَشْرَ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ قَالَ: فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعاً "٤٣٧"

وقد بات الكثير من السلف يتلو أحدهم آية واحدة ليلة كاملة، يرددها ليتدبر ما فيها، وكلما أعادها انكشف له من معانيها، وظهر له من أنوارها، وفاض عليه من علومها وبركاتها.

وَقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ "عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى الْقُرْآنِ فَلَمْ أَجِدْ فِي بَايَةٍ أَشْبَهَ بِهَذِهِ الْآيَةِ {وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (١٠٢) سورة التوبة" ٤٣٨.

قال تعالى: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ (٢٩) } ص.
وقال سبحانه: { وَفُرْقَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (١٠٦) } الإسراء.

وَآتَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ قُرْآنًا نَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ مُفْرَقًا وَمُجَمًّا لِتَتْلُوهُ عَلَى النَّاسِ، وَتُبَلِّغَهُمْ إِلَيْهِ عَلَى مَهْلٍ (عَلَى مُكْثٍ)، لِيَتَمَكَّنُوا مِنْ حِفْظِهِ، وَفَهَمِ أَحْكَامِهِ، وَالتَّمَعَّنِ فِيهَا لِتَرْسَخَ فِي عُقُولِهِمْ وَأَفْهَامِهِمْ. وَقَدْ نَزَّلْنَاهُ شَيْئًا فَشَيْئًا بِحَسَبِ الظُّرُوفِ وَالْحَوَادِثِ وَالْوَقَائِعِ (نَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا) .

٤٣٥ - فضائل القرآن للقاسم بن سلام (١٨٠) صحيح - أدبر: تأمل فيها

٤٣٦ - مصنف ابن أبي شيبة - (١٥ / ٤٦٦) (٣٠٦٤١) صحيح

٤٣٧ - تفسير مجاهد << سورة الفاتحة >> (٢٣٠٠) صحيح

٤٣٨ - تفسير ابن أبي حاتم - (٧ / ٣٩٨) (١٠٧٦٤) فيه انقطاع

وَفَرَّقْنَاهُ بِالتَّشْدِيدِ - كَذَلِكَ كَانَ يَقْرُوهَا ابْنُ عَبَّاسٍ: وَمَعْنَاهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَهُ آيَةً فَآيَةً مُفَسَّرًا وَمُبَيَّنًا لَتَتْلُوهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَهَلٍ، وَتُبَلِّغُهُمْ آيَاهُ عَلَى مَهَلٍ. ٤٣٩

وقال عز من قائل: { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (١٧) }.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا الْقُرْآنَ سَهْلَ الْمَعْنَى، يَسِيرَ اللَّفْظِ، لِيَقْرَاهُ النَّاسُ وَيَتَدَبَّرُوا مَعَانِيَهُ، وَيَتَعَضُّوا بِمَا جَاءَ فِيهِ، وَلَكِنْ هَلْ مَنْ مُتَعَطِّ بِهٖ، مُزْدَجِرٍ بِهِ عَنْ مَعَاصِيهِ؟ ٤٤٠

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ قَيْسِ الْكِنْدِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ عَاصِمَ بْنَ حُمَيْدٍ يَقُولُ سَمِعْتُ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ قُمْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - فَبَدَأَ فَاسْتَاكَ وَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى فَبَدَأَ فَاسْتَفْتَحَ مِنَ الْبَقْرَةِ لِأَنَّ يَمْرُؤَ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ وَسَأَلَ وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ يَتَعَوَّذُ ثُمَّ رَكَعَ فَمَكَثَ رَاكِعًا يَقْدِرُ قِيَامَهُ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ « سُبْحَانَ ذِي الْجَبْرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكَبَرِيَاءِ وَالْعِظَمَةِ ». ثُمَّ سَجَدَ يَقْدِرُ رُكُوعَهُ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ « سُبْحَانَ ذِي الْجَبْرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكَبَرِيَاءِ وَالْعِظَمَةِ ». ثُمَّ قَرَأَ آلَ عِمْرَانَ ثُمَّ سُورَةَ ثُمَّ سُورَةَ فَعَلَّ مِثْلَ ذَلِكَ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ ٤٤١.

١٢- خشوع القلب، وإطراق الرأس، وسكون الجوارح، واستحضار عظمة منزلة

القرآن، والبكاء من خشية الله تعالى، فإن لم يبك فليستجلب البكاء وليحاول ذلك عندما يكون خاليا فإنه أبعد من الرياء..

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " اِقْرَأْ عَلَيَّ "، فَقُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟ قَالَ: إِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا، غَمَزَنِي غَامِزٌ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا عَيْنَاهُ تَهْمِلَانِ "

وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْعِدَاةِ بِالْمِئِينَ ؛ بِالْكَهْفِ وَمَرْيَمَ وَطهَ وَأَقْتَرَبَ، وَنَحْوَهُنَّ مِنَ السُّورِ، فَأَتَيْتُ يَوْمًا مَعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي

٤٣٩ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢١٣٦)

٤٤٠ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٧٤٢)

٤٤١ - سنن النسائي - المكتز - (١١٤٠) - حسن

صَلَاةِ الْعَدَاةِ وَأَنَا فِي آخِرِ صُفُوفِ الرِّجَالِ مَا يَلِي النِّسَاءَ، وَهُوَ يَقْرَأُ الَّتِي يُذَكِّرُ فِيهَا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَمَرَّ بِهِدِ الْآيَةِ إِنَّمَا أَشْكُو بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ، وَكَانَ جَهِيرَ الْقِرَاءَةِ، فَبَكَى حَتَّى انْقَطَعَتْ قِرَاءَتُهُ وَحَتَّى سَمِعْتُ نَحِيْبَهُ " وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: " كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا بَكَاءَ لَا يَمْلِكُ دَمْعُهُ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ " ٤٤٢

قال تعالى: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضُرِبَهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (٢١) سورة الحشر. إِنَّ الْجَبَلَ لَوْ فَهِمَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَتَدَبَّرَهُ، لَخَشَعَ وَتَصَدَّعَ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالْبَشَرِ أَنْ لَا تَلِينَ قُلُوبُهُمْ، وَلَا تَخْشَعُ وَتَتَصَدَّعَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَقَدْ فَهِمُوا مَعَانِيَهُ وَتَدَبَّرُوا مَا فِيهِ؟ وَيَضْرِبُ اللَّهُ تَعَالَى الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لِيُقَرَّبَ مَعَانِي الْقُرْآنِ إِلَى أَفْهَامِهِمْ، لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا وَيَعْتَبِرُونَ . ٤٤٣

وقال سبحانه: {أَوْلَيْكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا* } (٥٨) سورة مريم.

هَؤُلَاءِ النَّبِيُّونَ الَّذِينَ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ فَصَصَهُمْ، هُمُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَيَعْقُوبَ، وَمَنْ هَدَاهُمْ وَقَرَّبَهُمْ، وَكَانُوا إِذَا سَمِعُوا كَلَامَ اللَّهِ الْمُتَضَمِّنَ حُجْجَهُ وَدَلَائِلَهُ وَبَرَاهِينَهُ، سَجَدُوا لِلرَّبِّهِمْ خُضُوعًا وَخُشُوعًا وَحَمْدًا وَشُكْرًا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ وَهُمْ يَبْكُونَ ٤٤٤ .

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ السَّائِبِ، قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَقَدْ كُفَّ بَصْرُهُ، فَأَتَيْتُهُ مُسَلِّمًا عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي بَلَّغْنِي أَنَّكَ حَسَنُ الصَّوْتِ

٤٤٢ - قِيَامُ اللَّيْلِ لِمُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ الْمَرْوَزِيِّ (١٦١) الأول صحيح والباقي بلا سند

٤٤٣ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٠٢٥)

٤٤٤ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٣٠٨)

بِالْقُرْآنِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا، فَإِنَّ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَّكُوا وَتَعَنُّوا بِهِ، فَمَنْ لَمْ يَتَعَنَّ بِهِ فَلَيْسَ مِنَّا" ٤٤٥.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ { أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجُبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ { [النجم: ٦٠] بَكَى أَصْحَابُ الصُّفَّةِ حَتَّى حَرَّتْ دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَهُمْ بَكَى مَعَهُمْ فَبَكَينَا بِبُكَائِهِ فَقَالَ ﷺ: "لَا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَلَوْ لَمْ تُدْنِبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذُنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ" رواه البيهقي ٤٤٦.

١٣ - العمل بالقرآن، ائتمارا بأمره، وانتهاء عن نواهيه، وتنفيذا لوصاياها، ووقوفا عند حدوده.

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: "كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يُعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ" ٤٤٧.

وَعَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: لَقَدْ عَشِنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَأَحَدْنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ - فَيَتَعَلَّمُ حَالَهَا، وَحَرَامَهَا، وَأَمْرَهَا، وَزَاجِرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا. كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمْ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رَجُلًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ فَيَنْتَرَهُ نَثْرَ الدَّفْلِ" ٤٤٨ البيهقي

٤٤٥ - شعب الإيمان - (٣ / ٤٦٧) (١٩٦٠) حسن

أَثَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ الْبُكَاءَ إِذَا كَانَ قَاصِرًا عَلَى خُرُوجِ الدَّمْعِ فَقَطُّ بِلَا صَوْتٍ فَإِنَّهُ جَائِزٌ، قَبْلَ الْمَوْتِ وَبَعْدَهُ، وَمِثْلُهُ غَلْبَةُ الْبُكَاءِ بِصَوْتٍ إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى رَدِّهِ، وَمِثْلُهُ حُزْنُ الْقَلْبِ. وَأَثَقُوا أَيْضًا عَلَى تَحْرِيمِ التَّدْبِ بِتَعْدَادِ مَحَاسِنِ الْمَيِّتِ بِرَفْعِ صَوْتٍ، إِلَّا مَا نُقِلَ فِي الْفُرُوعِ عَنْ بَعْضِ الْحَنَابِلَةِ. الموسوعة الفقهية الكويتية - (٨ / ١٧٢)

٤٤٦ - شعب الإيمان - (٢ / ٢٣٣) (٧٧٧) وسنده واه

٤٤٧ - تفسير الطبري - مؤسسة الرسالة - (١ / ٨٠) (٨١) هذا إسناد صحيح. وهو موقوف على ابن مسعود، ولكنه مرفوع معني، لأن ابن مسعود إنما تعلم القرآن من رسول الله ﷺ. فهو يحكي ما كان في ذلك العهد النبوي المنير.

٤٤٨ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٣ / ١٢٠) (٥٤٩٦) حسن

قال تعالى: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ } البقرة ١٢١ .
 وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ طَائِفَةٌ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ بِخُشُوعٍ وَإِمْعَانٍ، وَيَتَذَكَّرُونَ مَعْنَاهَا، وَيَفْقَهُونَ
 أَسْرَارَهَا وَحِكْمَهَا، وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ أَنَّ مَا جِئَتْ بِهِ يَا مُحَمَّدٌ هُوَ الْحَقُّ، فَيُؤْمِنُونَ
 بِهِ، وَيَهْتَدُونَ بِهِدْيِهِ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، (كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ). وَمَنْ يَكْفُرْ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ بَعْدَ
 مَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ الْحَقُّ، مِنَ الرُّؤْسَاءِ الْمَعَانِدِينَ، وَالْجُهَّالِ الْمُقَدِّدِينَ، فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا
 سَعَادَةَ الدُّنْيَا، وَالْمَجْدَ وَالسِّيَادَةَ الَّتِي يُعْطِيهَا اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُ دِينَهُ .^{٤٤٩}

وعن أبي ذرٍّ، قال: قال لي رسول الله ﷺ: يَا أَبَا ذَرٍّ، لَأَنْ تَعُدَّوْا فَتَعْلَمَ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، خَيْرٌ
 لَكُمْ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِئَةَ رَكْعَةٍ، وَلَأَنْ تَعُدَّوْا فَتَعْلَمَ بِأَبَا مِنْ الْعِلْمِ، عَمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ، خَيْرٌ مِنْ
 أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ. " رواه ابن ماجه ^{٤٥٠} .

وعن شهر بن حوشب، قال: سمعتُ عبدَ الله بنَ عمرو، يقول: قال رسول الله ﷺ: رَبُّ
 حَامِلٍ فَفَقِهَ غَيْرَ فِقْهِهِ، وَمَنْ لَمْ يَنْفَعَهُ فِقْهُهُ عِلْمُهُ ضَرَّهُ جَهْلُهُ، أَقْرَأَ الْقُرْآنَ مَا نَهَاكَ، فَإِذَا لَمْ
 يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرُؤُهُ " رواه الطبراني ^{٤٥١} .

وعن صهيب قال قال رسول الله ﷺ - « مَا آمَنَ بِالْقُرْآنِ مِنْ اسْتَحْلَ مَحَارِمَهُ » . رواه
 الترمذي ^{٤٥٢} .

١٤ - قراءة القرآن مع النظر في المصحف، لتجتمع له عبادتا القراءة والنظر، وقد قال

ابن مسعود رضي الله عنه: أديموا النظر في المصحف .

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: " أَعْطُوا أَعْيُنَكُمْ حَظَّهَا مِنَ الْعِبَادَةِ " قيل: يَا
 رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا حَظُّهَا مِنَ الْعِبَادَةِ ؟ قال: " النَّظْرُ فِي الْمُصْحَفِ، وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ، وَالِاعْتِبَارُ عِنْدَ
 عَجَائِبِهِ " رواه البيهقي ^{٤٥٣} .

^{٤٤٩} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٢٨)

^{٤٥٠} - سنن ابن ماجه - طبع مؤسسة الرسالة - (١ / ١٤٨) (٢١٩) حسن

^{٤٥١} - مسند الشاميين ٣٦٠ - (٢ / ٢٨٢) (١٣٤٥) حسن

^{٤٥٢} - سنن الترمذي - المكتز - (٣١٦٨) فيه ضعف

^{٤٥٣} - شعب الإيمان - (٣ / ٥٠٩) (٢٠٢٩) ضعيف

١٥- الإصغاء والاستماع والإنصات عند تلاوة القرآن، لأن ذلك أدنى للفهم والتأمل بما في آيات الله من وعد ووعد، وتبشير وتهديد، وحكمة وموعظة، وأمر ونهي، وأقرب لإحراز رحمة الله تعالى:

قال تعالى: { وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) } الأعراف. لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْقُرْآنَ بَصَائِرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ، أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِنْصَاتِ إِلَيْهِ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ لِلانْتِفَاعِ بِهُدَاهُ، وَإِعْظَامًا لَهُ وَاحْتِرَامًا. فِإِذَا قَرَأَ الْإِمَامُ فِي صَلَاةِ الْجَهْرِ فَالْمُؤْتَمِنُونَ بِهِ يَنْصِتُونَ وَلَا يَقْرَأُونَ مَعَهُ ٤٥٤.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ تَلَا آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ اسْتَمَعَ لآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ كَتَبَتْ لَهُ حَسَنَةً مُضَاعَفَةً " البيهقي ٤٥٥. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَتَبَ لَهُ حَسَنَةً مُضَاعَفَةً، وَمَنْ تَلَاهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. " أحمد ٤٥٦

١٦- تجنب كل ما يخل بالخشوع مع جلال القرآن أثناء التلاوة أو السماع، كالضحك والتشاؤب والعبث بالثياب أو الأعضاء، وفرقة الأصابع، والتحدث إلى الآخرين دون حاجة. إلخ ويمسك عن القراءة إذا غلبه التشاؤب لأنه في حضرة الخطاب الإلهي، والتشاؤب من الشيطان. فَعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: " إِذَا تَنَاءَبَتْ وَأَنْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَأَمْسِكْ عَنِ الْقِرَاءَةِ، حَتَّى يَذْهَبَ تَنَاءُؤُكَ " ٤٥٧. وَعَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: " إِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَلْيَسْكُتْ، وَلَا يَقُلْ هَاهَا وَهُوَ يَقْرَأُ " ٤٥٨ - يريد أن في ذلك الفعل إجلالا للقرآن ٤٥٩

٤٥٤ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١١٥٩)

٤٥٥ - شعب الإيمان - (٣ / ٣٧٠) (١٨٢٨) حسن لغيره

٤٥٦ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٢٩٨) (٨٤٩٤) ٨٤٧٥ - حسن لغيره

٤٥٧ - فضائل القرآن للقاسم بن سلام (١٠٦) حسن

التشاؤب: تنفس يفتح منه الفم بلا قصد وذلك لأنه يكون عن امتلاء البدن وثقله وكثرة الغذاء وميله إلى الكسل

٤٥٨ - فضائل القرآن للقاسم بن سلام - (١٠٧) صحيح

٤٥٩ - تفسير القرطبي - موافق للمطبوع - (١ / ٢٧)

١٧- العمل على حفظ القرآن الكريم واستظهاره، وإن من أعظم النعم الإلهية أن جعل الله تعالى قلوب عباده المؤمنين أوعية لكلامه، وصدورهم خزائن لآياته، يتلونها آناء الليل وأطراف النهار.

إِنَّ حِفْظَ مَا تَجُوزُ بِهِ الصَّلَاةَ فَرَضٌ، وَحِفْظَ الْفَاتِحَةِ مَعَ سُورَةِ وَاجِبٌ، وَحِفْظَ سَائِرِ الْقُرْآنِ فَرَضٌ كِفَايَةٌ، وَسُنَّةُ الْعَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ النَّفْلِ، وَعَنْ الْكُبْرِيِّ التَّعَلُّمُ أَوْلَى مِنْ حِفْظِ بَوَاقِي الْقُرْآنِ^{٤٦٠}.

وَنِسْيَانِ الْقُرْآنِ مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ وَاحْتَجُّوا أَيْضًا بِمَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي، حَتَّى الْقَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي، فَلَمْ أَرْ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ آيَةٍ، أَوْ تَيْهًا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا^{٤٦١}.

وَمِنْ طَرِيقِ أَبِي الْعَالِيَةِ مَوْفُوفًا " كُنَّا نَعُدُّ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الرَّجُلُ الْقُرْآنَ ثُمَّ يَنَامُ عَنْهُ، (حَتَّى يَنْسَاهُ) " وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ^{٤٦٢}.

وَمِنْ طَرِيقِ ابْنِ سِيرِينَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ الَّذِي يَنْسَى الْقُرْآنَ كَانُوا يَكْرَهُونَهُ وَيَقُولُونَ فِيهِ قَوْلًا شَدِيدًا، وَلِأَبِي دَاوُدَ عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ مَرْفُوعًا " مَا مِنْ أَحَدٍ يَفْرَأُ الْقُرْآنَ، ثُمَّ يَنْسَاهُ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ أَجْدَمٌ " وَفِي إِسْنَادِهِ أَيْضًا مَقَالَ^{٤٦٣}، وَقَدْ قَالَ بِهِ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ أَبُو الْمَكَارِمِ وَالرُّوْيَانِيُّ وَاحْتَجَّ بِأَنَّ الْإِعْرَاضَ عَنِ التَّلَاوَةِ يَنْسَبُ عَنْهُ نِسْيَانُ الْقُرْآنِ، وَنِسْيَانُهُ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ الْإِعْتِنَاءِ بِهِ وَالتَّهَاوُنِ بِأَمْرِهِ.

وقال تعالى: { بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ } العنكبوت ٤٩.

^{٤٦٠} - بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية - (٥ / ٢٥٩) و الإِتقان - (١ / ١٢٥)

^{٤٦١} - انظر المسند الجامع - (١ / ٤٨٦) (٣٢٦) حسن

وهناك خلاف حول سماع المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب من أنس والراجح أنه سمع منه انظر التهذيب ١٧٨/١٠ و ١٧٩

^{٤٦٢} - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية - (١٤ / ٤٠٩) (٣٥٠٢) صحيح

^{٤٦٣} - مصنف ابن أبي شيبة - (١٥ / ٤٥٦) (٣٠٦١٧) ومسنده أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٥٧٠) (٢٢٧٨١)

٢٣١٦٢ - حسن

وَهَذَا الْقُرْآنُ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، وَأَضِحَاتُ الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَقِّ، يَحْفَظُهُ الْعُلَمَاءُ، وَقَدْ يَسَّرَهُ اللَّهُ حِفْظًا وَتِلَاوَةً، وَمَا يُكَذِّبُ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَرْفُضُهَا، وَيِيْخَسُّهَا حَقَّهَا إِلَّا الْمُعْتَدُونَ الظَّالِمُونَ، الَّذِينَ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ وَيَحِيدُونَ عَنْهُ^{٤٦٤} .

وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاسْتَظْهَرَهُ وَحَفِظَهُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَشَفَعَهُ فِي عَشْرَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، كُلُّهُمْ قَدْ وَجَبَتْ لَهُمُ النَّارُ " رواه الترمذي^{٤٦٥} .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ » . رواه الترمذي^{٤٦٦} .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَشْرَافُ أُمَّتِي حَمَلَةُ الْقُرْآنِ وَأَصْحَابُ اللَّيْلِ " البيهقي رواه البيهقي^{٤٦٧} .

١٨ - التَّادِبُ بِأَدَابِ الْحِفْظَةِ إِذَا مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ بِحِفْظِ كِتَابِهِ، وَإِلَّا سَلَبَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْفَضِيلَةُ الْعِظْمَى، قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ: يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، إِلَى الْخَلِيفَةِ فَمَنْ دُونَ، وَأَنْ تَكُونَ حَوَائِجِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْفَضِيلَ يَقُولُ: حَامِلُ الْقُرْآنِ حَامِلُ رَايَةِ الْإِسْلَامِ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْعُوَ مَعَ مَنْ يَلْعُو، وَلَا يَسْهُوَ مَعَ مَنْ يَسْهُو، وَلَا يَلْهُو " قَالَ: وَسَمِعْتُ الْفَضِيلَ يَقُولُ: إِنَّمَا أُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِيُعْمَلَ بِهِ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ قِرَاءَتَهُ عَمَلًا، أَيُّ لِيُحِلُّوا حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيَقِفُوا عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ^{٤٦٨} .

^{٤٦٤} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٢٧١)

^{٤٦٥} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٤١٢)(١٢٦٨) والترمذي (٢٩٠٥) ضعيف

استظهر القرآن: أي حفظه، يقول: قرأت القرآن عن ظهر قلبي، أي: قرأته من حفظي.

^{٤٦٦} - سنن الترمذي - المكتر - (٣١٦١) قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

و تناقض الألبان فضعه في ضعيف الجامع (١٥٢٤) وأقر الترمذي على تصحيحه في المشكاة (٢١٣٥) !!

وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان مختلف فيه وثقة قوم وضعفه آخرون وقال ابن عدي: أحاديثه متقاربة، وأرجو أنه لا بأس به" الكامل ٥٠/٦

^{٤٦٧} - شعب الإيمان - (٤ / ٢٣٤)(٢٤٤٧) ضعيف

^{٤٦٨} - أخلاق حملة القرآن للأجري - (٣٤)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرِفَ بَلِيلَهُ إِذَا النَّاسُ نَأْتَمُونَ، وَبِنَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ مُفْطَرُونَ، وَبِحُزْنِهِ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ، وَبِيكَاثِهِ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ، وَبِصَمْتِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْلَطُونَ، وَبِخُشُوعِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْتَالُونَ، وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ بَاكِيًا مَحْزُونًا حَلِيمًا حَكِيمًا سَكِينًا، وَلَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ذَكَرَ كَلِمَةً، لَا صَخَابًا، وَلَا صِيَاحًا، وَلَا حَدِيدًا. ٤٦٩.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ حُبَابٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، يَقُولُ: يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرِفَ بَلِيلَهُ إِذَا النَّاسُ نَأْتَمُونَ، وَبِنَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ مُفْطَرُونَ، وَبِيكَاثِهِ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ، وَبِحُزْنِهِ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ ٤٧٠.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدْ اسْتَدْرَجَ النُّبُوَّةَ بَيْنَ جَنْبَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ، لَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَنْ يَجِدَّ مَعَ جِدِّ، وَلَا يَجْهَلَ مَعَ جَهْلٍ، وَفِي حَوْفِهِ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى " رَوَاهُ الْحَاكِمُ ٤٧١.

١٩- إن مما يعين على حفظ القرآن الكريم الابتداء بحفظه منذ الصغر، وتفرغ الذهن له باعتناء الأوقات المباركة في الأسحار، وترتيله والتغني به في صلاة الليل، وسماعه من أفواه المقرئين المجيدين ومحاولة تقليد أحدهم، وتدبر المعنى ومعرفة أسباب التزول، وتجزئ القرآن إلى أرباع أحزاب ووضع برنامج محدد للحفظ، والمحافظة على الورد اليومي مهما كانت الأعذار، والتزام معلم للقرآن يسمع منه ما حفظه كل يوم، والتكرار الكثير وعدم الملل أو اليأس إذا صعبت عليه بعض الآيات، والحفظ في مصحف معين والالتزام به ويفضل مصحف الحفاظ، وسؤال الله تعالى بالصدق والعزم أن يكرمه بحفظ كتابه، والتقوى وتطهير النفس والقلب مما سوى الله.

عَنْ عُبَيْدَةَ الْمُلَيْكِيِّ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ، لَا تَوَسَّدُوا الْقُرْآنَ وَأَثْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَفْشُوهُ، وَتَعَتَّوْهُ وَتَدَبَّرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ

٤٦٩ - مصنف ابن أبي شيبة - (١٩ / ٤٧٠) (٣٦٧٣٤) فيه انقطاع

٤٧٠ - المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي - (٤٥١) صحيح

٤٧١ - المستدرک للحاکم (٢٠٢٨) حسن

تُفْلِحُونَ، وَلَا تَعْجَلُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّ لَهُ ثَوَابًا " رواه البيهقي وأبو نعيم ٤٧٢ .

٢٠ - الحرص على الحفظ من النسيان، بالتلاوة المستمرة، والتكرار اليومي للمحفوظات

من القرآن الكريم، واجتناب الذنوب والحرمات، لأن القرآن لا يستقر في القلوب الغافلة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي حَتَّى الْقَذَاءُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي فَلَمْ أَرْ ذَنْبًا أَكْبَرَ مِنْ سُورَةِ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أَوْتِيَهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا ». رواه الترمذي وأبو داود ٤٧٣ .

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَصَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ. " رواه مسلم ٤٧٤ .

٢١ - الدعاء بعد كل تلاوة بما يتناسب والآيات التي تلاها، ويتأكد الدعاء بعد ختم

القرآن الكريم فهو مظنة الاستجابة، عَنْ الْحَكَمِ، قَالَ: أُرْسِلَ إِلَيَّ مُجَاهِدًا، وَعَبْدَةٌ بِنْتُ أَبِي لُبَابَةَ، قَالَا: إِنَّمَا أُرْسَلْنَا إِلَيْكَ أَنَا نُرِيدُ أَنْ نَخْتِمَ الْقُرْآنَ، وَكَانَ يُقَالُ: " إِنْ الدُّعَاءُ يُسْتَجَابُ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ، فَلَمَّا فَرَعُوا مِنْ خَتْمِ الْقُرْآنِ دَعَوْا بِدَعَوَاتٍ " ٤٧٥

وَعَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " مَعَ كُلِّ خَتْمَةٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ " ٤٧٦

وَعَنِ الْعَرَبِيَّاتِ بِنِ سَارِيَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ صَلَّى صَلَاةَ فَرِيضَةٍ فَلَهُ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، وَمَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فَلَهُ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ " ٤٧٧

٤٧٢ - شعب الإيمان - (٣ / ٣٨٨) (١٨٥٢) ومعرفة الصحابة لأبي نعيم - (٤ / ١٩١٧) (٤٨١٩) ضعيف

قال أبو عبيد: قوله: تغنوه، يقول: اجعلوه غناكم من الفقر، ولا تعدوا الإقلال معه فقرا . وقوله: تقنوه، يقول: اقتنوه كما تقننون الأموال، واجعلوه مالكم .

٤٧٣ - سنن أبي داود - المكثر - (٤٦١) وسنن الترمذي - المكثر - (٣١٦٦) حسن - القذاة: ما يقع في العين

والشراب من غبار ووسخ

٤٧٤ - صحيح مسلم - المكثر - (١٨٧٥) وصحيح ابن حبان - (٣ / ٤١) (٧٦٤) - المعقلة: المربوطة بالحبال

٤٧٥ - سنن الدارمي - المكثر - (٣٥٤٦) وشعب الإيمان - (٣ / ٤٢٢) (١٩٠٩) صحيح

٤٧٦ - شعب الإيمان - (٣ / ٤٣٤) (١٩١٩ - ١٩٢٠) فِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ

٤٧٧ - المعجم الكبير للطبراني - (١٣ / ١٧٩) (١٥٠٥٠) ضعيف

وَعَنْ ثَابِتٍ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، كَانَ إِذَا خَتَمَ الْقُرْآنَ جَمَعَ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ، فَدَعَا لَهُمْ .
الطبراني^{٤٧٨}

٢٢- يسن إذا فرغ من الختمة أن يشرع في ختمة جديدة مباشرة ليكون متواصل القراءة دون فترة أو مهلة أو تقاعس بعد الختمة..

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ قَالَ « الْحَالُ الْمُرْتَحِلُ ». قَالَ وَمَا الْحَالُ الْمُرْتَحِلُ قَالَ « الَّذِي يَضْرِبُ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ إِلَى آخِرِهِ كَلَّمَا حَلَّ ارْتَحَلَ ». رواه الترمذي^{٤٧٩}.

ونلاحظ من العرض السابق أن تلك الآداب الاجتماعية لها أهميتها في تنشئة النفوس المؤمنة على الخلق القويم الذي يقتضيه التمسك بشريعة الإسلام فالإسلام يبغى للنفس المؤمنة أن تكون مهذبة مصونة من كل أسباب الأمراض، بعيدة عن كل ألوان العيوب النفسية، من أجل أن يكون المسلم ذا خلق كريم، وأن تكون نفسه خيرة طيبة مطمئنة. وعليه يبغى أن تكون الآداب الاجتماعية أصلاً من أصول التربية الإسلامية، لما لها من تأثير كبير في تشكيل شخصية الإنسان المسلم، شخصية سماها الوقار والهيبة، والاعتدال وقوة الشخصية فالخلق في الإسلام هو سبيل الارتقاء بالمسلم إلى مدارج الكمال.

المطلب الرابع - المبادئ الصحيحة في تربية الولد على الخلق القويم، والشخصية الإسلامية المتميزة:

لا شك أن الرسول ﷺ قد وضع للآباء والأولياء والمربين جميعاً المنهج العلمي، والمبادئ الصحيحة في تربية الولد على الخلق القويم، والشخصية الإسلامية المتميزة... وإليكم أهم بنود هذا المنهج، وأميز هاتيك المبادئ:

١- التحذير من التشبه والتقليد الأعمى:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفَرُّوا اللَّحَى، وَأَحْفُوا الشُّوَارِبَ ». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا حَجَّ أَوْ اعْتَمَرَ قَبِضَ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَمَا فَضَلَ أَخَذَهُ^{٤٨٠}.

^{٤٧٨} - المعجم الكبير للطبراني - (١ / ٢٩١) (٦٧٣) صحيح

^{٤٧٩} - سنن الترمذي - المكثر - (٣٢٠٠) ضعيف

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « جُرُوا الشَّوَارِبَ وَأَرْخُوا اللَّحَى خَالِفُوا
الْمَجُوسَ ». ٤٨١

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ
بِغَيْرِنَا لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلَا النَّصَارَى فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ الْإِشَارَةُ بِالْأَصَابِعِ وَتَسْلِيمَ
النَّصَارَى الْإِشَارَةُ بِالْأَكْفُفِ » ٤٨٢ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » ٤٨٣ .
وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « لَا تَكُونُوا إِمْعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنًا
وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطِنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا
تَظْلَمُوا ». ٤٨٤

وعليك - أيها القارئ - أن تميز بين أمرين فيما نأخذ من عند غيرنا وفيما ندع:
الأول - الجواز: وذلك استمداد العلم المفيد، والحضارة النافعة كعلم
الطب، والهندسة، والفيزياء، والكيمياء، ووسائل الحرب، وحقائق المادة، وأسرار الذرة.. وغيرها
من الحضارات والعلوم النافعة لكونها تدخل في مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام فيما
روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَاللَّهُ يُحِبُّ
إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ " ٤٨٥

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: كَانَ يُقَالُ: الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ يَأْخُذُهَا إِذَا وَجَدَهَا. ٤٨٦

٤٨٠ - صحيح البخارى - المكثر - (٥٨٩٢) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٢٥)

٤٨١ - صحيح مسلم - المكثر - (٦٢٦)

٤٨٢ - سنن الترمذى - المكثر - (٢٩١١) حسن

٤٨٣ - سنن أبي داود - المكثر - (٤٠٣٣) صحيح

٤٨٤ - سنن الترمذى - المكثر - (٢١٣٨) حسن

الإمعة: الذى لا رأى له ولا عزم - وطنوا: وطن نفسه إذا حملها على الشىء فتحملت وذلت له

٤٨٥ - شعب الإيمان - (٣ / ١٩٤) (١٥٤٤) صحيح لغيره

٤٨٦ - مصنف ابن أبي شيبة - (١٤ / ٥١) (٣٦٨٣١) صحيح مقطوع

وفي عموم قوله تبارك وتعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} (٦٠) سورة الأنفال

الثاني - التحريم: وذلك في تقليد السلوك، والأخلاق، والعادات، والتقاليد، وجميع المظاهر الأجنبية عنا، والأوضاع المنافية لخصائص أمتنا، ومقومات أخلاقنا. لكونها تؤدي إلى فقدان الذات، وذوبان الشخصية، وهزيمة الروح والإرادة، ونكسة الفضيلة والأخلاق.

٢- النهي عن الاستغراق في التمتع:

عَنْ أَبِي عُمَانَ قَالَ كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ رضي الله عنه وَنَحْنُ بِأَذْرِيحَانَ يَا عْتَبَةَ بِنَ فَرْقَدٍ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَذِّكَ وَلَا مِنْ كَذِّ أَبِيكَ وَلَا مِنْ كَذِّ أُمَّكَ فَأَشْبِعِ الْمُسْلِمِينَ فِي رِحَالِهِمْ مِمَّا تَشْبَعُ مِنْهُ فِي رَحْلِكَ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمَّ وَزِيَّ أَهْلِ الشَّرْكِ وَكَبُوسَ الْحَرِيرِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - نَهَى عَنِ كَبُوسِ الْحَرِيرِ. قَالَ «إِلَّا هَكَذَا». وَرَفَعَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - إِصْبَعِيهِ الْوُسْطَى وَالسَّبَابَةَ وَضَمَّهُمَا ^{٤٨٧}

وَعَنْ أَبِي عُمَانَ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ وَنَحْنُ بِأَذْرِيحَانَ مَعَ عْتَبَةَ بِنَ فَرْقَدٍ أَنَّهُ: لَيْسَ مِنْ كَذِّكَ وَلَا كَذِّ أَبِيكَ، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَأَشْبِعِ يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ فِي رِحَالِهِمْ كَمَا تَشْبَعُ فِي رَحْلِكَ وَأَتَزَرُّوا وَارْتَدُّوا وَالْقَوَا الْخِفَافَ وَالْقَوَا السَّرَاوِيلَاتِ وَالْقَوَا الرُّكْبَ وَارْمُوا الْأَغْرَاضَ وَعَلَيْكُمْ بِالْعَرَبِيَّةِ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمَّ وَزِيَّ أَهْلِ الشَّرْكِ وَكَبُوسَ الْحَرِيرِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " نَهَى عَنِ كَبُوسِ الْحَرِيرِ إِلَّا هَكَذَا وَوَضَعَ أُصْبَعِيهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى وَضَمَّهَا ^{٤٨٨}

وَعَنْ أَبِي عُمَانَ التَّهْدِيَّ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: " ذُرُّوا التَّعَمَّ وَزِيَّ الْعَجَمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْحَرِيرَ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ نَهَى عَنْهُ قَالَ: " لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ إِلَّا مَا كَانَ هَكَذَا "، وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِإِصْبَعِيهِ الْوُسْطَى وَالسَّبَابَةَ " ^{٤٨٩}.

^{٤٨٧} - صحيح مسلم - المكثر - (٥٥٣٢)

^{٤٨٨} - شعب الإيمان - (٨ / ٢٠٠) (٥٦٩٢) صحيح

^{٤٨٩} - حلية الأولياء (٣٥٦٣) صحيح

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ بِهِ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: إِيَّاكَ وَالتَّنْعَمُ؛ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيَسُؤُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ. ٤٩٠

وعن مريح بن مسروق الهوزني، قال: آخر شيء أوصى به رسول الله ﷺ معاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن أن قال له: لا تتعمن فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين. ٤٩١

والمقصود بالتنعم هو الاستغراق الزائد في الملاذ والطيبات، والتقلب الدائم في النعيم والترف.. ولا يخفى ما في هذه الظاهرة من إخلاد للراحة، وتقاعس عن واجب الدعوة والجهاد، وانزلاق في متاهات الميوعة والانحلال، وسبب لتفشي الأسقام والأمراض..

٣- النهي عن الاستماع إلى الموسيقى والغناء الخليع:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَنِي رَحْمَةً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ، بَعَثَنِي لَأَمْحَقَ الْمَعَارِفَ وَالْمَزَامِيرَ وَأَمُرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالْأَوْثَانَ، وَحَلَفَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ بِعِزَّتِهِ لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَقَاهُ اللَّهُ مِثْلَهَا مِنَ الْحَمِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَغْفُورٌ لَهُ أَوْ مُعَذَّبٌ، وَلَا يَدْعُهَا أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَقَيْتُهُ إِيَّاهَا فِي حَظِيرَةِ الْقُدُسِ حَتَّى تَقْتَعَ نَفْسُهُ" ٤٩٢

المعارف: آلات الطرب

الأوثان: جمع وثن وهو الصنم، وقيل: الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الحشب والحجارة، كصورة الآدمي تُعمل وتُنصب فتُعبد وقد يُطلق الوثن على غير الصورة، والصنم: الصورة بلا جثة

الحميم: الماء الحار - حظيرة القدس: الجنة

وعن عبد الرحمن بن غنم، قال: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ، وَأَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ أَنَّ سَمْعًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَيَكُونَنَّ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَارِفَ. ٤٩٣ - الحر: الفرج

والمعنى يستحلون الزنا

٤٩٠ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٣٧٥) (٢٢١٠٥) ٢٢٤٥٦ - وصحيح الجامع (٢٦٦٨) صحيح لغيره

٤٩١ - مسند الشاميين ٣٦٠ - (٢ / ٣٠٧) (١٣٩٥) صحيح لغيره

٤٩٢ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٤٠٩) (٢٢٢١٨) ٢٢٥٧١ - وذم الملاحى - (١ / ٧١) (٦٩) ضعيف

٤٩٣ - صحيح ابن حبان - (١٥ / ١٥٤) (٦٧٥٤) وصحيح البخارى - المكنز - (٥٥٩٠) تعليقاً صحيح

وفي هذا الحديث وعيد شديد على من يتحيل في تحليل ما يحرم بتغيير اسمه، وأن الحكم يدور مع العلة. والعلة في تحريم الخمر الإسكار، فمهما وجد الإسكار وجد التحريم ولو لم يستمر الاسم. قال ابن العربي: هو أصل في أن الأحكام إنما تتعلق بمعاني الأسماء لا بألقابها، ردا على من حمله على اللفظ. ^{٤٩٤}

المَعَارِفُ مِنْهَا مَا هُوَ مُحَرَّمٌ كَذَاتِ الْأَوْتَارِ وَالنَّيَّاتِ وَالْمَزَامِيرِ وَالْعُودِ وَالطُّبُبُورِ وَالرَّبَابِ، نَحْوَهَا فِي الْجُمْلَةِ، وَمِنَ الْمَعَارِفِ مَا هُوَ مَكْرُوهٌ، كَالدُّفِّ الْمُصَنَّجِ لِلرِّجَالِ عِنْدَ بَعْضِ الْحَنْفِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مُبَاحًا كَطُبُولِ غَيْرِ اللَّهْوِ مِثْلَ طُبُولِ الْعَزْوِ أَوْ الْقَافِلَةِ. عِنْدَ بَعْضِ فُقَهَاءِ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ .

وَمِنْهَا مَا يَكُونُ اسْتِعْمَالُهُ مَنْدُوبًا أَوْ مُسْتَحَبًّا كَضَرْبِ الدُّفِّ فِي النِّكَاحِ لِإِعْلَانِهِ. عِنْدَ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ، وَفِي غَيْرِ النِّكَاحِ مِنْ مُنَاسَبَاتِ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ فِي الْجُمْلَةِ عِنْدَ الْبَعْضِ ^{٤٩٥} وَاخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي حُكْمِ الْغِنَاءِ: فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِكَرَاهَتِهِ كَرَاهَةً تَنْزِيهًا، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِتَحْرِيمِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِالْإِبَاحَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَصَّلَ بَيْنَ الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَاحَظَ جِنْسَ الْمُعْتَى فَفَرَّقَ بَيْنَ غِنَاءِ الرِّجَالِ وَغِنَاءِ النِّسَاءِ، وَمِنْهُمْ مَنْ مَيَّزَ بَيْنَ الْبَسِيطِ السَّادِجِ وَبَيْنَ الْمُقَارِنِ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْأَلَاتِ ^{٤٩٦} .

وَذَهَبَ الْحَنْفِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ وَهُوَ مَا يُفْهَمُ مِنْ مَذْهَبِ الْمَالِكِيَّةِ إِلَى أَنَّ اتِّخَاذَ الْغِنَاءِ حَرْفَةً يُرْتَقَى مِنْهَا حَرَامٌ. وَذَهَبَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ فِي الْأُمَّ إِلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ أَوْ الرَّجُلَ يُعْنَى، فَيَتَّخِذُ الْغِنَاءَ صِنَاعَةً يُؤْتَى عَلَيْهِ وَيَأْتِي لَهُ، وَيَكُونُ مَنَسُوبًا إِلَيْهِ مَشْهُورًا بِهِ مَعْرُوفًا، لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ مِنَ اللَّهْوِ الْمَكْرُوهِ الَّذِي يُشْبِهُ الْبَاطِلَ، وَأَنَّ مَنْ صَنَعَ هَذَا كَانَ مَنَسُوبًا إِلَى السَّغَى وَسَقَاطَةِ الْمَرْوَةِ، وَمَنْ رَضِيَ بِهَذَا لِنَفْسِهِ كَانَ مُسْتَحْفًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَرَّمًا بَيْنَ التَّحْرِيمِ. ^{٤٩٧}

^{٤٩٤} - فتح الباري لابن حجر - (١٠ / ٥٦)

^{٤٩٥} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٣٨ / ١٦٨)

^{٤٩٦} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٣١ / ٢٩٦)

^{٤٩٧} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٣١ / ٢٩٦)

إِنَّ مَا حَلَ تَعَاطِيهِ (أَيْ فِعْلُهُ) مِنَ الْمَوْسِقَى وَالْغِنَاءِ حَلَّ الْإِسْتِمَاعِ إِلَيْهِ، وَمَا حُرِّمَ تَعَاطِيهِ مِنْهُمَا حُرْمَ الْإِسْتِمَاعِ إِلَيْهِ، لِأَنَّ تَحْرِيمَ الْمَوْسِقَى أَوْ الْغِنَاءِ لَيْسَ لِدَاتِهِ، وَلَكِنْ لِأَنَّهُ أَدَاةٌ لِلْإِسْمَاعِ، وَيُذَلُّ عَلَى هَذَا قَوْلُ الْعَزَالِيِّ فِي مَعْرِضِ حَدِيثِهِ عَنْ شِعْرِ الْخَنَاءِ، وَالْهَجْوِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ: فَسَمَاعٌ ذَلِكَ حَرَامٌ بِالْحَانَ وَبَعِيرِ الْحَانَ، وَالْمُسْتَمِعُ شَرِيكٌ لِلْقَائِلِ. وَقَوْلُ ابْنِ عَابِدِينَ: وَكُرِّهَ كُلُّ لَهْوٍ وَاسْتِمَاعُهُ. ٤٩٨

ولا يخفى على كل ذي عقل وبصيرة ما في الاستماع إلى هذه المحرمات من أثر على أخلاق الولد، ومن جرّه إلى الترهل والفجور والمنكر، ومن انزلاقه في متاهات الشهوات والملذات!!..

٤ - النهي عن التخنث والتشبه بالنساء:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ قَدِمَ مُعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ فَخَطَبَنَا وَأَخْرَجَ كُبَّةً مِنْ شِعْرِ فَقَالَ مَا كُنْتُ أَرَى أَنْ أَحَدًا يَفْعَلُهُ إِلَّا الْيَهُودَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - بَلَغَهُ فَسَمَّاهُ الزُّورَ. ٤٩٩

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ إِنَّكُمْ قَدْ أَحَدْتُمْ زِيَّ سَوْءٍ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ - نَهَى عَنِ الزُّورِ. قَالَ وَجَاءَ رَجُلٌ بَعْصًا عَلَى رَأْسِهَا خِرْقَةٌ قَالَ مُعَاوِيَةُ أَلَا وَهَذَا الزُّورُ. قَالَ قِتَادَةُ يَعْنِي مَا يُكْتَرُّ بِهِ النَّسَاءُ أَشْعَارُهُنَّ مِنَ الْخِرْقِ. ٥٠٠

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ - الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَقَالَ « أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بِيوتِكُمْ ». قَالَ فَأَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ - فُلَانًا، وَأَخْرَجَ عُمَرُ فُلَانًا. ٥٠١

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا الْمُتَرَجِّلَاتُ مِنَ النِّسَاءِ؟ قَالَ: الْمُتَشَبِّهَاتُ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ. ٥٠٢

٤٩٨ - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٤ / ٩٥)

٤٩٩ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٧٠٢) - الكبة: شعر مكفوف بعضه على بعض

٥٠٠ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٧٠٣)

٥٠١ - صحيح البخاري - المكثر - (٥٨٨٦)

٥٠٢ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٦٦٩) (٢٢٩١) حسن

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ حَرِيرًا فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ، وَذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ، وَقَالَ: هَذَانِ حَرَامٌ عَلَيَّ ذُكُورِ أُمَّتِي. ٥٠٣

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « حُرْمَ لِبَاسِ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَيَّ ذُكُورِ أُمَّتِي وَأُحِلَّ لِإِنَاثِهِمْ ». ٥٠٤

التَّخَنُّتُ فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى: التَّنْيِ والتَّكْسُرِ، وَتَخَنَّتِ الرَّجُلُ إِذَا فَعَلَ فِعْلَ الْمُخَنَّتِ. وَخَنَّتِ الرَّجُلُ كَلَامُهُ: إِذَا شَبَّهَهُ بِكَلَامِ النِّسَاءِ لِينًا وَرَخَامَةً .

والتَّخَنُّتُ اصطلاحًا كما يُؤخذُ من تعريف ابن عابدين للمُخَنَّتِ: هُوَ التَّزْيِي بِزِيِّ النِّسَاءِ وَالتَّشْبُهُ بِهِنَّ فِي تَلْيِينِ الكَلَامِ عَنِ اخْتِيَارٍ، أَوْ الفِعْلِ المُنْكَرِ .

وقال صاحب الدرر: المُخَنَّتُ بِالْفَتْحِ مَنْ يَفْعَلُ الرَّدِيءَ . وَأَمَّا بِالْكَسْرِ فَالْمُتَكَسِّرُ الْمُتَلَيِّنُ فِي أَعْضَائِهِ وَكَلَامِهِ وَخَلْقِهِ . وَيُفْهَمُ مِنَ الْقَلْبِيِّ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْفَتْحِ وَالْكَسْرِ فِي الْمَعْنَى، فَهُوَ عِنْدَهُ الْمُتَشَبِّهُ بِحَرَكَاتِ النِّسَاءِ .

وَيَحْرُمُ عَلَى الرَّجَالِ التَّخَنُّتُ وَالتَّشْبُهُ بِالنِّسَاءِ فِي اللَّبَاسِ وَالزَّيْنَةِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالنِّسَاءِ، وَكَذَلِكَ فِي الكَلَامِ وَالمَشْيِ، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْفَتْحِ: وَالتَّهْيِي مُخْتَصٌّ بِمَنْ تَعَمَّدَ ذَلِكَ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ أَصْلَ خَلْقَتِهِ، فَإِنَّمَا يُؤْمَرُ بِتَكْلُفِ تَرْكِهِ وَالْإِدْمَانِ عَلَى ذَلِكَ بِالتَّدْرِيجِ، فَإِن لَمْ يَفْعَلْ وَتَمَادَى دَخَلَهُ الدَّمُ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا بَدَأَ مِنْهُ مَا يَدُلُّ عَلَى الرِّضَا بِهِ، وَأَمَّا إِطْلَاقُ مَنْ قَالَ: إِنَّ المُخَنَّتَ خَلْقَةٌ لَا يَتَّجُهُ عَلَيْهِ الدَّمُ، فَمَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى تَرْكِ التَّنْيِ وَالتَّكْسُرِ فِي المَشْيِ وَالكَلَامِ بَعْدَ تَعَاطِيهِ المَعَالِجَةَ لِتَرْكِ ذَلِكَ ٥٠٥

فوضع الشعر المستعار، ولبس الذهب والحريير، وتشبه النساء بالرجال، وتشبه الرجال بالنساء، وخروج النساء كاسيات عاريات.. كل ذلك من مظاهر التخنت والميوعة، وكل

٥٠٣ - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٢٥٠) (٥٤٣٤) صحيح

٥٠٤ - سنن الترمذی - المكثر - (١٨٢٤) قَالَ أَبُو عِيسَى وَفِي الْبَابِ عَنْ عُمَرَ وَعَلِيٍّ وَعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ وَأَنَسٍ وَحَدِيثَةَ وَأُمِّ هَانِئٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَعِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَجَابِرَ وَأَبِي رِيحَانَةَ وَأَبْنِ عُمَرَ وَوَالِدَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ. وَحَدِيثُ أَبِي مُوسَى حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٥٠٥ - الموسوعة الفقهية الكويتية - (١١ / ٦٢)

ذلك قتل للرجولة، وامتهان للشخصية، وطعنة نجلاء للفضيلة والأخلاق، بل جرُّ للأمة إلى انحلال فاجر، وإباحية ممقوتة، ودفع بالمراهقين والشباب نحو الفساد والميوعة، ومساوى الأخلاق..

٥- النهي عن التبرج والاختلاط والنظر إلى الحرمات:

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (٥٩) سورة الأحزاب
يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَىٰ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَأْمُرَ نِسَاءَهُ وَبَنَاتِهِ وَالنِّسَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ، بِأَنْ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ، وَأَنْ يُعْطِينَ وَجُوهَهُنَّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِنَّ، وَأَنْ يُعْطِينَ ثَعْرَةَ نُحُورِهِنَّ بِالْجَلَابِيبِ الَّتِي يُدْنِينَهَا عَلَيْهِنَّ. وَالْعَايَةُ مِنْ ذَلِكَ التَّسْتُرُ، وَأَنْ يُعْرَفْنَ بِأَنَّهُنَّ حَرَاتُرُ فَلَا يُؤْذِيهِنَّ أَحَدٌ، وَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُنَّ فَاسِقٌ بِأَذَى وَلَا رِييَّةٌ، وَرَبُّكُمْ غَفَّارٌ لِمَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدْ صَدَرَ مِنَ الْإِخْلَالِ بِالسُّتْرِ، كَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِمَنْ امْتَثَلَ أَمْرَهُ، وَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ عَمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَصَرَ فِي مُرَاقَبَتِهِ فِي أُمُورِ التَّسْتُرِ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ - يُرْحِينَ وَيُسَدِّلْنَ عَلَيْهِنَّ. ٥٠٦

وقال تعالى: { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنْ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ } (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرَابَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) {
[النور: ٣٠، ٣١]

يَأْمُرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَىٰ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا اتَّفَقَ أَنْ وَقَعَ الْبَصَرُ عَلَىٰ مُحَرَّمٍ عَلَيْهِمْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَصْرِفَ

٥٠٦ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٤٧٣)

عَنْهُ بَصَرُهُ سَرِيعًا، كَمَا يَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِحِفْظِ فُرُوجِهِمْ عَنِ الزَّيْنَى، وَبِحِفْظِهَا مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهَا، فَذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِهِمْ وَأَزْكَى لِدِينِهِمْ .

وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُؤْمِنَاتِ أَنْ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ النَّظَرُ إِلَيْهِ مِنْ عَوْرَاتِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَأَنْ يَعْضُضْنَ بَصَرَهُنَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الرِّجَالِ الْأَجَانِبِ عَنْهُنَّ، لِأَنَّهُ أَوْلَى بِهِنَّ وَأَلْيَقُ، وَأَنْ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَعَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ، وَعَنْ أَنْ يَرَاهُنَّ، أَحَدٌ، وَأَنْ لَا يُظْهَرْنَ شَيْئًا مِنَ الزَّيْنَةِ لِلْأَجَانِبِ إِلَّا مَا لَا يُمْكِنُ إِخْفَاؤُهُ كَالرِّدَاءِ وَالنِّيَابِ وَالخَلْخَالِ (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْوَجْهَ وَالْكَفَّيْنِ وَالْخَاتِمَ)، وَأَنْ يُلْقَيْنَ بِخُمْرِهِنَّ عَلَى فِتْحَاتِ ثِيَابِهِنَّ عِنْدَ الصُّدُورِ (جِيُوبِهِنَّ) لِيَسْتَرْنَ بِذَلِكَ شَعُورَهُنَّ وَأَعْنَاقَهُنَّ وَصُدُورَهُنَّ حَتَّى لَا يُرَى مِنْهَا شَيْءٌ، وَأَنْ لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ (كَالسُّوَارِ وَالْخَاتِمِ وَالْكَحْلِ وَالْخِصَابِ ...) إِلَّا لِلْأَزْوَاجِ وَأَبَاءِ الْأَزْوَاجِ وَالْإِخْوَةِ وَأَبْنَائِهِمْ، وَأَبْنَاءِ الْأَخْوَاتِ، وَأَبْنَاءِ الْأَزْوَاجِ، وَبَقِيَّةِ الْمَحَارِمِ الَّذِينَ عَدَّدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ، أَوْ لِلنِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ (نِسَائِهِنَّ - وَقِيلَ إِنَّ نِسَاءَهُنَّ تُعْنِي النِّسَاءَ الْمُخْتَصَّاتِ بِصُحْبَتِهِنَّ وَخِدْمَتِهِنَّ)، أَوْ لِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ مِنْ عِبِيدِ مُسْلِمِينَ (وَقِيلَ حَتَّى لِعَبِيدِ الْمُسْلِمِينَ)، أَوْ الْآتِبَاعِ الْمُعْفَلِينَ وَفِي عَقُولِهِمْ وَلَهُ، وَلَا يَشْتَهُونَ النِّسَاءَ (وَهُمْ التَّابِعُونَ غَيْرُ أَوْلِيِ الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ)، أَوْ لِلْأَطْفَالِ الصِّغَارِ الَّذِينَ لَا يَفْهَمُونَ أَحْوَالَ النِّسَاءِ وَعَوْرَاتِهِنَّ، أَمَّا إِذَا كَانَ الطِّفْلُ مُرَاهِقًا أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ، يَعْرِفُ ذَلِكَ وَيَدْرِيهِ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الشَّوْهَاءِ وَالْحَسَنَاءِ فَلَا يُسْمَحُ لَهُ بِالْدُخُولِ عَلَى النِّسَاءِ) .

كَمَا أَمَرَهُنَّ بِأَنْ لَا يَمْشِينَ فِي الطَّرِيقَاتِ وَفِي أَرْجُلِهِنَّ الْخَلَاخِيلَ فَيَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ الْأَرْضَ لِيَسْمَعَ صَوْتُ مَشْيِهِنَّ، وَلِتَلْتَفِتَ الْأَنْظَارُ إِلَيْهِنَّ، كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ نِسَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ .
وَارْجِعُوا تَائِبِينَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَافْعَلُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ مِنَ التَّخَلُّقِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَاتْرُكُوا مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ، فَإِنَّ الْفَلَاحَ فِي فِعْلٍ مَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِهِ، وَتَرَكَ مَا نَهَى عَنْهُ .^{٥٠٧}

^{٥٠٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٧٠٣)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَخْرُجْنَ مِنْهَا وَإِنْ رِيحٌ رِيحًا لِيُوجَدَ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا » ٥٠٨.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ مِثْلُ أَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا، وَإِنْ رِيحٌ لَتُوجَدَ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا. ٥٠٩.

وقال تعالى: { وَقرن في بيوتكنَّ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً } (٣٣) سورة الأحزاب

وقال سبحانه: { وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (٦٠) سورة النور

وَالنِّسَاءُ الطَّاعِنَاتُ فِي السِّنِّ اللَّاتِي يَسْنَنَ مِنَ الْوَالِدِ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُنَّ تَطَّلُعٌ إِلَى التَّرْوِجِ، فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ مَا عَلَى غَيْرِهِنَّ مِنَ النِّسَاءِ فِي الْحَجْرِ وَالتَّسْتُرِ، وَلَا حَرَجٌ عَلَيْهِنَّ فِي أَنْ يَخْلَعْنَ ثِيَابَهُنَّ الْخَارِجِيَّةَ عَلَى أَنْ لَا تَتَكَشَّفَ عَوْرَاتُهُنَّ، وَلَا يَنْكَشِفَنَّ عَنْ زِينَةٍ، وَخَيْرٌ لَهُنَّ أَنْ يَبْقَيْنَ كَاسِيَاتٍ بِثِيَابِهِنَّ الْخَارِجِيَّةِ الْفَضْفَاضَةِ، وَسَمَّى تَعَالَى مِنْهُنَّ ذَلِكَ اسْتِعْفَافًا، أَيَّ يَفْعَلُنَّهُ طَلَبًا لِلْعِفَّةِ، وَإِثَارًا لَهَا لِمَا بَيْنَ التَّبَرُّجِ وَالفِتْنَةِ مِنْ صَلَةِ، وَبَيْنَ التَّحَجُّبِ وَالتَّسْتُرِ وَالْعِفَّةِ مِنْ صَلَةِ، وَخَيْرٌ سَبِيلٌ إِلَى الْعِفَّةِ تَقْلِيلُ فُرْصِ الْعَوَايَةِ، وَالْحَيْلُولَةُ بَيْنَ اللِّسَانِ، وَيَطَّلُعُ بَيْنَ أَسْبَابِ

٥٠٨ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٧٠٤)

البخت: واحدها البختية وهي الناقة طويلة العنق ذات السنامين

٥٠٩ - صحيح ابن حبان - (١٦ / ٥٠٠) (٧٤٦١) صحيح

الإثارة وَبَيْنَ الثُّفُوسِ . وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْمَعُ مَا يَقُولُهُ اللِّسَانُ، وَيَطَّلِعُ عَلَى مَا يُوسُوسُ فِي
الْجَنَانِ وَيُجَازِي عَلَى ذَلِكَ . وَالْأَمْرُ كُلُّهُ أَمْرٌ نَبِيٌّ وَحَسَّاسِيَّةٌ فِي الضَّمِيرِ ٥١٠

أما ما ثبت في النهي عن الاختلاط بين الجنسين فهو ما يلي:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ
اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) سورة النور

فكيف نتصور غض البصر لكل من الرجل والمرأة وهما مجتمعان في مكان واحد، فالآية إذن
في مدلولها تنهى عن الاختلاط...

وقال أيضاً في آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى
طَعَامٍ غَيْرٍ نَاطِرِينَ إِنَاءَهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ
لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا
سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ
أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاحَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾
(٥٣) سورة الأحزاب.

وعن عمرو بن دينار، سمع أبا معبد، سمع ابن عباس، سمع النبي ﷺ يقول: لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ
بِامْرَأَةٍ، وَلَا تُسَافِرُ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ. ٥١١

وعن السائب بن مهران، من أهل الشام من أهل إيلياء، وكان قد أدرك أصحاب رسول
الله ﷺ في حديث ذكره، قال: لما دخل عمر رضي الله عنه الشام حمد الله وأثنى عليه
ووعظ وذكر، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر ثم قال: إن رسول الله ﷺ قام فينا خطيباً
كقيامي فيكم فأمر بتقوى الله وصلته الرحمة وصلح ذات البين وقال: "علَيْكُمْ
بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، لَا
يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا، وَمَنْ سَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ، وَسَرَّهَ حَسَنَتُهُ فَهُوَ أَمَارَةٌ
الْمُسْلِمِ الْمُؤْمِنِ، وَأَمَارَةٌ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا تَسْوَأُهُ سَيِّئَتُهُ وَلَا تَسْرُهُ حَسَنَتُهُ إِنَّ عَمَلَ خَيْرًا لَمْ

٥١٠ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٧٣٣)

٥١١ - صحيح ابن حبان - (٦ / ٤٤١) (٢٧٣١) صحيح

يَرْجُحُ مِنَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ ثَوَابًا، وَإِنْ عَمِلَ شَرًّا لَمْ يَخَفْ مِنَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الشَّرَّ عُقُوبَةً، وَأَجْمَلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكْفَّلَ بِأَرْزَاقِكُمْ وَكُلُّ مَيْسَرٍ لَهُ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ عَامِلًا، اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ عَلَى أَعْمَالِكُمْ فَإِنَّهُ يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ " ﷺ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. السَّلَامُ عَلَيْكُمْ " هَذِهِ خُطْبَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، أَثَرَهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ٥١٢

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « يَاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النَّسَاءِ ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمُوَ. قَالَ « الْحَمُوُ الْمَوْتُ » ٥١٣
وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظَرَةِ الْفَجَاءَةِ، فَأَمَرَنِي فَقَالَ: اصْرِفْ بَصْرَكَ. ٥١٤

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: كُنْتُ أَنَا وَمَيْمُونَةُ، عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ يَسْتَأْذِنُ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ ضُرِبَ الْحِجَابُ، فَقَالَ: قَوْمًا فَقُلْنَا: إِنَّهُ مَكْفُوفٌ وَلَا يُبْصِرُنَا، قَالَ: أَفَعَمِيَا وَإِنْ أَنْتُمَا لَا تُبْصِرَانِهِ؟ ٥١٥

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « يَاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرْفَاتِ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « فَإِذَا أَيْسْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ ». قَالُوا وَمَا حَقُّهُ قَالَ « غَضُّ الْبَصْرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّهْيِئَةُ عَنِ الْمُنْكَرِ ». ٥١٦

٥١٢ - شعب الإيمان - (١٣ / ٤٢٦) (١٠٥٧٤) صحيح لغيره

٥١٣ - صحيح البخاري - المكثر - (٥٢٣٢)

الحمو: أخو الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج ابن العم ونحوه غير المحارم

٥١٤ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٥٠٩) (١٩١٩٧) ١٩٤١١ - صحيح

٥١٥ - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٣٨٧) (٥٥٧٥) حسن

قال أبو حاتم: قوله ﷺ: أَفَعَمِيَا وَإِنْ أَنْتُمَا لَفُظَةٌ اسْتِخْبَارٌ مُرَادُهَا الرَّجُلُ عَنِ نَظَرِهِمَا إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي كُفِّ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النَّسَاءَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِنَّ النَّظَرُ إِلَى الرِّجَالِ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا لَهُنَّ بِمَحْرَمٍ، سِوَاءَ كَانُوا مَكْفُوفِينَ أَوْ بُصْرَاءَ.

٥١٦ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٦٨٥)

فمن المعلوم بدهاءة أن المجتمعات الإنسانية بأسرها، والأمم البشرية برمتها.. بشيبتها وشبابها، ورجالها ونسائها، وحكامها ومحكميها.. حينما تأخذ بهذه المبادئ الخالدة، وتسير على هذه المفاهيم القيمة، وتبتعد عن كل ما يؤذي الفضيلة والأخلاق من سفور، وتبرج، واختلاط، ونظر إلى المحرمات.. فلا شك أن هذه المجتمعات والأمم ترفل في رياض الظهر والفضيلة، وترتع في ظلال الأمن والاستقرار، وتصل إلى ذروة المجد والسعادة.. لأنها سارت في الطريق الذي خطه الله لها، وطبقت المنهج الذي فرضه الإسلام عليها، وصدق الله العظيم القائل: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (سورة الأنعام

وهذا ما تحقق لأمتنا الإسلامية في كل العصور التاريخية عبر القرون.. وما ذاك إلا بفضل التعاليم القرآنية التي أنزلها الله لتكون للعالمين بشيراً ونذيراً وللأجيال هدىً ونوراً..

وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْسَمُ وَيُشْرُّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} (سورة الإسراء

تلکم - أيها الآباء والمربون - أهم القواعد التربوية، والمناهج العملية التي وضعها الإسلام لسلامة أخلاق الولد، وتنمية شخصيته المتميزة، وتعيده على الجدّة والرجولة ومكارم الأخلاق.. فما عليكم إلا أن تربوا أبناءكم عليها، وتأخذوا بتوجيهاتها وإرشاداتها.. حتى ينشؤوا على الفضائل الخلقية، والمكارم الذاتية، والآداب الاجتماعية.. ويكونوا شامة في الناس!! ..

وهل هناك مبادئ تربوية في تربية شخصية الولد وإعداده لمسؤوليات الحياة مثل هذه المبادئ التي وضعها الإسلام، وشرعها الرسول عليه الصلاة والسلام؟

ومن الذي يقول إن الإغراق في التمتع، والتقلب في الرفاهية لا يضر بشخصية الولد؟ ومن

الذي يقول إن الاسترسال وراء الشهوات والملذات لا يضر بشخصية الولد؟

ومن الذي يقول إن الاستماع إلى الأغاني الخليعة، والموسيقى الراقصة المثيرة لا يضر

بشخصية الولد؟

ومن الذي يقول إن ظاهرة السفور والتبرج والاختلاط لا تضر بشخصية الولد؟

ومن الذي يقول إنّ التخنث والتشبه بالنساء، والتميع بالكلام لا يضر بشخصية الولد؟
إنّ رجالات التربية، وعلماء النفس والأخلاق كادوا يكونون مجتمعين على أن هذه الظواهر
من أفتك الأوبئة في إضعاف الذاكرة، وتحطيم الشخصية، وتميع الخلق، وقتل الرجولة، ونشر
الأمراض، والقضاء على فضيلة الشرف والعفاف...

- يقول الدكتور "ألكس كارليل" في كتابه "الإنسان ذلك المجهول": (عندما تتحرك الغريزة
الجنسية لدى الإنسان تفرز نوعاً من المادة التي تتسرب بالدم إلى دماغه وتحدّره، فلا يعود
قادراً على التفكير الصافي).

- وذكر "جورج بالوشي" في كتابه "الثورة الجنسية" ما يلي: (وفي سنة ١٩٦٢ صرح
"كندي" بأن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها مائع منحلّ غارق في الشهوات لا يقدر
المسؤولية الملقاة على عاتقه، وأن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير
صالحين، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية).

- ونقلت جريدة الأحد اللبنانية في العدد ذي الرقم (٦٥٠) عن المريسة الاجتماعية
"مرغريت سميث" حديثاً قالت فيه: (إنّ الطالبة في المدرسة والجامعة لا تفكر إلا بعواطفها
والوسائل التي تتجاوب مع هذه العاطفة.. إن أكثر من ستين بالمئة من الطالبات سقطن في
الامتحانات، وتعود أسباب الفشل أنهن يفكرن في الجنس أكثر من دروسهن وحتى
مستقبلهن...).

فما على المسؤولين من آباء ومربين إلا أن يبعدوا أولادهم عن كل مظاهر التميع
والانحلال، وأن يسعوا جهدهم لكي يغرسوا في نفوسهم أنبل معاني الكرامة والشخصية
والخلق العظيم!!..

وأخيراً علينا ألا نغفل دور المراقبة الدقيقة والمسؤولية الكبيرة في تقويم أخلاق
الولد، وإصلاح نفسه، وتنمية شخصيته...

ولو أردنا أن نفتش الأسباب التي تؤدي إلى انحلال الولد خلقياً، وانحرافه سلوكياً لوجدناها
متحققة في إغفال مراقبة الآباء لأبنائهم، والتخلّي عن تربيتهم وتوجيههم..
وإليك بعض الأسباب في انحراف الولد الخلقى، وانحلاله السلوكي:

- فالأب الذي يرخي لأولاده العنان في أن يخاطبوا من قراء السوء، ورفقاء الشر ما شاءوا وما أرادوا دونما سؤال ولا رقيب.. فلا شك أن الأولاد سيتأثرون بمخالطتهم ويكتسبون الكثير من انحرافاتهم، وسوء أخلاقهم..
- والأب الذي يسمح لأولاده أن يشاهدوا الأفلام الغرامية التي توجه إلى الميوعة والانحلال، والأفلام البوليسية التي تحض على الانحراف والإجرام، وهي بتأثيرها تفسد الكبار فضلاً عن الصغار.. لا شك أن هذا الأب يقذف بأولاده - من حيث يشعر أو لا يشعر - إلى هاوية سحيقة ستؤدي بهم حتماً إلى هلاك محقق، ودمار محتوم.
- والأب الذي يترك المجال لأولاده ليروا من شاشة التلفزيون المناظر المثيرة، والتمثيلات الماجنة، والدعايات الفاجرة.. لا شك أن الأولاد سيتربون على الميوعة، ويدرجون على الانحلال، ويفقدون في نفوسهم أنبل معاني الرجولة والنخوة، والأدب الإسلامي الكريم.
- والأب الذي يسمح لأولاده بشراء المجلات الماجنة، ومطالعة القصص الغرامية، واقتناء الصور العارية.. لا شك أن الأولاد سيسيرون في طريق الفحشاء والمنكر، ويتلقنون دروس الصداقات المشبوهة، والارتباطات الجنسية الآثمة...
- والأب الذي يتساهل في حجاب أهله وبناته، ويتغاضى عن سفورهن وتبرجهن، ويتغافل عن مصاحبتهن ومخالطتهن، ويفسح لهن المجال في أن يخرجن بالأزياء المغربية، والعورات المكشوفة.. لا شك في أن هؤلاء البنات سيعتدن حياة الفجور والمنكر، ويقعن في حبائل الغواية والفسوق.. وربما آل الأمر في نهاية المطاف إلى انتهاك العرض، وتلويث الشرف، وهدر العفاف.. وعندئذ لا ينفع الندم ولا البكاء..
- أتبكي على لُبني وأنت قتلتها لقد ذهبت لُبني فما أنت صانع؟
- والأب الذي لا يراقب أولاده وبناته وقت ذهابهم إلى المدرسة أو رجوعهم منها، فلا شك أن الأولاد يجدون من الإهمال ما يدفعهم إلى ارتياد الأماكن الموبوءة بحجة المدرسة.. وكم سمعنا عن بنات وقعن في حبائل الفاحشة والزنى، وأصبحن مدنسات السمعة والشرف، والأسرة لم تعلم بهذا إلا بعد الافتضاح، وظهور معالم الجريمة؟!..

وبعد الذي عرفتمون من أن الأخلاق ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ في تقويم اعوجاج أبناءكم.

وبعد الذي قرأتموه من الظواهر القبيحة التي يجب أن يتعد عنها أفلاذ أكبادكم.

وبعد الذي سمعتموه من وصايا الرسول ﷺ في حسن الخلق، وطيب المعاملة.

بعد كل هذا.. فليس أمامكم من سبيل إلا أن تعقدوا العزم وتشحذوا المهمة.. لتقوموا بواجبكم الأكمل تجاه من لهم عليكم حق التربية والتعليم والرعاية..

واعلموا أنكم إن قصرتم في حق أولادكم وتلامذتكم من الناحية الخلقية، فإن مَنْ لهم عليكم حق التربية سينشؤون - لا شك - على الميوعة والانحلال ويتربون على الفساد وسوء الخلق.. وعندئذ يصبحون خطراً على الأمن والاستقرار، ويكونون أداة هدم وتخريب لكيان المجتمع.. بل أبناء المجتمع يستجرون من أعمالهم الإجرامية ومفاسدهم الخلقية والاجتماعية..

فراقبوا الله في أولادكم، وأدوا ما عليكم من واجب، وابدلوا ما استطعتم من جهد، واضطلعوا بما حُمِلتم من مسؤولية، فإن أديتم الأمانة على الوجه الصحيح فسوف ترون أولادكم رياحين في البيت لها عبيق وأريج، وبدوراً في المجتمع لها نور وضياء، وملائكة على الأرض يمشون هادين مطمئنين.

{ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (١٠٥) سورة التوبة^{٥١٧}



^{٥١٧} - انظر تربية الأولاد في الإسلام لعلوان، و"الإيمان والحياة" للأستاذ القرضاوي صفحة: ٢١٠. وكتاب أخلاقنا الاجتماعية للسباعي رحمه الله ص ١٦٢.

المبحث الرابع البناء البدني

المطلب الأول: وجوب النفقة على الأهل والولد

قال تبارك وتعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (سورة البقرة ٢٣٣)

يُرشدُ اللهُ تَعَالَى الْوَالِدَاتِ إِلَى أَنْ كَمَالَ مُدَّةُ الرَّضَاعَةِ لِلطِّفْلِ هِيَ سِتَّتَانِ . وَعَلَى وَالِدِ الطِّفْلِ نَفَقَةُ الْوَالِدَاتِ الْمُطَلَّقاتِ، وَكِسْوَتُهُنَّ بِمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ أُمَّثَالِهِنَّ، مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا إِقْتَارٍ، بِحَسَبِ قُدْرَةِ الزَّوْجِ وَيَسَارِهِ . وَبَيْنَهُ اللهُ الْوَالِدَاتِ وَالْآبَاءَ إِلَى ضَرُورَةٍ عَدَمِ التَّصَرُّفِ تَحْتَ شُعُورِ الرَّغْبَةِ فِي الْإِضْرَارِ، فَلَيْسَ لِلزَّوْجَةِ أَنْ تَتْرَكَ رَضَاعَةَ ابْنِهَا إِلَى مُدَّتِهَا (سِتَّتَيْنِ) لِلإِضْرَارِ بِالزَّوْجِ . وَلَيْسَ لِلزَّوْجِ أَنْ يَنْتَرِعَ الْوَالِدَ مِنْ أُمِّهِ قَبْلَ أَنْ تَنَمَّ مُدَّةَ رَضَاعَتِهِ لِلإِضْرَارِ بِهَا وَإِيذَائِهَا . وَعَلَى وَارِثِ الطِّفْلِ - إِنْ كَانَ وَالِدُهُ قَدْ مَاتَ، أَوْ كَانَ فَقِيرًا، أَوْ عَاجِزًا عَنِ الْكَسْبِ - أَنْ يَقُومَ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى الطِّفْلِ وَأُمِّهِ، وَعَلَيْهِ عَدَمُ الْإِضْرَارِ بِهَا . أَمَّا إِذَا أَرَادَ أَبُو الطِّفْلِ فَطَامَهُ، قَبْلَ مُضِيِّ الْحَوْلَيْنِ، وَرَأَى فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةً لَهُ، وَتَشَاوَرَا فِي ذَلِكَ، وَاتَّفَقَا عَلَيْهِ، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا، وَلَا حَرَجَ وَلَا بَأْسَ فِي ذَلِكَ .

وَإِذَا اتَّفَقَ الْوَالِدَانِ عَلَى أَنْ يَسْتَلِمَ الْوَالِدُ الْوَالِدَ مِنْهَا، إِمَّا لِعُدْرِ مِنْهَا، أَوْ لِعُدْرِ مِنْهُ جُنَاحَ عَلَيْهِ فِي عَرْضِهِ عَلَيْهَا، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا فِي قَبُولِهَا مِنْهُ، إِذَا دَفَعَ إِلَيْهَا أَجْرَتَهَا عَنِ الْمُدَّةِ الْمَاضِيَةِ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَامَ بِدَفْعِ الْوَالِدِ إِلَى مُرْضِعَةٍ أُخْرَى . وَيَحْتُ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى التَّقْوَى فِي جَمِيعِ

الأحوال، وَعَلَى تَرْكِ التَّصَرُّفِ بِرَغْبَةِ الْمُضَارَّةِ وَالْإِيذَاءِ، وَأَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَأَنَّهُ سَيَحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ ٥١٨ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رِقْبَةٍ وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أَعْظَمَهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ » ٥١٩ .

وإذا كان للأب الأجر والثوبة في التوسعة على الأهل، والإنفاق على العيال.. فإن عليه بالتالي الوزر والإثم إذا أمسك عن الإنفاق، وقرّر على الأهل والأولاد وهو مستطيع.. اسمعوا إلى ما يقوله عليه الصلاة والسلام في حق المضيّعين لعيالهم، والممسكين عن نفقة أهلهم وأولادهم، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يُقُوْتُ. ٥٢٠

فَعَنْ خَيْثَمَةَ قَالَ كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو إِذْ جَاءَهُ قَهْرَمَانٌ لَهُ فَدَخَلَ فَقَالَ أَعْطَيْتَ الرَّقِيقَ قُوَّتَهُمْ قَالَ لَا. قَالَ فَانْطَلِقْ فَأَعْطِهِمْ. قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوَّتَهُ » ٥٢١ .

ومن النفقة على العيال تهئية الأب لأهله وعياله الغذاء الصالح، والمسكن الصالح، والكساء الصالح.. حتى لا تتعرض أجسامهم للأسقام، وتنهك أبدانهم الأوبئة والأمراض..

المطلب الثاني: أهداف التربية البدنية:

(١) " تنمية الجسد وتوجيه نموه باتجاه تحصيل الصحة والقوة فتزداد مقاومته للأمراض، واتقاؤه من الإصابات بالعاهات، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ

٥١٨ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٤٠)

٥١٩ - صحيح مسلم - المكثر - (٢٣٥٨) - في رقية: أي في اعتناق عبد أو أمة.

٥٢٠ - صحيح ابن حبان - (١٠ / ٥١) (٤٢٤٠) صحيح

٥٢١ - صحيح مسلم - المكثر - (٢٣٥٩) - القهرمان: الخازن القيم بأمره

وَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنْ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ «^{٥٢٢}.

كما أن الأسلوب الرياضي ينمي العضلات ويزيد من مقاومتها .

٢) تساعد على النضج الانفعالي، فالتربية الرياضية تعلم الصبر والتحكم بالانفعال والعواطف.

٣) تساعد على إتمام الوظائف الفكرية، فالعناية بالجسد وتحسين صحته ونموه؛ يساعد على تنشيط العملية الفكرية نظراً للعلاقة الوطيدة بين الجسد والنشاط الفكري.

٤) تساهم في تحسين التكيف الاجتماعي عن طريق تنمية العادات الاجتماعية التكيفية، كالتعامل مع الآخرين وتقبلهم أصدقاء كانوا أم خصوماً، إذ تنمو العادات من خلال الألعاب الجماعية والمؤهلات.

٥) تحقيق تربية خلقية، فالتدرب على التعب، وتقبل النجاح أو الفشل في المباريات ينمي الصبر، وتمارين الجرأة والمهارة تنمي الشجاعة والعزم والألعاب الجماعية تنمي روح التعاون والصدق.

٦) تساعد في تغميد العواطف والدوافع وعلاج بعض مشكلات الناشئة وذلك بتوجيهه نحو الرياضة، لانشغاله عن الأعمال المنافية للآداب.

٧) تنمي حاجات الأطفال للحركة واللعب والنشاط. " ^{٥٢٣}

٨) وغير ذلك من الأهداف .

المطلب الثالث: بعض الممارسات الرياضية في الإسلام:

١) تعليم السباحة والرماية وركوب الخيل :^{٥٢٤}

^{٥٢٢} - صحيح مسلم- المكثر - (٦٩٤٥)

^{٥٢٣} - حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ٧٩-٨١، بواسطة أنطوان حبيب رحمة، التربية العامة والبدنية، ج١-١١-١٤

^{٥٢٤} - سهام مهدي حبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٤١٨-٤١٩، وانظر إلى حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ٨٢. إبراهيم الخطيب، زهدي محمد عيد، تربية الطفل في الإسلام، ص ٧٨

تحقيقاً لقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} (٦٠) سورة الأنفال

يَأْمُرُ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِالِاسْتِعْدَادِ لِلْحَرْبِ، وَيَأْعِدُّ آتِيهَا لِمُقَاتَلَةِ الْكُفَّارِ، وَدَفْعِ الْعُدْوَانِ، وَحِفْظِ الْأَنْفُسِ، وَالْحَقِّ وَالْفَضِيلَةِ، حَسَبَ الطَّاقَةِ وَالِاسْتِطَاعَةِ: مِنْ خَيْلٍ وَسِلَاحٍ وَعُدَدٍ وَمُؤَنٍ وَتَدْرِيْبٍ وَعِلْمٍ وَكُلِّ مَا يَدْخُلُ فِي تَعْرِيفِ الْقُوَّةِ الَّتِي تُمَكِّنُ الْأُمَّةَ مِنْ مُقَاوَمَةِ خُصُومِهَا، بِحَسَبِ مَفْهُومِ الْعَصْرِ، وَذَلِكَ لِإِرْهَابِ الْكُفَّارِ - مِنْ قُرَيْشٍ وَمِنْ غَيْرِهِمْ - أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِرْهَابِ الْأَعْدَاءِ الْآخَرِينَ مِنْ مُنَافِقِينَ وَيَهُودٍ يُجَاوِرُونَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَغَيْرِهِمْ، مِمَّنْ لَا يَعْلَمُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَالْمُسْلِمُونَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُهُمْ. وَيُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ كُلَّ نَفَقَةٍ يُنْفِقُونَهَا فِي الْجِهَادِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْحَرْبِ، سَتُوفَى إِلَيْهِمْ بِالتَّمَامِ وَالْكَمَالِ، وَلَا يَنْخَسُ اللَّهُ أَحَدًا مِنْهُمْ شَيْئًا. ٥٢٥

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الْجَعْدِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « الْخَيْلُ مَعْقُودَةٌ فِي نَوَاصِبِهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » ٥٢٦ .

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ - ﷺ - قَالَ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ - عَلَيَّ نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمٍ يَنْتَضِلُونَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا وَأَنَا مَعَ بَنِي فَلَانِ ». قَالَ فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَا لَكُمْ لَا تَرْمُونَ ». قَالُوا كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلُّكُمْ » ٥٢٧ .

وَعَنْ مَكْحُولٍ، يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " كُلُّ لَهْوٍ بَاطِلٌ، إِلَّا رُكُوبَ الْخَيْلِ وَالرَّمْيِ، وَلَهُوَ الرَّجُلُ مَعَ أَهْلِهِ، فَعَلَيْكُمْ بِرُكُوبِ الْخَيْلِ وَالرَّمْيِ، وَالرَّمْيُ أَحَبُّهَا إِلَيَّ " ٥٢٨

٥٢٥ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٢٢١)

٥٢٦ - صحيح البخارى - المكثر - (٢٨٥٠) متواتر

٥٢٧ - صحيح البخارى - المكثر - (٢٨٩٩)

٥٢٨ - فضائل الرمي لإسحاق القرآبي (١٤) صحيح مرسل

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، حَدَّثَنِي مَكْحُولُ الدَّمَشَقِيُّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ: " أَنْ عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ السَّبَاحَةَ وَالرَّمْيَ وَالْفَرُوسِيَّةَ " ٥٢٩

وَعَنْ سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيِّ، قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْجِبُهُ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ سَابِحًا رَامِيًا " ٥٣٠
وَعَنْ أَبِي نَجِيحِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: " حَاصِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَصْرَ الطَّائِفِ، وَأَكْثَرْنَا يَعْجِدُ قَصْرَ الطَّائِفِ، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَهُوَ لَهُ دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ عَدْلٌ مُحَرَّرٌ " فَبَلَغْتُ يَوْمَئِذٍ سِتَّةَ عَشَرَ سَهْمًا " ٥٣١
وهناك بعض الحدود لمثل هذا النوع من الرياضة في الإسلام منها :

(١) " إيجاد التوازن، أن يكون الارتباط الرياضي للولد في حدود الوسط والاعتدال والتوازن مع سائر الواجبات الأخرى دون أن يطغى جانب على آخر.

(٢) مراعاة حدود الله في أن يكون اللباس ساتراً للعورة، ومراعاة حدود الله في جميع التصرفات.

(٣) تحرير النية الصالحة، أن يكون هذا التدريب كله بنية التقوية الجسمية لتلبية نداء الله - عز وجل - في الجهاد في أية لحظة .

(٤) أن لا تشغله الرياضة عمن واجباته الدينية. " ٥٣٢

(١) إجراء المسابقات الرياضية بين الأطفال :

" وهذا الأسلوب من الأساليب المشجعة لإجراء التنافس المحمود بين الأطفال لما فيه من الفائدة لأجسامهم النامية، فقد كان رسول الله ﷺ - يجري المسابقات في الجري بين الأطفال " . ٥٣٣

٥٢٩ - فَضَائِلُ الرَّمِيِّ لِإِسْحَاقَ الْقُرَّابِ (١٥) فيه انقطاع

٥٣٠ - فَضَائِلُ الرَّمِيِّ لِإِسْحَاقَ الْقُرَّابِ (١٦) صحيح مرسل

٥٣١ - فَضَائِلُ الرَّمِيِّ لِإِسْحَاقَ الْقُرَّابِ (١٧) صحيح

٥٣٢ - سميح أبو مغلي وآخرون، تربية الطفل في الإسلام، ص ٦٨

٥٣٣ - حلبي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ٨٣. وانظر إلى سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٤٢٤-٤٢٥. سميح أبو مغلي وآخرون، تربية الطفل في الإسلام، ص ٦٩

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي قَدْ ضُمَّرَتْ مِنَ الْحَفِيَاءِ إِلَى نَيْبَةِ الْوَدَاعِ، وَكَانَ أَمْدُهَا نَيْبَةَ الْوَدَاعِ، وَسَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضْمَرْ مِنَ الثَّنِيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ، قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ فِيْمَنْ سَابَقَ بِهَا. ٥٣٤

وعن إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه قال: قدمنا المدينة زمن الحديبية مع رسول الله ﷺ فخرجنا أنا ورباح غلام رسول الله ﷺ بظهر رسول الله ﷺ، وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله، كنت أريد أن أأبديه مع ال إبل، فلما كان بعلس غار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله ﷺ، وقتل راعيها وخرج يطردُها هو وأناس معه في خيل، فقلت: يا رباح، اقعد على هذا الفرس فألحقه بطلحة وأخبر رسول الله ﷺ أنه قد أغير على سرحه، قال: وقمت على تل فجعلت وجهي من قبل المدينة، ثم ناديت ثلاث مرات: يا صباحاه، ثم اتبعت القوم معي سيفي وتبلي، فجعلت أرميهم وأعقر بهم، وذلك حين يكثُر الشجر، فإذا رجعت إلي فارسٌ حلست له في أصل شجرة ثم رميت، فلا يقبل علي فارس إلا عقرت به، فجعلت أرميهم وأنا أقول:

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع.

فألحق برجل منهم فأرماه وهو على راحلته، فيقع سهمي في الرجل حتى انتظمت كتفه فقلت: خذها، وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع، فإذا كنت في الشجر أحرقتهم بالنبل، فإذا تضايقت الشيا علوت الجبل فرددتهم بالحجارة، فما زال ذلك شأني وشأنهم، أتبعهم فأرتجز حتى ما خلق الله شيئاً من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري، فاستنقذته من أيديهم، ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً، وأكثر من ثلاثين بُرْدَةً يستخفون منها، ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جعلت عليه حجارة.

وجمعت على طريق رسول الله ﷺ، حتى إذا امتد الضحى أتاهم عيينة بن بدر الفزاري مدداً لهم وهم في ثنية ضيقة، ثم علوت الجبل فأنا فوقهم، فقال عيينة: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح ما فارقنا بسحر حتى الآن، وأخذ كل شيء في أيدينا وجعله وراء

٥٣٤ - صحيح ابن حبان - (١٠ / ٥٤١) (٤٦٨٦) صحيح

ظَهَرِهِ، قَالَ عُمَيْيَةُ: لَوْلَا أَنَّ هَذَا يَرَى أَنَّ وِرَاءَهُ طَلَبًا لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ، لِيَقُمَ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ، فَقَامَ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ، فَصَعِدُوا فِي الْجَبَلِ، فَلَمَّا أَسْمَعْتَهُمُ الصَّوْتَ قُلْتُ: أَتَعْرِفُونِي؟ قَالُوا: وَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ لَا يَطْلُبُنِي مِنْكُمْ رَجُلٌ فَيَدْرِكُنِي وَلَا أَطْلُبُهُ فَيَفُوتُنِي، قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: إِنْ أَطُنُّ، قَالَ: فَمَا بَرِحْتُ مَقْعَدِي ذَلِكَ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى فَوَارِسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ، وَإِذَا أَوْلَهُمُ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيَّ، وَعَلَى أَثَرِهِ أَبُو قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَلَى أَثَرِ أَبِي قَتَادَةَ الْمُقْدَادُ الْكِنْدِيُّ، فَوَلَّى الْمُشْرِكُونَ مُدْبِرِينَ وَأَنْزَلُوا مِنَ الْجَبَلِ، فَأَعْرَضُوا لِلْأَخْرَمِ فَأَخَذَ عَنَانَ فَرَسِهِ فَقُلْتُ: يَا أَخْرَمُ، أ�ذَنِ الْقَوْمِ، يَعْنِي أَحْذَرُهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَقْطَعُوكَ، فَاتَّقِدْ حَتَّى يَلْحَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، قَالَ: يَا سَلَمَةَ، إِنْ كُنْتُ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ، قَالَ: فَخَلَيْتُ عَنَانَ فَرَسِهِ فَيَلْحَقُ بَعْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَيْيَةَ، وَيَعْطِفُ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَخْتَلَفَا طَعْنَتَيْنِ، فَفَعَرَ الْأَخْرَمُ بَعْدَ الرَّحْمَنِ وَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ، فَتَحَوَّلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى فَرَسِ الْأَخْرَمِ فَيَلْحَقُ أَبُو قَتَادَةَ بَعْدَ الرَّحْمَنِ، فَأَخْتَلَفَا طَعْنَتَيْنِ، فَفَعَرَ بِأَبِي قَتَادَةَ وَقَتَلَهُ أَبُو قَتَادَةَ، وَتَحَوَّلَ أَبُو قَتَادَةَ عَلَى فَرَسِ الْأَخْرَمِ، ثُمَّ إِنِّي خَرَجْتُ أُعَدُّو فِي أَثَرِ الْقَوْمِ، حَتَّى مَا أَرَى مِنْ غُبَارِ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا، وَيُعْرِضُونَ قَبْلَ غَيْبِ الشَّمْسِ إِلَى شَعْبٍ فِيهِ مَاءٌ، يُقَالُ لَهُ: ذُو قَرْدٍ، فَأَرَادُوا أَنْ يَشْرَبُوا مِنْهُ، فَأَبْصَرُونِي أُعَدُّو وَرَاءَهُمْ، فَعَطَفُوا عَنْهُ وَاشْتَدُّوا فِي الثَّنِيَّةِ، ثَنِيَّةٌ ذِي نَثْرٍ، وَغَرِبَتِ الشَّمْسُ فَأَلْحَقَ رَجُلًا فَرَامِيهِ، فَقُلْتُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمِ يَوْمَ الرُّضْعِ، قَالَ: فَقَالَ: يَا تُكَلُّ أَمْ أَكْوَعٌ بُكْرَةٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، أَيَّ عَدُوِّ نَفْسِهِ، وَكَانَ الَّذِي رَمَيْتَهُ بُكْرَةً، فَاتَّبَعْتُهُ سَهْمًا آخَرَ فَعَلِقَ بِهِ سَهْمَانِ، وَيَخْلِفُونَ فَرَسَيْنِ، فَجِئْتُ بِهِمَا أَسُوقُهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي حَلَيْتُهُمْ عَنْهُ ذُو قَرْدٍ، فَإِذَا بَنِي اللَّهِ ﷺ فِي خَمْسِمِائَةٍ، وَإِذَا بِلَالٌ قَدْ نَحَرَ جُزُورًا مِمَّا خَلَفْتُ، فَهُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كَبِدِهَا وَسَنَامِهَا، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَلَّنِي فَأَتَّخِبَ مِنْ أَصْحَابِكَ مِئَةً، فَأَخِذْ عَلَيَّ الْكُفَّارَ بَالِ عَشْوَةَ فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ، قَالَ: أَكُنْتَ فَاعِلًا ذَلِكَ يَا سَلَمَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي أَكْرَمَكَ، فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِدَهُ فِي ضَوْءِ النَّارِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُمْ يُقْرُونَ الْآنَ بِأَرْضِ غَطَفَانَ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ فَقَالَ: مَرُّوا عَلَيَّ فَلَانَ

الْعَطْفَانِي فَنَحَرَ لَهُمْ جَزُورًا، قَالَ: فَلَمَّا أَخَذُوا يَكْشِطُونَ جِلْدَهَا رَأَوْا غَبْرَةً فَتَرَكَوَهَا وَخَرَجُوا هَرَابًا فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَيْرُ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرُ رَجَالِنَا سَلَمَةُ، فَأَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَهْمَ الرَّاحِلِ وَالْفَارِسِ جَمِيعًا ثُمَّ أَرَدَفَنِي وَرَأَاهُ عَلَى الْعَضْبَاءِ رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا قَرِيبًا مِنْ ضَحْوَةٍ وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ لَا يُسْبِقُ جَعَلَ يُنَادِي: هَلْ مِنْ مُسَابِقٍ؟ أَلَا رَجُلٌ يُسَابِقُ إِلَى الْمَدِينَةِ؟ فَأَعَادَ ذَلِكَ مَرَارًا وَأَنَا وَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُرْدَفِي، قُلْتُ لَهُ: أَمَا تُكْرِمُ كَرِيمًا، وَلَا تَهَابُ شَرِيفًا، قَالَ: لَا، إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي خَلْنِي فَلَأُسَابِقُ الرَّجُلَ، قَالَ: إِنْ شِئْتَ، قُلْتُ: أَذْهَبُ إِلَيْكَ، فَطَفَرَ عَن رَاحِلَتِهِ، وَتَنَيْتُ رِجْلِي فَطَفَرْتُ عَنِ النَّاقَةِ، ثُمَّ إِنِّي رَبَطْتُ عَلَيْهَا شَرْفًا، أَوْ شَرْفَيْنِ، يَعْنِي اسْتَبَقَيْتُ نَفْسِي، ثُمَّ إِنِّي عَدَوْتُ حَتَّى أَلْحَقَهُ فَأَصُكَّ بَيْنَ كَتِفَيْهِ بِيَدَيَّ، قُلْتُ: سَبَقْتُكَ وَاللَّهِ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: فَضَحِكَ وَقَالَ: إِنْ أَظُنُّ، حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ. ٥٣٥

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَابَقَنِي النَّبِيُّ ﷺ فَسَبَقْتُهُ، فَلَبِثْنَا حَتَّى إِذَا أَرَهَقَنِي اللَّحْمُ سَابَقَنِي فَسَبَقَنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَذِهِ بِيَتْلُكَ. ٥٣٦

٢) لعب الكبار مع الصغار والأطفال:

" إذا أراد الأطفال اللعب مع الكبار؛ وجب على الكبار تلبية ذلك، وأثناء اللعب يجب أن يخضع لزعامة الصغار، نتقبل الفكرة أو الخطة التي يريسمونها، ولا نفرض عليهم ما نود نحن في اللعب، وفي أثناء اللعب معهم نستطيع أن نوجه لعبة ونشاطه في لباقة وفهم، ونحاول غرس وتوجيه الطفل إلى ما نريده، وكان الرسول ﷺ - حريصاً على اللعب مع الصغار ونوع في اللعب معهم فمرةً لعبهم بالجري ومره بالحمل على الظهر وغير ذلك. ٥٣٧"

٥٣٥ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٦٥٥) (١٦٥٣٩) (١٦٦٥٤) - صحيح

٥٣٦ - صحيح ابن حبان - (١٠ / ٥٤٥) (٤٦٩١) - صحيح

٥٣٧ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٤٢٥. انظر إلى حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ٨٣-٨٤

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصِفُ عَبْدَ اللَّهِ، وَعَبِيدَ اللَّهِ، وَكَثِيرًا بَنِي الْعَبَّاسِ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا قَالَ: فَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ فَيَقْعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ، فَيَقْبَلُهُمْ وَيَلْتَزِمُهُمْ. ٥٣٨

٣) لعب الأطفال مع الأطفال :

" عندما ينهمك الوالدان في خضم الحياة، وبيتعدان عن التعايش مع رغبات أطفالهم أو يكونون ليسوا منتبهين لتلبية رغبة أطفالهم، في هذه الحال ينصرف الأولاد للعب، غير أن الوالدين يختارون لأولادهم من يلعبون معهم كي لا يتأثروا بأولاد غير مهذبين. " ٥٣٩

المطلب الرابع: فوائد اللعب وقيمه:

" اللعب للأطفال كالماء للإنسان، فالطفل بحاجة إلى اللعب وإياك أن تحرمه من تلك المتعة " ٥٤٠

" ساحات لعب الأطفال أماكن يرسم فيها خطوط عريضة من شخصياتهم وأبعاد طويلة من تفكيرهم قد يصل إلى ترسيخ نواح عقديّة في نفوسهم، وهو ضرورة من ضروريات مرحلة الطفولة. " ٥٤١

يمكن تلخيص فوائد اللعب وقيمه على النحو التالي:

- ١) " القيمة التربوية: حيث يعرف الطفل من خلال اللعب الأشكال المختلفة والألوان والأحجام .
- ٢) القيمة الاجتماعية: إذ يتعلم من خلال اللعب كيف يبني علاقات مع الآخرين بنحو ناجح.
- ٣) القيمة الخلقية: حيث يتعلم الطفل مفهوم الخطأ والصواب والعدل والصدق.
- ٤) القيمة الإبداعية: حيث يجرب أفكاره وينمي أساليبه.

٥٣٨ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٥٦٩) (١٨٣٦) حسن

٥٣٩ - حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ٨٤-٨٥

٥٤٠ - حسان شمسي باشا، كيف تربي أبنائك في هذا الزمان، ص ٤٦

٥٤١ - <http://saaaid.net/tarbiah/> .htm

٥) القيمة الذاتية: إذ يجدد الطفل خلال اللعب إمكاناته وطاقاته.

٦) القيمة العلاجية النفسية: حيث يصرف عنه ذاته الشعور بالتوتر، كما يصرف ويتحرر من بعض القيود " ٥٤٢

المطلب الخامس: قواعد الأكل والشرب والتغذية وأثرها على التربي البدنية :

الطعام والشراب ضرورة وحاجة للإنسان فلا حياة، ولا استمرار لهذه الحياة إلا بهما .
قال تعالى: { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } (٣١) سورة الأعراف
يُرِّدُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ كَانُوا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ وَهُمْ عُرَاةٌ، وَكَانَ الَّذِينَ يَطُوفُونَ مِنْهُمْ يُحَرِّمُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمُ الدَّسَمَ مَا أَقَامُوا بِالْمَوْسِمِ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِسِتْرِ عَوْرَاتِهِمْ حِينَ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ، وَبِالتَّحْمُلِ عِنْدَ الصَّلَاةِ، ثُمَّ أَبَاحَ لَهُمُ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ بِدُونِ إِسْرَافٍ (أَيُّ بِدُونِ تَجَاوُزِ الْحَدِّ الْمَعْقُولِ)، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ فِي كُلِّ تَصْرِفٍ . ٥٤٣

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: كُلُوا، وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا، غَيْرَ مَخِيلَةٍ، وَلَا سَرْفٍ، وَقَالَ يَزِيدُ مَرَّةً: فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ. ٥٤٤

ولقد وضع الإسلام قواعد الخاصة بالتغذية وطلب من المسلمين أن ينفذوها، وعلى المربين تطبيقها وتعليمها لأطفالهم ومنها :

(١) " غسل اليدين قبل الطعام وبعده :

٥٤٢ - حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ٨٧، بواسطة مجلة العربي، عدد ٢٣٤، من مقالة دز محيي الدين توك.

٥٤٣ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٩٨٦)

٥٤٤ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٦٣٥) (٦٦٩٥) صحيح

٢) الاعتدال بالطعام؛ لأن كثرة الطعام تؤدي إلى أمراض منها البدانة والسمنة واضطراب في الجهاز الهضمي، ومرض النقرص (الملوك)، وهو زيادة في مادة Uric acid نتيجة لكثرة تناول اللحوم وقد يحصل الإسهال والإمساك.

٣) اجتناب الأطعمة أو الأشربة المحرمة:

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (٩٠) سورة المائدة

يَنْهَى اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ تَعَاطِيِ الْخَمْرِ وَالْعِبِّ الْقِمَارِ (الْمَيْسِرِ)، وَعَنْ ذَبْحِ الْقَرَّابِينَ عِنْدَ الْأَنْصَابِ، (وَهِيَ حِجَارَةٌ كَانَتْ تُحِيطُ بِالْكَعْبَةِ)، كَمَا يَنْهَاهُمْ عَنِ الِاسْتِقْسَامِ بِالْأَزْلَامِ (وَالْأَزْلَامُ ثَلَاثَةُ قِدَاحٍ أَوْ سِهَامٍ يُجِيلُونَهَا ثُمَّ يُلْقُونَهَا، وَقَدْ كُتِبَ عَلَى أَحَدِهَا (أَفْعَلُ)، وَعَلَى الْآخَرِ (لَا تَفْعَلُ)، وَالثَالِثُ غُفْلٌ مِّنَ الْكِتَابَةِ. فَإِذَا خَرَجَ السَّهْمُ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِ (أَفْعَلُ) فَعَلْ. وَإِذَا خَرَجَ السَّهْمُ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِ (لَا تَفْعَلُ) لَمْ يَفْعَلْ. وَإِذَا خَرَجَ السَّهْمُ الْغُفْلُ مِّنَ الْكِتَابَةِ أَعَادَ الِاسْتِقْسَامَ .

وَيَقُولُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ إِنَّ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتُ: الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرَ . . . إِنَّمَا هِيَ شَرٌّ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ (رِجْسٌ) فَاجْتَنِبُوا هَذَا الرَّجْسَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَتَفُوزُونَ بِرِضْوَانِ اللهِ ٥٤٥ .

وقال تعالى: { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقُ الْيَوْمِ بِيَسِّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ

فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (٣) سورة المائدة

يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا حَرَّمَ أَكْلَهُ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ لَحْمِ الْأَنْعَامِ وَهِيَ:

الْمَيْتَةُ - وَهِيَ الَّتِي مَاتَتْ حَتْفَ أَنْفِهَا مِنْ غَيْرِ ذِكَاةٍ وَلَا اصْطِيَادٍ وَذَلِكَ لِمَ فِيهَا مِنَ الْمَضَرَّةِ، وَيُسْتَشْنَى مِنَ الْمَيْتَةِ السَّمَكُ، فَإِنَّهُ حَلَالٌ سِوَاءَ مَا تَبَدَّ كَيْفَةً أَوْ بَعِيْرَهَا .

٥٤٥ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٧٦٠)

وَالدَّمُ الْمَسْفُوحُ - وَهُوَ الدَّمُ الَّذِي يَسِيلُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ .
وَكَانَ الْأَعْرَابُ فِي الْبَادِيَةِ إِذَا جَاعُوا فِي الصَّحْرَاءِ يَأْخُذُونَ شَيْئًا مُحَدَّدًا مِنْ عَظْمٍ أَوْ نَحْوِهِ
فَيَفْصِدُونَ بِهِ حَيَوَانًا فَيَجْمَعُونَ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مِنْ دَمٍ فَيَشْرَبُونَهُ، فَحَرَّمَ اللَّهُ ذَلِكَ .
وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: أَحَلَّتْ لَنَا مَيْتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَانِ فَالسَّمَكُ وَالْجِرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ
فَالكَبِدُ وَالطَّحَالُ . (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ) .
لَحْمُ الْخِنْزِيرِ - إِنْسِيهِ وَوَحْشِيهِ . فَلَحْمُهُ حَرَامٌ .
مَا أَهْلٌ لِعَيْرِ اللَّهِ بِهِ - أَيُّ مَا ذُبِحَ فَذَكَرَ اسْمُ غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ عِنْدَ ذَبْحِهِ . لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
أَوْجَبَ أَنْ تُذْبَحَ الْأَنْعَامُ عَلَى اسْمِهِ الْعَظِيمِ .
(وَالْإِهْلَالُ هُوَ رَفْعُ الصَّوْتِ، وَالْإِهْلَالُ هُنَا رَفْعُ الصَّوْتِ بِذِكْرِ اسْمِ غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ عِنْدَ
الْمُسْلِمِينَ .
وَالْمَوْقُودَةُ - وَهِيَ الَّتِي تَضْرِبُ بِشَيْءٍ ثَقِيلٍ غَيْرِ مُحَدَّدٍ حَتَّى تَمُوتَ .
وَالْمُتَرَدِّيَّةُ - وَهِيَ الَّتِي تَقَعُ مِنْ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ، أَوْ تَقَعُ فِي بَيْتٍ فَتَمُوتُ فَلَا يَحِلُّ أَكْلُ لَحْمِهَا
وَالنَّطِيجَةُ - وَهِيَ الَّتِي مَاتَتْ بِسَبَبِ نَطْحٍ غَيْرِهَا لَهَا، فَهِيَ حَرَامٌ وَلَوْ خَرَجَ مِنْهَا الدَّمُ، وَلَوْ
مِنْ مَذْبَحِهَا .
وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ - وَهِيَ مَا عَدَتْ عَلَيْهَا الْحَيَوَانَاتُ الْجَارِحَةُ فَقَتَلَتْهَا فَلَا تَحِلُّ بِالْإِجْمَاعِ .
وَاسْتَشَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ الْحَيَوَانُ الَّذِي لَحِقَهُ الْإِنْسَانُ بِالذَّبْحِ، قَبْلَ أَنْ
يَمُوتَ، وَفِيهِ حَيَاةٌ مُسْتَقَرَّةٌ، فَإِنَّهُ إِذَا ذُبِحَ أَصْبَحَ حَلَالًا يَجُوزُ أَكْلُهُ لِلْمُسْلِمِينَ .
وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ - مُحَرَّمٌ أَكْلُهُ .
وَالنُّصْبُ هِيَ حِجَارَةٌ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، كَانَتْ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا تَذْبَحُ عِنْدَهَا
الذَّبَائِحَ، وَيُنْضِجُ مَا أَقْبَلَ مِنْهَا إِلَى الْبَيْتِ بِدِمَاءِ تِلْكَ الذَّبَائِحِ، وَيُشْرَحُونَ اللَّحْمَ وَيَضْعُونَهُ
عَلَى النَّصْبِ فَحَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَكْلَ الذَّبَائِحِ الَّتِي تَمَّ ذَبْحُهَا عِنْدَ تِلْكَ النَّصْبِ
فَالذَّبْحُ عِنْدَ النَّصْبِ مِنَ الشَّرْكِ .
ثُمَّ أَضَافَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُحَرَّمَاتِ الطَّعَامِ الَّتِي كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَسْتَحِلُّونَهَا، عَمَلًا آخَرَ
مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَهُوَ الْاسْتِقْسَامُ بِالْأَزْلَامِ .

وَالْأَرْزَاقُ وَاحِدُهَا (زَلَمٌ)، هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ قِدَاحِ (سِهَامٍ) ثَلَاثَةٌ أَحَدُهَا مُكْتُوبٌ عَلَيْهِ: (افْعَلْ) وَثَانِيهَا مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ. (لَا تَفْعَلْ) . وَثَالِثُهَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ . فَإِذَا أَجَالَهَا فَطَلَعَ السَّهْمُ الْمَكْتُوبُ عَلَيْهِ (لَا تَفْعَلْ)، لَمْ يَفْعَلْ . وَإِذَا خَرَجَ السَّهْمُ الْمَكْتُوبُ عَلَيْهِ (افْعَلْ) فَعَلَّ . وَإِذَا خَرَجَ السَّهْمُ الْعُفْلُ مِنَ الْكِتَابَةِ أَعَادَ . فَحَرَّمَ اللَّهُ الْاسْتِقْسَامَ بِالْأَرْزَاقِ، وَعَعَدَّهُ فَسْقًا، وَخُرُوجًا عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ .

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا تَرَدَّدُوا فِي أَمْرِهِمْ أَنْ يَسْتَخِيرُوهُ بِأَنْ يَعْبُدُوهُ، ثُمَّ يَسْأَلُوهُ الْخَيْرَةَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يُرِيدُونَ .^{٥٤٦}

٤) الإسلام يطلب مضغ الطعام وينهي عن أكل الطعام الحار ويكره الأكل والشرب متكئاً. " ٥٤٧

فَعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: " نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَنِ أَكْلِ الطَّعَامِ الْحَارِّ، حَتَّى يَسْكُنَ " ٥٤٨ .
وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْأَقْمَرِ سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « لَا أَكُلُ مُتَّكئًا » ٥٤٩ .
لَا أَكُلُ مُتَّكئًا: قَالَ الْخَطَّابِيُّ: يَحْسَبُ أَكْثَرُ الْعَامَّةِ أَنَّ الْمُتَّكئَ هُوَ الْمَائِلُ عَلَى أَحَدِ شِقْيَيْهِ، لَا يَعْرِفُونَ غَيْرَهُ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَتَأَوَّلُ هَذَا الْكَلَامَ عَلَى مَذْهَبِ الطَّبِّ، وَدَفَعَ الضَّرْرَ عَنِ الْبَدَنِ: أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْأَكْلُ مَائِلًا عَلَى أَحَدِ شِقْيَيْهِ لَا يَكَادُ يَسْلَمُ مِنْ أَلْمِ يَنَالُهُ فِي مَجَارِي طَعَامِهِ، فَلَا يَسِيغُهُ وَلَا يَسْهَلُ نَزُولُهُ إِلَى مَعِدَتِهِ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَلَيْسَ مَعْنَى [الْحَدِيثِ] مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّمَا الْمُتَّكئُ هَا هُنَا: هُوَ الْمُعْتَمِدُ عَلَى الْوِطَاءِ الَّذِي تَحْتَهُ، فَكُلٌّ مِنْ اسْتَوَى قَاعِدًا عَلَى وَطَاءٍ فَهُوَ مُتَّكئٌ، وَالِاتِّكَاءُ مَا خُوِذَ مِنَ الْوَكَاءِ، وَهُوَ افْتِعَالٌ مِنْهُ، فَالْمُتَّكئُ هُوَ الَّذِي أَوْكَأَ مَقْعَدَتَهُ، وَشَدَّهَا بِالْقَعُودِ عَلَى الْوِطَاءِ الَّذِي تَحْتَهُ، أَرَادَ: أَنَّهُ إِذَا أَكَلَ لَمْ يَقْعُدْ عَلَى الْأَوْطَاءِ وَالْوَسَائِدِ، فَعَلَّ مِنْ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَكْثِرَ مِنَ الْأَطْعَمَةِ، وَيَتَوَسَّعَ فِي الْأَلْوَانِ، وَلَكِنِّي أَكُلُ

^{٥٤٦} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٦٧٢)

^{٥٤٧} - انظر إلى، سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٤٢٧-٤٣٢

حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ٨٨-٩١

^{٥٤٨} - شعب الإيمان - (٨ / ٧٤) (٥٥١٦) حسن لغيره

^{٥٤٩} - صحيح البخاري - المكثر - (٥٣٩٨)

علقة، وآخذ من الطعام بلغة، فيكون قعودي مستوفزاً، لا مستوطناً، فقد روي أنه - ﷺ -
« كان يأكل مقعياً»، ويقول: أنا عبد آكل كما يأكل العبد». ٥٥٠

المطلب السادس: التربية البدنية وآداب النوم :

إن الإسلام دعا إلى راحة الجسم راحة بالنوم وقتاً كافياً، وبعد العناء والكد في النهار.
وفوائد النوم عديدة منها :

(١) سكون الجوارح وإراحتها مما يعرض لها من التعب.

(٢) هضم الغذاء.

(٣) علاج القلق .

فالنوم من أعظم الأمور أهمية في حياة الطفل، فهو مهم له حتى ينمو حيث إن هرمون النمو لا يفرز إلا بعد تقريباً خمس ساعات من النوم المتواصل العميق، وقد حض الإسلام عند النوم أن ينام الفرد على الجانب الأيمن، والعلم الحديث اكتشف الأهمية الكبيرة للجسم عند نومه على هذا الجانب، فلنحرص على نوم أطفالنا على هذا الجانب.

وعلينا أن نعلمه الأدعية الواردة عن النبي - ﷺ - في الأذكار قبل النوم، فعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليأخذ داخلته إزاره، فلينفض بها فراشه، ويُسَمِّي الله، فإنه لا يدري ما خلفه عليه بعده على فراشه، وإذا أراد أن يضطجع فليضطجع على شقه الأيمن، وليقل: سُبْحَانَكَ رَبِّي، بِكَ وَضَعْتُ جَنِّي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أُرْسَلَتْهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا حَفِظْتَ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ. ٥٥١

وعن البراء بن عازب قال قال النبي ﷺ - « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلِ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أُرْسَلْتَ. فَإِنْ مِتُّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى

٥٥٠ - جامع الأصول في أحاديث الرسول - (٧ / ٣٩٤)

٥٥١ - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٣٤٤) (٥٥٣٤) صحيح

الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ «. قَالَ فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ - فَلَمَّا بَلَغْتُ «اللَّهُمَّ
آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ «. قُلْتُ وَرَسُولِكَ. قَالَ «لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أُرْسِلْتُ». ٥٥٢

وعلينا أن نرشد أبناءنا إلى بعض الأمور الهامة :

(١) أن يجعل لنفسه موعداً ثابتاً يذهب إلى النوم.

(٢) لا يأكل أو يشرب قبل النوم مباشرة وخاصة الشاي، واللحوم لما تؤدي إلى التخممة^{٥٥٣}.

المطلب السابع: اهتمام الأطفال بالنظافة :

" لقد عني الإسلام بالطهارة والنظافة عناية بالغة لأن النظافة إحدى العناصر المهمة في تكوين الجانب الصحي، وتجعل الإنسان بمأمن من التلوث بالأمراض السارية والأوبئة الفتاكة.

قال تعالى: { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) [المدثر: ٤ - ٥] }

أَيُّ طَهَّرَ نَفْسَكَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَأَصْلَحَ عَمَلَكَ، وَطَهَّرَ ثِيَابَكَ بِالْمَاءِ مِمَّا لَحِقَ بِهَا مِنَ النَّجَاسَةِ
وَإِثْرُكَ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، وَأَقْلَعَ عَنِ الْمَعَاصِي الَّتِي تُوصِلُكَ إِلَى عَذَابِ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ. ٥٥٤

وعلينا أن نغرس في أطفالنا حب النظافة ونشعرهم بأهميتها الكبيرة. فعن سليمان بن سعد
قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " تَنْظِفُوا " ٥٥٥

وَعَنْ صَالِحِ بْنِ حَسَّانٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ طِيبٌ يُحِبُّ
الطَّيْبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النِّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكِرَامَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَتَنْظِفُوا أَنْفَاءَكُمْ
وَسَاحَاتِكُمْ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ تَجْمَعُ الْأَكْتِافَ فِي دُورِهَا، قَالَ خَالِدٌ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ
لِمُهَاجِرِ بْنِ مِسْمَارٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي بِهِ عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: تَنْظِفُوا
أَفْنِيَّتَكُمْ ٥٥٦

٥٥٢ - صحيح البخارى - المكثر - (٢٤٧)

٥٥٣ - انظر إلى، سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٤٣٢ - ٤٣٣، حلي، عبد

الجميد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ٩٢

٥٥٤ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٣٧٧)

٥٥٥ - الزُّهْدُ لَوَكَيْعٍ (٢٨٨) صحيح مرسل

٥٥٦ - مسند أبي يعلى الموصلي (٧٩١) فيه ضعف

ومن واجب المرين أن يعلموا أولادهم أن النظافة نوعان :

أ) نظافة السرائر: وتتمثل في تطهير القلب والصدر من الأخلاق المذمومة مثل الكذب والحقد والحسد .

ب) نظافة الظاهر: مثل نظافة الجسم بالاعتسال وتقليم الأظافر والحلق ونظافة الثوب ونظافة الأسنان .^{٥٥٧}

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسَّوَاكُ وَالِاسْتِنْشَاقُ بِالْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ وَتَنْفُ الْإِبْطِ، وَحَلَقُ الْعَانَةِ وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ ». قَالَ مُصْعَبٌ: وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمَضْمُضَةَ.^{٥٥٨}

انتقاص الماء: أراد انتقاص البول بالماء إذا غسل المذاكير به، وقيل: هو الانتضاح به.

البراجم: العقد التي في ظهور الأصابع يجتمع فيها الوسخ واحدهما برجمة وعن ابن عباس، قال: أَعْتَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ بِالْعِشَاءِ، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الصَّلَاةَ فَقَدْ رَقَدَ النَّسَاءُ وَالْوُلْدَانُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً وَهُوَ يَقُولُ: لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُصَلُّوا هَذِهِ الصَّلَاةَ.^{٥٥٩}

ففي السواك فوائد منها :

(١) "نظافة الأسنان بإزالة العوالق بينها .

(٢) تقوية اللثة "^{٥٦٠}

ونعلمه الاستنجاء وأهميته، وأيضاً نعلم أطفالنا بعض الآداب عند قضاء الحاجة منها :

(١) " أن يدخل الطفل الحمام برجله اليسرى ويخرج منه برجله اليمنى

(٢) أن يقول دعاء دخول المرحاض، ودعاء الخروج منه "^{٥٦١}

^{٥٥٧} - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٤٣٦-٤٤١. حلي، عبد المجيد

طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ٩٥-٩٨

^{٥٥٨} - صحيح مسلم- المكثر - (٦٢٧)

^{٥٥٩} - صحيح ابن حبان - (٤ / ٤٠٠) (١٥٣٣) صحيح

^{٥٦٠} - صحيح أبو مغلي وآخرون، تربية الطفل في الإسلام، ص ٦٩

^{٥٦١} - إبراهيم الخطيب، زهدى محمد عيد، تربية الطفل في الإسلام، ص ٨١

عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ» ٥٦٢ .

وَعَنْ يُوسُفَ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَسَمِعْتُهَا تَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ قَالَ: غُفِرَانَكَ. ٥٦٣

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ، فَإِذَا ذَهَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْعَائِطِ فَلَا يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ، وَلَا يَسْتُدْبِرُهَا، وَلَا يَسْتَتِيبُ بِيَمِينِهِ، وَكَانَ يَأْمُرُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، وَيَنْهَى عَنِ الرَّوْثِ، وَالرَّمَّةِ. ٥٦٤

المطلب الثامن: التحرز من الأمراض السارية المعدية:

من طرق الوقاية من الأمراض إبعاد الطفل عن المناطق الموبوءة بالأمراض أو عدم اختلاطهم بالمرضى .

عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ فِي وَفْدٍ تَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْدُومٌ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ - « إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ » ٥٦٥ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: فَرِّ مِنَ الْمَجْدُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ. ٥٦٦

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تُدْبِمُوا النَّظَرَ إِلَى الْمَجْدُومِينَ. ٥٦٧

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ مِينَاءَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ، وَفَرِّ مِنَ الْمَجْدُومِ كَمَا تَفَرُّ مِنَ الْأَسَدِ » ٥٦٨

٥٦٢ - صحيح البخارى- المكثر - (١٤٢)

٥٦٣ - صحيح ابن حبان - (٤ / ٢٩٢) (١٤٤٤) صحيح

٥٦٤ - صحيح ابن حبان - (٤ / ٢٨٨) (١٤٤٠) صحيح

٥٦٥ - صحيح مسلم- المكثر - (٥٩٥٨)

٥٦٦ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٥٦٥) (٩٧٢٢) ٩٧٢٠ - صحيح لغيره

٥٦٧ - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ١٣٢) (٢٥٠٣٢) صحيح

٥٦٨ - صحيح البخارى- المكثر - (٥٧٠٧)

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - « لَا عَدْوَى، وَلَا صَفْرَ، وَلَا هَامَةَ ». فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الطَّبَاءُ، فَيُخَالِطُهَا الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيُجْرِبُهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلِ » .

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ بَعْدُ يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - « لَا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَيَّ مُصِحًّا ». وَأُنْكَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ حَدِيثَ الْأَوَّلِ قُلْنَا أَلَمْ تُحَدِّثْ أَنَّهُ لَا عَدْوَى فَرَطْنَ بِالْحَبَشِيَّةِ . قَالَ أَبُو سَلَمَةَ فَمَا رَأَيْتَهُ نَسِيَ حَدِيثًا غَيْرَهُ^{٥٦٩}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - خَرَجَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرَخٍ لَقِيَهُ أَمْرَاءُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّامِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ عُمَرُ ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ. فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ فَاخْتَلَفُوا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ، وَلَا نَرَى أَنَّ تَرْجِعَ عَنْهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَلَا نَرَى أَنَّ تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ. فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّي. ثُمَّ قَالَ ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ. فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّي. ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشِيخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ. فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا نَرَى أَنَّ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ، وَلَا تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ، إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَى ظَهْرٍ، فَأَصْبِحُوا عَلَيَّ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ أَفَرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ فَقَالَ عُمَرُ لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَعَمْ نَفَرٌ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُذْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ، وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ قَالَ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَعَبِيًّا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ « إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ ». قَالَ فَحَمِدَ اللَّهُ عُمَرُ ثُمَّ أَنْصَرَ^{٥٧٠}.

^{٥٦٩} - صحيح البخارى - المكثر - (٥٧٧١، ٥٧٧٠)

^{٥٧٠} - صحيح البخارى - المكثر - (٥٧٢٩) - العدة: جانب الوادى

لذا كان لزاماً على المربين - ولاسيما الأمهات - إذا أصيب أحد أولادهم بمرض مُعدٍ أن يعزلوه عن بقية الأولاد، حتى لا ينتشر المرض، ويستفحل الوباء..فما أعظم هذا الهدي النبوي في تربية الأجسام، والحفاظ على صحة الأبدان!

المطلب التاسع - علاجهم إذا مرضوا:

ومعالجتهم من الأمراض عن طريق:

-العلاج النفسي والروحي بالصبر والتوكل على الله،والعلاج بالقرآن فهو شفاء لكل داء قال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ } (٥٧) سورة يونس

يَمْتَنُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ بِإِنزَالِهِ الْقُرْآنَ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَفِيهِ زَاجِرٌ عَنِ الْعِيِّ، وَعَنِ الْفَوَاحِشِ، وَفِيهِ شِفَاءٌ لِّلصُّدُورِ مِنَ الشُّكُوكِ وَالرَّيْبِ، وَالْقُرْآنُ يَهْدِي الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ بِهِ، وَيُؤَدِّي بِهِمْ إِلَى إِدْخَالِهِمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ ^{٥٧١}.

- التداوي بالأدوية المختلفة ^{٥٧٢}، فعن جابر عن رسول الله ﷺ - أَنَّهُ قَالَ « لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » ^{٥٧٣}.

واستشارة الطبيب في مرض الطفل.



^{٥٧١} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٤٢٢)

^{٥٧٢} - انظر إلى :

- سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٤٤١-٤٤٦

-حلي، عبد المجيد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ٩٩-١٠٢

- ابراهيم الخطيب، زهدي محمد عيد، تربية الطفل في الإسلام، ص ٨٣-٨٤

سميح أبو مغلي وآخرون، تربية الطفل في الإسلام، ص ٧١-٧٣

^{٥٧٣} - صحيح مسلم- المكثر - (٥٨٧١)

المبحث الخامس البناء العلمي

تمهيد حول أهمية العلم في الإسلام :

لا شك أن هذه المسؤولية بالغة الأهمية والخطورة في نظر الإسلام، لأن الإسلام حمل الآباء والمربين مسؤولية كبرى في تعليم الأولاد، وتنشئتهم على الاعتراف من معين الثقافة والعلم، وتركيز أذهانهم على الفهم المستوعب، والمعرفة المجردة، والمحكمة المترنسة، والإدراك الناضج الصحيح.. وبهذا تتفتح المواهب، ويبرز النبوغ، وتنضج العقول، وتظهر العبقرية.. ومن المعلوم تاريخياً أن أول آية نزلت على قلب الرسول الأعظم ﷺ هذه الآيات: {أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)} [العلق: ١ - ٥].

وما ذاك إلا تمجيد لحقيقة القراءة والعلم، وإيدان لرفع منار الفكر والعقل، وفتح لباب الحضارة على مصراعيه.

وإذا أردنا أن نستعرض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض على العلم، وترفع من منزلة العلماء، نجدها كثيرة ومستفيضة يستظهرها الصغير والكبير، ويرويهما العالم والمتعلم.. فمن هذه الآيات قوله تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} (٩) سورة الزمر.

- وقوله: {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} (١١٤) سورة طه.

- وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (١١) سورة المجادلة.

- وقوله: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} (١) سورة القلم ١٠١.

ومن هذه الأحاديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَحِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » ٥٧٤ .

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا عَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ، وَذَكَرَ اللَّهُ، وَمَا وَالَاهُ" ٥٧٥ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ضَمْرَةَ السَّلُولِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَقُولُ: "الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذَكَرَ اللَّهُ، وَمَا وَالَاهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا. ٥٧٦ .

وَعَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ جِئْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ مَدِينَةَ الرَّسُولِ ﷺ بِحَدِيثٍ بَلَّغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَلَا جِئْتَ لِحَاجَةٍ ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: وَلَا جِئْتَ لِتِجَارَةٍ ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: وَلَا جِئْتَ إِلَّا لِهَذَا الْحَدِيثِ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْحَتَهَا رِضًا لَطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ يَسْتَعْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَكُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحَيْتَانُ فِي حَوْفِ الْمَاءِ، إِنَّ

٥٧٤ - صحيح مسلم - المكثر - (٧٠٢٨)

٥٧٥ - المعجم الكبير للطبراني - (٢٠ / ٢١٥) (١٦٨٠) صحيح لغيره

٥٧٦ - سنن ابن ماجه - ط - الرسالة - (٥ / ٢٣١) (٤١١٢) صحيح لغيره

الْعَمَاءَ وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَوَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ^{٥٧٧}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ.^{٥٧٨}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »^{٥٧٩}.

انطلاقاً من هذا التوجيه القرآني والإرشاد النبوي انكب المسلمون في عصر الرسالة، والعصور التي تلت على مدارس العلوم الكونية، واعتبروا تعلم كل علم نافع من قبيل الفرض والواجب، واستفادوا من حضارات الأمم الأخرى في العالم فجددوا فيها وهضموها، وطبعوها بطابع الإسلام المتميز، وظل العالم قرونًا طويلة يقتبس من علومهم، ويستفيد من حضارتهم.. وما تألقت الحضارة المادية في العصر الحديث شرقاً ولا غرباً إلا بفضل ما أخذوه من حضارة المسلمين وعلومهم عن طريق صقلية، والأندلس، والحروب الصليبية... فكانت الدولة الإسلامية بحق أستاذًا وإماماً للعالم الضال، والإنسانية الحائرة..

ولكن ما هو السر في هذا الدفع الحضاري، والإشراق العلمية؟

السر كامن في المبادئ التي انطوت عليها شريعة الإسلام الخالدة:

(أ) ذلك لأن الإسلام روح ومادة، ودين ودينا فلعباداته، ومعاملاته، وتشريعاته الاجتماعية، وأحكامه الدنيوية.. آثار واضحة في بناء الحضارة الإنسانية، وشعاره في ذلك قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧) سورة القصص.

^{٥٧٧} - شرح مشكل الآثار - (٣ / ١٠) (٩٨٢) صحيح

^{٥٧٨} - صحيح ابن حبان - (٧ / ٢٨٦) (٣٠١٦) صحيح

^{٥٧٩} - صحيح مسلم - المكثر - (٤٣١٠)

وقوله: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (١٠) سورة الجمعة.

(ب) ولأنه يدعو إلى المساواة والإنسانية، ليساهم في بناء الحضارة الإنسانية كل من ينضوي تحت راية الإسلام بغض النظر عن أجناسهم وألوانهم ولغاتهم... وشعاره في ذلك قوله تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (١٣) سورة الحجرات

(ج) ولأنه دين الانفتاح والتعارف إلى كل الأمم والشعوب، وشعاره في ذلك الآية السابقة..

وبناء على هذا النداء انفتح المسلمون على غيرهم، واستفادوا من حضارات الأمم، فتكونت لديهم خبرات واسعة في شتى المجالات الصناعية والتجارية والزراعية والفنية.. فصهروها في بوتقة الإسلام، فجاءت الحضارة فيما بعد مطبوعة بطابعه، وممهورة بخاتمه.

(د) ولأنه دين مستمر متجدد على أرقى ما يكون من النظم والأحكام والمبادئ.. وحسبه شرفاً وخلوداً أنه تنزيل رب العالمين، وتشريع أحكم الحاكمين، وأنه يفي بحاجات البشرية في كل زمان ومكان، ويمد الإنسانية بتشريعات حيوية راقية متكاملة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وشعاره في ذلك قوله تعالى: {أَفْحَكُمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (٥٠) سورة المائدة.

ويكفي هذا الإسلام فخراً وخلوداً أن يشهد عظماء الغرب على عظمته وحيوية تشريعه.. وإليكم ما قاله الفيلسوف الإنكليزي (برناردشو): (لقد كان دين محمد موضع تقدير سام، لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة، وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة.. أرى واجباً أن يدعى محمد منقذ الإنسانية، وإن رجلاً كشاكلته لو تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته).

ويقول الدكتور (ايزكو انساباتو): (إن الشريعة الإسلامية تفوق في كثير من بحوثها الشرائع الأوربية، بل هي التي تعطي للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً).

ويقول العلامة (شيرل) عميد كلية الحقوق بجامعة (فيينا) في مؤتمر الحقوق سنة (١٩٢٧م): (إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد ﷺ إليها، إذ أنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون، لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة)!!..

جاء النبيون بالآيات فانصرفت وجئتنا بجديد غير منصرم آياته كلما طال المدى جُدد يزينهن جمال العنق والقدم (هـ) ولأنه دين يجعل التعليم منذ الصغر إلزامياً ومجانياً دون أن يكون تمييز بين العلوم الشرعية والعلوم الكونية إلا من ناحية الحاجة والكفاية والاختصاص..

أما أن الإسلام دين يجعل التعليم إجبارياً وإلزامياً فلأحاديث التالية:
عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ. ٥٨٠

ولفظ المسلم في الحديث عام يشمل الذكر والأنثى على السواء.
وَعَنْ عَلْقَمَةَ بِنِ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي رَيْ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - ذات يومٍ فَأَتَى عَلَى طَوَائِفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: " مَا بَالُ أَقْوَامٍ لَا يُفْقَهُونَ حَيْرَانَهُمْ، وَلَا يُعَلِّمُونَهُمْ، وَلَا يَعْظُونَهُمْ، وَلَا يَأْمُرُونَهُمْ، وَلَا يَنْهَوْنَهُمْ. وَمَا بَالُ أَقْوَامٍ لَا يَتَعَلَّمُونَ مِنْ حَيْرَانِهِمْ، وَلَا يَتَفَقَّهُونَ، وَلَا يَتَّعِظُونَ. وَاللَّهِ لَيُعَلِّمَنَّ قَوْمٌ حَيْرَانَهُمْ، وَيُفْقَهُونَهُمْ وَيَعْظُونَهُمْ، وَيَأْمُرُونَهُمْ، وَيَنْهَوْنَهُمْ، وَلَيَتَعَلَّمَنَّ قَوْمٌ مِنْ حَيْرَانِهِمْ، وَيَتَفَقَّهُونَ، وَيَتَفَطَّنُونَ، أَوْ لَأُعَاجِلَنَّهُمُ الْعُقُوبَةُ "، ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ قَوْمٌ: مَنْ تَرَوْنَهُ عَنَى بِهِؤُلَاءِ؟ قَالَ: الْأَشْعَرِيِّينَ، هُمْ قَوْمٌ فُقَهَاءٌ، وَلَهُمْ حَيْرَانٌ جُفَاءٌ مِنْ أَهْلِ الْمِيَاهِ وَالْأَعْرَابِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْأَشْعَرِيِّينَ، فَأَتُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتَ قَوْمًا بِخَيْرٍ، وَذَكَرْتَنَا بِشَرٍّ، فَمَا بَالُنَا؟ فَقَالَ: " لَيُعَلِّمَنَّ قَوْمٌ حَيْرَانَهُمْ، وَلَيَفْقَهُنَّهُمْ، وَلَيَفْطَنَّهُمْ، وَلَيَأْمُرَنَّهُمْ، وَلَيَنْهَوَنَّهُمْ، وَلَيَتَعَلَّمَنَّ قَوْمٌ مِنْ حَيْرَانِهِمْ، وَيَتَفَقَّهُونَ، أَوْ لَأُعَاجِلَنَّهُمُ الْعُقُوبَةُ فِي الدُّنْيَا "، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفَطُنْ غَيْرَنَا؟ فَأَعَادَ قَوْلَهُ عَلَيْهِمْ، وَأَعَادُوا قَوْلَهُمْ: أَنْفَطُنْ غَيْرَنَا؟ فَقَالَ ذَلِكَ

٥٨٠ - الفوائد لتمام ٤١٤ - (١ / ٣٠) - (٥٦٥١-) من طرق صحيح لغيره

أَيْضًا، فَقَالُوا: أَمَهَلْنَا سَنَةً، فَأَمَهَلَهُمْ سَنَةً لِيُقَفِّهُوهُمْ، وَيُعَلِّمُونَهُمْ، وَيُفِطَّنُونَهُمْ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - هَذِهِ آيَةٌ (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ) آيَةٌ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ٥٨١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أَلْجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِحَامٍ مِنْ نَارٍ. ٥٨٢

فإذا كان طلب العلم - في نظر الإسلام - فريضة على المسلم والمسلمة.. وإذا كان المستنكف عن تعلم العلم أو تعليمه مهتدا - من قبل الشرع - بالعقوبة.. وإذا كان ممن يكتم العلم النافع ملجماً بلحام من نار يوم القيامة.. أفلا يدل كل هذا على أن الإسلام دين يجعل تعلم العلم أو تعليمه واجباً إلزامياً؟!..

أما أن الإسلام دين يجعل التعليم بكل اختصاصاته مجانياً للمواقف التي وقفها النبي ﷺ في مجانية التعليم، وتحذيره الشديد من أخذ الأجر على التعليم لأصحابه.

فقد ثبت تاريخياً أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يتقاضى على دعوته وتعليمه من أحد أجراً، ومبدأه ومبدأ الرسل من قبله قوله تعالى: { وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } (١٠٩) سورة الشعراء

وثبت تاريخياً كذلك أن مصعب بن عمير الذي أرسله عليه الصلاة والسلام داعياً ومعلماً إلى المدينة، ومعاذ بن جبل الذي أرسله إلى اليمن، وجعفر بن أبي طالب الذي أرسله إلى الحبشة.. وعشرات غيرهم كانوا لا يتقاضون من أحد أجراً.

عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: عَلَّمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْكِتَابَ وَالْقُرْآنَ فَأَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْسًا فَقُلْتُ: لَيْسَتْ بِمَالٍ وَأَرْمِي عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَتَيْنَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَلَأَسْأَلَنَّهُ فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْدَى رَجُلٌ إِلَيَّ قَوْسًا مِمَّنْ كُنْتُ أُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ

٥٨١ - معرفة الصحابة لأبي نعيم - (١ / ٣٦٦) (١١١٨) ومجمع الزوائد - (١ / ٣٧٩) (٧٤٨) حسن

٥٨٢ - صحيح ابن حبان - (١ / ٢٩٨) (٩٦) صحيح

وَالْقُرْآنَ وَنَيْسَتَ بِمَالٍ وَأَرْمَى عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. قَالَ: «إِنْ كُنْتُ تُحِبُّ أَنْ تُطَوَّقَ بِطَوَّقٍ مِنْ نَارٍ فَاقْبَلْهَا». ٥٨٣

وثبت تاريخياً أيضاً أن أبناء المسلمين الذين كانوا يؤمّون المساجد، والمدارس.. للعلم والتعلم كانوا لا يبذلون في سبيل تعليمهم أجراً!!

بل كانوا يدرسون في بعض العصور على حساب الدولة.. ولقد كان علماء السلف يجذرون من يتصدى للإرشاد والتعليم في أن يأخذ على تعليمه أجراً، إِنَّ الْمُعَلِّمَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَّقِدِي بِصَاحِبِ الشَّرْعِ ﷺ فَلَا يَطْلُبُ عَلَى إِفَادَةِ الْعِلْمِ أَجْرًا، وَلَا يَقْصِدُ بِهِ جِزَاءً وَلَا شُكُورًا، بَلْ يُعَلِّمُ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى وَطَلْبًا لِلتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ وَلَا يَرَى لِنَفْسِهِ مَنَّةً عَلَيْهِمْ وَإِنْ كَانَتْ الْمَنَّةُ لَازِمَةً عَلَيْهِمْ، بَلْ يَرَى الْفَضْلَ لَهُمْ إِذْ هَدَبُوا قُلُوبَهُمْ لِأَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِزِرَاعَةِ الْعُلُومِ فِيهَا، كَالَّذِي يُعِيرُكَ الْأَرْضَ لِتَزْرَعَ فِيهَا لِنَفْسِكَ زِرَاعَةً فَمَنْفَعَتُكَ بِهَا تَزِيدُ عَلَى مَنْفَعَةِ صَاحِبِ الْأَرْضِ فَكَيْفَ تُقَلِّدُهُ مَنَّةً وَتَوَائِبُكَ فِي التَّعْلِيمِ أَكْثَرُ مِنْ ثَوَابِ الْمُتَعَلِّمِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَوْ لَا الْمُتَعَلِّمُ مَا نَلَتْ هَذَا الثَّوَابَ فَلَا تَطْلُبُ الْأَجْرَ إِلَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ٥٨٤ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ (٢٩) سورة هود.

وَلَكِنَّ الْفُقَهَاءَ فَصَلُّوا التَّمَوُّلَ فِي حُكْمِ أَخْذِ الْمُعَلِّمِ الْأَجْرَ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُعَلِّمَ إِمَّا أَنْ يَقُومَ بِالتَّعْلِيمِ حَسْبَةَ لَوَجْهِ اللَّهِ أَوْ بِاشْتِرَاطِ أَجْرٍ مُعَيَّنٍ، فَإِنْ كَانَ يَقُومُ بِعَمَلِهِ حَسْبَةَ فَيُعْطَى مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مَا يُعِينُهُ عَلَى عَمَلِهِ، وَيُسَمَّى مَا يُعْطَاهُ رِزْقًا وَلَا يُسَمَّى أَجْرًا قَالَ ابْنُ مُفْلِحٍ: وَاجِبٌ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَتَعَاهَدَ الْمُعَلِّمَ وَالْمُتَعَلِّمَ وَيَرْزُقُهُمَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ قَوَامًا لِلدِّينِ فَهُوَ أَوْلَى مِنَ الْجِهَادِ. ٥٨٥

٥٨٣ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٦ / ١٢٥) (١٢٠١٧) صحيح

٥٨٤ - الإحياء ١ / ٥٦، والمجموع للنووي ١ / ٢٨

٥٨٥ - الفتاوى الهندية ٤ / ٤٤٨، وحاشية ابن عابدين ٥ / ٣٥، والشرح الكبير مع الدسوقي ٤ / ١٦، ٦١، وحاشية

الجلل ٣ / ٥٤١، ٥٤٥، وكشاف القناع ٤ / ١٣، ١٢، والآداب الشرعية ٢ / ٥٣ .

وَقَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ الْأَوْلَادَ فِي الْمَكْتَبِ وَأَمَرَ
عَامِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْخُزَاعِيَّ أَنْ يُلَازِمَهُمْ لِلتَّعْلِيمِ وَجَعَلَ رِزْقَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ.^{٥٨٦}

وكان من نتيجة ذلك أن أقبل الناس على العلم والتعلم بشكل لا نظير له في تاريخ البشرية.. يقول أحد المفكرين: (إن الدولة الإسلامية سبقت العالم كله في نشر التعليم مجاناً للمواطنين جميعاً بلا تمييز أو محاباة، فكانت المدارس مفتوحة على مصاريعها للشعب جميعاً في المسجد، ودور العلم، والأماكن العامة.. في كل البلاد التي دخلت الإسلام، ومن بقايا ذلك التعليم الحر المباح التعليم المجاني القائم بالأزهر الشريف، وبكلية دار العلوم، وجميع المدارس الشرعية.. فالطلاب يمنحون فيها إعانات مالية لتوفير الغذاء لهم مما تعمل الدول الآن على تعميمه في أرجائها)^{٥٨٧}

بقي السؤال إذا كان المعلم متفرغاً للتعليم، وليس عنده مورد آخر يتكسب منه هل يجوز له أن يأخذ أجراً على تعليمه؟ لاشك أن المعلم حينما يكون متفرغاً للعلم والتعليم، وحينما لا تيسر له الأسباب في الحصول على بُلغة العيش، وحينما تتساهل الدولة، أو يتساهل المجتمع في كفايته وكفالتة.. فإنه يجوز أن يأخذ على تعليمه أجراً يحقق له كرامة النفس، وبلُغة الحياة.. وإلى هذا يشير الإمام الغزالي رحمه الله في إحيائه: (وكذلك للمدرس أن يأخذ ما يكفيه ليفرغ قلبه عن المعيشة، وليتجرد لنشر العلم، فيكون مقصوده نشر العلم، وثواب الآخرة، ويأخذ الرزق بلُغة ميسرة للمقصود).

قال أبو الحسن - كما روى القابسي - : وقد مرت بي حكاية تذكر عن ابن وهب أنه قال: كنت جالساً عند مالك فأقبل إليه معلم الكتاب، فقال له: يا أبا عبد الله! إني رجل مؤدّب الصبيان، وإنه بلغني شيء، فكرهت أن أشارك (أي على الأجر) وقد امتنع الناس عليّ، وليسوا يعطوني كما كانوا يعطون، وقد اضطررت بعيالي وليس لي حيلة إلا التعليم. فقال له مالك: اذهب وشارط، فانصرف الرجل، فقال له بعض جلسائه: يا أبا عبد

^{٥٨٦} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٣٨ / ٢٢٨) وميزان العمل - (١ / ٥٢) و الفواكه الدواني ١ / ٣٥ .

^{٥٨٧} - مجلة التمدن الإسلامي من مقال (التربية الإسلامية) للأستاذ محمود مهدي استانبولي ص ٤٢٢

الله! تأمره أن يشترط على التعليم؟ فقال لهم مالك: نعم فَمَنْ يُمَحِّطُ (أي يصلح) لنا صبياننا؟ ومن يؤدبهم لنا؟ لولا المعلمون أي شيء كنا نكون نحن؟
ويزيد الأمر تأكيداً، هذا العصر الذي كثر شره، وتضافرت المخططات الاستعمارية فيه لطمس معالم الإسلام!!..

لذا وجب على الآباء والمربين أن يحرصوا على تعليم أولادهم ولاسيما علم التوحيد والعقيدة، وتلاوة القرآن، وسائر العلوم الشرعية لأنه مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وإذا لم يختاروا لأولادهم المعلمين - ولو بالأجر - فإن الأولاد سينشؤون على الإلحاد والجهل والتحلل والإباحية..

وقديماً قال ابن مسعود رضي الله عنه - كما روى ابن سحنون عن سفيان الثوري - "ثلاث لا بد للناس منهم: من أمير يحكم بينهم، ولولا ذلك لأكل بعضهم بعضاً، ولا بد للناس من شراء المصاحف وبيعها، ولولا ذلك لبطل كتاب الله، ولا بد للناس من معلم يعلم أولادهم، ويأخذ على ذلك أجراً، ولولا ذلك كان الناس أميين...".^{٥٨٨}

ونضيف شيئاً آخر يتماشى مع هذا الزمن الذي نعيشه، لا بد للناس من معلم يعلم أولادهم مسائل العقيدة، ومبادئ الأخلاق، ووقائع التاريخ، وتلاوة القرآن.. ولولا ذلك لكان الأولاد ملحدين ضالين، سواء أكان هذا التعليم بأجر أم بغير أجر!!..

والذي نخلص إليه بعد ما تقدم أن الشريعة الإسلامية لا تجيز في الأصل أخذ الأجرة على التعليم، اللهم إلا إذا كانت هناك ملابسة ضرورية على أخذ الأجرة، كأن يكون المعلم متفرغاً للعلم، ولم يكن له مورد من الكسب سوى التعليم، أو كانت حالة الأولاد تستدعي أن يُفَرِّغ لهم أولياؤهم مؤدبين يحفظونهم من عقائد الإلحاد والكفر، وينشئونهم على مبادئ الإسلام والتربية الفاضلة، فلهذه الملابس وغيرها أجازت الشريعة أخذ الأجرة على التعليم سواء أكان التعليم شرعياً أو كان كونياً والله أعلم.

(و) ولأنه دين يقسم فريضة التعليم إلى فريضة عينية وفريضة كفاية، وفي ذلك تفصيل:

^{٥٨٨} - تربية الأولاد في الإسلام لعنوان - (١ / ٢٠٢)

- فإن كان تحصيل العلم مما له علاقة في تكوين الفرد المسلم روحياً، وعقلياً، وجسماً وخلقياً.. فهو من قبيل فرض العين بالمقدار الذي يحتاج إليه، ويندرج تحت شعار هذه الفريضة المرأة والرجل، والصغير والكبير، والعامل والموظف.. وجميع طبقات الأمة المسلمة... وبناء على هذا فإن تعلم تلاوة القرآن، وأحكام العبادات، ومبادئ الأخلاق الأساسية، ومسائل الحلال والحرام، وقواعد الصحة العامة، وكل ما يحتاجه المسلم في أمر دينه ودنياه هو فرض عيني على كل مسلم ومسلمة في هذه الحياة.

- فإن كان تحصيل العلم مما له علاقة بالزراعة، والصناعة، والتجارة، والطب، والهندسة، والكهرباء، والذرة، ووسائل الدفاع، وغيرها من العلوم النافعة.. فهو من قبيل فرض الكفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الجميع، وإذا لم يقم به أحد فالجتمتع الإسلامي كله آثم ومسؤول.

هذا هو السر في قوة الدفع الحضارية والعلمية في بناء الحضارة الإنسانية، وهذا مما يؤكد عظمة الإسلام، ومنافسته لروح العصر والتطور، واختصاصه بمقومات الخلود والتجدد والاستمرار..

وأما ما نراه اليوم من ضعف علمي وتخلف حضاري.. فيعود إلى جهل المسلمين بحقيقة الإسلام العظيم، وإلى إبعاد الإسلام عن تطبيق أنظمتها في كل مجالات الحياة، وإلى تأمر أعداء الإسلام في طمس معالم الإسلام، وفصل الدين عن الدولة، وحصص النظام الإسلامي في أمور العبادة، وقضايا الأخلاق!!..

ويوم يفهم المسلمون حقيقة الإسلام، ويوم يطبقون نظامه الشامل في شتى مجالات الحياة، ويوم ينتبهون إلى المؤامرات التي يخططها الأعداء والعملاء.. فعندئذ يستعيدون مكانتهم تحت الشمس، ويرجعون هداة مرشدين، بل خير أمة أخرجت للناس..

{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (سورة الأنعام ١٥٣)

ومن الواجب التعليمي الذي يجب أن يحرص عليه الربون والمعلمون والآباء.. هو التركيز في الدرجة الأولى على تعليم الأولاد - وهم في سن التمييز - تلاوة القرآن الكريم، والسيره النبوية، وكل ما يحتاجون إليه من العلوم الشرعية، وبعض القصائد الأدبية، وأمثال العرب.. فقد حرص المسلمون في كل العصور عبر التاريخ على تعليم أبنائهم هذه العلوم الأساسية، والمواد الضرورية..^{٥٨٩}

وهناك العديد من المطالب في هذا الموضوع الجليل وهي :

المطلب الأول: الشريعة تدعو إلى العلم بمعناه الشامل:

العلم: هو إدراك الشيء بحقيقته، وهو نور الله يقذفه في قلب من يجب. والعلم: المعرفة، ويطلق العلم على مجموع المسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة، كعلم الكلام والعلوم الطبيعية.^{٥٩٠}

والعلمُ تحصيل وبالتالي يحتاج إلى جهد مخطط، ولفظ العلم جاء في القرآن الكريم في أماكن عدّة لأهمية العلم، قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} (١٩) سورة محمد.

" لم تعرف الشريعة ديناً مثل الإسلام عني بالعلم عناية بالغة حيث دفع العقول إلى مجال العلوم والمعرفة ودعاهم إلى تفتح آفاق الفكر، حيث فتح أمامهم كتاب الكون على مصراعيه ودعاهم إلى العلم والتأمل والتفكير في الكون للوقوف على أسرارهِ^{٥٩١}، قال تعالى: {قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} (١٠١) سورة يونس.

يُرْشِدُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ إِلَى التَّفَكُّرِ فِيمَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ الْآيَاتِ الَّتِي لَا تُحْصَى، وَالَّتِي يَعْقِلُهَا ذُرُوءُ الْأَلْبَابِ، وَكُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى الْوَهْيَةِ اللَّهِ، وَوُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ. وَلَكِنَّ مَا هِيَ فَائِدَةُ الرُّسُلِ وَالْآيَاتِ وَالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ لِقَوْمٍ

^{٥٨٩} - تربية الأولاد في الإسلام لعلوان - (١ / ٢٠٥)

^{٥٩٠} - إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٦٥٥.

^{٥٩١} - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٦٧

جَاهِدِينَ، لَا يُتَوَقَّعُ إِيمَانُهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَنْ يُوجِّهُوا أَنْظَارَهُمْ إِلَى الْاِعْتِبَارِ بِالآيَاتِ، وَالْاِسْتِدْلَالِ بِهَا عَلَى مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مِنْ وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ (وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ) .^{٥٩٢}

إن المخاطبين بهذا القرآن أول مرة، لم يكن لديهم من المعرفة العلمية بما في السماوات والأرض إلا القليل.

ولكن الحقيقة الواقعة التي أشرنا إليها مرارا، هي أن بين الفطرة البشرية وبين هذا الكون الذي نعيش فيه لغة خفية غنية! وأن هذه الفطرة تسمع لهذا الكون - حين تتفتح وتستيقظ - وتسمع منه الكثير! والمنهج القرآني في تكوين التصور الإسلامي في الإدراك البشري يتكئ على ما في السماوات والأرض، ويستلهم هذا الكون ويوجه إليه النظر والسمع والقلب والعقل.. وذلك دون أن يخل بطبيعة التناسق والتوازن فيه ودون أن يجعل من هذا الكون إلها يؤثر في الإنسان أثر الله! كما يجدف بذلك الماديون المطموسون، ويسمون ذلك التحديف مذهبا «علميا» يقيمون عليه نظاما اجتماعيا يسمونه: «الاشتراكية العلمية» والعلم الصحيح من ذلك التحديف كله بريء! والنظر إلى ما في السماوات والأرض يمد القلب والعقل بزاد من المشاعر والتأملات وزاد من الاستجابات والتأثرات وزاد من سعة الشعور بالوجود وزاد من التعاطف مع هذا الوجود.. وذلك كله في الطريق إلى امتلاء الكينونة البشرية بالإيقاعات الكونية الموحية بوجود الله، وبجلال الله، وبتدبير الله، وبسلطان الله، وبحكمة الله، وعلم الله...

وبمضي الزمن، وتنمو معارف الإنسان العلمية عن هذا الكون، فإن كان هذا الإنسان مهتديا بنور الله إلى جوار هذه المعارف العلمية، زادته هذه المعارف من الزاد الذي تحصله الكينونة البشرية من التأمل في هذا الكون، والأنس به، والتعرف عليه، والتجاوب معه، والاشتراك معه في تسيحه بحمد الله: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ».. ولا يفقه تسيح كل شيء بحمد الله إلا الموصول قلبه بالله.. وأما إن كانت هذه المعارف العلمية غير مصحوبة ببشاشة الإيمان ونوره، فإنها تقود الأشقياء إلى مزيد من الشقوة، حين

^{٥٩٢} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٤٦٦)

تقودهم إلى مزيد من البعد عن الله والحرمان من بشاشة الإيمان ونوره ورفرفته وريّاه! «وما تُعْني الآياتُ والنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ»! وماذا تجدي الآيات والنذر إذا استغلقت القلوب، وتجمدت العقول، وتعطلت أجهزة الاستقبال والتلقي في الفطرة واحتجب الكائن الإنساني بجملته عن هذا الوجود، فلم يسمع إيقاعات حمده وتسيبحة؟! «إن المنهج القرآني في التعريف بحقيقة الألوهية يجعل الكون والحياة معرضا رائعا تتجلى فيه هذه الحقيقة .. تتجلى فيه بآثارها الفاعلة، وتملاً بوجودها وحضورها جوانب الكينونة الإنسانية المدركة .. إن هذا المنهج لا يجعل «وجود الله» سبحانه قضية يجادل عنها. فالوجود الإلهي يفعم القلب البشري - من خلال الرؤية القرآنية والمشاهدة الواقعية على السواء - بحيث لا يبقى هنالك مجال للجدل حوله. إنما يتجه المنهج القرآني مباشرة إلى الحديث عن آثار هذا الوجود في الكون كله وإلى الحديث عن مقتضياته كذلك في الضمير البشري والحياة البشرية.

« والمنهج القرآني في اتباعه لهذه الخطة إنما يعتمد على حقيقة أساسية في التكوين البشري. فالله هو الذي خلق وهو أعلم بمن خلق: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ ما تُؤَسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ» .. والفطرة البشرية بما حاجة ذاتية إلى التدين، وإلى الاعتقاد بآله. بل إنها حين تصح وتستقيم تجد في أعماقها اتجاهها إلى إله واحد، وإحساساً قويا بوجود هذا الإله الواحد. ووظيفة العقيدة الصحيحة ليست هي إنشاء هذا الشعور بالحاجة إلى إله والتوجه إليه، فهذا مركز في الفطرة. ولكن وظيفتها هي تصحيح تصور الإنسان لإلهه، وتعريفه بالإله الحق الذي لا إله غيره. تعريفه بحقيقته وصفاته، لا تعريفه بوجوده وإثباته. ثم تعريفه بمقتضيات الألوهية في حياته - وهي الربوبية والقوامة والحاكمية - والشك في حقيقة الوجود الإلهي أو إنكاره هو بذاته دليل قاطع على اختلال بين في الكينونة البشرية، وعلى تعطل أجهزة الاستقبال والاستجابة الفطرية فيها. وهذا التعطل لا يعالج - إذن - بالجدل. وليس هذا هو طريق العلاج!

«إن هذا الكون، كون مؤمن مسلم، يعرف بارئه ويخضع له، ويسبح بحمده كل شيء فيه وكل حي - عدا بعض الأناسي! - و«الإنسان» يعيش في هذا الكون الذي تتجاوب

جنباته بأصداء الإيمان والإسلام، وأصداء التسبيح والسجود. وذرات كيانه ذاته وخلاياه تشارك في هذه الأصداء، وتخضع في حركتها الطبيعية الفطرية للنواميس التي قدرها الله. فالكائن الذي لا تستشعر فطرته هذه الأصداء كلها ولا تحس إيقاع النواميس الإلهية فيها هي ذاتها، ولا تلتقط أجهزته الفطرية تلك الموجات الكونية، كائن معطلة فيه أجهزة الاستقبال والاستجابة الفطرية. ومن ثم لا يكون هنالك سبيل إلى قلبه وعقله بالجدل، إنما يكون السبيل إلى علاجه هو محاولة تنبيه أجهزة الاستقبال والاستجابة فيه، واستجاشة كوامن الفطرة في كيانه، لعلها تتحرك، وتأخذ في العمل من جديد.»

ولفت الحس والقلب والعقل للنظر إلى ما في السماوات والأرض، وسيلة من وسائل المنهج القرآني لاستحياء القلب الإنساني لعله ينبض ويتحرك، ويتلقى ويستجيب. ولكن أولئك المكذبين من الجاهليين العرب - وأمثالهم - لا يتدبرون ولا يستجيبون.. فماذا ينتظرون؟

إن سنة الله لا تتخلف، وعاقبة المكذبين معروفة، وليس لهم أن يتوقعوا من سنة الله أن تتخلف. وقد ينظرهم الله فلا يأخذهم بعذاب الاستئصال، ولكن الذين يصرون على التكذيب لا بد لهم من النكال: «فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ؟».. «قُلْ: فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ».. وهو التهديد الذي ينهي الجدل، ولكنه يخلع القلوب.^{٥٩٣}

" إن العلم الذي يدعو إليه الإسلام هو العلم بمفهومه الشامل الذي ينظم كل ما يتصل بالحياة، وكل ما يعود بالمنفعة على المسلمين في الدنيا والآخرة. لقد عني الإسلام أي عناية بالعقل فدعا إلى انطلاقه، وفتح آفاقه، وتنشيط الأذهان والتفكير العميق في ظواهر الكون " ^{٥٩٤}

" فالإسلام يدفع الإنسان إلى تعلم كل علم نافع له ولجتمعه وللإنسانية جمعاء سواء أكان هذا العلم في دائرة العلوم الشرعية أو الاجتماعية أو الطبيعية أو غير ذلك من أنواع المعارف والعلوم. " ^{٥٩٥}

^{٥٩٣} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٣ / ١٨٢٢)

^{٥٩٤} - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٦٧

وقد دعا الإسلام إلى :

(١) " التدبر في خلق الإنسان ووصف تكوينه العقلي والجسمي قال تعالى: { فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ
مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ
لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) [الطارق: ٥ - ١١] }
يَلْفَتُ اللَّهُ تَعَالَى نَظَرَ الْإِنْسَانِ إِلَى مَبْدَأِ خَلْقِهِ لِيَتَّضِحَ لَهُ قُدْرَةُ خَالِقِهِ وَوَاهِبِهِ الْحَيَاةَ
وَالرِّزْقَ، لِيَعْرِفَ فَضْلَهُ وَمِنَّةَ عَلَيْهِ، فَلَا يَكْفُرُ بِرَبِّهِ، وَلَا يُنْكِرُ الْبَعْثَ وَالْمَعَادَ، لِأَنَّ مَنْ خَلَقَهُ مِنْ
النُّطْفَةِ الْمُهَيَّئَةِ، قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِهِ وَإِنْشَائِهِ، وَلِيَعْرِفَ الْإِنْسَانُ ضَعْفَهُ وَتَفَاهَةَ أَصْلِهِ فَلَا
يَطْعَى وَلَا يَتَجَبَّرُ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ مُتَدَفِّقٍ .

إنه يخرج أي الإنسان من بين صلب المرأة وترائبها^{٥٩٦}

الصُّلْبِ - أَسْفَلَ عِظَامِ الظَّهْرِ . التَّرَائِبِ - عِظَامِ الرِّقَبَةِ وَالصَّدْرِ .

وَالَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ابْتِدَاءً قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِهِ وَرَدِّهِ حَيًّا بَعْدَ أَنْ يَمُوتَ
وَيَبْلَى .^{٥٩٧}

فلينظر الإنسان من أي شيء خلق وإلى أي شيء صار .. إنه خلق من ماء دافق يخرج من
بين الصلب والترائب، خلق من هذا الماء الذي يجتمع من صلب الرجل وهو عظام ظهره
الفقارية ومن ترائب المرأة وهي عظام صدرها العلوية .. ولقد كان هذا سرا مكنونا في علم
الله لا يعلمه البشر. حتى كان نصف القرن الأخير حيث اطلع العلم الحديث على هذه
الحقيقة بطريقته وعرف أنه في عظام الظهر الفقارية يتكون ماء الرجل، وفي عظام الصدر
العلوية يتكون ماء المرأة. حيث يلتقيان في قرار مكين فينشأ منهما الإنسان! والمسافة الهائلة
بين المنشأ والمصير .. بين الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب وبين الإنسان

^{٥٩٥} - فرحات، إسحق أحمد، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص ٦٣، ط ٣، دار الفرقان، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

^{٥٩٦} - هذا هو الراجح في تفسير ذلك، انظر كتاب القرار المكين للشقفة

^{٥٩٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٨١٣)

المدرک العاقل المعقد التركيب العضوي والعصبي والعقلي والنفسي .. هذه المسافة الهائلة التي يعبرها الماء الدافق إلى الإنسان الناطق توحى بأن هنالك يدا خارج ذات الإنسان هي التي تدفع بهذا الشيء المائع الذي لا قوام له ولا إرادة ولا قدرة، في طريق الرحلة الطويلة العجيبة الهائلة، حتى تنتهي به إلى هذه النهاية الماثلة. وتشى بأن هنالك حافظا من أمر الله يرمى هذه النطفة المجردة من الشكل والعقل، ومن الإرادة والقدرة، في رحلتها الطويلة العجيبة. وهي تحوي من العجائب أضعاف ما يعرض للإنسان من العجائب من مولده إلى مماته! هذه الخلية الواحدة الملقحة لا تكاد ترى بالمجهر، إذ أن هنالك ملايين منها في الدفقة الواحدة .. هذه الخليقة التي لا قوام لها ولا عقل ولا قدرة ولا إرادة، تبدأ في الحال بمجرد استقرارها في الرحم في عملية بحث عن الغذاء. حيث تزودها اليد الحافظة بخاصية آكلة تحوّل بها جدار الرحم حولها إلى بركة من الدم السائل المعد للغذاء الطازج! وبمجرد اطمئنانها على غذائها تبدأ في عملية جديدة. عملية انقسام مستمرة تنشأ عنها خلايا .. وتعرف هذه الخليقة الساذجة التي لا قوام لها ولا عقل ولا قدرة ولا إرادة .. تعرف ماذا هي فاعلة وماذا هي تريد .. حيث تزودها اليد الحافظة بالهدى والمعرفة والقدرة والإرادة التي تعرف بها الطريق! إنها مكلفة أن تخصص كل مجموعة من هذه الخلايا الجديدة لبناء ركن من أركان هذه العمارة الهائلة .. عمارة الجسم الإنساني ..

فهذه المجموعة تنطلق لتنشئ الهيكل العظمي. وهذه المجموعة تنطلق لتنشئ الجهاز العضلي. وهذه المجموعة تنطلق لتنشئ الجهاز العصبي. وهذه المجموعة تنطلق لتنشئ الجهاز اللمفاوي ... إلى آخر هذه الأركان الأساسية في العمارة الإنسانية! .. ولكن العمل ليس بمثل هذه البساطة .. إن هنالك تخصصا أدق. فكل عظم من العظام. وكل عضلة من العضلات. وكل عصب من الأعصاب .. لا يشبه الآخر. لأن العمارة دقيقة الصنع، عجيبة التكوين، متنوعة الوظائف ... ومن ثم تتعلم كل مجموعة من الخلايا المنطلقة لبناء ركن من العمارة، أن تتفرق طوائف متخصصة، تقوم كل طائفة منها بنوع معين من العمل في الركن المخصص لها من العمارة الكبيرة! .. إن كل خلية صغيرة تنطلق وهي تعرف طريقها. تعرف إلى أين هي ذاهبة، وماذا هو مطلوب منها! ولا تخطئ واحدة منها طريقها في هذه المتاهة

الهائلة. فالخلايا المكلفة أن تصنع العين تعرف أن العين ينبغي أن تكون في الوجه، ولا يجوز أبدا أن تكون في البطن أو القدم أو الذراع. مع أن كل موضع من هذه المواضع يمكن أن تنمو فيه عين. ولو أخذت الخلية الأولى المكلفة بصنع العين وزرعت في أي من هذه المواضع لصنعت عينا هنالك! ولكنها هي بذاتها حين تنطلق لا تذهب إلا للمكان المخصص للعين في هذا الجهاز الإنساني المعقد ..

فمن ترى قال لها: إن هذا الجهاز يحتاج إلى عين في هذا المكان دون سواه؟ إنه الله. إنه الحافظ الأعلى الذي يربها ويوجهها ويهديها إلى طريقها في المتاهة التي لا هادي فيها إلا الله! وكل تلك الخلايا فرادى ومجموعة تعمل في نطاق ترسم لها مجموعة معينة من الوحدات كاملة فيها. هي وحدات الوراثة، الحافظة لسجل النوع وخصائص الأجداد. فخلية العين وهي تنقسم وتتكاثر لكي تكوّن العين، تحاول أن تحافظ في أثناء العمل على شكل معين للعين وخصائص محددة تجعلها عين إنسان لا عين أي حيوان آخر. وإنسان لأجداده شكل معين للعين وخصائص معينة .. وأقل انحراف في تصميم هذه العين من ناحية الشكل أو ناحية الخصائص يجيد بها عن الخط المرسوم. فمن ذا الذي أودعها هذه القدرة؟ وعلمها ذلك التعليم؟

وهي الخلية الساذجة التي لا عقل لها ولا إدراك، ولا إرادة لها ولا قوة؟ إنه الله. علمها ما يعجز الإنسان كله عن تصميمه لو وكل إليه تصميم عين أو جزء من عين. بينما خلية واحدة منه أو عدة خلايا ساذجة، تقوم بهذا العمل العظيم! ووراء هذه اللمحة الخاطفة عن صور الرحلة الطويلة العجيبة بين الماء الدافق والإنسان الناطق، حشود لا تحصى من العجائب والغرائب، في خصائص الأجهزة والأعضاء، لا نملك تقصيها في هذه الظلال .. تشهد كلها بالتقدير والتدبير. وتشي باليد الحافظة الهادية المعينة. وتؤكد الحقيقة الأولى التي أقسم عليها بالسماء والطارق. كما تمهد للحقيقة التالية. حقيقة النشأة الآخرة التي لا يصدقها المشركون، المخاطبون أول مرة بهذه السورة ..

«إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ. فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ» ..

إنه - الله الذي أنشأه ورعاه - إنه لقادر على رجعه إلى الحياة بعد الموت، وإلى التجدد بعد البلى، تشهد النشأة الأولى بقدرته، كما تشهد بتقديره وتدبيره. فهذه النشأة البالغة الدقة والحكمة تذهب كلها عبثاً إذا لم تكن هناك رجعة لتختبر السرائر وتجزي جزاءها العادل: «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ».. السرائر المكنونة، المطوية على الأسرار المحجوبة.. يوم تبلى وتختبر، وتتكشف وتظهر كما ينفذ الطارق من خلال الظلام الساتر وكما ينفذ الحافظ إلى النفس الملفقة بالسواتر! كذلك تبلى السرائر يوم يتجرد الإنسان من كل قوة ومن كل ناصر: «فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ».. ما له من قوة في ذاته، وما له من ناصر خارج ذاته.. والتكشف من كل ستر، مع التجرد من كل قوة، يضاعف شدة الموقف ويلمس الحس لمسة عميقة التأثير. وهو ينتقل من الكون والنفس، إلى نشأة الإنسان ورحلته العجيبة، إلى نهاية المطاف هناك، حيث يتكشف ستره ويكشف سره، ويتجرد من القوة والنصير..^{٥٩٨}

إن معرفة الإنسان لنفسه تدعوه إلى حتمية الإيمان بالله الخالق المبدع، وهذا المجال تناولته علوم الطب وعلم النفس.

(٢) التأمل في الكائنات الحية كالنباتات مما تناوله علوم النبات قال تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَنْبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِالْأَنْعَامِ (٣٢) { [عبس: ٢٤ - ٣٢]

فَلْيَتَدَبَّرِ الْإِنْسَانُ شَأْنَ نَفْسِهِ، وَلْيَفَكِّرْ فِي أَمْرِ طَعَامِهِ، وَتَدْبِيرِهِ وَتَهْيِئَتِهِ حَتَّى يَكُونَ غِذَاءً صَالِحًا نَافِعًا تَقُومُ بِهِ بُنْيَتُهُ، وَيَتِمَّكَّنْ مِنْ أَدَاءِ مَهْمَّتِهِ فِي الْحَيَاةِ. لَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْمَاءَ مِنَ السَّحَابِ أَنْزَالًا. وَحِينَمَا يَصِلُ الْمَاءُ إِلَى بُدُورِ النَّبَاتَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ فَإِنَّهَا تَبْدَأُ بِالْحَيَاةِ وَالتَّحَرُّكِ، وَتَشُقُّ الْأَرْضَ لِتَخْرُجَ مِنْهَا سَوْقَهَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لِتَنْمُو وَتَتَنَفَّسَ. وَبُنِيَتْ اللَّهُ تَعَالَى الْحَبَّ كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرِهِمَا مِمَّا يَقْتَاتُ بِهِ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ. وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ الْأَرْضِ الْعِنَبَ وَالتَّبَاتَاتِ الَّتِي تُؤْكَلُ طَرِيَّةً غَضَّةً. (قَضْبًا). وَبُنِيَتْ الزَّيْتُونُ

^{٥٩٨} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٨٧٨)

وَالنَّخْلَ، وَهُمَا ثَمْرَانِ مَعْرُوفَانِ نَبَاتًا وَثَمْرًا. وَبَسَاتِينَ مُسَوَّرَةً، فِيهَا أَشْجَارٌ ضَخْمَةٌ مُثْمِرَةٌ
وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ فَوَاكِهِ يَتَمَتَّعُ بِهَا الْإِنْسَانُ كَالثَّنِينِ وَالْعِنَبِ وَالثُّفَاحِ.. وَتُخْرِجُ النَّبَاتَ الَّذِي
تَأْكُلُهُ الدَّوَابُّ كَالْكَلَأِ وَالثَّنِينِ وَغَيْرِهِ. وَقَدْ أَنْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ لِيَتَمَتَّعَ بِهِ النَّاسُ، وَيَتَنَفَّعُوا بِهِ
هُمُ وَأَنْعَامُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. ^{٥٩٩}

«فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ».. ألصق شيء به، وأقرب شيء إليه، وألزم شيء له.. لينظر إلى
هذا الأمر الميسر الضروري الحاضر المكرر. لينظر إلى قصته العجيبة اليسيرة، فإن يسرها
ينسيه ما فيها من العجب. وهي معجزة كمعجزة خلقه ونشأته. وكل خطوة من خطواتها
بيد القدرة التي أبدعتها:

«أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا».. وصب الماء في صورة المطر حقيقة يعرفها كل إنسان في كل
بيئة، في أية درجة كان من درجات المعرفة والتجربة. فهي حقيقة يخاطب بها كل
إنسان. فأما حين تقدم الإنسان في المعرفة فقد عرف من مدلول هذا النص ما هو أبعد
مدى وأقدم عهدا من هذا المطر الذي يتكرر اليوم ويراه كل أحد.

وأقرب الفروض الآن لتفسير وجود المحيطات الكبيرة التي يتبخر ماؤها ثم يتزل في صورة
مطر، أقرب الفروض أن هذه المحيطات تكونت أولا في السماء فوقنا ثم صبت على الأرض
صبا! وفي هذا يقول أحد علماء العصر الحاضر: «إذا كان صحيحا أن درجة حرارة الكرة
الأرضية وقت انفصالها عن الشمس كانت حوالي ١٢٠٠٠ درجة. أو كانت تلك درجة
حرارة سطح الأرض. فعندئذ كانت كل العناصر حرة. ولذا لم يكن في الإمكان وجود أي
تركيب كيميائي ذي شأن. ولما أخذت الكرة الأرضية، أو الأجزاء المكونة لها في أن تبرد
تدرجيا، حدثت تركيبات، وتكونت خلية العالم كما نعرفه. وما كان للأكسيجين
والهيدروجين أن يتحدا إلا بعد أن هبطت درجة الحرارة إلى ٤٠٠٠ درجة فهرنهايت. وعند
هذه النقطة اندفعت معا تلك العناصر، وكونت الماء الذي نعرفه الآن أنه هواء الكرة
الأرضية. ولا بد أنه كان هائلا في ذلك الحين. وجميع المحيطات كانت في السماء. وجميع

^{٥٩٩} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٦٥٩)

تلك العناصر التي لم تكن قد اتحدت كانت غازات في الهواء. وبعد أن تكون الماء في الجو الخارجي سقط نحو الأرض. ولكنه لم يستطع الوصول إليها. إذ كانت درجة الحرارة على مقربة من الأرض أعلى مما كانت على مسافة آلاف الأميال. وبالطبع جاء الوقت الذي صار الطوفان يصل فيه إلى الأرض ليطير منها ثانياً في شكل بخار. ولما كانت المحيطات في الهواء فإن الفيضانات التي كانت تحدث مع تقدم التبريد كانت فوق الحسبان. وتمشى الجيشان مع التفتت إلخ»

وهذا الفرض - ولو أننا لا نعلق به النص القرآني - يوسع من حدود تصورنا نحن للنص والتاريخ الذي يشير إليه. تاريخ صب الماء صبا. وقد يصح هذا الفرض وقد تجدد فروض أخرى عن أصل الماء في الأرض.

ويبقى النص القرآني صالحاً لأن يخاطب به كل الناس في كل بيئة وفي كل جيل. ذلك كان أول قصة الطعام: «أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا» .. ولا يزعم أحد أنه أنشأ هذا الماء في أي صورة من صورته، وفي أي تاريخ لحدوثه ولا أنه صبه على الأرض صبا، لتفسير قصة الطعام في هذا الطريق! «ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا» .. وهذه هي المرحلة التالية لصب الماء. وهي صالحة لأن يخاطب بها الإنسان البدائي الذي يرى الماء ينصب من السماء بقدرة غير قدرته، وتدير غير تديره. ثم يراه يشق الأرض ويتخلل تربتها. أو يرى النبات يشق تربة الأرض شقا بقدرة الخالق وينمو على وجهها، ويمتد في الهواء فوقها .. وهو نحيل نحيل، والأرض فوقه ثقيلة ثقيلة. ولكن اليد المدبرة تشق له الأرض شقا، وتعيه على النفاذ فيها وهو ناحل لين لطيف. وهي معجزة يراها كل من يتأمل انبثاق النبتة من التربة ويجس من ورائه انطلاق القوة الخفية الكامنة في النبتة الرخية.

فأما حين تتقدم معارف الإنسان فقد يعن له مدى آخر من التصور في هذا النص. وقد يكون شق الأرض لتصبح صالحة للنبات أقدم بكثير مما نتصور. إنه قد يكون ذلك التفتت في صخور القشرة الأرضية بسبب الفيضانات الهائلة التي يشير إليها الفرض العلمي السابق. وبسبب العوامل الجوية الكثيرة التي يفترض علماء اليوم أنها تعاونت لتفتت الصخور الصلبة التي كانت تكسو وجه الأرض وتكون قشرتها حتى وجدت طبقة الطمي

الصالحة للزرع. وكان هذا أثرا من آثار الماء تاليا في تاريخه لصب الماء صبا. مما يتسق أكثر مع هذا التتابع الذي تشير إليه النصوص ..

وسواء كان هذا أم ذلك أم سواهما هو الذي حدث، وهو الذي تشير إليه الآيتان السابقتان فقد كانت المرحلة الثالثة في القصة هي النبات بكل صنوفه وأنواعه. التي يذكر منها هنا أقربها للمخاطبين، وأعمها في طعام الناس والحيوان: « فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا » .. وهو يشمل جميع الحبوب. ما يأكله الناس في أية صورة من صورته، وما يتغذى به الحيوان في كل حالة من حالاته.

«وَعِنَبًا وَقَضْبًا» .. والعنب معروف. والقضب هو كل ما يؤكل رطبا غضا من الخضر التي تقطع مرة بعد أخرى ..

«وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا. وَحَدَائِقَ غُلْبًا. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا» .. والزيتون والنخل معروفان لكل عربي، والحدايق جمع حديقة، وهي البساتين ذات الأشجار المثمرة المسورة بحوائط تحميها. و«غُلْبًا» جمع غلباء. أي ضخمة عظيمة ملتفة الأشجار. والفاكهة من ثمار الحدايق و«الأب» أغلب الظن أنه الذي ترعاه الأنعام. وهو الذي سأل عنه عمر بن الخطاب ثم راجع نفسه فيه متلوما! كما سبق في الحديث عن سورة النازعات! فلا نزيد نحن شيئا! هذه هي قصة الطعام. كلها من إبداع اليد التي أبدعت الإنسان. وليس فيها للإنسان يد يدعيها، في أية مرحلة من مراحلها .. حتى الحبوب والبذور التي قد يلقيها هو في الأرض .. إنه لم يبدعها، ولم يتدعها. والمعجزة في إنشائها ابتداء من وراء تصور الإنسان وإدراكه. والتربة واحدة بين يديه، ولكن البذور والحبوب متنوعة، وكل منها يؤتي أكله في القطع المتجاورات من الأرض. وكلها تسقى بماء واحد، ولكن اليد المبدعة تنوع النبات وتنوع الثمار وتحفظ في البذرة الصغيرة خصائص أمها التي ولدتها فتقلها إلى بنتها التي تلدها .. كل أولئك في خفية عن الإنسان! لا يعلم سرها ولا يقضي أمرها، ولا يستشار في

شأن من شؤونها .. هذه هي القصة التي أخرجتها يد القدرة: «مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ» .. إلى حين. ينتهي فيه هذا المتاع الذي قدره الله حين قدر الحياة. ٦٠٠

٣) دعا الإسلام إلى الإمعان في تكوين الحيوان، مما تناوله علم الحيوان قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ}

(١٩) سورة الملك

أَغْفَلَ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ عَنْ قَدْرَةِ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ وَالْبَعْثِ، وَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ تَطِيرُ فِي حَوِّ السَّمَاءِ، وَهِيَ بِأَسْطَةِ أَجْنَحَتِهَا تَارَةً حِينَ طِيرَانِهَا، وَتَارَةً قَابِضَتِهَا، وَمَا يُمَسِّكُنَّ عَنْ السُّقُوطِ عَلَى الْأَرْضِ، فِي حَالَتِي الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ، إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهُنَّ وَبَارِئُهُنَّ الَّذِي أَلْهَمَهُنَّ طَرِيقَةَ الطَّيْرَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَصِيرٌ بِمَا يُصْلِحُ حَالَ كُلِّ مَخْلُوقٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ فَيَسِّرُهُ لِلْقِيَامِ بِهِ. ٦٠١

وهذه الخارقة التي تقع في كل لحظة، تنسينا بوقوعها المتكرر، ما تشي به من القدرة والعظمة. ولكن تأمل هذا الطير، وهو يصف جناحيه ويفردهما، ثم يقبضهما ويضمهما، وهو في الحالين: حالة الصف الغالبة، وحالة القبض العارضة يظل في الهواء، يسبح فيه سباحة في يسر وسهولة ويأتي بحركات يخيل إلى الناظر أحيانا أنها حركات استعراضية لجمال التحليق والانقضاض والارتفاع! تأمل هذا المشهد، ومتابعة كل نوع من الطير في حركاته الخاصة بنوعه، لا يمله النظر، ولا يمله القلب. وهو متعة فوق ما هو مثار تفكير وتدبر في صنع الله البديع، الذي يتعاقب فيه الكمال والجمال! والقرآن يشير بالنظر إلى هذا المشهد المثير: «أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ؟» ..

ثم يوحى بما وراءه من التدبير والتقدير: «مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ» ..

والرحمن يمسكهن بنواميس الوجود المتناسقة ذلك التناسق العجيب، الملحوظ فيه كل صغيرة وكبيرة، المحسوب فيه حساب الخلية والذرة .. النواميس التي تكفل توافر آلاف الموافقات في الأرض والجو وخلقة الطير، لتتم هذه الخارقة وتكرر، وتظل تتكرر بانتظام.

٦٠٠ - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٨٣٢)

٦٠١ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥١٣٨)

والرحمن يمسكهن بقدرته القادرة التي لا تكل، وعنايته الحاضرة التي لا تغيب. وهي التي تحفظ هذه النواميس أبدا في عمل وفي تناسق وفي انتظام. فلا تفتت ولا تختل ولا تضطرب غمضة عين إلى ما شاء الله: «مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ» .. بهذا التعبير المباشر الذي يشي بيد الرحمن تمسك بكل طائر وبكل جناح، والطائر صاف جناحيه وحين يقبض، وهو معلق في الفضاء! «إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ» ..

يبصره ويراه. ويبصر أمره ويخبره. ومن ثم يهتئ وينسق، ويعطي القدرة، ويرعى كل شيء في كل لحظة، رعاية الخبير البصير.

وإمساك الطير في الجو كإمساك الدواب على الأرض الطائرة بما عليها في الفضاء. كإمساك سائر الأجرام التي لا يمسكها في مكانها إلا الله. ولكن القرآن يأخذ بأبصار القوم وقلوبهم إلى كل مشهد يملكون رؤيته وإدراكه ويلمس قلوبهم بإيحاءاته وإيقاعاته. وإلا فصنعة الله كلها إعجاز وكلها إبداع، وكلها إيحاء وكلها إيقاع. وكل قلب وكل جيل يدرك منها ما يطيقه، ويلحظ منها ما يراه. حسب توفيق الله. ^{٦٠٢}

(٤) الكون وما فيه من الأجرام السماوية مما ساعد علماء الفلك التوصل إلى أن فضاء الكون تسبح في أجزائه أعداد تفوق الحصر من المجرات قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٤٠) سورة يس.

لَا يَتَأْتِي لِلشَّمْسِ، وَلَا يَسْهُلُ عَلَيْهَا (لَا يَنْبَغِي لَهَا) أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ فِي مَسْرَتِهِ، لِأَنَّ لِكُلِّ مِنْهُمَا مَسَارًا مُسْتَقْلًا، وَهُمَا مَسَارَانِ مُتَبَاعِدَانِ لَا مَجَالَ لِالتَّقَائِمَا، وَلِذَلِكَ فَلَا مَجَالَ لِلْقَوْلِ إِنَّ اللَّيْلَ سَابِقٌ لِلنَّهَارِ، أَوْ إِنَّ النَّهَارَ سَابِقٌ لِلَّيْلِ، وَكُلٌّ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَغَيْرِهِمَا يَسْبَحُ فِي الْفَضَاءِ فِي فَلَكٍ لَا يَخْرُجُ عَنْهُ أَبَدًا. ^{٦٠٣}

ولكل نجم أو كوكب فلك، أو مدار، لا يتجاوزه في جريانه أو دورانه. والمسافات بين النجوم والكواكب مسافات هائلة. فالمسافة بين أرضنا هذه وبين الشمس تقدر بنحو ثلاثة وتسعين مليوناً من الأميال. والقمر يبعد عن الأرض بنحو أربعين ومائتي ألف من

^{٦٠٢} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٦٤٢)

^{٦٠٣} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٦٢٥)

الأميال. وهذه المسافات على بعدها ليست شيئاً يذكر حين تقاس إلى بعد ما بين مجموعتنا الشمسية وأقرب نجم من نجوم السماء الأخرى إلينا. وهو يقدر بنحو أربع سنوات ضوئية. وسرعة الضوء تقدر بستة وثمانين ومائة ألف من الأميال في الثانية الواحدة! (أي إن أقرب نجم إلينا يبعد عنا بنحو مائة وأربعة مليون مليون ميل!).

وقد قدر الله خالق هذا الكون الهائل أن تقوم هذه المسافات الهائلة بين مدارات النجوم والكواكب. ووضع تصميم الكون على هذا النحو ليحفظه. بمعرفته من التصادم والتصدع - حتى يأتي الأجل المعلوم - فالشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر. والليل لا يسبق النهار، ولا يزحمه في طريقه، لأن الدورة التي تجيء بالليل والنهار لا تختل أبداً فلا يسبق أحدهما الآخر أو يزحمه في الجريان! «وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» ..

وحركة هذه الأجرام في الفضاء الهائل أشبه بحركة السفين في الخضم الفسيح. فهي مع ضخامتها لا تزيد على أن تكون نقطة ساجحة في ذلك الفضاء المرهوب.

وإن الإنسان ليتضاءل ويتضاءل، وهو ينظر إلى هذه الملايين التي لا تحصى من النجوم الدوارة، والكواكب السيارة. متناثرة في ذلك الفضاء، ساجحة في ذلك الخضم، والفضاء من حولها فسيح فسيح وأحجامها الضخمة تائهة في ذلك الفضاء الفسيح!!!^{٦٠٤}

٥) وصف للأرض التي نعيش عليها، وما فيها من جبال وأنهار وسهول وصحاري ووديان، مما تناولته علوم الجغرافيا وطبقات الأرض "٦٠٥"، قال تعالى: { أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) } [النبا: ٦ - ٧] .

يَقُولُ تَعَالَى: كَيْفَ يُنْكِرُ هَؤُلَاءِ حُدُوثَ الْبَعْثِ، وَيَشْكُونَ فِيهِ، وَهُمْ يَعَانِينُ مَا يَدُلُّ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى إِحَاطَةِ عِلْمِهِ، وَبَاهِرِ حِكْمَتِهِ، فَلْيَنْظُرُوا إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ جَعَلَهَا اللَّهُ مُمَهَّدَةً مُوَطَّأَةً لِلنَّاسِ يُقِيمُونَ عَلَيْهَا، وَيَنْتَفِعُونَ بِخَيْرَاتِهَا؟

٦٠٤ - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٥ / ٢٩٦٩)

٦٠٥ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية ص ٣٦٨-٣٦٩، وانظر إلى الزنتاني، عبد الحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص ٥١٦-٥٣٦.

وَكَيْفَ جَعَلَ اللَّهُ الْجِبَالَ كَالْأَوْتَادِ أُرْسَىٰ بِهَا الْأَرْضَ وَتَبَّتْهَا، لَكَيْلًا تَضْطَرِبَ وَتَمِيدَ بِالنَّاسِ
وَالْخَلَائِقِ عَلَيْهَا؟^{٦٠٦}

والمهاد: المهد للسير .. والمهاد اللين كالمهد .. وكلاهما متقارب. وهي حقيقة محسوسة للإنسان في أي طور من أطوار حضارته ومعرفته. فلا تحتاج إلى علم غزير لإدراكها في صورتها الواقعية. وكون الجبال أوتادا ظاهرة تراها العين كذلك حتى من الإنسان البدائي وهذه وتلك ذات وقع في الحس حين توجه إليها النفس.

غير أن هذه الحقيقة أكبر وأوسع مدى مما يحسها الإنسان البدائي لأول وهلة بالحس المجرد. وكلما ارتقت معارف الإنسان وازدادت معرفته بطبيعة هذا الكون وأطواره، كبرت هذه الحقيقة في نفسه وأدرك من ورائها التقدير الإلهي العظيم والتدبير الدقيق الحكيم، والتنسيق بين أفراد هذا الوجود وحاجاتهم وإعداد هذه الأرض لتلقي الحياة الإنسانية وحضانتها وإعداد هذا الإنسان للملاءمة مع البيئة والتفاهم معها.

وجعل الأرض مهادا للحياة - وللحياة الإنسانية بوجه خاص - شاهد لا يمارى في شهادته بوجود العقل المدبر من وراء هذا الوجود الظاهر. فاختلال نسبة واحدة من النسب الملحوظة في خلق الأرض هكذا بجميع ظروفها.

أو اختلال نسبة واحدة من النسب الملحوظة في خلق الحياة لتعيش في الأرض .. الاختلال هنا أو هناك لا يجعل الأرض مهادا ولا يبقى هذه الحقيقة التي يشير إليها القرآن هذه الإشارة المجدولة، ليدركها كل إنسان وفق درجة معرفته ومداركه ..

وجعل الجبال أوتادا .. يدركه الإنسان من الناحية الشكلية بنظره المجرد، فهي أشبه شيء بأوتاد الخيمة التي تشد إليها. أما حقيقتها فنتلقاها من القرآن، وندرك منه أنها تثبت الأرض وتحفظ توازنها .. وقد يكون هذا لأنها تعادل بين نسب الأغوار في البحار ونسب المرتفعات في الجبال .. وقد يكون لأنها تعادل بين التقلصات الجوفية للأرض والتقلصات السطحية، وقد يكون لأنها تثقل الأرض في نقط معينة فلا تميد بفعل الزلازل والبراكين

^{٦٠٦} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٥٥٥)

والاهتزازات الجوفية .. وقد يكون لسبب آخر لم يكشف عنه بعد .. وكم من قوانين وحقائق مجهولة أشار إليها القرآن الكريم. ثم عرف البشر طرفاً منها بعد مئات السنين!^{٦٠٧}

فعندما نقرأ القرآن ونُقرئه لأطفالنا وننبه عقولهم إلى كل هذه العلوم التي أشار إليها القرآن الكريم، فإنه ينغرس في قلبهم أن الله - سبحانه وتعالى - حثَّ على التفكير في كل هذه العلوم وبالتالي يبدأ الطفل في إشغال عقله في مجال معين وهو أن يسير في خطى علم معين، فيبدأ منذ طفولته في بناء هذا العلم في عقله وتفكيره، حتى إذا شبَّ سار في خطى العلم والمعرفة ليشكل فرداً صالحاً في المجتمع، مع تأكده بأن جميع مصادر العلم هي من الله - عز وجل - قال تعالى: {.. وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} (٧٦) سورة يوسف

المطلب الثاني: العلم في القرآن الكريم:

" عندما أنزل الله تبارك وتعالى - القرآن دعا فيه إلى العلم ونوّه فيه بالمعرفة وأشاد بدور العلماء في خدمة الحقيقة، لأهم قادة الفكر، وصانعو الحضارة، وهم ورثة الأنبياء، وجعلهم الله - سبحانه وتعالى - في مصاف الملائكة " ^{٦٠٨}، قال تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (١٨) سورة آل عمران

يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّهُ قَائِمٌ عَلَى شُؤْنِ خَلْقِهِ بِالْعَدْلِ، وَقَدْ أَقَامَ الدَّلَائِلَ عَلَى ذَلِكَ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَفَاقِ، وَفِي أَنْزَالِ التَّشْرِيعَاتِ النَّاطِقَةِ بِذَلِكَ. وَأَخْبَرَ الْمَلَائِكَةَ الرُّسُلَ بِهَذَا، وَشَهِدُوا بِهِ شَهَادَةً مُؤَيَّدَةً بِعِلْمِ ضُرُورِيٍّ - وَهُوَ عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ أَقْوَى مِنْ جَمِيعِ الْيَقِينِيَّاتِ - وَأُولُو الْعِلْمِ أَخْبَرُوا بِذَلِكَ وَبَيَّنُّوهُ، وَشَهِدُوا بِهِ شَهَادَةً مَقْرُونَةً بِالْدَّلَائِلِ وَالْحُجَجِ لِأَنَّ الْعَالَمَ بِالشَّيْءِ لَا تُعْوِزُهُ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ .

^{٦٠٧} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٨٠٤)

^{٦٠٨} - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٦٩

وَقَوَامَةُ اللَّهِ فِي تَدْبِيرِ هَذَا الْكَوْنِ، وَأُمُورِ الْخَلْقِ، تَنْصِفُ دَائِمًا بِصِفَةِ الْعَدْلِ (قَائِمًا بِالْقَيْطِ)
وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى سُنْنَ الْخَلْقِ قَائِمَةً عَلَى أَسَاسِ الْعَدْلِ . ثُمَّ أَكَّدَ تَعَالَى كَوْنَهُ مُنْفَرِدًا
بِالْأُلُوهِيَّةِ، وَقَائِمًا بِالْعَدْلِ (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .^{٦٠٩}

وأول خمس آيات نزلت على النبي - ﷺ - تدعوه إلى العلم قال تعالى: { اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤)
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) } [العلق: ١ - ٥]

اقْرَأْ يَا مُحَمَّدُ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مُفْتَتِحًا قِرَاءَتِكَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي لَهُ وَحْدَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى
الْخَلْقِ . وَرَبُّكَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، السَّوِيَّ الْقَوِيَّ، مِنْ نُطْفَةٍ تَنْطَلِقُ مِنْ صُلْبِ الرَّجُلِ
فَتَسْتَقِرُّ فِي رَحِمِ الْأُنثَى، فَتَنْتَوِّرُ بَعْدَ أَيَّامٍ، وَتُصْبِحُ عَلَقَةً (كَمَا جَاءَ فِي آيَةِ أُخْرَى)، ثُمَّ
يَسْتَمِرُّ التَّنْطُورُ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانَ حَتَّى يَتَكَامَلَ وَيُولَدَ طِفْلًا . وَأَفْعَلُ مَا أَمَرْتَ بِهِ مِنَ الْقِرَاءَةِ
(اِقْرَأْ)، وَرَبُّكَ الْأَكْثَرُ كَرَمًا وَجُودًا لِكُلِّ مَنْ يَرْتَجِي مِنْهُ الْإِعْطَاءَ، فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يُيَسِّرَ
عَلَيْكَ نِعْمَةَ الْقِرَاءَةِ . وَهُوَ تَعَالَى الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ أَنْ يَكْتُبَ بِالْقَلَمِ، وَجَعَلَ الْكِتَابَةَ بِالْقَلَمِ
وَسَبِيلَةً لِإِدْرَاكِ الْإِنْسَانَ الْعُلُومَ، وَالْمَعَارِفَ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ، وَبِفَضْلِ الْقَلَمِ حَفِظَتْ
الْعُلُومُ، وَانْتَقَلَتْ فِي الْأَرْضِ مِنْ صِقْعٍ إِلَى صِقْعٍ . وَقَدْ عَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ جَمِيعَ مَا هُوَ
مُتَمَتِّعٌ بِهِ مِنَ الْعُلُومِ، وَكَانَ فِي بَدءِ أَمْرِهِ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا .^{٦١٠}

إنها السورة الأولى من هذا القرآن، فهي تبدأ باسم الله. وتوجه الرسول - ﷺ - أول ما
توجه، في أول لحظة من لحظات اتصاله بالملأ الأعلى، وفي أول خطوة من خطواته في طريق
الدعوة التي اختير لها ..

توجهه إلى أن يقرأ باسم الله: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ» ..

وتبدأ من صفات الرب بالصفة التي بها الخلق والبدء: «الَّذِي خَلَقَ» .

ثم تخصص: خلق الإنسان ومبدأه: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ» .. من تلك النقطة الدموية
الجامدة العالقة بالرحم. من ذلك المنشأ الصغير الساذج التكويني. فتدل على كرم الخالق

^{٦٠٩} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣١٢)

^{٦١٠} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٩٨٤)

فوق ما تدل على قدرته. فمن كرمه رفع هذا العلق إلى درجة الإنسان الذي يعلم
فيتعلم: «أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» ..
وإنها لنقلة بعيدة جدا بين المنشأ والمصير. ولكن الله قادر. ولكن الله كريم. ومن ثم كانت
هذه النقلة التي تدير الرؤوس! وإلى جانب هذه الحقيقة تبرز حقيقة التعليم .. تعليم الرب
للإنسان «بِالْقَلَمِ» ... لأن القلم كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثرا في حياة
الإنسان .. ولم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح الذي نلمسه الآن ونعرفه في حياة
البشرية. ولكن الله - سبحانه - كان يعلم قيمة القلم، فيشير إليه هذه الإشارة في أول
لحظة من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية. في أول سورة من سور القرآن الكريم .. هذا مع
أن الرسول الذي جاء بها لم يكن كاتباً بالقلم، وما كان ليرز هذه الحقيقة منذ اللحظة
الأولى لو كان هو الذي يقول هذا القرآن.

لولا أنه الوحي، ولولا أنها الرسالة! ثم تبرز مصدر التعليم .. إن مصدره هو الله. منه يستمد
الإنسان كل ما علم، وكل ما يعلم. وكل ما يفتح له من أسرار هذا الوجود، ومن أسرار
هذه الحياة، ومن أسرار نفسه. فهو من هناك. من ذلك المصدر الواحد، الذي ليس هناك
سواه.

وبهذا المقطع الواحد الذي نزل في اللحظة الأولى من اتصال الرسول - ﷺ - بالملائكة
الأعلى، بهذا المقطع وضعت قاعدة التصور الإيماني العريضة ..
كل أمر. كل حركة. كل خطوة. كل عمل. باسم الله. وعلى اسم الله. باسم الله تبدأ. وباسم
الله تسير. وإلى الله تتجه، وإليه تصير.

والله هو الذي خلق. وهو الذي علم. فمنه البدء والنشأة، ومنه التعليم والمعرفة .. والإنسان
يتعلم ما يتعلم، ويعلم ما يعلم .. فمصدر هذا كله هو الله الذي خلق والذي علم .. «عَلَّمَ
الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» ..

وهذه الحقيقة القرآنية الأولى، التي تلقاها قلب رسول الله - ﷺ - في اللحظة الأولى هي
التي ظلت تصرف شعوره، وتصرف لسانه، وتصرف عمله واتجاهه، بعد ذلك طوال
حياته. بوصفها قاعدة الإيمان الأولى.

قال الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية في كتابه: «زاد المعاد في هدي خير العباد» يلخص هدي رسول الله (ﷺ) في ذكر الله: «كان النبي ﷺ أكمل الخلق ذكرا لله عز وجل. بل كان كلامه كله في ذكر الله وما والاها.

وكان أمره ونهيه وتشريعه للأمة ذكرا منه لله، وإخباره عن أسماء الرب وصفاته وأحكامه وأفعاله ووعدده ووعيده ذكرا منه له، وثناؤه عليه بآلائه وتمجيده وتمجيده وتسبيحه ذكرا منه له، وسؤاله ودعاؤه إياه ورغبته ورهبته ذكرا منه له. وسكوته وصمته ذكرا منه له بقلبه. فكان ذاكرة لله في كل أحيانه وعلى جميع أحواله. وكان ذكره لله يجري مع أنفاسه قائما وقاعدا وعلى جنبه، وفي مشيته وركوبه، وسيره ونزوله، وطمعته وإقامته.^{٦١١}

" والقرآن الكريم يرى أن مادة العلم مادة الخشية من الله - سبحانه وتعالى -، قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } (٢٨) سورة فاطر يُنَبِّهُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ إِلَى قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، الْمُتَنَوِّعَةِ الْمُظَاهِرِ وَالْأَشْكَالِ، مِنَ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ، فَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا فَأَرَوَى بِهِ الْأَرْضَ، فَأَخْرَجَتْ ثَمَرًا مُخْتَلِفَةَ الْأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ وَالرُّوَائِحِ، وَإِنَّهُ خَلَقَ الْجِبَالَ كَذَلِكَ مُخْتَلِفَةَ الْأَلْوَانِ، فَامِنَهَا الْأَبْيَضُ وَمِنَهَا الْأَحْمَرُ وَمِنَهَا الْأَسْوَدُ الْغَرِيبُ .

وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ وَالْدَّوَابَّ وَالْأَنْعَامَ مُخْتَلِفِي الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ فِي الْحِنْسِ الْوَاحِدِ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ ذَلِكَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، وَالَّذِي يَعْرِفُهُ مِنْهُمْ هُمُ الْعَالِمُونَ بِأَسْرَارِ الْكَوْنِ، الْعَارِفُونَ بِعَظِيمِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ، وَيَتَّقُونَ عِقَابَهُ، فَيَعْمَلُونَ بِطَاعَتِهِ . وَاللَّهُ عَزِيزٌ فِي انتِقَامِهِ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ، غَفُورٌ لِدُنُوبِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَطَاعَهُ .^{٦١٢}

٦١١ - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٩٣٨)

٦١٢ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٥٦٨)

إنها لفظة كونية عجيبة من اللفظات الدالة على مصدر هذا الكتاب. لفظة تطوف في الأرض كلها تتبع فيها الألوان والأصباغ في كل عوالمها. في الثمرات. وفي الجبال. وفي الناس. وفي الدواب والأنعام. لفظة تجمع في كلمات قلائل، بين الأحياء وغير الأحياء في هذه الأرض جميعاً، وتدع القلب مأخوذاً بذلك المعرض الإلهي الجميل الرائع الكبير الذي يشمل الأرض جميعاً.

وتبدأ بإنزال الماء من السماء، وإخراج الثمرات المختلفة الألوان. ولأن المعرض معرض أصباغ وشيات، فإنه لا يذكر هنا من الثمرات إلا ألوانها «فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا».. وألوان الثمار معرض بديع للألوان يعجز عن إبداع جانب منه جميع الرسامين في جميع الأجيال. فما من نوع من الثمار يماثل لونه لون نوع آخر. بل ما من ثمرة واحدة يماثل لونها لون أخواتها من النوع الواحد. فعند التدقيق في أي ثمرة أختين يبدو شيء من اختلاف اللون! وينتقل من ألوان الثمار إلى ألوان الجبال نقلة عجيبة في ظاهرها ولكنها من ناحية دراسة الألوان تبدو طبيعية.

ففي ألوان الصخور شبه عجيب بألوان الثمار وتنوعها وتعددتها، بل إن فيها أحياناً ما يكون على شكل بعض الثمار وحجمها كذلك حتى ما تكاد تفرق من الثمار صغیرها وكبيرها! «وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ».. والجدد الطرائق والشعاب. وهنا لفظة في النص صادقة، فالجدد البيض مختلف ألوانها فيما بينها. والجدد الحمر مختلف ألوانها فيما بينها. مختلف في درجة اللون والتظليل والألوان الأخرى المتداخلة فيه، وهناك جدد غرابيب سود، حالكة شديدة السواد.

واللفظة إلى ألوان الصخور وتعددتها وتنوعها داخل اللون الواحد، بعد ذكرها إلى جانب ألوان الثمار، تهز القلب هزاً، وتوقظ فيه حاسة الذوق الجمالي العالي، التي تنظر إلى الجمال نظرة تجريدية فتراه في الصخرة كما تراه في الثمرة، على بعد ما بين طبيعة الصخرة وطبيعة الثمرة، وعلى بعد ما بين وظيفتيهما في تقدير الإنسان. ولكن النظرة الجمالية المجردة ترى الجمال وحده عنصراً مشتركاً بين هذه وتلك، يستحق النظر والاتفات.

ثم ألوان الناس. وهي لا تقف عند الألوان المتميزة العامة لأجناس البشر. فكل فرد بعد ذلك متميز اللون بين بني جنسه. بل متميز من توأمه الذي شاركه حملاً واحداً في بطن واحدة! وكذلك ألوان الدواب والأنعام. والدواب أشمل والأنعام أخص. فالدابة كل حيوان. والأنعام هي الإبل والبقر والغنم والماعز، خصصها من الدواب لقربها من الإنسان. والألوان والأصباغ فيها معرض كذلك جميل كمعرض الثمار ومعرض الصخور سواء.

هذا الكتاب الكوني الجميل الصفحات العجيب التكوين والتلوين، يفتحه القرآن ويقلب صفحاته ويقول: إن العلماء الذين يتلون ويدركونه ويتدبرونه هم الذين يخشون الله: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» ..

وهذه الصفحات التي قلبها في هذا الكتاب هي بعض صفحاته، والعلماء هم الذين يتدبرون هذا الكتاب العجيب. ومن ثم يعرفون الله معرفة حقيقية. يعرفونه بآثار صنعته. ويدركونه بآثار قدرته. ويستشعرون حقيقة عظمته برؤية حقيقة إبداعه. ومن ثم يخشونه حقاً ويتقونونه حقاً، ويعبدونه حقاً. لا بالشعور الغامض الذي يجده القلب أمام روعة الكون. ولكن بالمعرفة الدقيقة والعلم المباشر.. وهذه الصفحات نموذج من الكتاب.. والألوان والأصباغ نموذج من بدائع التكوين الأخرى وبدائع التنسيق التي لا يدركها إلا العلماء بهذا الكتاب. العلماء به علماً واصلاً. علماً يستشعره القلب، ويتحرك به، ويرى به يد الله المبدعة للألوان والأصباغ والتكوين والتنسيق في ذلك الكون الجميل.

إن عنصر الجمال يبدو مقصوداً قصداً في تصميم هذا الكون وتنسيقه. ومن كمال هذا الجمال أن وظائف الأشياء تؤدي عن طريق جمالها. هذه الألوان العجيبة في الأزهار تجذب النحل والفراش مع الرائحة الخاصة التي تفوح. ووظيفة النحل والفراش بالقياس إلى الزهرة هي القيام بنقل اللقاح، لتنشأ الثمار. وهكذا تؤدي الزهرة وظيفتها عن طريق جمالها!.. والجمال في الجنس هو الوسيلة لجذب الجنس الآخر إليه، لأداء الوظيفة التي يقوم بها الجنس. وهكذا تتم الوظيفة عن طريق الجمال.

الجمال عنصر مقصود قصداً في تصميم هذا الكون وتنسيقه. ومن ثم هذه اللفات في كتاب الله المتزل إلى الجمال في كتاب الله المعروض.

«إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ»..عزيز قادر على الإبداع وعلى الجزاء.غفور يتدارك بمغفرته من يقصرون في خشيته،وهم يرون بدائع صنعته. ٦١٣

" وقد خص الله - سبحانه وتعالى - في كتابه العلماء بمناقب منها :

(١) الإيمان: قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } (٧) سورة آل عمران

والله تعالى هو الذي أنزل القرآن على عبده محمد ﷺ، وكان من حكمته أن جعل منه آيات مُحْكَمَاتٍ مُّحَدَّدَةٌ الْمَعْنَى، يَبِينَةُ الْمَقَاصِدِ، هِيَ الْأَصْلُ وَإِلَيْهَا الْمَرْجِعُ (أُمُّ الْكِتَابِ) وَجَعَلَ مِنْهُ آيَاتٍ مُّتَشَابِهَاتٍ، يَدِقُّ فِهِمْ مَعْنَاهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَتَشْتَبِهُ عَلَى غَيْرِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ .

فِيأَخْذُونَ الْمُتَشَابِهَ الَّذِي يَسْتَطِيعُونَ تَحْرِيفَهُ لِيَسْتَخْدِمُوهُ فِي الْوُصُولِ إِلَى أَغْرَاضِهِمُ الْفَاسِدَةَ مِنْ إِضْلَالِ النَّاسِ لِاحْتِمَالِ لَفْظِهِ لِمَا يَصْرِفُونَهُ إِلَيْهِ .أَمَّا الْمُحْكَمُ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْإِفَادَةَ مِنْهُ لِأَنَّهُ دَامِعٌ لَهُمْ، وَحِجَّةٌ عَلَيْهِمْ .

أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ عَنِ الْحَقِّ، فَإِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ رَغْبَةً مِنْهُمْ فِي إِثْرَةِ الْفِتْنَةِ، وَيَسْتَعِينُونَ فِي ذَلِكَ بِمَا فِي غَرَائِزِ النَّاسِ وَطِبَاعِهِمْ مِنْ شَكٍّ فِيمَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ عِلْمُهُمْ، وَلَا يَنَالُهُ حِسُّهُمْ . كَالْإِحْيَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَجَمِيعِ شُؤُونَ الْعَالَمِ الْآخِرِ . وَيَأْخُذُونَ الْمُتَشَابِهَ عَلَى ظَاهِرِهِ دُونَ نَظَرٍ إِلَى الْمُحْكَمِ، وَيَرْجِعُونَ فِي تَفْسِيرِ الْمُحْكَمِ إِلَى أَهْوَائِهِمْ، دُونَ نَظَرٍ إِلَى الْمُحْكَمِ، وَيَرْجِعُونَ فِي تَفْسِيرِ الْمُحْكَمِ إِلَى أَهْوَائِهِمْ، وَتَقَالِيدِهِمْ، لَا إِلَى الْأَصْلِ الْمُحْكَمِ الَّذِي بُنِيَ عَلَيْهِ الْإِعْتِقَادُ .

وَتَأْوِيلُ الْمُتَشَابِهِ مِنَ الْقُرْآنِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، الْمُتَمَكِّنُونَ مِنْهُ .

(وَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسِرِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ: إِنَّ الْمَفْهُومَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ تَفْسِيرَ الْمُتَشَابِهِ إِلَّا اللَّهُ. أَمَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ فَعِبَارَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ) .

وهؤلاء الراسخون في العلم يردون التشابه إلى المحكم، ويؤمنون بهذا وهذا على حَقٍّ وصدقٍ من عند الله، ولا يفرقون بين مُحكم القرآن ومُتشابهه .
ولا يعقل ذلك ولا يفهمه إلا أصحاب العقول السليمة التي لا تخضع لتأثير الهوى والشهوات .^{٦١٤}

(٢) التوحيد: قال تعالى: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (١٨) سورة آل عمران.

شهد الله أنه المتفرد بالإلهية، وقرن شهادته بشهادة الملائكة وأهل العلم، على أجل مشهود عليه، وهو توحيدته تعالى وقيامه بالعدل، لا إله إلا هو العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء أرادته، الحكيم في أقواله وأفعاله.^{٦١٥}

(٣) الخشوع والبكاء: قال تعالى: { قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا } (١٠٧) سورة الإسراء.

قُلْ يَا مُحَمَّدٌ لَهُؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، الَّذِي جِئْتَهُمْ بِهِ: سَوَاءَ آمَنْتُمْ بِهِ أَمْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ، فَهُوَ حَقٌّ فِي نَفْسِهِ، أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَتَوَّهَ بِذِكْرِهِ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ لَهُ، الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى رُسُلِهِ السَّابِقِينَ . وَالصَّالِحِينَ مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ، الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ، وَتَمَسَّكُوا بِكُتَابِهِمْ، وَلَمْ يُبَدِّلُوهُ، وَلَمْ يُحَرِّفُوهُ، إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ يَخِرُّونَ سَاجِدِينَ لِلَّهِ شُكْرًا لَهُ عَلَى إِنْجَازِهِ وَعَدَّةٍ بِإِرْسَالِكَ إِيَّاهُ إِلَى النَّاسِ .^{٦١٦}

(٤) الخشية: قال تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } (٢٨) سورة فاطر

٦١٤ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٠١)

٦١٥ - التفسير الميسر - (١ / ٣١٧)

٦١٦ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢١٣٧)

إنما يخشى الله ويتقى عقابه بطاعته واجتناب معصيته العلماء به سبحانه، وبصفاته، وبشرعه، وقدرته على كل شيء، ومنها اختلاف هذه المخلوقات مع اتحاد سببها، ويتدبرون ما فيها من عظات وعبر. إن الله عزيز قوي لا يغالب، غفور يثيب أهل الطاعة، ويعفو عنهم.^{٦١٧}

إن العلم يعمل على تعميق العقيدة في النفوس وترسيخ الإيمان في القلوب ويمنح الإنسان نفاذاً في البصيرة وقوة وسلامة في الإدراك والتفكير، ولهذا فإن اجتماع العلم والإيمان مما يمنح الله - عز وجل - به الرفعة في الدنيا والآخرة وسمو المرتبة " ^{٦١٨}، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (١١) سورة المجادلة.

يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا طلب منكم أن يوسع بعضكم لبعض المجالس فأوسعوا، يوسع الله عليكم في الدنيا والآخرة، وإذا طلب منكم - أيها المؤمنون - أن تقوموا من مجالسكم لأمر من الأمور التي يكون فيها خير لكم فقوموا، يرفع الله مكانة المؤمنين المخلصين منكم، ويرفع مكانة أهل العلم درجات كثيرة في الثواب ومراتب الرضوان، والله تعالى خبير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها، وهو مجازيكم عليها. وفي الآية تنويه بمكانة العلماء وفضلهم، ورفع درجاتهم.^{٦١٩}

المطلب الثالث: العلم في السنة النبوية المطهرة:

" بعث الله - سبحانه وتعالى - بشرع كامل عظيم وشامل فيه الهداية، والتبيان لجميع ما يحتاج الناس إليه، فتحول الناس بفضل هذه الرسالة العظيمة إلى حملة الهداية والعلم وقادة البشر .

^{٦١٧} - التفسير الميسر - (٧ / ٤٥٢)

^{٦١٨} - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية ص ٣٧٢-٣٧٣

^{٦١٩} - التفسير الميسر - (١٠ / ٦٤)

وكان رسول الله ﷺ - يطلب المزيد من العلم^{٦٢٠}. قال تعالى: {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} (١١٤) سورة طه

تَنَزَّهَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ، وَتَقَدَّسَ سُبْحَانَهُ، فَوَعَدَهُ حَقًّا، وَوَعِيدُهُ حَقٌّ. وَمِنْ عَدْلِهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا قَبْلَ الْإِنذَارِ وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ، لِكَيْلَا يَبْقَى لِأَحَدٍ حُجٌّ وَلَا شُبْهَةٌ.

وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ - كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - يُعَانِي مِنَ الْوَحْيِ شِدَّةً، فَكَانَ يُحَرِّكُ لِسَانَهُ بِهِ، وَيُكْرِّرُ مَا تَلَاهُ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ شِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى حِفْظِ مَا يُوْحَى إِلَيْهِ، فَأَرْشَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَا هُوَ أَسْهَلُ وَأَخْفُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: فَإِذَا قَرَأَ عَلَيْكَ الْمَلِكُ الْقُرْآنَ فَأَنْصِتْ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ ذَلِكَ فَاقْرَأْهُ بَعْدَهُ، وَقُلْ: رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا^{٦٢١}.

وَعَنْ مَكْحُولٍ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، فَسَمِعْتُهُ يَذْكُرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو: اللَّهُمَّ أَنْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا إِلَى عِلْمِي.^{٦٢٢}

والسنة النبوية تحث على تعليم الصغار، وقد كان الرسول ﷺ - يقول النصائح الشرعية والعلمية للأطفال.

فَعَنْ وَهَبِ بْنِ كَيْسَانَ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلِّ بِيَمِينِكَ وَكُلِّ مِمَّا يَلِيكَ » . فَمَا زِلْتُ تَلْكَ طَعْمَتِي بَعْدُ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنَ الْأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِدَاءٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ قَالَ: فَجَاءَ غُلَامٌ يَوْمًا يَكِي إِلَى أَبِيهِ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: ضَرَبَنِي مُعَلِّمِي قَالَ: الْخَبِيثُ، يُطْلَبُ بِدَحْلِ بَدْرٍ وَاللَّهِ لَا تَأْتِيهِ أَبَدًا.^{٦٢٣}

٦٢٠ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية ص ٣٧٥

٦٢١ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٤٣٢)

٦٢٢ - الفوائد لتمام ٤١٤ - (٢ / ٢٠) (٩٥٤) صحيح لغيره

٦٢٣ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٦٥٣) (٢٢١٦) حسن

الدُّحْلُ: الوَثْرُ وَطَلَبُ الْمُكَافَأَةِ بِجِنَايَةٍ جُنِبَتْ عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ أَوْ جُرْحٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَالدُّحْلُ: الْعَدَاوَةُ أَيْضًا

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: " كَانَ فِدَاءُ أُسَارَى يَوْمِ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ أُوقِيَةً، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ أَمْرُهُ أَنْ يُعَلِّمَ عَشْرَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْكِتَابَةَ " ٦٢٤

وقبول النبي ﷺ تعليم القراءة والكتابة بدل الفداء في ذلك الوقت الذي كانوا فيه بأشد الحاجة إلى المال يرينا سمو الإسلام في نظرتة إلى العلم والمعرفة، وإزالة الأمية، وليس هذا بعجيب من دين كان أول ما نزل من كتابه الكريم: (اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ - خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ - اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ - الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) [العلق: ١-٤]. واستفاضت فيه نصوص القرآن والسنة في الترغيب في العلم وبيان منزلة العلماء، وبهذا العمل الجليل يعتبر النبي ﷺ أول من وضع حجر الأساس في إزالة الأمية وإشاعة القراءة والكتابة، وأن سبق في هذا للإسلام ٦٢٥

وَعَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ خَطِيبًا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَكِنْ تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةٌ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ » ٦٢٦ .

يفقهه في الدين: الفقه: الفهم والدراية، والعلم في الأصل، وقد جعله العرف خاصاً بعلم الشريعة، وخاصة بعلم الفروع، فإذا قيل: فقيه، علم أنه العالم بعلوم الشرع، وإن كان كل عالم بعلم فقيها، يقال: فقه الرجل - بالكسر - إذا علم، وفقه - بالضم - إذا صار فقيها، وفقه: إذا تعاطى ذلك، وفقهه الله، أي: عرفه وبصره.

والأحاديث التي تدلُّ على اهتمام رسول الله - ﷺ - بالعلم والتعليم والحض على ذلك كثيرة، ومعظم كتب السنة المرتبة على الأبواب تحتوي على كتاب العلم .

وَعَنِ سَمِعْتُ الْمُزَنِّيَّ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ عَظُمَتْ قِيَمَتُهُ، وَمَنْ نَظَرَ فِي الْفِقْهِ نُبِلَ مِقْدَارُهُ، وَمَنْ كَتَبَ الْحَدِيثَ قَوِيَتْ حُجَّتُهُ، وَمَنْ نَظَرَ فِي اللَّعْنَةِ رَقَّ طَبْعُهُ، وَمَنْ نَظَرَ فِي الْحِسَابِ جَزَلَ رَأْيُهُ، وَمَنْ لَمْ يَصُنْ نَفْسَهُ لَمْ يَنْفَعَهُ عِلْمُهُ ٦٢٧

٦٢٤ - الأموال لابن زنجويه (٣٦٩) صحيح مرسل

٦٢٥ - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - (٣ / ٦٩)

٦٢٦ - صحيح البخاري - المكثر - (٧١)

المطلب الرابع: السنُّ الذي يبدأ فيه تعليم الطفل وتأديبه:

لا يوجد سنٌّ معينة ملزمةٌ يبدأ فيها تعليم الطفل، إنما تعليمه يحدد وفق مراحل نموه العقلي والفكري^{٦٢٨} فيعلم أولاً الطفل النطق، ثم الكلام ثم يؤخذ بتعليمه القراءة والكتابة ومعرفة أمور دينه، ويكون العلم النافع الذي يعمل على تفتح أذهانهم وتقوية أبدانهم .

يبدأ بتعليم الطفل في مراحل الطفولة الأولى. بما يتفق مع نموه العقلي والفكري، والسبب في ذلك أن مرحلة الطفولة هي مجال إعداد وتدريب وتعليم^{٦٢٩} " والبداية بتعليمه في مراحل الطفولة حيث يكون الولد أصفى وأقوى ذاكرة وأنشط تعليمياً .

وما أحسن ما قال بعضهم :

أراني أنسى ما تعلمت في الكبير ولست بناسي ما تعلمت في الصغر

وما العلم إلا بالتعليم في الصبا وما الحلم إلا بالتحلم في الكبر^{٦٣٠}

وللجميع دورٌ في التربية العلمية للطفل تبدأ بالوالدين والأهل، ثم يأتي دور المدرسة والمعلم والمنهاج والمسجد والإعلام، فكل هؤلاء يشكل ركيزةً مهمة، فإذا اجتمعوا شكّلوا قوة عظيمة تُنشئ أجيالاً ذات عقيدة راسخة وإيمان قوي وعلم متين، وبالتالي نكون أمة سيدنا محمد ﷺ - التي لم تخلق عبثاً لنحقق ما أمرنا به الله - سبحانه وتعالى - وهو الاستخلاف في الأرض، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (٣٠) سورة البقرة.

وَأذْكَرُ يَا مُحَمَّدُ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ قَوْمًا يَخْلُفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، وَجِيالًا بَعْدَ جِيلٍ، أَمْكُنُ لَهُمْ فِيهَا، وَأَجْعَلُهُمْ أَصْحَابَ سُلْطَانٍ عَلَيْهَا، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مُسْتَعْلِمِينَ مِنَ الرَّبِّ الْكَرِيمِ عَنِ الْحِكْمَةِ مِنْ خَلْقِ هَذَا الْخَلْفِ الَّذِي

٦٢٧ - المَدْخَلُ إِلَى السُّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ (٤٠٥)

٦٢٨ - حلي، عبد الحميد طعمه، التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً، ص ١٩٤

٦٢٩ - سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٣٨٢-٣٨٣

٦٣٠ - علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج١- ٢٧٠-٢٧١

سَيُوجَدُ مِنْهُ مَنْ يُفْسِدُ وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ. فَإِنْ كَانَ هَذَا الْمَقْصُودُ مِنْ خَلْقِهِمْ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَخُنُّ نُسْبِحُ بِحَمْدِكَ، وَنُصَلِّي لَكَ (نُقَدِّسُ لَكَ)، وَلَا يَصْدُرُ مِنَّا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ الْفَسَادِ. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ مُبَرَّرَاتِ خَلْقِهِمْ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ، فَأَجْعَلُ فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَالْحَاشِعِينَ .

وَالْكَافِرُونَ الْفَاسِقُونَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِإِثَارَةِ الْفِتَنِ وَالْقَلَابِلِ وَشَنَّ الْحُرُوبِ، وَتَخْرِيبِ الْعُمْرَانَ وَقَطْعِ الْأَرْحَامِ، وَالْإِسَاءَةِ إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ النَّاسَ مِنْ تَوَادُّ وَتَرَاحُمٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْخَاسِرُونَ لِأَنَّهُمْ يُحْرَمُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ. وَيَصِيرُونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ٦٣١

وبالتالي تنهض الأمة بأبنائها، ويكون لنا دور مهم في المجتمع والعالم، ونحُدُّ كثيراً من هجرة العقول المسلمة للخارج، فالحضارة الإسلامية هي حضارة العلم والمعرفة في جميع مجالات الحياة، والتاريخ يشهد بذلك، بتخريج ابن سينا والرازي وغيرهم من علماء الأمة. الذي نتمنى من الله تعالى بتظافر الجهود أن نعيد للأمة الإسلامية مجدها وعزها الديني والعلمي.

وقال الغزالي: "إنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب، ثم يشتغل في المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله، ويحفظ من مخالطة الأدباء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع، فإن ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد." ٦٣٢

- وقد ذكر ابن سينا في كتاب السياسة آراء ثمينة في تربية الأولاد ونصح بالبدء بتعليم الطفل القرآن الكريم. بمجرد استعداده جسمياً وعقلياً للتعليم، وفي الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء والقراءة والكتابة، ويدرس قواعد الدين، ثم يروي الشعر، ويتدبَّر بالرجز ثم القصيدة..

- وقد أشار ابن خلدون إلى أهمية تحفيظ القرآن الكريم، وأوضح أن تعليم القرآن هو أساس

٦٣١ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٧)

٦٣٢ - إحياء علوم الدين - (٢ / ٢٧٢)

التعليم في جميع المناهج الدراسية في مختلف البلاد الإسلامية، لأنه شعار من شعائر المسلمين الذي يؤدي إلى رسوخ الإيمان. ٦٣٣

وخرج الوليد بن يزيد حاجاً ومعه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فكانا ببعض الطريق يلعبان بالشطرنج فاستأذن عليه رجل من ثقيف فأذن له وستر الشطرنج بمنديل، فلما دخل سلم فسأله حاجته؛ فقال له الوليد: أقرأت القرآن؟ قال: لا، يا أمير المؤمنين! شغلتنني عنه أمورٌ وهنات. قال: أتعرف الفقه؟ قال: لا. قال: أفرويت من الشعر شيئاً؟ قال: لا. قال: أفعلمت من أيام العرب شيئاً؟ قال: لا. قال: فكشفت المنديل عن الشطرنج وقال: شاهك. فقال له عبد الله بن معاوية: يا أمير المؤمنين! قال: اسكت فما معنا أحد. ٦٣٤

ويقصد الوليد من كلامه (اسكت فما معنا أحد) أن الذي لم يقرأ القرآن، ولم يعرف الفقه، ولم يرو الشعر، ولم يدرس الدين.. يكون كالعدم لا وجود له ولا اعتبار، وإن كان موجوداً بشخصه وحاضراً بذاته!!..

ومن القواعد التي وضعها الإسلام في تعليم الولد.. البدء بتعليمه في مراحل الطفولة الأولى حيث يكون الولد أصفى ذهنًا، وأقوى ذاكرة، وأنشط تعليمًا..

فَعَنِ الْقَاسِمِ بْنِ نَافِعٍ، وَهُوَ الْقَاسِمُ بْنُ أَبِي بَرَّةَ قَالَ: " الْعِلْمُ فِي الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ " قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

مَا الْحِلْمُ إِلَّا بِالتَّحَلُّمِ فِي الْكِبَرِ وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا بِالتَّعَلُّمِ فِي الصَّغَرِ
وَلَوْ تُقِبَ الْقَلْبُ الْمُعَلَّمُ فِي الصَّبَا لَأُلْفِيَتْ فِيهِ الْعِلْمُ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ ٦٣٥
قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ نَفْطَوِيهِ لِنَفْسِهِ :

أَرَانِي أَنَسَى مَا تَعَلَّمْتُ فِي الْكِبَرِ وَلَسْتُ بِنَاسٍ مَا تَعَلَّمْتُ فِي الصَّغَرِ
وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا بِالتَّعَلُّمِ فِي الصَّبَا وَمَا الْحِلْمُ إِلَّا بِالتَّحَلُّمِ فِي الْكِبَرِ
وَلَوْ فُلِقَ الْقَلْبُ الْمُعَلَّمُ فِي الصَّبَا لَأُلْفِيَ فِيهِ الْعِلْمُ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ

٦٣٣ - تربية الأولاد في الإسلام لعلوان - (١ / ٢٠٦)

٦٣٤ - عيون الأخبار - (١ / ١٨٤)

٦٣٥ - الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١١٨) صحيح

وَمَا الْعِلْمُ بَعْدَ الشَّيْبِ إِلَّا تَعَسْفٌ إِذَا كَلَّ قَلْبُ الْمَرْءِ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا اثْنَانِ عَقْلٌ وَمَنْطِقٌ فَمَنْ فَاتَهُ هَذَا وَهَذَا فَقَدْ دَمَرَ

وَقَالَ آخَرُ :

إِنَّ الْحَدَاثَةَ لَا تُقَصِّرُ بِالْفَتَى الْمَرْزُوقِ ذَهْنًا لَكِنْ تُدَكِّي عَقْلَهُ فَيَفُوقُ أَكْبَرَ مِنْهُ سِنًا
وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا مَا الْمَرْءُ لَمْ يُوَلَدْ لَبِيبًا فَلَيْسَ بِنَافِعٍ قَدِمَ الْوِلَادَةَ^{٦٣٦}

وقد أثبت علم التربية الحديث هذه الظاهرة وأكدها.

المطلب الخامس - لا فرق بين الذكور والإناث في التعليم :

لقد أجمع العلماء والفقهاء سلفاً وخلفاً أن ما يجب تعلمه على سبيل فرض العين فالمرأة فيه كالرجل على حد سواء وذلك لسببين:

الأول: المرأة كالرجل في التكاليف الشرعية.

والثاني: المرأة كالرجل في نيل الجزاء الأخروي.

- أما أن المرأة كالرجل في التكاليف الشرعية فلأن الإسلام كلفها بكل التكاليف التي كلف بها الرجل من صلاة وصيام، وزكاة وحج، وبرّ وعدل وإحسان.. وبيع وشراء ورهن وتوكيل.. وأمر بمعروف ونهي عن منكر.. وغير ذلك من هذه الأعباء والمسؤوليات اللهم إلا في بعض حالات خاصة أعفاها منها:

- إما لوجود المشقة والإحلال بالصحة كإعفائها من الصوم والصلاة في أيام الحيض والنفاس.

- وإما لكون الأعباء والأعمال لا تتفق مع تكوينها الجسماني وطبيعة أوثنتها كأن تمارس عمليات القتال أو تكون بناءة وحدادة..

- وإما أن يكون العمل الذي تزاوله يتعارض مع وظيفتها الطبيعية التي خلقت من أجلها كالقيام بمسؤوليات الأسرة، وتربية الأولاد، والإشراف على البيت..

^{٦٣٦} - جامع بيان العلم << باب فضل التعلم في الصغر والحض عليه (٣٨٨) >>

- وإما أن يترتب على عملها فساد اجتماعي خطير كأن توجد في وظائف وأعمال يختلط فيها الرجال بالنساء..

أما ما عدا ذلك من الأعمال والتكاليف والواجبات فهي كالرجال سوءا بسواء. وفي تقديري وتقدير ذوي البصائر النيرة أن هذه الإعفاءات للمرأة تقدير لها ورفع لكرامتها ومزلتها.

وإلا فمن يرضى أن يزجَّ المرأة بأعمال تقعدها عن واجباتها تجاه زوجها وبيتها وأولادها؟ ورحم الله شوقي حين قال:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من همّ الحياة وخلفاه ذليلاً

إن اليتيم هو الذي تلقى له أمّاً تخلّت أو أباً مشغولاً

وإليكم ما يقوله فلاسفة الغرب حول خروج المرأة، وعملها خارج المنزل:

قال العلامة الإنكليزي (سامويل سمايلس) في كتابه (الأخلاق): (إن النظام الذي يقضي بأن تشغل المرأة في المعامل ودور الصناعات مهما نشأ عنه من الثروة. فإن نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المتزلية، لأنه هاجم هيكل المنزل، وقوّض أركان العائلة، ومزق الروابط الاجتماعية.. لأن وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المتزلية: كترتيب مسكنها، وتربية أولادها، والاقتصاد في وسائل معيشتها مع القيام بالاحتياجات العائلية.. ولكن المعامل سلختها من كل هذه الواجبات بحيث أصبحت المنازل غير المنازل، وأضحى الأولاد يشبّون على غير التربية الحقيقية لكونهم يُلقون في زوايا الإهمال، وأطفئت المحبة الزوجية، وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الطريفة، والقرينة المحبة للرجل، وصارت زميلته في العمل والمشاق، وباتت عرضة للتأثيرات التي تمحو غالباً التواضع الفكري والخلقي الذي عليه مدار حفظ الفضيلة..).

أما أن المرأة كالرجل في نيل الجزاء الأخروي فحسبنا أن نتصفح القرآن العظيم، لننظر الآيات المستفيضة التي تسوي المرأة بالرجل في نيل الأجر والثواب.. وإليكم طرفاً من هذه الآيات: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُنتَى بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ

عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَنَّهُمْ حَتَّى تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ { (١٩٥) سورة آل عمران

{ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا { (١٢٤) سورة النساء

{ إِنْ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ، { إِنْ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا { (٣٥) سورة الأحزاب

ومما يدل على أن المرأة كالرجل في نيل الأجر والثوبة لا تتميز عنه بشيء، ما جاء عن أسماء بنت يزيد الأنصارية من بني عبد الأشهل، أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه، فقالت: يا أبي أنت وأمي أنا وأفدة النساء إليك، وأعلم، نفسي لك الفداء، أنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فامتا بك وبإهلك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومفضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإبتكم معاشر الرجال فضلتنا علينا بالجمع، والجماعات، وعبادة المريض، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجًا أو معتمرًا أو مرابطًا حفظنا لكم أموالكم، وعزلنا لكم أثوابكم، ورينا لكم أولادكم، فما نشاركم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: " هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن في مسألتها عن أمر دينها من هذه؟ " فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي ﷺ إليها، فقال: " انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من خلفك من النساء، أن حسن تبعول إحدكن لزوجهما

وَطَلَبَهَا مَرْضَاتَهُ، وَاتَّبَاعَهَا مُوَافَقَتَهُ تَعْدِلُ ذَلِكَ كُلُّهُ " قَالَ: فَأَذَبَتْ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ اسْتِبْشَارًا " ٦٣٧

فتبين من هذا الحديث النبوي الشريف أن الأجر الذي تناله المرأة في ترتيب مسكنها، وطاعة زوجها، وتربية أولادها.. يعدل أجر الرجل في جهاده واختصاصه..

ومما يدل على أن الإسلام اعتنى بالبنات من ناحية تعليمها هذه الأحاديث النبوية التالية:
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، أَوْ ابْنَتَانِ، أَوْ أُخْتَانِ، فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ، وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ، دَخَلَ الْجَنَّةَ. ٦٣٨
وعن أبي بردة عن أبيه قال قال رسول الله - ﷺ - « أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ وَلِيدَةٌ فَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، وَأَذَبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِي فَلَهُ أَجْرَانِ، وَأَيُّمَا مَمْلُوكٍ أَدَّى حَقَّ مَوْلَاهِ وَحَقَّ رَبِّهِ فَلَهُ أَجْرَانِ » ٦٣٩ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الرَّجُلُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ، يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ. فَقَالَ « اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ». فَاجْتَمِعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ « مَا مِنْكُمْ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ ». فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ اثْنَيْنِ قَالَ فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ ثُمَّ قَالَ « وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ » ٦٤٠ .

والذي نخلص إليه من هذه النصوص أن الإسلام أمر بتعليم الفتاة العلم النافع، والثقافة المفيدة.. وإذا وجد من العلماء قديماً من يمنع تعليم المرأة، فيكون المنع منصباً على تعلم الشعر الفاحش، والكلام الفارغ، والأدب الرخيص، والعلم الضار.. أما أن تتعلم العلوم التي تنفعها

٦٣٧ - معرفة الصحابة لأبي نعيم - (٦ / ٣٢٥٩) (٧٥١٢) وشعب الإيمان - (١١ / ١٧٧) (٨٣٦٩) حسن

٦٣٨ - صحيح ابن حبان - (٢ / ١٨٩) (٤٤٦) صحيح

٦٣٩ - صحيح البخارى - المكثر - (٥٠٨٣)

٦٤٠ - صحيح البخارى - المكثر - (٧٣١٠) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٨٦٨)

في دينها ودنياها، وأن تقول الشعر الحكيم الرصين، والكلام المحكم المجيد.. فلا يوجد من ينهى عن ذلك ويمنعه!!..

جاء في مقدمة كتاب المعلمين لابن سحنون: (أن القاضي الورع عيسى بن مسكين كان يُقرئ بناته وحفيداته.. قال عياض: فإذا كان بعد العصر دعا ابنتيه وبنات أخيه ليعلمهن القرآن والعلم، وكذلك كان يفعل قبله فاتح صقيلة (أسد بن الفرات) بابنته أسماء التي نالت من العلم درجة كبيرة.. وروى الخُشني أن مؤدباً كان بقصر الأمير محمد بن الأغلب، وكان يعلم الأطفال بالنهار، والبنات في الليل..).

وقد ثبت تاريخياً أن المرأة في ظل الإسلام وصلت إلى أسمى درجات العلم والثقافة، ونالت أكبر قسط من التربية والتعليم في العصور الإسلامية الأولى..

فكان من النساء المسلمات الكاتبة والشاعرة كأمثال عُلَيَّة بنت المهدي وعائشة بنت أحمد بن قادم، وولادة بنت الخليفة المستكفي بالله..

وكان منهن الطبيبة كأمثال زينب طيبة بني أود التي عرفت بعلاج أمراض العيون، وأم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي وقد كانت طبيبة شهيرة مبرزة في الطب..

وكان منهن الحدّثات كأمثال كريمة المروزية، والسيدة نفيسة ابنة محمد، وقد ذكر الحافظ ابن عساكر - وهو أحد رواة الحديث - أن عدد شيوخه وأساتذته من النساء كان بضعاً وثمانين أستاذة.

وبلغت كثيرات منهن مترلة علمية رفيعة فكان منهن الأستاذات والمدرسات للإمام الشافعي، والإمام البخاري، وابن خلكان، وابن حبان.. وجميعهم من الفقهاء والعلماء والأدباء المشهورين.. وهذا أكبر دليل على ما تمتاز به التربية الإسلامية من العناية بالعلم والنبوغ الفكري، والثقافة الإسلامية المتنوعة..

وإذا كان الشرع أذن للمرأة أن تتعلم ما ينفعها في أمر دينها ودنياها.. فيجب أن يكون هذا التعليم بمعزل عن الذكور، وبمناى عنهم.. حتى يسلم للبنات عرضها وشرفها، وحتى تكون دائماً حسنة السمعة، كريمة الخلق، كثيرة الاحترام..

ولعل أول كاتب تربوي نادى بالفصل بين الجنسين في حقل التعليم وغيره هو الإمام القابسي، فقد ذكر في رسالته عن التعليم (أن من حسن النظر ألا يخلط بين الذكران والإناث)، ولما سئل (ابن سحنون) عن التعليم المختلط ذكوراً وإناثاً فقال: (أكره أن يُعلّم الجوارى مع الغلمان لأن ذلك فساد لهن).. وإذا كان ابن سحنون والقابسي يريان أن تُفصل البنات عن الصبيان خشية الفساد - فرأيهما هذا في الحقيقة - مستمد من حكم الشرع، وحكم الشرع مقدم على كل أمر وحكم في هذه الحياة لقوله تعالى:

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا} (٣٦) سورة الأحزاب

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّمَا هِيَ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنَسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا} (٥٣) سورة الأحزاب

وإذا كانت هذه الآية نزلت في أمهات المؤمنين.. فالعبرة - كما يقول الأصوليون - لعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وإذا كانت أمهات المؤمنين المقطوع بعفتهم وطهارتهن مأمورات بالحجاب، وعدم الظهور أمام الأجانب، فالنساء المسلمات بشكل عام مأمورات بالستر وعدم الظهور من باب أولى، وهذا ما يسمى بالمفهوم الأولوي عند الفقهاء وعلماء الأصول.

وقال عز من قائل: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} (٣٠) {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرَابَةِ مِنْ

الرِّجَالِ أَوْ الطُّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) سورة النور

فإذا كان الأمر - في هذه الآية - يشمل غضّ البصر، ووضع الخمار على الرأس وفتححة الصدر، وعدم إبداء الزينة والمفاتن إلا للمحارم.. أفليس يدل هذا الشمول على أن المرأة المسلمة مأمورة بالستر والحشمة والعفة وعدم الاختلاط بالأجانب؟

وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} (٥٩) سورة الأحزاب.

فكيف نتصور اختلاط المرأة بالأجنبي والمرأة المسلمة في هذه الآية مأمورة بالحجاب، وارتداء الجلباب؟

فهذه النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية تحرم اختلاط الرجال بالنساء بشكل قاطع جازم لا يحتمل الشك ولا الجدل!!..

فالذين يبيحون الاختلاط، ويررونه بتعوييدات اجتماعية، ومعالجات نفسية وحجج شرعية، فإنهم في الواقع يفترون على الشرع، ويتجاهلون الفطرة الغريزية، ويتجاهلون الواقع المرير الذي آلت إليه المجتمعات الإنسانية قاطبة..

أما أنهم يفترون على الشرع - في دعواهم إلى الاختلاط - .. فللنصوص الكثيرة التي سبق ذكرها قبل قليل.

أما أنهم يتجاهلون الفطرة الغريزية.. فلأن الله سبحانه لما خلق الرجل والمرأة ركّب في كل منهما الميل الجنسي إلى الآخر.

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (٣٠) سورة الروم

فهل يريد دعاة الاختلاط والسفور أن يغيروا نوااميس الكون، وأن يبدلوا فطرة الإنسان، وأن يحولوا سنن الحياة، ولاسيما إذا كان كل من الرجل والمرأة - في حال اختلاطهما -

جائعين جنسياً، ومائعين خلقياً، فإن الفتنة - لا شك - أشد، والانجذاب إلى الفاحشة أبلغ وأقوى!!..

ولو كان الاختلاط منذ الصغر، وفي جميع مراحل العمر يجعل النظر إلى المرأة أمراً مألوفاً عادياً لا يجرّك في نفس الرجل والمرأة غريزة ولا شهوة.. لانقلبت المودة بين الزوجين إلى عداوة، والرحمة بينهما إلى ظلم، والاتصال الجنسي إلى برود.. ولما رضي أحدهما البقاء مع الآخر في ظلال الزوجية، وهذا خلاف المشاهد والواقع!!..

أما أنهم يتجاهلون الواقع المرير الذي آلت إليه المجتمعات الإنسانية في تجربتها للاختلاط.. فليسألوا مجتمعات الدول الغربية والشرقية عما وصلت إليه المرأة من تحلل وفساد، وإباحية وفجور.. علماً أن الاختلاط أمر شائع في كل الطبقات وعلى مختلف المستويات: في الشارع، في المدرسة، في المتجر، في الدائرة، في الجامعة، في المنتزهات.. في كل مكان..

وإليكم شيئاً من واقعهم: ونتائج من تجاربهم بالواقع والأرقام:
فمن هذه الوقائع:

- جاء في كتاب (الإسلام والسلام العالمي) للشهيد سيد قطب: (أن نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية في أمريكا بلغت في إحدى المدن (٤٨) في المائة).
- ونقلت جريدة الأحد اللبنانية في العدد ذي الرقم (٦٥٠) عن الفضائح الجنسية في الجامعات والكليات الأمريكية ما يلي:
- (الفضائح الجنسية في الجامعات والكليات الأمريكية بين الطلاب والطالبات تتحدد وتزداد كل عام).
- (الطلاب يقومون بمظاهرة في جامعات أمريكا يهتفون فيها نريد فتيات.. نريد أن نرفه عن أنفسنا).
- هجوم ليلي من الطلاب على غرف نوم الطالبات، وسرقة ثيابهن الداخلية).

- وقال عميد الجامعة معقّباً على الحدّث: (إن معظم الطلاب والطالبات يعانون جوعاً جنسياً رهيباً، ولاشك أن الحياة العصرية الراهنة لها أكبر الأثر في تصرفات الطلاب الشاذة).

- ومما ذكرته الجريدة كذلك: (ودلت الإحصائيات في العام الماضي على أن (١٢٠) ألف طفل أنجبتهم فتيات بصورة غير شرعية لا تزيد أعمارهن على العشرين، وأن كثيرات منهن من طالبات الجامعات والكليات..).

- واستطردت الجريدة قائلة: (وقال تقرير للشرطة في ولاية (بروفيدنس) أن (٦٦) طالباً وطالبة قضوا في أيار الماضي عطلة نهاية الأسبوع في (رودايلند) ولم يعد الطلاب إلى الجامعة، بل إلى سجن الولاية، حيث اعتقلوا وهم في أوضاع مريبة وبعضهم كان يتعاطى المخدرات..).

- ونقلت الجريدة عن المربية الاجتماعية (مرغريت سميث) حديثاً قالت فيه: (أن الطالبة لا تفكر إلا بعواطفها، والوسائل التي تتجاوب مع هذه العاطفة.. إن أكثر من ستين بالمائة من الطالبات سقطن في الامتحانات، وتعود أسباب الفشل إلى أنهن يفكرن في الجنس أكثر من دروسهن وحتى مستقبلهن.. وإن (١٠) بالمائة منهن فقط مازلن محافظات..).

وذكر (جورج بالوشي) في كتابه (الثورة الجنسية) ما يلي: (وفي سنة ١٩٦٢م صرح (كيندي) بأن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبانها مائع منحل غارق في الشهوات لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية). وفي سنة ١٩٦٢ صرّح (خروشوف) - كما صرح كيندي - بأن مستقبل روسيا في خطر، وأن شباب روسيا لا يؤتمن على مستقبلها، لأنه مائع منحل غارق في الشهوات).

ويقول (ديل دورانت) في كتابه (منهاج الفلسفة): (إننا نواجه مرة أخرى تلك المشكلة التي أفلقت بال (سقراط) نعني كيف ننتدي إلى أخلاق طبيعية تحل محل الزواجر العلوية التي بطل أثرها في سلوك الناس؟ إننا نبدد تراثنا الاجتماعي بهذا الفساد الماحن).

(واختراع موانع الحمل وذيوعها هو السبب المباشر في تغير أخلاقنا، فقد كان القانون الأخلاقي قديماً يقيد الصلة الجنسية بالزواج.. لأن النكاح يؤدي إلى الأبوة بحيث لا يمكن الفصل بينهما، ولم يكن الوالد مسؤولاً عن ولده إلا بطريق الزواج.. أما اليوم فقد انحلت الرابطة بين الصلة الجنسية وبين التناسل، وخلقت موقفاً لم يكن آباؤنا يتوقعونه، لأن جميع العلاقات بين النساء والرجال آخذة في التغير نتيجة هذا العامل..).

(.. غير أنه من المخجل أن نرضي في سرور نصف مليون فتاة أمريكية يقدمن أنفسهن ضحايا على مذبح الإباحية، وهي تعرض علينا في المسارح وكتب الأدب المكشوف، تلك التي تحاول كسب المال باستثارة الرغبة الجنسية في الرجال والنساء المحرومين من (حصن) الزواج ورعايته للصحة).

(.. فكل رجل حين يؤجل الزواج يصاحب فتيات الشوارع ممن يتسكعن في ابتذال ظاهر، ويجد الرجل لإرضاء غرائزه الخاصة في هذه الفترة من التأجيل، نظاماً دولياً مجهزاً بأحدث التحسينات، ومنظماً بأسمى ضروب الإدارة العلمية، ويبدو أن العالم قد ابتدع كل طريقة يمكن تصورها لإثارة الرغبات وإشباعها..).

(وأكبر الظن أن هذا التجدد في الإقبال على اللذة قد تعاون أكثر مما نظن مع هجوم دارون على المعتقدات الدينية، وحين اكتشف الشبان والفتيات أن الدين يشهر بملاذهم التمسوا في العلم ألف سبب وسبب للتشهير بالدين..).

(... ولا مفر من أن يأخذ الجسم في الثورة (الجنسية)، وأن تضعف القوة على ضبط النفس عما كان في الزمن القديم، وتصبح العفة التي كانت فضيلة موضعاً للسخرية، ويختفي الحياء الذي كان يضمني على الجمال جمالاً، ويفاخر الرجال بتعداد خطاياهم، وتطالب النساء بحققها في مغامرات غير محدودة على قدم المساواة مع الرجال ويصبح الاتصال قبل الزواج أمراً مألوفاً، وتختفي البغايا (أي الزانيات بأجر) من الشوارع بمنافسة الهاويات (أي الزانيات بدافع الهوى) لا برقابة البوليس..)^{٦٤١}

^{٦٤١} - الجزء الأول من كتاب (منهاج الفلسفة) ص ٦-١٣٤

ومما نشرته صحيفه (الميرالدتربيون) الأمريكية في عددها ١٩٧٩/٠٦/٢٩ ملخصاً لأبحاث قام بها مجموعة من الاختصاصيين الأمريكيين حول ظاهرة غريبة ابتدأت في الانتشار في المجتمعات الغربية بصورة عامة، وفي المجتمع الأمريكي بصورة خاصة، وهي ظاهرة اقتراف الفاحشة مع المحرمات كالبنات والأخت..

ويقول الباحثون: (إن هذا الأمر لم يعد نادر الحدوث، وإنما هو لدرجة يصعب تصديقها، فهناك عائلة من كل عشر عائلات يمارس فيها هذا الشذوذ)!!.. هذا مع المحارم فكيف إذا اجتمع الشاب والشابة مع بعضهما في دراسة أو عمل أو وظيفة.. ولم يكن بينهما رابطة من نسب، ولا صلة من قرابة..؟ فلا شك أن اقترافهما للفاحشة يكون من باب أولى!!..

فهذه الوقائع التي سردناها عن واقع الأمم الغربية وتجربتهم للاختلاط ما هو إلا غيض من فيض، ونقطة من بحر للانحرافات الجنسية والخلقية التي آلت إليها المجتمعات العالمية قاطبة كنتيجة أليمة لعنة التبرج والسفور والاختلاط في عصور الانتكاس والضلال.. علماً بأن الاختلاط عند الغربيين والشرقيين يبدأ من الروضة إلى الابتدائي إلى الإعدادي إلى الثانوي إلى الجامعي.. بل الاختلاط - كما نوهنا - شائع وموجود ومطبق في سائر حياتهم الاجتماعية على الإطلاق.

فهل يصدق عاقل ذو بصيرة - بعد الذي أوضحناه - أن الاختلاط بين الجنسين - كما يدعي دعاة الاختلاط اليوم - يحد من ثورة الغريزة، ويخفف من هياج الشهوة، ويجعل اجتماع الرجال بالنساء أمراً مألوفاً وعادياً؟

إن مخططات الاستعمار والصهيونية، والمذاهب المادية والإباحية.. تستهدف أول ما تستهدف إفساد المجتمع المسلم، وتهديم كيانه، وفصم عراه..

وذلك بتمزيق القيم الأخلاقية، والمفاهيم الدينية بين الشباب والشابات، وإشاعة الميوعة والانحلال في كل ناحية من نواحي المجتمع المسلم.. فالمرأة عند هؤلاء هي أول الأهداف في هذه الدعوة الإباحية، والميدان الماكر، فهي العنصر الضعيف والعاطفي لتنفيذ أي مخطط لدعوة إباحية، ومنهج استعماري..

يقول أحد أقطاب المستعمرين: (كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة الحمديّة أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حب المادة والشهوات).

ويقول كبير من كبراء الماسونية الفجيرة: (يجب علينا أن نكسب المرأة، فأني يوم مدت إلينا يدها فزنا بالحرام، وتبدّد جيش المنتصرين للدين).

وجاء في (بروتوكولات حكماء صهيون) ما يلي: (يجب أن نعمل لتنهيار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا.. إن (فرويد) منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسيّة في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همّه الأكبر هو إرواء غريزته الجنسيّة، وعندئذ تنهار أخلاقه).

فالذين يدعون إلى اختلاط الأنثى بالذكر في بلاد الإسلام، ويريدون أن يكون شائعاً مطبقاً في سائر حياتنا الاجتماعيّة.. ما هم في الحقيقة إلا أداة دعاية وتنفيذ لمخططات أعداء الإسلام من أصحاب مذاهب مادية وإلحادية وإباحية ودعاة أفكار استعماريّة وصهيونيّة وماسونيّة.. من حيث يعلمون أو لا يعلمون، ومن حيث يشعرون أو لا يشعرون.

فما على الآباء والمربين والمسؤولين إذن أن يجتنبوا الإناث عن الذكور في التعليم وغير التعليم حتى ينشأ البنات على الفضيلة والعفاف، ويسلم المجتمع من المفاسد والانحلال، ويتحقق للشباب والشابات لياقاتهم الطيبة والنفسية.. وحتى تحرر الأمة الإسلاميّة كذلك من مخططات أعداء الإسلام في إفساد المرأة المسلمة..

وما أحسن ما قالته عائشة التيمورية في الافتخار بعلمها وعفافها وحجابها:

بيد العفاف أصون عزّ حجابي وبهمتي أسمى على أترابي

ما ضرّني أدبي وحسن تعلّمي إلا بكوني زهرة الألباب

ما عاقني خجلي عن العليا ولا سدّل الخمار بلّمتي ونقاي^{٦٤٢}

المطلب السادس - التوعية الفكرية:

^{٦٤٢} - تربية الأولاد في الإسلام لعلوان - (١ / ٢٢٢)

من المسؤوليات الكبرى التي جعلها الإسلام أمانة في عنق الآباء والمربين جميعاً توعية الولد فكرياً منذ حداثة سنه، ونعومة أظفاره.. إلى أن يصل سن الرشيد والنضج.. والمقصود بالتوعية الفكرية ارتباط الولد:

بالإسلام ديناً ودولة.. وبالقرآن العظيم نظاماً وتشريعاً.. وبالتاريخ الإسلامي عزاً ومجداً.. وبالثقافة الإسلامية العامة روحاً وفكراً.. وبالارتباط الحركي للدعوة الإسلامية اندفاعاً وحماسة..

إذن على المربين أن يُعرفوا الولد منذ أن يعي ويميز على الحقائق التالية:

(أ) خلود هذا الإسلام، وصلاحيته لكل الأزمنة والأمكنة، لما يمتاز به من مقومات الشمول والخلود والتجدد والاستمرار.

(ب) آباؤنا الأولون ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من عز وقوة وحضارة.. إلا بفضل اعتزازهم بهذا الإسلام، وتطبيقهم لأنظمة القرآن.

(ج) الكشف للولد عن المخططات التي يرسمها أعداء الإسلام:

المخططات الصهيونية الماكرة.

والمخططات الاستعمارية الغاشمة.

والمخططات الشيوعية الملحدة.

والمخططات الصليبية الحاقدة.

هذه المخططات التي تستهدف بجملتها محور العقيدة الإسلامية في الأرض، وغرس بذور الإلحاد في الجيل المسلم، وإشاعة الميوعة والانحلال في الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم.. والهدف البعيد والقريب من ذلك إخماد روح المقاومة والجهاد في شباب الإسلام، واستغلال ثروات البلاد الإسلامية لمصالحهم الذاتية، ثم بالتالي طمس معالم الإسلام في كل أرجاء المجتمعات التي ينتمي أهلها إلى الإسلام!!

(د) الكشف عن الحضارة الإسلامية التي كانت الدنيا بأسرها ترتشف من معينها حيناً من الدهر عبر التاريخ.

(هـ) وأخيراً يجب أن يعرف الولد (أننا أمة لم ندخل التاريخ بأبي جهل، وأبي لهب، وأبي بن خلف.. ولكن دخلناه بالرسول العربي صلوات الله عليه وأبي بكر وعمر.. ولم نفتح الفتوح بحرب البسوس وداحس والغبراء، ولكن فتحناها بيد القادسية واليرموك..

ولم نحكم الدنيا بالمعلقات السبع ولكن حكمناها بالقرآن المجيد. ولم نحمل إلى الناس رسالة اللات والعزى، ولكن حملنا إليهم رسالة الإسلام، ومبادئ القرآن^{٦٤٣})

لقد كان السلف الصالح يهتمون كل الاهتمام لهذه التوعية، ويوجبون تلقين الولد منذ الصغر تعليم القرآن الكريم، ومغازي الرسول ﷺ، ومآثر الجدود والأجداد.. ولكن ما السبيل إلى هذه التوعية؟ السبيل إليها يتصل بعدة وجوه:

١- التلقين الواعي. ٢- القدوة الواعية. ٣- المطالعة الواعية. ٤- الرفقة الواعية.

١- التلقين الواعي:

والمقصود من التلقين الواعي.. أن يلقن الولد من قبل أبويه ومربيه حقيقة الإسلام وما ينطوي عليه من مبادئ وتشريعات وأحكام، وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الخلود، ومقومات البقاء، وطبيعة الاستمرار إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وعلى المربي - ولا سيما الأب - أن يحرص على إفهام الولد أن لا عز إلا بالإسلام، ولا نصر إلا بتعاليم القرآن، ولا قوة ولا حضارة ولا نهوض إلا بشريعة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وعليه كذلك أن يبصره بكل المخططات اليهودية، والاستعمارية، والشيعوية، والصليبية.. التي تستهدف القضاء على الإسلام، وتشويه حقائقه الناصعة، ومعاله المشرقة.. وتستهدف كذلك اجتثاث روح المقاومة والجهاد في نفوس المسلمين، وتربية الجيل الحاضر على الإلحاد والضلال والإباحية..

^{٦٤٣} - تربية الأولاد في الإسلام ص ٢٥٨ فما بعد

كما عليه أن يلقنه حضارة الإسلام الزاهية التي بقيت مئات السنين تشع على الإنسانية نور الحق والمدنية والعرفان، والتي ظلت أوروبا عبر القرون تستقي من معينها، وتستهدي بنورها وضيائها!!..

ولا شك أن الولد بفضل هذا التلقين الواعي المستمر يرتبط بالإسلام ديناً ودولة، وبالقرآن الكريم نظاماً وتشريعاً، وبالتاريخ الإسلامي اعتزازاً وقدوة، وبالعمل الحركي والجهادي اندفاعاً وإقداماً!!..

فما أحوج الأولاد إلى مثل هذا التوجيه السامي، والتلقين الواعي، والتربية الهادفة!!..

٢- القدوة الواعية:

والمقصود من القدوة الواعية: أن يرتبط الولد بمرشد مخلص واع فاهم للإسلام، مندفع له، مجاهد في سبيله، مطبق لحدوده، لا تأخذه في الله لومة لائم.

وأفة من يتصدون للإرشاد اليوم أنهم يعطون لتلاميذهم ومريديهم الصورة المقلوبة المشوهة عن الإسلام إلا من رحم ربك وقليل ما هم.

فمنهم من يركز توجيهه وعنايته على إصلاح النفس وتركيتها.. ويهمل واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمناصحة للحكام، والوقوف أمام الظلم والظالمين..

ومنهم من يجعل جُلَّ اهتمامه للمظاهر التي أمر الإسلام بها من لحية وجلباب ولباس رأس.. ويهمل جانب العمل الحركي، والتجمع الإسلامي لإقامة حكم الله في الأرض..

ومنهم من يولي كل عنايته بالعلم الشرعي، ويهمل جانب توجيه الدعوي، والتحرك الجهادي.. وهو يظن أنه ينصر الإسلام.. ومنهم.. ومنهم...

علماً بأن الإسلام كلُّ لا يتجزأ، فلا يجوز لمرشد ولا لعالم، ولا لمن يتخذه الناس قدوة أن يكتموا واجباً أمر الله به، أو أن يتغاضوا عن منكر نهي الله عنه.. لعموم قوله تبارك

وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ

عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠) [البقرة: ١٥٩ - ١٦١]}

يُهَدِّدُ اللَّهُ تَعَالَى بِاللَّعْنَةِ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ فِي كُتُبِهِ مِنَ الدِّينِ الصَّحِيحِ، وَالْهُدَى النَّافِعِ، وَيَقْصُدُ بِهِمْ أَهْلَ الْكِتَابِ، الَّذِينَ كَتَمُوا صِفَةَ النَّبِيِّ الَّتِي وَرَدَتْ فِي كُتُبِهِمْ، وَمَا بَشَّرَتْ بِهِ هَذِهِ الْكُتُبُ مِنْ قُرْبِ مَبْعَثِ نَبِيِّ عَرَبِيٍّ، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ دِينَ اللَّهِ وَأَمْرَهُ عَنِ النَّاسِ لِيُضِلُّوهُمْ، وَيَصْرِفُوهُمْ عَنِ الْحَقِّ، فَإِنَّ اللَّهَ يَلْعَنُهُمْ، وَتَلْعَنُهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ (الْبَلَاغُونَ) .

(وَحُكْمُ هَذِهِ الْآيَةِ يَشْمَلُ كُلَّ مَنْ كَتَمَ عِلْمًا فَرَضَ اللَّهُ بَيَانَهُ لِلنَّاسِ، وَلِذَلِكَ قَالَ الْأَنْبِيَاءُ: إِنَّ الَّذِي يَرَى حُرْمَاتِ اللَّهِ تُنْتَهَكُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ، وَالَّذِينَ يُدَاسُ جَهَارًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالضَّلَالُ يَعْمَشِي الْهُدَى، ثُمَّ هُوَ لَا يَنْتَصِرُ لِلدِّينِ اللَّهِ يَكُونُ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّونَ وَعِيدَ اللَّهِ) .

وَيَسْتَنْبِي اللَّهُ تَعَالَى مِنَ اللَّعْنَةِ الَّذِينَ تَابُوا وَأَحْسَنُوا الْعَمَلَ، وَرَجَعُوا عَنِ كِتْمَانِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَأَظْهَرُوا لِلنَّاسِ مَا عَلِمُوهُ مِنْ أَمْرِ الرَّسُولِ وَالرَّسَالَةِ، وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ يَتَقَبَّلُ تَوْبَتَهُمْ، وَيَعْفُو عَنْهُمْ، وَيَمْحُو ذُنُوبَهُمْ ٦٤٤ .

ومن ملامح انحراف بعض من يتصدون للإرشاد اليوم أنهم يدعون العصمة لأنفسهم ويربطون الحق بأشخاصهم الفانية، غير مكترئين بما يحكم الشرع لهم أو عليهم، ظناً منهم أنهم وصلوا المرتبة التي تترههم عن الخطأ، والمقام الذي يجنبهم الوقوع في الزلل.. فلا يجوز لأحد من الناس أن ينتقدهم إذا أخطأوا، ولا يصح لمريد أن يراجعهم إذا أمروا.. لو صولهم إلى مرتبة الحفظ والعصمة.. علماً بأن العصمة خاصة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام!..
فهذا الإمام مالك رحمه الله وقف مرة أمام قبر الرسول ﷺ وقال: "ما منا إلا من ردَّ وردَّ عليه إلا صاحب هذا القبر"، وأشار إلى قبر النبي ﷺ.

ومن المواقف الخالدة التي كان يقفها العلماء الواعون المخلصون موقف عالم العصر ومرشده الشيخ (سعيد النورسي) التركي، والملقب بـ "بديع الزمان" رحمه الله وأجزل مشوبته، هذا الموقف يتلخص أنه حين أحسَّ ذات مرة أن من بين طلابه ومريديه من يذهب في تقديسه وتعظيمه حدًّا عظيمًا، ويربط معالم الحق بشخصه الفاني، قال لهم موصياً

٦٤٤ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٦٦)

وموجهاً وناصحاً: "إياكم أن تربطوا الحق الذي أدعوكم إليه بشخصي المذنب الفاني، ولكن عليكم أن تبادروا فتربطوه بينوعه الأقدس: كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولتعلموا أنني لست أكثر من دلال على بضاعة الرحمن جل جلاله، ولتعلموا أنني غير معصوم، وقد يفرط مني ذنب أو يبدو مني انحراف، فيتشوه مظهر الحق (الذي ربطتموه بي) بذلك الذنب أو الانحراف، فإما أن أكون بذلك قدوة للناس في هذا الانحراف، وارتكاب الآثام، أو صارفاً لهم عن الحق بما شوّهه واحتلط به من انحرافي وآثامي".

فما على المرين إذن إلا أن يربطوا أولادهم بمرشد عالم واعٍ مخلص يعطيهم الإسلام منهاجاً شاملاً عامّاً سواء ما يتعلق في العقيدة والتشريع، أو ما يتصل بالدين والدولة، أو ما يرتبط بالتركية والجهاد، أو ما يختص بالعبادة والسياسة..

ويعطيهم التلقين التربوي والإصلاح النفسي توجيهاً سليماً واعياً يربطهم بالحق والشرع وتوجيهات السلف.. لا بوجوده الفاني، وشخصه المذنب..

ولا شك أن الأولاد حين يرتبطون بالقدوة الواعية - بهذا الشكل الذي بيناه - فيتربون على التقوى والجهاد، وينشؤون على الإخبات لله، والجرأة في الحق، ويدرجون على التبعيد في الحراب، وعلى مقارعة الأعداء في ميادين القتال، عندئذ يكونون من النمط الذي قال عنهم الشاعر الإسلامي:

شباب ذلّوا سبيل المعاني وما عرفوا سوى الإسلام دينا
تعهدهم فأثبتهم نباتاً كريماً طاب في الدنيا غصونا
إذا شهدوا الوغى كانوا كُماةً يدكّون المعازل والحصونا
وإن حنّ المساء فلا تراهم من الإشفاق إلا ساجدينا
كذلك أخرج الإسلام قومي شباباً مخلصاً حرّاً أميناً
وعلمه الكرامة كيف تُبنى فيأبى أن يُقيّد أو يهونا

وحين يكونون على هذه الشاكلة يتحقق على أيديهم كل عزة ونصر وسيادة للإسلام والمسلمين.

٣- المطالعة الواعية:

والمقصود من المطالعة الواعية أن يضع المربي بين يدي الولد منذ أن يعقل ويميز مكتبة - ولو صغيرة - تشمل مجموعة من القصص الإسلامية تتكلم عن سيرة الأبطال، وحكايات الأبرار، وأخبار الصالحين..

وتشمل كذلك مجموعة من الكتب الفكرية تتحدث عن كل ما يتعلق بالنظم الإسلامية سواء كانت عقديّة أو أخلاقية أو اقتصادية أو سياسية..

وعن كل ما يتعلق في توضيح المؤامرات التي تحيكها الصهيونية والماسونية والشيوعية والصليبية، والمذاهب المادية ضد الإسلام والمسلمين..

وتشمل أيضاً مجموعة من المجالات الإسلامية الواعية التي تعرض الإسلام، وتنقل الأخبار، وتعالج المشكلات، وتكتب المواضيع بعرض شيق وأسلوب جذاب..

وعلى المربي أن يختار للولد من هذه الكتب والمجلات والقصص ما يتناسب مع سنّه وثقافته حتى تكون الفائدة أنفع، والثمرة التي يجنيها أجدى وأحسن.. فعن أبي الطفيل، قال: سَمِعْتُ عَلِيًّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، وَدَعُّوا مَا يُنْكِرُونَ^{٦٤٥}

ولا شك أن المربين حينما ينهجون بأولادهم هذا النهج، ويسلكون معهم هذه السبيل فإنهم يتثقفون بالثقافة الإسلامية الكاملة، ويدرجون على الوعي الناضج الصحيح.

٤ - الرفقة الواعية:

والمقصود من الرفقة الواعية أن يختار المربون لأولادهم رفقاء صالحين مأمونين متميزين عن غيرهم بالفهم الإسلامي الناضج، والوعي الفكري النابه، والثقافة الإسلامية الشاملة.

ولا شك أن الولد منذ أن يعقل ويدرك، حينما يصاحب البلدين ذهنياً وفكرياً فإنه يكتسب منهم البلادة، وحينما يخالط القاصرين عن إدراك حقيقة الإسلام ونظرته الكلية إلى الكون والحياة والإنسان فإنه يكتسب منهم القصور والمحدودية..

^{٦٤٥} - المَدْخَلُ إِلَى السُّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ (٤٩٧) صحيح

فلا يكفي أن يكون الرفيق صالحاً قانتاً مصلياً.. ولا أن يكون مثقفاً ذكياً عبقرياً.. بل ينبغي أن يجمع مع فضيلة الصلاح والتقوى فضيلة النضج العقلي، والوعي الاجتماعي والفهم الإسلامي.. حتى يكون رفيقاً سوياً، وصاحباً ناضجاً تقياً..

وقد قالوا قديماً: (الصاحب صاحب).

وقال أهل المعرفة: لا تقل لي: من أنا؟ بل قل لي: من أصحاب؟ فتعرف من أنا.

وما أحسن ما قاله الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل.^{٦٤٦}

فما على المربين إلا أن يهيئوا لأولادهم وهم في سن التمييز الرفقة الصالحة الواعية التي تُبصّرهم حقيقة الإسلام، وتعرفهم مبادئه الشاملة، وتعاليمه الخالدة، وتعطيهم الصورة الصادقة عن هذا الدين الذي حمل لواءه أبطال كرام، وجدود أمجاد..

فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس..

وأخيراً أزيد أن أهمس في أذن المربين والأولياء والآباء بهذه الحقيقة!!..

أليس من المؤسف المؤلم أن يصل شبابنا إلى سن التكليف ولم يعلموا أن الإسلام دين ودولة، ومصحف وسيف، وعبادة وسياسة.. وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الشمول والخلود والبقاء للزمن المتحضّر، والحياة المتطورة؟!..

أليس من المؤسف المؤلم أن يتعلم أبناؤنا في المدارس كل شيء عن رجالات الغرب، وفلاسفة الشرق، وعن أفكارهم وآرائهم، وتاريخ حياتهم، ومآثر أعمالهم.. ولم يعرفوا عن حياة أبطالنا وعظمائنا في التاريخ، وأخبار الفاتحين.. سوى النذر القليل؟!..

ثم أليس من العار والشنار أن يتخرج أولادنا من المدارس وقد مسختهم الثقافات الأجنبية، والمبادئ الغربية أو الشرقية.. حتى أصبح الكثير منهم أعداء لدينهم وتاريخهم وحضارتهم؟!..

^{٦٤٦} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٢٨٠) (٨٤١٧) ٨٣٩٨ - صحيح

ثم بالتالي أليس مما يفتت القلب والكبد أن تنساق الفئة المؤمنة من الشباب وراء أديعاء الإرشاد يعطلون لهم تفكيرهم، ويقطعونهم من كل صلة ثقافية إسلامية واعية، ويمنعونهم من كل مرشد عالم مخلص، يوضح لهم حقيقة الإسلام ونظرته الكلية الشاملة؟!..

وأخيراً أليس من المخزي المؤسف أن يقتني أبناء هذا الجيل الكتب الإلحادية، والمجلات الخلاعية، والقصص الغرامية.. ولم يكن عندهم أدنى اهتمام بالكتب الفكرية التي توضح نظم الإسلام، وترد على شبهات الأعداء، وتعرفهم بمفاخر التاريخ؟!..

فما عليكم - أيها المربون والآباء - إلا أن تقوموا بواجب المسؤولية تجاه أفلاد أكبادهم، وأن تسعوا جاهدين في تصحيح أفهامهم وأفكارهم إن كانت مشوبة بأفكار دخيلة، وآراء ضالة!!..

كما عليكم أن تلقنوهم صباح مساء الردّ على دسائس الملحدين والمبشرين، وافتراعات الماديين والمستشرقين..

وفي هذا - لا شك - توعية لأفكارهم، وصيانة لعقيدهم من أن تتأثر بالدسائس المغرضة، والمبادئ الهدامة، والعقائد المنحرفة..

فإن نهجتم هذا النهج، وسلكتم هذه السبيل اعترز أبناءكم بدينهم، وافتخروا بأجدادهم وتاريخهم، وما عرفوا سوى الإسلام عقيدة وشريعة، ومصحفاً وسيفاً، وديناً ودولة، وعبادة وسياسة.. وكانوا من الجيل الأول الذي قال عنهم الشاعر:

خلفت جيلاً من الأصحاب سيرتهم توضع بين الورى رَوْحاً ورِيحاناً
كانت فتوحهمُ برّاً ومرحمةً كانت سياستهم عدلاً وإحساناً
لم يعرفوا الدين أوراذاً ومسيحةً بل أُشْبِعُوا الدين محراباً وميداناً^{٦٤٧}

ومن المسؤوليات التي جعلها الله أمانة في عنق الآباء والمربين جميعاً: الاعتناء بصحة عقول أبنائهم وتلامذتهم.. فما عليهم إلا أن يقدروها حق قدرها، ويرعوها حق رعايتها، حتى يبقى تفكيرهم سليماً، وذاكرتهم قوية، وأذهانهم صافية وعقولهم ناضجة..

^{٦٤٧} - تربية الأولاد في الإسلام لعلوان - (١ / ٢٢٥)

مما أجمع عليه الأطباء، وحذر منه علماء الصحة أن المفاسد التي تؤثر على العقل والذاكرة، وتحمل الذهن، وتشلّ عملية التفكير في الإنسان، وتحدث أضراراً بالغة في الجسم هي ما يلي:

- ١- مفسدة تناول الخمر بشتى أشكالها وأنواعها، فإنها تقتل الصحة وتورث الجنون..
 - ٢- مفسدة العادة السرية فإن الإدمان عليها يورث السل، ويضعف الذاكرة، ويسبب الخمول الذهني، والشروود العقلي..
 - ٣- مفسدة التدخين فإن من تأثيره على العقل: أن يهيج الأعصاب، ويؤثر على الذاكرة، ويضعف ملكة إحضار الذهن والتفكير..
 - ٤- مفسدة الإثارات الجنسية كمشاهدة الأفلام الخلاعية، والتمثيلات الماجنة، والصور العارية.. فإنها تعطل وظيفة العقل، وتسبب الشروود، وتقضي على ملكة الاستدكار الذهني.. فضلاً عن الإلهاء، وإضاعة الوقت الثمين.
- يقول الدكتور (أليكس كارليل) في كتابه (الإنسان ذلك المجهول): (عندما تتحرك الغريزة الجنسية لدى الإنسان تفرز غده نوعاً من المادة التي تتسرب بالدم إلى دماغه وتحدّره فلا يعود قادراً على التفكير الصافي).
- إلى غير ذلك من المفاسد الخطيرة الضارة التي تضر بعقول الأولاد، وتسبب لهم الآفات والأخطار..

المطلب السابع - أنواع القراءة :

الإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، غذاء العقل العلم، وغذاء القلب الحب، وغذاء الجسم الطعام والشراب .

إذاً جانب خطير وكبير من جوانب الإنسان الجانب العلمي، والذي لا يبحث عن الحقيقة ولا يليب القوة الإدراكية التي أودعها الله فينا، فقد هبط عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به .

أنت تتميز عن كل الكائنات لأنك تفكر، أعطاك الله عقلاً، فإذا عطلنا هذا الجانب إن عطلنا القوة الإدراكية، إن لم نبحث عن الحقيقة هبطنا من مستوى إنسانيتنا إلى مستوى لا يليق بنا .

أنت حينما تطلب العلم، تحضر درس علم، تبحث عن الحقيقة، تقرأ كتاباً، تتابع ندوة، تتابع مناظرة، تحضر خطبة، تسأل، تستفهم، تبحث، تدرس، تفكر، تعقل، أنت بهذا تؤكد أنك إنسان، وما لم يكن الفرق عندك كبيراً، العلم والجهل .

الناس ثلاثة، عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعا، أتباع كل ناعق، هذا يسمى الخط العريض في المجتمع، يسمى أيضاً دهماء الناس، سوقتهم، وهمج رعا، أتباع كل ناعق، لم يستضيؤوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق فاحذر أن تكون منهم يا بني .

١ - قراءة البحث والإيمان :

اقرأ* من أجل أن تؤمن وادعُ ابنك إلى أن يقرأ، من أجل أن يؤمن .

أول قراءة نسميها قراءة البحث والإيمان، هل تفكرنا في خلق السماوات والأرض ؟ هل قرأنا القرآن الكريم ؟ هل قرأنا السنة المطهرة ؟ هل قرأنا ؟ * اقرأ* أي تعلم، هل بحياتك وقت لطلب العلم ؟ لحضور دروس العلم ؟ هل في برنامجك اليومي ساعة أو ساعتين لقراءة كتاب ؟ لقراءة بحث ؟ لمطالعة موضع ؟ للقاء مع إنسان تنتفع من علمه ؟

* اقرأ* من أجل أن تؤمن، القراءة الهادفة، القراءة الإيمانية، قراءة البحث والإيمان، هذه قراءة .
* اقرأ باسم ربك الذي خلق* ، أقرب آية إليك، أقرب شيء تتعرف منه إلى الله جسمك، *
اقرأ باسم ربك الذي خلق* : * خلق الإنسان من علق* .

يمكن باللقاء الزوجي هناك ثلاثمئة مليون نطفة، والبويضة حجمها كحبة الملح ضع على إصبعك شيئاً من لعابك، ولا تضغط على كمية من الملح، أقل مس، وجيء بمكبر، ترى ذرات الملح، أقل ضغط، طبقة واحدة من ذرات الملح، مع المكبر ترى ذرة الملح، البويضة في المرأة حجمها كحجم ذرة الملح، هذه تحتاج إلى حوين، الحوين لا يرى بالعين، له رأس، الرأس فيه مادة نبيلة، وهذه المادة النبيلة مغلفة بغشاء رقيق إذا اصطدم هذا الحوين بالبويضة يتمزق الغشاء، والمادة تذيب جدار البويضة، ويدخل إليها .

* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ *، هذه البويضة الملقحة تنقسم عشرة آلاف قسم دون أن يزيد حجمها، وهي تمشي في قناة فالوب، ما الذي يحركها في هذه القناة؟ قال: أشعار تنقلها من المبيض إلى الرحم، وهي تنقسم، ثم تتشكل العظام، ثم تكسى العظام لحماً، ثم رأس ودماغ، مئة وأربعون مليار خلية سمراء، لم تُعرف وظيفتها بعد، عينان، بالشبكية يوجد مئة و ثلاثون عصبية ومخروط، العصب البصري تسعمئة ألف عصب، ثلاثمئة ألف شعرة، لكل شعرة وريد، وشريان، وعصب، وعضلة، وغدة دهنية، وغدة صبغية، بالمعدة هناك ٣٥ مليون عصارة هاضمة، القلب يضخ باليوم ثمانية أمتار مكعبة، في عمر متوسط يضخ القلب من الدم ما يملأ أكبر ناطحة سحاب في العالم، اللسان، الأسنان، المريء، الأمعاء، المعدة، الكليتان، الرئتان، القلب أقرب آية عظيمة دالة على عظمة الله جسمك، أقرب شيء إليك جسمك، ألم تفكر مرة لم يكن في الشعر أعصاب حس؟ لو في أعصاب حس تُسأل إلى أين أنت ذاهب؟ والله إلى المستشفى، لأجري عملية حلاقة، إذا في أعصاب حس، قص الشعرة تطير من الألم، لكن لا يوجد أعصاب حس، لو فكرت بشعرك، بعينيك، بأنفك، بأذنيك، الحديث طويل .

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ *، هذه قراءة إيمانية، عود نفسك، تفكر، أحياناً الإنسان يسمع صوت مركبة يتزاح نحو اليسار، كيف عرفت أن المركبة على اليمين؟ هي وراءك، قد يغيب عن ذهنك أن هناك جهازاً بالإنسان يقيس تفاضل وصول الصوتين إلى الأذنين، المركبة هنا، الصوت الأول دخل إلى هنا، والثاني دخل إلى هنا، هذه أقرب إلى المركبة من هذه، المسافة الزمنية واحد على ألف وستمئة وعشرين جزءاً من الثانية، من آيات الله الدالة على عظمته .

إذاً أول قراءة قراءة إيمانية، * اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * .
* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * . (سورة العلق) . هذه قراءة ثانية، الله عز وجل منحك نعمة الإيجاد، أنت موجود، ومنحك نعمة الإمداد، أممـدك بالهواء، بالماء، بالطعام، بالشراب، بالزوجة، بالأولاد، بالسماء، بالأرض، بالبحار، بالأفكار، بالأسماك، بالأطيار، بالكواكب، بالثمار، هذه قراءة ثانية قراءة الشكر والعرفان .

* اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ *، أول قراءة، قراءة البحث والإيمان، وأقرب آية لك: * خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ *، الثانية: * اقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ *، منحك نعمة الإيجاد ومنحك نعمة
الإمداد، ومنحك نعمة الهدى والرشاد، إيجاد، إمداد، هدى ورشاد .

مرة فكر بالكون، مرة فكر بالنعم، هذا الماء من جعله عذباً فراتاً وقد كان ملحاً أجاجاً ؟
من قنن قانون التبخر ؟ من قنن قانون أن الهواء يحمل بخار الماء ؟ من قنن قانون التقطير ؟
من قنن قانون التبخر ثم تحول البخار إلى سائل ؟ من ؟ من أودع الماء في الينابيع ؟

٢ — قراءة الشكر والعرفان :

* اقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ *، جلست إلى الطعام، هذا اللبن من أين ؟ من معمل لا في صوت، ولا
في ضجيج، ولا في دخان، ولا في مدخنة، ولا في شيء، بقررة تأكل الحشيش تعطيك
الحليب، هل هناك جهة بالأرض تستطيع أن تصنع من الحشيش حليباً ؟ الدجاجة تأكل
كل شيء تعطيك البيض .

* اقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ *، قراءة الشكر والعرفان، مرة بالآيات الدالة على عظمته ومرة بنعمه .
الكليتان تفرزان كل عشرين ثانية قطرة بول، قطرة بقطرة، كل عشرين ثانية بالدقيقة ثلاث
قطرات، بالعشر دقائق ثلاثين قطرة، النتيجة، لو لم يكن هناك مئاة، من الكليتين إلى الإفراز
يحتاج الإنسان إلى فوط ساعتئذ، فوط الرجل السعيد لا الطفل السعيد، من جعل المئاة
مستودعاً ؟ سبع ثماني ساعات يتجمع فيها البول، كرامتك موفورة .

لو فكرت بجسمك أنت وجهاً لوجه أمام عظمة الله، المئاة وحدها، تصفية الدم آية، جهاز
الهضم آية، البنكرياس آية، الكبد يقوم بخمسة آلاف وظيفة آية، الرئتان، لو الأسناخ الرئوية
مدت لكانت مساحتها مئتي متر مربع، رئتان، وقلب، القلب بالقفص، والدماغ
بالجمجمة، والنخاع الشوكي بالعمود الفقري، والجنين بعظام الحوض، وأخطر معمل
بالجسم معامل كريات الدم الحمراء ووسط العظام، الأجهزة
الخطيرة، القلب، العين، الدماغ، النخاع الشوكي، الجنين، معامل كريات الدم الحمراء، أخطر
الأجهزة في أماكن حصينة، صنع من ؟، تقدير من ؟.

* اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ *، قراءة البحث والإيمان، * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ *، * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * قراءة الشكر والعرفان .

٣ — قراءة الوحي والإذعان :

* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * . (سورة العلق) .

هذا الوحي، قراءة الوحي والإذعان، كم قراءة عندنا ؟ ثلاثة، قراءة البحث والإيمان، قراءة الشكر والعرفان، قراءة الوحي والإذعان، أي شيء عجز فكرك عن إدراكه أخبرك الله به، أخبرك أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض، أخبرك: * إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * (سورة المعارج) .
أخبرك أنه خلقت لجنة عرضها السماوات والأرض، أخبرك أن هذه الدنيا دار التواء، دار فانية، حياة دنيا وليست عليا، كل شيء عجز عقلك عن إدراكه أخبرك الله به القراءة الثالثة ما هي ؟ قراءة الوحي والإذعان .

فهذه السورة أول سورة نزلت، وأول آية، وفيها أول كلمة اقرأ، قراءة البحث والإيمان، نوع من القراءة، قراءة الشكر والعرفان، التفكير بالنعم، قراءة الوحي والإذعان، قراءة القرآن والسنة، القرآن فيه كليات، والسنة فيها جزئيات، أنت بين التفكير في خلق السماوات والأرض، والتفكير في نعم الله، وبين تدبر آيات القرآن الكريم، وأحاديث المصطفى عليه أتم الصلاة والتسليم، ثلاثة قراءات، قراءة بحث وإيمان بالكون، قراءة شكر وعرفان بالنعم، قراءة وحي والإذعان بالقرآن والسنة .

٤ — قراءة العدوان والطغيان :

لكن العالم اليوم يئن من قراءة رابعة * كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى * أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَى * (سورة العلق) .

يتقوى الإنسان، يحمل شهادات عليا، يخترع أسلحة فتاكة تدمر البشرية، تقوى أمة بأسلحتها، تفرض ثقافتها وإباحيتها على بقية الأمم، لذلك العلم أحيانا يأخذ مساراً خطيراً جداً .

فهل المسلمون بحاجة إلى هذا العلم الرابع ؟

نعم بحاجة إلى: * وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ * {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُّوا لِلَّهِ وَعَدُّوْكُمْ وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} (٦٠) سورة الأنفال

بحاجة لهذا العلم الرابع لا من أجل العدوان، بل من أجل الدفاع عن النفس وحماية الدين ونشره في الأرض .

وهناك جهاد النفس والهوى، وهذا الجهاد الأساسي، هذا التعليم الأساسي، وهناك جهاد دعوي: * وَجَاهِدُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا * (سورة الفرقان) .

وهناك جهاد بنائي * وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ *، والحقيقة المؤلمة أنهم أعدوا لنا ولم نعد لهم، لمئتي عام سبقت استفادوا من الاستقرار، والرخاء الاقتصادي، وصنعوا، وتفوقوا، واخترعوا أسلحة سيطروا بها على العالم، وبعدها فرضوا علينا ثقافتهم هذه الصحون ثقافتهم، وإباحيتهم، وتفلتتهم .

فالإنسان إذا قوي يستغني عن الله بحمقه، ويغيب عنه أنه في قبضة الله دائماً، هذه الأمم القوية التي استغنت، فطغت، وبغت، من يمثلها؟ يمثلها قوم عاد، هؤلاء القوم مثال للأمم الطاغية التي استخدمت القراءة للعدوان والطمع، قوم عاد قال الله عنهم إنهم متفوقون في كل المجالات: * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * (سورة الفجر) .

تفوقوا في شتى المجالات، وتفوقوا في العمران: * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * (سورة الشعراء) .

تفوق حضاري، بنائي، عمراني، تفوق صناعي، تفوق عسكري، وتفوق علمي: * وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ * (سورة العنكبوت) .

أربع أنواع بالتفوق، * لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ *، ومع التفوق الغطرسة والكبر، والاستعلاء والدليل: * وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً * (سورة فصلت الآية: ١٥) .

تفوق عمراني،صناعي،عسكري،علمي،وغطرسة،* مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً * وهؤلاء القوم دققوا
الآن: ما أهلك الله قوم إلا ذكر أنه أهلك من هو أشد منهم قوة،إلا قوم عاد حينما
أهلكهم قال: * أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً * . (سورة فصلت
الآية: ١٥) .

أي ما كان فوق عاد إلا الله،ماذا فعلت عاد؟ قال:طغت في البلاد،ما قال طغت في
بلدها،طغت في البلاد،طغيان شمولي .

أحياناً تكون أطماع الدول العظمى لا في بلادها في كل البلاد،يتدخلون بكل
بلد،يفرضون إرادتهم على كل شعب .

* الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ * . (سورة الفجر) .بالقصف والأسلحة المدمرة .
* فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * . (سورة الفجر) .بالأفلام،الطغيان بالقصف،والإفساد بالأفلام .
* فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبَلِْمْرْصَادٍ * . (سورة الفجر) .
بماذا أهلكهم؟

* بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا
صَرَغَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * . (سورة الفجر) .
وقال: * وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى * . (سورة النجم) .

ماذا يفهم من كلمة الأولى؟ * وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى *،يعني في عاد ثانية.
فنحن نحتاج إلى الرابعة لنكون أقوىاء،لنردع،* تُرْهِمُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ * السلاح من أجل ألا
نستخدمه،قد لا نستخدمه أبداً،ولكن نريد سلاحاً قوياً عندنا هذا يجعل الطرف الآخر
يهابنا،توجيه قرآني .

لذلك المسلمون لن ينتصروا إلا إذا قدموا لله أسباب النصر،أسباب النصر إيمان بالله يملك
على طاعته،وإيمان باليوم الآخر،يردعك أن تؤذي مخلوقاً،وإعداد العدة المتاحة لا
المكافئة،الدليل: * وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ * .

فالعلم قيمة كبيرة جداً: * هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * . (سورة الزمر
الآية: ٩) .

القرآن الكريم اعتمد قيم مرجحة، الناس فيما بينهم يرجح بعضهم بعضاً بالمال أحياناً، هذا غني، أحياناً بالجمال، وسيم، أحياناً بمنصب رفيع، أحياناً بالقوة، أحياناً بالوجهة، أحياناً بالنسب، اعتمد الناس قيماً عديدة للترجيح فيما بينهم، لكن الله عز وجل في قرآنه الكريم بين دفتيه ما القيم التي اعتمدها؟ اعتمد قيمة العلم، وقيمة العمل، ليس غير .

قيمة العلم في قوله تعالى: * هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ *، وقيمة العمل: * وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا * . (سورة الأحقاف الآية: ١٩) .

وأية أمة تريد أن تنهض ينبغي أن تعتمد قيمتين اثنتين لا ثالث لهما، ينبغي أن يحترم من يطلب العلم، وأن يحترم أيضاً من يعمل .

فقضية العلم قضية واسعة جداً، ولا بد من أن نعتمده كطريق لنهضتنا وقوتنا .

صلاح الدين الأيوبي رحمه الله حينما واجه أوروبا بأكملها واجهها بشباب متعلمين، فلذلك أمضى سنوات طويلة في تأسيس المدارس، وفي الصالحية شارع اسمه المدارس هذا من نتائج عمل صلاح الدين الأيوبي .

فالناس اعتمدوا قيماً عديدة للترجيح فيما بينهم، لكن الله جلّ جلاله في قرآنه الكريم هناك قيمتان للترجيح بين خلقه قيمة العلم، وقيمة العمل .

ونحن في تربية أولادنا حينما نكرم الابن المتفوق، حينما نشجعه، حينما نكافئه، حينما نسأله ماذا تعلمت اليوم؟ هناك أسر كثيرة في لقاء يومي بين الأب والأم والأولاد والحديث اللطيف ماذا تعلمت اليوم في المدرسة؟ ماذا قال لك الأستاذ؟ كم مادة عندك اليوم؟ ماذا فهمت بالفيزياء مثلاً؟ عندما يكون في البيت حوار علمي يغدو العلم ذا قيمة في البيت، أما حوار يومي في الطعام والشراب، والأخبار الطريفة والطرف من دون معالجة موضوعات علمية فالطفل ينصرف عن العلم، وينبغي أن يكرم الطفل إذا تفوق في دراسته، فالتشجيع مهم جداً .

فما من طريق إلى التقدم والنهوض إلا بالعلم، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته

كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل .

وطالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً^{٦٤٨}.

والذي نخلص إليه بعد ما تقدم من بحوث هذا الفصل أن:

- الواجب التعليمي. - والتوعية الفكرية. - والصحة العقلية. هي أبرز المسؤوليات في تربية الأولاد العقلية، فإن قصر الآباء والمربون والمعلمون في القيام بهذه الواجبات، وفرطوا في هاتيك المسؤوليات.. فإن الله سبحانه سيحاسبهم على تقصيرهم، ويسألهم عن نتائج إهمالهم.. فيا خجلهم من الله إذا وقع عليهم الحق وكانوا من المفرطين.

ويا ويلهم من مشهد يوم عظيم إذا كان جوابهم أمام رب العالمين: { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُومُ لَعْنَا كَبِيرًا (٦٨) } الأحزاب: ٦٧-٦٨.

عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ، أَحْفَظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَ؟ حَتَّى يُسْأَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ "

وصدق رسول الله ﷺ القائل فيما رواه ابن حبان: "إن الله سائل كل راع عما استرعاه: حفظ أم ضيع"^{٦٤٩}.

اللهم اجعلنا ممن يطيعون الله ورسوله، وممن تبيض وجوههم يوم الحساب، وممن آدوا مسؤولية أولادهم وأهلبيهم خير أداء.. إنك خير مأمول، وأكرم مسؤول



^{٦٤٨} - تربية الأولاد في الإسلام النابلسي - (١ / ٩٤)

^{٦٤٩} - عشرة النساء للإمام للنسائي - الطبعة الثالثة - (١ / ١٩٥) ٢٧٨-٧٩٣٢- صحيح

المبحث السادس

التربية النفسية

المقصود بالتربية النفسية: تربية الولد منذ أن يعقل على الجراءة والصراحة، والشجاعة، والشعور بالكمال، وحب الخير للآخرين، والانضباط عند الغضب، والتحلي بكل الفضائل النفسية والخلقية على الإطلاق..

والهدف من هذه التربية تكوين شخصية الولد وتكاملها واتزانها.. حتى يستطيع - إذا بلغ سنَّ التكليف - أن يقوم بالواجبات المكلف بها على أحسن وجه، وأنبل معنى. وإذا كان الولد - منذ أن يولد - أمانة بيد مربيّه، فالإسلام يأمرهم ويحثهم على أن يغرسوا فيه منذ أن يفتح عينيه أصول الصحة النفسية التي تؤهله لأن يكون إنساناً ذا عقل ناضج، وتفكير سليم، وتصرف متزن، وإرادة مستعلية..

وكذلك عليهم أن يحرروا الولد من كل العوامل التي تغض من كرامته واعتباره، وتحطم من كيانه وشخصيته، والتي تجعله ينظر إلى الحياة نظرة حقد وكرهية وتشاؤم.. وأرى أن من أهم العوامل التي يجب على المربين أن يحرروا أولادهم وتلاميذهم منها هي الظواهر التالية:

١- ظاهرة الخجل ٢- ظاهرة الخوف ٣- ظاهرة الشعور بالنقص ٤- ظاهرة الحسد ٥- ظاهرة الغضب.

وإن شاء الله في هذا الفصل فسنتعرض كل ظاهرة على حدة بشيء من التفصيل، ثم نتطرق للعلاج على ضوء ما جاء في الإسلام، ثم نرشد إلى ظاهرة الفضيلة التي تحل محلها، والله الموفق وهو المستعان..

المطلب الأول- ظاهرة الخجل وعلاجها:

من المعلوم أن ظاهرة الخجل من طبيعة الأطفال (ولعل أولى أماراته تبدأ في سنّ الأربعة أشهر، وأما بعد كمال السنة فيصبح الخجل واضحاً في الطفل، إذ يدير وجهه أو يغمض عينيه أو يغطي وجهه بكفيه إن تحدث شخص غريب إليه)^{٦٥٠} (وفي السنة الثالثة يشعر الطفل بالخجل عندما يذهب إلى دار غريبة، فهو قد يجلس هادئاً في حجر أمه أو إلى جانبها طوال الوقت لا ينبس ببنت شفة)^{٦٥١} وتلعب الوراثة دورها في شدة الخجل عند الأطفال، ولا ينكر ما للبيئة من أثر كبير في ازدياد الخجل أو تعديله، فإن الأطفال الذين يخالطون غيرهم، ويجتمعون معهم يكونون أقل خجلاً من الأطفال الذين لا يخالطون ولا يجتمعون!!..

المعالجة لا تتم إلا أن نعوّد الأولاد على الاجتماع بالناس.. سواء جلب الأصدقاء إلى المنزل لهم بشكل دائم، أو مصاحبتهم لأبائهم في زيارة الأصدقاء والأقارب، أو الطلب منهم برفق ليتحدثوا أمام غيرهم سواء كان المتحدث إليهم كباراً أو صغاراً!!.. وهذا التعويد - لا شك - يضعف في نفوسهم ظاهرة الخجل، ويكسبهم الثقة بأنفسهم، ويدفعهم دائماً إلى أن يتكلموا بالحق لا يخشون في سبيل ذلك لومة لائم. وهذه بعض الأمثلة التاريخية والأحاديث النبوية التي تعطي للمربين جميعاً القدوة الصالحة في تربية السلف الصالح أبناءهم على الجرأة، ومعالجة ظاهرة الخجل في نفوسهم:

عن عبد الله بن دينار، أنه سمع ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله: وقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: هي النخلة، فذكرت ذلك لعمر، فقال: لأن تكون قلت: هي النخلة، أحب إلي من كذا وكذا.^{٦٥٢}

٦٥٠ - من كتاب المشكلات السلوكية عند الأطفال للدكتور نبيه الغيرة ص ١٥٣.

٦٥١ - من كتاب المشكلات السلوكية عند الأطفال للدكتور نبيه الغيرة ص ١٥٣.

٦٥٢ - صحيح البخارى - المكثر - (٦١) وصحيح مسلم - المكثر - (٧٢٧٦) وصحيح ابن حبان - (١ / ٤٨١)

وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمْ أَسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -
 - إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا، قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ - فَأُتِيَ بِجُمَارٍ فَقَالَ « إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً
 مِثْلَهَا كَمِثْلِ الْمُسْلِمِ ». فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ، فَإِذَا أَنَا أَصْعُرُ الْقَوْمِ فَسَكَتُ، قَالَ النَّبِيُّ
 ﷺ - « هِيَ النَّخْلَةُ » . ٦٥٣

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ
 وَرَقُهَا، وَهِيَ مِثْلُ الْمُسْلِمِ، حَدَّثُونِي مَا هِيَ ». فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي
 أَنَّهَا النَّخْلَةُ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَاسْتَحْيَيْتُ. فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -
 ﷺ - « هِيَ النَّخْلَةُ » .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي فَقَالَ لِأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ
 يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا . ٦٥٤

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ ﷺ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - أَتَى بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ
 وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ الْأَشْيَاحُ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ « أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ ». فَقَالَ
 الْغُلَامُ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أُؤْتِرُ بِبَصِيْبِي مِنْكَ أَحَدًا. قَالَ فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِي
 يَدِهِ ٦٥٥ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاحِ بَدْرِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِمَ
 تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَى مَعَنَا، وَلَنَا أَبْنَاءُ مِثْلُهُ فَقَالَ إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ. قَالَ فَدَعَاهُمْ ذَاتَ
 يَوْمٍ، وَدَعَانِي مَعَهُمْ قَالَ وَمَا رُبَيْتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مَنِي فَقَالَ مَا تَقُولُونَ (إِذَا جَاءَ
 نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ) حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ أَمَرْنَا أَنْ نَحْمَدَ
 اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ، إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا نَدْرِي. أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا. فَقَالَ
 لِي يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَكْذَاكَ تَقُولُ قُلْتُ لَا. قَالَ فَمَا تَقُولُ قُلْتُ هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ

٦٥٣ - صحيح البخارى - المكثر - (٧٢)

٦٥٤ - صحيح البخارى - المكثر - (١٣١) وصحيح مسلم - المكثر - (٧٢٨٠)

٦٥٥ - صحيح البخارى - المكثر - (٢٤٥١) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٤١٢) - تله: دفعه إليه

اللَّهُ لَهُ (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) فَتَحُ مَكَّةَ، فَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَجَلِكَ (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) قَالَ عُمَرُ مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ. ٦٥٦

وعن عبيد بن حنين، أنه سمع عبد الله بن عباس، يحدث قال: مكنت سنة وأنا أريد أن
أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فلا أستطيع أن أسأله هيبة له، حتى خرج حاجًا، فخرجت
معه، فلما رجع، فكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك في حاجة، فوقف له حتى فرغ، ثم
سرت معه، فقلت: يا أمير المؤمنين من اللتين تطهرتا على رسول الله ﷺ من أزواجه؟
قال: تلك حفصة وعائشة، فقلت له: والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذه منذ سنة، فما
أستطيع هيبة لك، قال: فلا تفعل ما ظننت أن عندي من علم، فسألني، فإن كنت أعلمه
أخبرتك، قال: وقال عمر: والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمرًا، حتى أنزل الله عز
وجل فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم قال: فبينما أنا في أمر أأمره، فقالت لي امرأتي: لو
صنعت كذا وكذا، فقلت لها: وما لك أنت ولما هاهنا؟ وما تكلفك في أمر أريد؟
فقالت: وأعجبًا لك يا ابن الخطاب ما تريد أن تراجع أنت، وإن ابنتك لتراجع رسول الله
ﷺ، حتى يظل يومه غضبان، قال عمر: فأخذت رداي، ثم أخرج مكاني، حتى أدخل على
حفصة، فقلت لها: يا بنية إنك لتراجعين رسول الله ﷺ، حتى يظل يومه غضبان؟ فقالت
حفصة: والله إنه لتراجعته فقلت: تعلمين أنني أحذر عقوقه الله، وعصب رسوله، يا بنية لا
تعرتك هذه التي قد أعجبها حسنها، وحب رسول الله ﷺ إياها، ثم خرجت حتى أدخل
على أم سلمة لقرأتي منها، فكلمتها، فقالت لي أم سلمة: عجبا لك يا ابن الخطاب قد
دخلت في كل شيء، حتى تبغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ، وبين أزواجه، فأخذتني
والله أخذًا، فكسرتني عن بعض ما كنت فيه، وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبت أنا
أتاني بالخبر، وإذا غاب كنت أنا آتية بالخبر، ونحن حينئذ نتخوف ملكًا من ملوك غسان
ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه، فأتاني صاحب الأنصار، فدق
الباب، فقال: افتح، فقلت: جاء العسائي، فقال أشد من ذلك: عزل رسول الله ﷺ

أَزْوَاجَهُ، فَقُلْتُ: رَغِمَ أَنْفُ حَفْصَةَ وَعَائِشَةَ، ثُمَّ أَخَذْتُ ثَوْبِي فَأَخْرَجْتُ، حَتَّى جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَشْرُوبَةٍ لَهُ يُرْتَقَى إِلَيْهَا بِعَجَلَةٍ، وَعَلَامٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْوَدٌ عَلَى رَأْسِ الدَّرَجَةِ، فَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ، فَأَذِنَ لِي قَالَ عُمَرُ: فَقَصَّصْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْحَدِيثَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ حَدِيثَ أُمِّ سَلَمَةَ تَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّهُ عَلَى حَصِيرٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ وَتَحْتِ رَأْسِهِ وَسَادَةٌ مِنْ آدَمَ حَشَوَهَا لَيْفٌ، وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرْطًا مَصْبُوغًا، وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهْبَاءٌ مُعَلَّقَةٌ، فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَكَيْتُ فَقَالَ: " مَا يُبْكِيكَ ؟ "، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ، وَإِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: " أَمَا تَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَهُمَا الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ ؟ " ٦٥٧

ولما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز، أتته الوفود، فإذا فيهم وفد الحجاز، فنظر إلى صبي صغير السن، وقد أراد أن يتكلم فقال: ليتكلم من هو أسن منك، فإنه أحق بالكلام منك، فقال الصبي: يا أمير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان في مجلسك هذا من هو أحق به منك، قال: صدقت، فتكلم، فقال: يا أمير المؤمنين، إنا قدمنا عليك من بلد تحمد الله الذي من علينا بك، ما قدمنا عليك رغبة منا ولا رهبة منك، أما عدم الرغبة، فقد أمانا بك في منازلنا، وأما عدم الرهبة، فقد أمانا جورك بعدلك، فنحن وفد الشكر والسلام. فقال له عمر رضى الله عنه: عظمي يا غلام. فقال: يا أمير المؤمنين إن أناساً غرهم حلم الله وثناء الناس عليهم، فلا تكن ممن يغره حلم الله وثناء الناس عليه، فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} (٢١) سورة الأنفال. فنظر عمر في سن الغلام فإذا له اثنتا عشرة سنة، فأنشدهم عمر رضى الله تعالى عنه:

تعلم فليس المرء يولدُ عالماً ولايسَ أخو علمٍ كمن هو جاهلٌ
وإنَّ كبيرَ القومِ لا علمَ عندهُ صغيرٌ إذا التفتَ عليه الجحافلُ
وإنَّ صغيرَ القومِ إن كانَ عالماً كبيرٌ إذا رُدَّتْ إليه المحافلُ ٦٥٨

٦٥٧ - مُسْتَخْرَجُ أَبِي عَوَّانَةَ (٣٧٠٩) صحيح

٦٥٨ - صور من ابتلاء العلماء مفهرس - (١ / ٧) والمستطرف في كل فن مستظرف - (١ / ٤٥)

ودخل المأمون يوماً بيت الديوان، فرأى غلاماً جميلاً على أذنه قلم، فقال: من أنت يا غلام؟ قال: أنا الناشئ في دولتك، والمتقلب في نعمتك، والمؤمل لخدمتك، الحسن بن رجاء؛ قال المأمون: بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول، ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته^{٦٥٩}.

وحكي أن البادية قحطت في أيام هشام، فقدمت عليه العرب، فهابوا أن يكلموه، وكان فيهم درواس بن حبيب، وهو ابن ست عشرة سنة، له ذؤابة، وعليه شملتان، فوقعت عليه عين هشام، فقال لحاجبه: ما شاء أحد أن يدخل علي إلا دخل حتى الصبيان، فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقاً فقال: يا أمير المؤمنين إن للكلام نشراً وطياً، وإنه لا يعرف ما في طيه إلا بنشره، فإن أذن لي أمير المؤمنين أن أنشره نشرته، فأعجبه كلامه، وقال له: أنشره الله درك، فقال: يا أمير المؤمنين إنه أصابتنا سنون ثلاث سنة أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم، وسنة دقت العظم، وفي أيديكم فضول مال، فإن كانت لله ففرقوها على عباده، وإن كانت لهم، فعلام تحبسونها عنهم، وإن كانت لكم، فتصدقوا بها عليهم، فإن الله يجزي المتصدقين، فقال هشام: ما ترك الغلام لنا في واحدة من الثلاث عذراً، فأمر للبوادي بمائة ألف دينار، وله بمائة ألف درهم، ثم قال له: ألك حاجة؟ قال: ما لي حاجة في خاصة نفسي دون عامة المسلمين، فخرج من عنده وهو من أجل القوم.^{٦٦٠}

فيؤخذ من هذه الأمثلة التي سردناها أن أبناء السلف كانوا يتربون على التحرر التام من ظاهرة الخجل، ومن بوادر الانكماش والانطوائية، وذلك بسبب تعويدهم على الجرأة، ومصاحبة الآباء لهم حضور المجالس العامة، وزيارة الأصدقاء، ثم بالتالي تشجيعهم على التحدث أمام الكبار، ثم دفع ذوي النباهة والفصاحة منهم لمخاطبة الخلفاء والأمراء، ثم استشارتهم في القضايا العامة، والمسائل العلمية في مجمع من المفكرين والعلماء.

وهذا كله مما ينمي في الأولاد الجرأة الأدبية ويغرس في نفوسهم أنبل معاني الفهم والوعي، ويهيئ بهم في أن يتدرجوا في مدارج الكمال وتكوين الشخصية، والنضج الفكري والاجتماعي..

^{٦٥٩} - العقد الفريد - (١ / ١٣٢)

^{٦٦٠} - المستطرف في كل فن مستظرف - (١ / ٤٦)

فما على المربين اليوم - ولاسيما الآباء - إلا أن يأخذوا بقواعد هذه التربية الفاضلة حتى ينشأ الأولاد على الصراحة التامة، والجرأة الكاملة ضمن حدود الأدب والاحترام ومراعاة شعور الآخرين، وإنزال الناس منازلهم.. وإلا فإن الجرأة ستنقلب إلى وقاحة، والصراحة إلى قلة أدب مع الآخرين.

وعلينا أن نميز بين الحياء والخجل للفرق الواضح بينهما:

فالخجل - كما مر - هو انكماش الولد وانطوائه وتجافيه عن ملاقاته الآخرين. أما الحياء فهو التزام الولد مناهج الفضيلة وآداب الإسلام.

فليس من الخجل في شيء أن نعوذ الولد منذ نشأته على الاستحياء من اقتراف المنكر، وارتكاب المعصية.

وليس من الخجل في شيء حين نعوذ الولد على توقير الكبير، وغض البصر عن المحرمات، وكف الأذن أن تسترق سرّاً، أو تكتشف خبئاً.

وليس من الخجل في شيء حين نعوذه على تزيه اللسان بأن يخوض في باطل، وعلى فطم البطن عن تناول المحرمات، وعلى صرف الوقت في طاعة الله، وابتغاء مرضاته!!..

وهذا المعنى من الحياء هو ما أوصى به رسول الله ﷺ فعن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: استحيوا من الله حقّ الحياء، قالوا: يا رسول الله، إنا نستحيي والحمد لله، فقال: من استحيا من الله حقّ الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وليذكر الموت والبلاء، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حقّ الحياء" ٦٦١

وعن سهل بن سعد، أن رسول الله ﷺ قال: "اللهم لا يدركني زمان، أو لا تدركوا زماناً لا يتبع فيه العليم، ولا يستحي فيه من الحليم، قلوبهم قلوب الأعاجم، وألسنتهم ألسنة العرب" ٦٦٢

وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: إن لكل دين خلقاً، وخلق الإسلام الحياء. ٦٦٣

٦٦١ - المعجم الصغير للطبراني - (١ / ٢٩٨) (٤٩٤) حسن لغيره

٦٦٢ - مسند أحمد بن حنبل (٢٢٣٦٩) حسن

المطلب الثاني- ظاهرة الخوف وعلاجها:

ظاهرة الخوف حالة نفسية تعترى الصغار والكبار، والذكور والإناث..وقد تكون هذه الظاهرة مستحبة إن كانت ضمن الحدود الطبيعية لدى الأطفال، لأنها تكون وسيلة في حماية الطفل من الحوادث، وتُجنّبهُ كثيراً من الأخطار..

ولكن إذا ازداد الخوف عن الحد المعتاد، وتجاوز حدود الطبيعة.. فإنه يسبب في الأطفال قلقاً نفسياً، فعنده يعتبر مشكلة نفسية يجب معالجتها والنظر فيها.

يقول المختصون بعلم نفس الأطفال: (إنّ الطفل في السنة الأولى قد يبدي علامات الخوف عند حدوث ضجة مفاجئة أو سقوط شيء بشكل مفاجئ أو ما شابه ذلك.. ويخاف الطفل من الأشخاص الغرباء اعتباراً من الشهر السادس تقريباً، وأما الطفل في سنته الثالثة فإنه يخاف أشياء كثيرة من الحيوانات والسيارات والمنحدرات والمياه وما شابه هذا..

وبوجه عام فإن الإناث أكثر إظهاراً للخوف من الذكور، كما تختلف شدته تبعاً لشدّة تخيل الطفل، فكلما كان أكثر تخيلاً كان أكثر تخوّفاً^{٦٦٤}

ولازدياد الخوف لدى الأطفال عوامل وأسباب، نذكر أهمها:

- تخويف الأم وليدها بالأشباح أو الظلام أو المخلوقات الغريبة.
- دلال الأم المفرط، وقلقها الزائد، وتحسسها الشديد.
- تربية الولد على العزلة والانطوائية والاحتماء بمجران المنزل.
- سرد القصص الخيالية التي تتصل بالجن والعفاريت.
- ...إلى غير ذلك من هذه العوامل والأسباب.

ولعلاج هذه الظاهرة في الأطفال يجب مراعاة الأمور التالية:

١- تنشئة الولد منذ نعومة أظفاره على الإيمان بالله، والعبادة له، والتسليم لجنابه في كل ما ينوب ويروع.. ولا شك أن الولد يُربّى على هذه المعاني الإيمانية، ويعوّد على هذه العبادات البدنية والروحية.. فإنه لا يخاف إذا ابتلي، ولا يهلع إذا أصيب.. وإلى هذا أرشد القرآن

^{٦٦٣} - سنن ابن ماجه - ط- الرسالة - (٥ / ٢٧٦) (٤١٨١) حسن لغيره

^{٦٦٤} - من كتاب المشكلات السلوكية عند الأطفال للدكتور نبيه الغيرة ص ١٥٠.

الكريم حين قال: { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) [المعارج: ١٩ - ٢٣] .

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ سَرِيعَ الْإِنْفِعَالِ وَالتَّأْتُرِ، فَهُوَ شَدِيدُ الْجَزَعِ، إِذَا مَسَّهُ مَكْرُوهٌ، كَثِيرُ الْمَنَعِ، إِذَا نَزَلَتْ بِهِ نِعْمَةٌ. ثُمَّ فَسَّرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَالتِّي بَعْدَهَا مَعْنَى قَوْلِهِ (هَلُوعًا)، فَقَالَ: إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ وَالضَّرُّ اسْتَوَلَى عَلَيْهِ الْحُزْنُ، وَأَنْخَلَعَ قَلْبُهُ مِنْ شِدَّةِ الرَّعْبِ، وَيَتَمَسَّ مَنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ خَيْرٌ بَعْدَهَا أَبَدًا. وَإِذَا حَصَلَتْ لَهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ بِخَلِّ بِهَا عَلَى غَيْرِهِ، وَمَنَعَ حَقَّ اللَّهِ فِيهَا. وَلَا يَسْتَشْنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِ الْإِنْسَانِ الذَّمِيمَةِ، الَّتِي تَتَمَثَّلُ بِالْهَلَعِ وَالْجَزَعِ وَالْمَنَعِ، إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ إِلَى الْخَيْرِ، وَهُمْ الْمُصَلُّونَ .

الَّذِينَ يُحَافِظُونَ عَلَى آدَاءِ الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا، لَا يَشْعَلُهُمْ عَنْهَا شَاغِلٌ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى فَضْلِ الْمَدَاوِمَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ. وَالَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَصِيبًا مُعِينًا يُنْفِقُونَهُ تَقَرُّبًا مِنَ اللَّهِ، وَطَلَبًا لِمَرْضَاتِهِ. يُنْفِقُونَهُ عَلَى ذَوِي الْحَاجَاتِ وَالبَائِسِينَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَهُمُ الْعَوْنَ .

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِيَوْمِ الْمَعَادِ وَالْحِسَابِ فَيَعْمَلُونَ لَهُ وَتَتَّظَرُّ آثَارُ ذَلِكَ فِي أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَتَصْرُفَاتِهِمْ. وَالَّذِينَ هُمْ خَائِفُونَ وَجِلُونَ مِنْ تَرْكِهِمُ الْفُرُوضِ وَالْوَاجِبَاتِ، وَمِنْ ارْتِكَابِ الْمَحْظُورَاتِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا فِي حَرِصِهِمْ عَلَى آدَاءِ الْمَزِيدِ مِنَ الطَّاعَاتِ. وَلَا يَنْبَغِي لِعَاقِلٍ أَنْ يَأْمَنَ عَذَابَ اللَّهِ، وَإِنْ زَادَ فِي الطَّاعَاتِ، وَلَا يَأْمَنُهُ أَحَدٌ إِلَّا بِأَمَانٍ مِنَ اللَّهِ. ^{٦٦٥}

٢- إعطاؤه حرية التصرف، وتحمل المسؤولية، وممارسة الأمور على قدر نموه، ومراحل تطوره، فعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ أَهْلِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ. ^{٦٦٦}

^{٦٦٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٢٧٢)

^{٦٦٦} - صحيح ابن حبان - (١٠ / ٣٤٢) (٤٤٩٠) صحيح

٣- عدم إخافة الولد - ولا سيما عند البكاء - بالغول والضبع، والحرامي، والجني والعفريت.. ليتحرر الولد من شبح الخوف وينشأ على الشجاعة والإقدام.. فعن أبي هريرة قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ احْرَصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ». ٦٦٧

٤- تمكين الطفل منذ أن يعقل بالخلطة العملية مع الآخرين، وإتاحة المجال له للالتقاء بهم، والتعرف عليهم، ليشعر الطفل من قرارة وجدانه أنه محل عطف ومحبة واحترام مع كل من يجتمع به، ويتعرف عليه، فعن أبي هريرة، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " الْمُؤْمِنُ مَأْلَفٌ، وَكَأَنَّ خَيْرَ فَيَمِّنُ لَأ يَأْلَفُ، وَلَا يُؤْلَفُ " ٦٦٨

ومما ينصح به علماء النفس والتربية: (ولا بأس بأن نجعل الطفل أكثر تعرفاً للشيء الذي يخيفه، فإذا كان يخاف الظلام فلا بأس بأن نداعبه بإطفاء النور ثم إشعاله، وإن كان يخاف الماء فلا بأس بأن نسمح له بأن يلعب بقليل من الماء في إناء صغير أو ما شابهه، وإن كان يخاف من آله كهربائية كمكنسة كهربائية مثلاً فلا بأس بأن نعطيه أجزاءها ليلعب بها ثم نسمح له بأن يلعب بها كاملة، وهكذا...) ٦٦٩

٥- تلقينهم مغازي رسول الله ﷺ، ومواقف السلف البطولية، وتأديبهم على التخلص بأخلاق العظماء من القواد والفاثحين، الصحابة والتابعين.. ليتطبعوا على الشجاعة الفائقة، والبطولة النادرة، وحب الجهاد، وإعلاء كلمة الله.

وما هذه التوجيهات من رسول الله ﷺ، وأصحابه الكرام من بعده.. إلا برهان قاطع على اهتمام الإسلام بتربية الأولاد على الشجاعة، وحثهم على الإقدام.. ليكونوا في المستقبل جيل الإسلام الصاعد في إشادة صرح الإسلام الشامخ، ورفع منار العزة الإسلامية في العالمين..

٦٦٧ - صحيح مسلم - المكثر - (٦٩٤٥)

٦٦٨ - مُسْنَدُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (٩٠٣٢) صحيح

٦٦٩ - من كتاب المشكلات... ص ١٥٢ للدكتور نبيه الغيرة.

وفي المناسبة نقتطف من سيرة أبناء الصحابة الكرام مواقف بطولية خالدة كان لها في التاريخ ذكر، وفي الأجيال قدوة.. وما زالت أخبارهم مضرب الأمثال، وسيرتهم مفخرة الأجيال، ومواقفهم أعجوبة التاريخ:

عَنْ صَالِحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ فَظَنَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي فَإِذَا أَنَا بِعُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةً أَسْتَأْنِهُمَا، تَمَنَيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعِ مِنْهُمَا، فَعَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ يَا عَمُّ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ قُلْتَ نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي قَالَ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا . فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَعَمَزَنِي الْآخَرَ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي . فَأَبْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ « أَيُّكُمَا قَتَلَهُ » . قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَا قَتَلْتُهُ . فَقَالَ « هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا » . قَالَا لَا . فَظَرَفَ فِي السَّيْفَيْنِ فَقَالَ « كَلَّا كَمَا قَتَلَهُ » . سَلْبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحَمُوحِ . وَكَانَا مُعَاذَ ابْنَ عَفْرَاءَ وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْحَمُوحِ ٦٧٠ .

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ ، أَنَّ امْرَأَةً ، دَفَعَتْ إِلَى ابْنِهَا يَوْمَ أُحُدِ السَّيْفَ ، فَلَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ فَشَدَّتْهُ عَلَى سَاعِدِهِ بِنِسْعَةٍ ، ثُمَّ أَتَتْ بِهِ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا ابْنِي يُفَاتِلُ عَنكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: " أَيُّ بَنِيَّ ، أَحْمَلُ هَاهُنَا، أَيُّ بَنِيَّ أَحْمَلُ هَاهُنَا " فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ ، فَضَرَعَتْ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَيُّ بَنِيَّ ، لَعَلَّكَ جَزَعْتَ ؟ قَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ " ٦٧١

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: " رَأَيْتُ أَخِي عُمَيْرَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَبْلَ أَنْ يَعْرِضَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْخُرُوجِ إِلَى بَدْرٍ يَتَوَارَى، فَقُلْتُ مَا لَكَ يَا أَخِي ؟ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَرَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَسْتَصْغِرَنِي فَيُرَدِّنِي، وَأَنَا أَحِبُّ الْخُرُوجَ، لَعَلَّ اللَّهَ يَرْزُقُنِي

٦٧٠ - صحيح البخارى - المكثر - (٣١٤١)

٦٧١ - مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ (٣٦١٢١) صحيح مرسل

الشَّهَادَةَ، قَالَ: فَعَرِضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَصْعَرَهُ فَقَالَ: " ارْجِعْ "، فَبَكَى عُمَيْرٌ فَأَجَازَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ سَعْدٌ: فَكُنْتُ أَعْقِدُ لَهُ حِمَائِلَ سَيْفِهِ مِنْ صِغَرِهِ، فَقَتَلَ بَدْرًا وَهُوَ ابْنُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً. قَتَلَهُ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ ٦٧٢

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: " عُرِضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَيْشَ بَدْرٍ فَرَدَّ عُمَيْرَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ فَبَكَى عُمَيْرٌ فَأَجَازَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعَقَدَ عَلَيْهِ حِمَائِلَ سَيْفِهِ ٦٧٣

فيؤخذ من هذه الأمثلة التاريخية وغيرها.. أن أبناء الصحابة رضي الله عنهم، كانوا على جانب عظيم من الشجاعة الفائقة، والبطولة النادرة، والجهاد الجريء.. وما ذاك إلا بفضل التربية القويمة التي تلقوها من مدرسة النبوة، والبيت المسلم، والمجتمع المؤمن المجاهد الشجاع!!..

وبالتالي كان الآباء يربون أولادهم منذ الصغر على الفروسية والشجاعة والرجولة والإقدام واقتحام الأخطار والشدائد.. حتى إذا بلغوا سن الحركة والانطلاق - وهم لم يناهزوا الحلم بعد - مضوا في مواكب التحرير والجهاد وابتغاء الرزق دعاة صادقين، وأبطالاً مجاهدين، وطلاباً للكسب عاملين!!..

ونذكر على سبيل المثال موقفاً نبيلاً لغلام مؤمن يسأل أباه أن يُمكنه ليجوبَ مناكبَ الأرض ويسعى في أرحائها عسى أن يفتح لنفسه طريق المجد، ويصل إلى قمة السعادة والكرامة.. بل كان يخاطب أباه بأبيات من الشعر تفيض عزة وأنفة وإباء!!..

اقذف السرج على الم — مهر وقرطه اللجاما

ثم صبّ الدرع في رأسي وناولني الحساما

فمتى أطلب إن لم أطلب الرزق غلاما

سأجوب الأرض أبغى —هـ حالاً لا حراما

فلعل الظعن ينفي الف — قراً أو يُدني الحماما

ونشأ هذا الجيل الفريد على هذه الخصال، ودرجوا على هذه المكارم..

٦٧٢ - الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ (٣٠٠٥) ضعيف

٦٧٣ - الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ (٤٨٥٢) صحيح

لأنهم تربوا منذ نعومة أظفارهم على الرماية والسباحة وركوب الخيل..
لأنهم لم يتربوا على الدلال المفرط، والانطوائية القتالة.
لأنهم كانوا يشعرون بمسؤولياتهم، والثقة بأنفسهم..
لأنهم تعودوا على الاخشيستان، وألعاب الفروسية، وركوب متن الأسفار..
لأنهم أدبوا على أن يخالطوا من كان في سنهم من أبناء عموماتهم وعشيرتهم.
لأنهم كانوا يتلقون سيرة الأبطال والشجعان، وأخبار الفاتحين والقواد..
إلى غير ذلك من هذه المكارم التي رضعوها، والتربية القويمة التي تلقونها!!..
وهل يُنبت الخطيِّ إلا وشيخُه وتُعرَس إلا في منابتها النخل
ويوم يمشي الآباء والمربون على هذا المنهج العظيم الذي مشى عليه جدودنا البواسل
والأمجاد..

ويوم يترى أولادنا على هذه الخصال، وهاتيك المكارم..
ويوم يأخذون بقواعد التربية الصحيحة في تحرير الأولاد من الخوف والجبن والخور..
يوم يفعلون كل هذا، يتحول الجيل يومئذ من القلق إلى الثقة، ومن الخوف إلى
الشجاعة، ومن الخور إلى العزيمة، ومن الخنوع والذلة إلى حقيقة العزة والكرامة..
ويكون متحققاً بقوله تبارك وتعالى: { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَأَ
يَعْلَمُونَ } (٨) سورة المنافقون.

المطلب الثالث- ظاهرة الشعور بالنقص وعلاجها:

الشعور بالنقص حالة نفسية تعترى الأولاد لأسباب خلقية ومرضية، أو عوامل تربية، أو
ظروف اقتصادية..
وهذه الظاهرة هي من أخطر الظواهر النفسية في تعقيد الولد وانحرافه وتحوّله إلى حياة
الرديلة والشقاء والإجرام...
وإذا كنا نبحث في أسباب كل ظاهرة وعلاجها على ضوء الإسلام.. فعلياً أن نخصّ هذه
الظاهرة بالتفصيل أسباباً وعلاجاً، لأهميتها وخطورها وآثارها..

عسى أن يولي الآباء والأمهات والمربون جميعاً اهتمامهم في اتخاذ الأسباب الوقائية، والوسائل العلاجية في تحرير الولد من كل مركبات النقص، والعُقد النفسية.. ليضمنوا لأولادهم تربية نفسية صحيحة، وتكويناً خلقياً سليماً!!..

والعوامل التي تسبب ظاهرة الشعور بالنقص في حياة الولد هي كما يأتي:

١- التحقير والإهانة ٢- الدلال المفرط

٣- المفاضلة بين الأولاد ٤- العاهات الجسدية

٥- اليُتم ٦- الفقر.

وإن شاء الله في هذا البحث فسند كل عامل بشيء من التفصيل، ثم نعرّج إلى ذكر العلاج على ضوء الإسلام، والله المستعان، ومنه نستمد التأييد والساداد.

١- التحقير والإهانة:

أما التحقير والإهانة فهو من أقبح العوامل في انحرافات الولد النفسية، بل هو من أكبر العوامل في ترسيخ ظاهرة الشعور بالنقص لدى الأطفال.. فكثيراً ما نسمع أن الأم أو الأب (شَهْر بالولد حين ينحرف أول مرة عن سنن الأخلاق الكريمة، فإذا كذب مرة ناديناه دائماً بالكذاب، وإذا لطم أخاه الصغير مرة واحدة ناديناه بالشرير، وإذا احتال على أخته الصغيرة فأخذ منها تفاحة كانت بيدها ناديناه بالحتال، وإذا أخذ من جيب أبيه قلماً ناديناه بالسارق، وإذا طلبنا منه كأس ماء للشرب فأبى ناديناه بالكسول، وهكذا نشهر به أمام إخوته وأهله من الزلة الأولى...).

ومن مظاهر التحقير والإهانة في بيئاتنا مناداة الولد بكلمات نابية، وعبارات قبيحة أمام الإخوة والأقارب، وفي بعض الأحيان أمام أصدقاء الولد، أو أمام غرباء ما سبق أن رأهم واجتمع بهم، وهذا - لا شك - مما يجعل الولد ينظر إلى نفسه أنه حقير مهين، ومن سقط المتاع لا قيمة له ولا اعتبار، وهذا - أيضاً - مما يولّد في نفسه العُقد النفسية التي تدفعه إلى أن ينظر إلى الآخرين نظرة حقد وكرهية.. وأن ينطوي على نفسه فاراً من أبناء الحياة، منهزماً من تكاليفها ومسؤولياتها!!..

ومن هنا نعلم أية جناية نجنيها على أبنائنا وبناتنا حين نرّجّ بهم إلى الحياة في جو هذه التربية الفاسدة المليئة بالأخطاء والمعاملة القاسية.

فيكف نرجو من الأولاد طاعة وبرا، وتوقيراً واحتراماً، واتزاناً واستقامة.. ونحن قد غرسنا في نفوسهم وهم صغار بذور هذا الانحراف أو العقوق أو التمرد..؟!!

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر عمر الولد وأبّه على عقوقه لأبيه، ونسيانه لحقوقه عليه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال عمر: بلى! قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟

قال عمر: أن ينتقي أمه، ويحسّن اسمه، ويعلمه الكتاب (القرآن).

قال الولد: يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك، أما أمي فإنها زنجية كانت لجوسي..، وقد سمانني جُعلاً (أي خنفساء)، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً.

فالتفت عمر إلى الرجل، وقال له: جئت إليّ تشكو عقوق ابنك وقد عَقَقْتَهُ قبل أن يُعَفِّكَ، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك.^{٦٧٤}

ومن طرائف ما ذكر أن أبا عيّر ولده بأمه، وقال له: أتخالفي وأنت ابن أمة؟ فقال الولد لأبيه إن أمي والله خير منك يا أبي!!.. قال الأب: لم؟

قال الولد: لأنها أحسنت الاختيار فولدتني من حر، وأنت أسأت الاختيار فولدتني من أمة!!..

ونحن لا نشك أن الكلمات النابية القبيحة التي تترلق من الأب للولد لم تصدر إلا من غاية تأديبية إصلاحية.. لذنوب كبير أو صغير وقع فيه وبدر منه!!.

ولكن المعالجة لارتكاب هذا الذنب لا تصلح بهذه الحالة الغضبية، والطريقة التعنيفية.. التي تترك آثاراً خطيرة في نفسية الولد وسلوكه الشخصي.. وبالتالي تجعل منه إنساناً يتطبع على لغة السبّ والشتائم، ويتخلق بأخلاق المنحرفين الحمقى.. ونكون بهذه المعاملة القاسية قد

^{٦٧٤} - تنبيه الغافلين، الإصدار ٢ - (١ / ١٩)

جنينا على الولد، وطمناه نفسياً وخلقياً من حيث نعلم أو لا نعلم، بدل أن نعدّه إنساناً متزناً عاقلاً سوياً يمشي في دروب الحياة على نور العقل والاتزان والاستقامة والحق المبين.. ولكن ما هي معالجة الإسلام للولد إذا وقع منه خطأ أو صدرت هفوة؟
المعالجة الصحيحة أن نبهه على خطئه برفق ولين، ونقنعه بالحجج الدامغة، وأن الذي صدر منه لا يرضى به إنسان عاقل ذو فهم وبصيرة وفكر ناضج رزين..
فإن فهم واقتنع وصلنا إلى ما نريد في إصلاح خطئه ومعالجة انحرافه.. وإلا فالمعالجة ستكون بأسلوب آخر وهو العقوبة .

وهذه الطريقة الرفيعة اللينة في التأديب هي طريقة الرسول ﷺ.

وإليكم بعض النماذج في معاملته ولينه ووصاياه:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتَى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنَاءِ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ . مَهْ . فَقَالَ: ائْذَنْهُ، فَذَنَا مِنْهُ قَرِيْبًا . قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمَّكَ ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ . قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ . قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ . قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ . قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ . قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ . قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ . قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ . قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ . قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. ٦٧٥

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ. فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ وَأُتْكَلُ أُمِّيَاهُ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَيَّ أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتَهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا

٦٧٥ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٤٠٧) (٢٢٢١١) ٢٢٥٦٤ - صحيح

مِنْهُ فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي قَالَ « إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ » ٦٧٦ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: حَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: - مَهْ مَهْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: - « لَا تُزْرِمُوهُ ». فَلَمَّا فَرَغَ دَعَا بِهِ النَّبِيُّ ﷺ - فَقَالَ: « إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُتَّخَذْ لِهَذَا الْخِلَاءِ وَالْبَوْلِ وَالْقَذْرِ، إِنَّمَا تُتَّخَذُ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَلِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ». ثُمَّ أَمَرَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ بِذُنُوبٍ أَوْ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ. ٦٧٧

وَعَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقْعُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَيَّ بَوْلَهُ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ - أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ - فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسَّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسَّرِينَ » ٦٧٨

ومن وصاياه عليه الصلاة والسلام في الرفق واللين:

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ - فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكَ. فَقُلْتُ بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ. فَقَالَ « يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ ». قُلْتُ أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ « قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ » ٦٧٩ وَعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ ». ٦٨٠

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَ: رَكِبْتُ عَائِشَةَ بَعِيرًا، فَكَانَ مِنْهُ صُعُوبَةٌ، فَجَعَلَتْ تُرَدِّدُهُ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، فَإِنَّهُ لَا يَكُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ. ٦٨١
وَعَنْ جَرِيرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ يُحْرِمِ الرَّفْقَ يُحْرِمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ ». ٦٨٢

٦٧٦ - صحيح مسلم - المكثر - (١٢٢٧) - كهر: نمر وويخ

٦٧٧ - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٢ / ٤١٣) (٤٣١٢) صحيح

٦٧٨ - صحيح البخارى - المكثر - (٦١٢٨)

٦٧٩ - صحيح البخارى - المكثر - (٦٩٢٧)

٦٨٠ - صحيح مسلم - المكثر - (٦٧٦٧) - شانه: الشين: ضد الزين، وهو العيب.

٦٨١ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ٣٢٣) (٢٥٣٨٦) (٢٥٩٠٠) صحيح

٦٨٢ - سنن أبي داود - المكثر - (٤٨١١) صحيح

فالذي نخلص إليه بعد ما تقدم أن تحقير الولد وتعنيفه بشكل مستمر دائم – ولاسيما أمام الحاضرين – هو من أكبر العوامل في ترسيخ ظاهرة الشعور بالنقص..ومن أعظم الأسباب في انحرافات الولد النفسية والخلقية..وخير علاج لهذه الظاهرة هو تنبيه الولد على خطئه إذا أخطأ برفق ولين مع تبيان الحجج التي يقتنع بها في اجتناب الخطأ..وعلى المرابي إن أراد زجر الولد وتوبيخه ألا يكون ذلك أمام الحاضرين، كما يجب أن يسلك معه في بادئ الأمر الأسلوب الحسن في إصلاحه وتقويم اعوجاجه، وهذه الطريقة هي طريقة الرسول عليه الصلاة والسلام في الإصلاح والتربية وتقويم الاعوجاج..

٢- الدلال المفرط:

أما عامل الدلال المفرط فهو أيضاً من العوامل الخطيرة في انحراف الولد النفسي والخلقي..لما يؤول في الغالب إلى استشعاره بمركب النقص، ونظرته الحاقدة إلى الحياة..ومن نتائجه في الأحوال العادية الخجل، والخنوع، وفقدان الرجولة والشجاعة، وضعف الثقة بالنفس، والتدرج نحو الميوعة، والتخلف عن الأقران..

أما كون الدلال المفرط يولد في نفس الطفل ظاهرة الشعور بالنقص، والنظرة الحاقدة إلى الحياة فللاعتبارات التالية:

يرى الناس يتقدمون وهو في ذيل القافلة.

يرى الناس في إقدام وشجاعة وهو في خوف وجبن.

يرى الناس في حركة وعراك ومجاهدة..وهو في صمت وسكون وجمود..

يرى الناس في تلاق واجتماع وهو في انطوائية وعزلة..

يرى الناس يسعون للمصاعب..وهو في بكاء وجزع إذا أصابته أدنى مصيبة..

فولّد هذا شأنه، وهذه حاله..هل يكون إنساناً سويّاً؟ وهل يكون عضواً نافعاً للمجتمع؟

وهل تكون نظرته إلى الحياة نظرة أمل وتفاؤل؟ وهل يكون إنساناً ذا شخصية استقلالية

يثق بنفسه، ويعتمد عليها؟

فإذا كان الجواب لا !!..

فلماذا يغالي الأبوان في تدليل الولد؟ ولماذا يدلّعانه هذا الدَّلْع؟ ولماذا يتعلقان به هذا التعلق الزائد؟ ولاسيما الأم، فإن عندها من الرعاية المفرطة لوليدها أو من الوسوسة إذا صح التعبير.. ما يدفعها إلى أن تُفْرِطَ في احتضان ابنها وتدليله بشكل يخرجها عن المألوف وحدود الاعتدال..

وهذه ظاهرة خطيرة نراها في كثير من الأمهات اللواتي لا يعرفن قواعد التربية الإسلامية في تربية الولد:

فمن مظاهر هذه التربية الخاطئة عند الأم عدم السماح للولد بأن يقوم بالأعمال التي أصبح قادراً عليها اعتقاداً منها أن هذه المعاملة من قبيل الشفقة والرحمة للولد..

ومن مظاهر هذه التربية الخاطئة احتضان الولد بشكل دائم، فهي لا تسمح لنفسها - إن كانت فارغة - أن تتركه أبداً سواء أكان الاحتضان له مبرراته أم لم يكن.

ومن مظاهر هذه التربية الخاطئة أن لا تترك الأم ولدها يغيب عن ناظريها لحظة واحدة مخافة أن يصاب بسوء.

ومن مظاهرها أيضاً عدم محاسبتها لولدها حينما يفسد أثاث المنزل، أو عندما يتسلق المنضدة، أو عندما يسود الجدار بقلمه..

وتزداد مظاهر التدليل المفرط في نفس الأبوين سوءاً عندما يرزقان الطفل بعد سنوات كثيرة، أو أنجبت الأم هذا الطفل بعد عدة إجهاضات مستمرة، أو كان الطفل ذكراً بعد عدة إناث، أو إن شفي الطفل من مرض شديد هدد حياته بالخطر المحقق..

ولكن ما العلاج الذي وضعه الإسلام للتخفيف من هذه الظاهرة؟

أ- تعميق عقيدة القضاء والقدر في نفس الأبوين، حتى يعتقدوا أن ما يصيب أولادهم من صحة أو مرض، أو ما يعرض لهم من نعمة أو شقاء، أو ما يقدر الله عليهم من نسل أو عقم، أو يتليهم به من غنى أو فقر.. كل ذلك بمشيئة الله سبحانه، وبقضائه وقدره..

قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣)}

سورة الحديد

مَا أَصَابَكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ مَصَائِبَ فِي آفَاقِ الْأَرْضِ كَقَحْطِ وَجَدْبٍ وَقَلَّةِ رِزْقٍ... وَمَا أَصَابَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَمْرَاضٍ وَأَسْقَامٍ وَنَكَبَاتٍ.. إِلَّا وَهُوَ مَسْطُورٌ فِي أَمِّ الْكِتَابِ عِنْدَ اللَّهِ، قَبْلَ أَنْ يَبْرَأَ اللَّهُ هَذِهِ الْخَلِيقَةَ (أَوْ قَبْلَ أَنْ يَبْرَأَ اللَّهُ هَذِهِ النَّفُوسَ)، وَعَلِمَ اللَّهُ السَّابِقُ بِمَا سَيَقَعُ مِنْ أَحْدَاثٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ، وَإِبْتِائُهُ فِي كِتَابٍ، هُوَ سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَيْهِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ .

وَقَدْ أَعْلَمَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا النَّاسُ بِتَقَدُّمِ عِلْمِهِ لِمَا سَيَقَعُ مِنَ الْأَحْدَاثِ، وَبِسَبْقِ كِتَابَتِهِ كُلِّ مَا سَيَقَعُ قَبْلَ حُدُوثِهِ، لِتَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَصَابَكُمْ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكُمْ، فَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَتَحَسَّرُوا، وَلِكَيْلًا تَقُولُوا: لَوْ فَعَلْنَا كَذَا لَكَانَ كَذَا، وَلَوْ لَمْ نَفْعَلْ كَذَا لَمَا كَانَ كَذَا وَلِكَيْلًا تَفْخَرُوا عَلَى النَّاسِ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِسَعْيِكُمْ، وَلَا بِكَدِّكُمْ، وَإِنَّمَا هُوَ عَنْ قَدْرِ اللَّهِ وَرِزْقِهِ، فَلَا تَتَّخِذُوا نِعْمَةَ اللَّهِ أَشْرًا وَبَطْرًا، وَتَفْخَرُوا بِهَا عَلَى النَّاسِ ^{٦٨٣}

وقال جل جلاله: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ} (سورة الشورى ٤٩)

وقال عز من قائل: {وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)}
البقرة: ١٥٥-١٥٧.

ب- التدرج في تأديب الولد، فإن كان ينفع مع الولد النصيح والوعظ فلا يجوز للمربي أن يلجأ إلى الهجر، وإن كان ينفع الهجر فلا يجوز له أن يلجأ إلى الضرب.. وإذا عجز المربي عن إصلاح الولد وتقويم اعوجاجه بعد أن اتخذ كل الوسائل التأديبية والزجرية فعندئذ يلجأ إلى الضرب غير المبرح.

٦٨٣ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٩٧٥)

ج- تربية الولد منذ نعومة أظفاره على الاخشيستان، والثقة بالنفس، وتحمل المسؤولية، والجرأة الأدبية... حتى يشعر الولد بكيانه ووجوده، وحتى يتحسس بواجبه ومسؤوليته..

أما أن تكون التربية للولد قائمة على الاخشيستان فللحديث الذي جاء عن قتادة، قال: سَمِعْتُ أَبَا عُمَانَ، يَقُولُ: أَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ وَنَحْنُ بِأَذْرَبِيحَانَ مَعَ عَثْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّزَرُّرُوا وَارْتَدُّوا وَانْتَعَلُوا وَارْمُوا بِالْخِفَافِ وَأَقْطَعُوا السَّرَاوِيلاتِ، وَعَلَيْكُمْ بِلِبَاسِ أَبِيكُمْ إِسْمَاعِيلَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعَّمَ وَزِيَّ الْعَجَمِ، وَعَلَيْكُمْ بِالشَّمْسِ فَإِنَّهَا حَمَامُ الْعَرَبِ، وَاحْشَوْشِنُوا وَاحْلَوْلُوا وَارْمُوا الْأَغْرَاضَ، وَانزُوا نَزْوَاً، وَالنَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا عَنِ الْحَرِيرِ إِلَّا هَكَذَا: أُصْبِعِيهِ وَالْوَسْطَى وَالسَّبَابَةَ قَالَ: فَمَا عَلِمْنَا أَنَّهُ يَعْنِي إِلَّا الْأَعْلَامَ. ٦٨٤

وعن معاذ بن جبل: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ بِهِ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: إِيَّاكَ وَالتَّنَعَّمَ؛ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيَسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ. ٦٨٥

وأما أن تكون التربية قائمة على الثقة بالنفس وتحمل المسؤولية فلعوم الحديث الذي روي عن ابن عمر - رضی الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: « كَلُّكُمْ رَاعٍ، وَكَلُّكُمْ مَسْتُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْتُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْتُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْتُولَةٌ عَنِ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْتُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ - قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْتُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ وَكَلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْتُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ » ٦٨٦ . فهو يشمل الصغير والكبير، والمرأة والرجل، والحاكم والمحكوم..

ولتوجيه عمر رضي الله عنه، فعن أسامة بن زيد، حَدَّثَنِي مَكْحُولُ الدَّمَشَقِيُّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ: " أَنْ عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ السَّبَاحَةَ وَالرَّمِيَّ وَالْفُرُوسِيَّةَ ٦٨٧

٦٨٤ - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٢٦٩) (٥٤٥٤) صحيح

٦٨٥ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٣٧٥) (٢٢١٠٥) (٢٢٤٥٦) - حسن

٦٨٦ - صحيح البخاري - المكثر - (٨٩٣)

٦٨٧ - فضائل الرمي لإسحاق القرابي (١٥) فيه انقطاع

ومن المعلوم أن الولد - وهو صغير - حين يتعلم كيف يسبح؟ وكيف يرمي؟ وكيف يركب الخيل؟ يكون قد وثق بنفسه، وشعر بوجوده وشخصيته، وبالتالي تدرج على تحمل المشاق والمسؤوليات..

وأما أن تكون التربية قائمة على الجرأة الأدبية فلحديث جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ قُلْنَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ حَدَّثَ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ - فَبَايَعَنَا ﷺ - فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا، وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ^{٦٨٨} ..

ولا شك أن هذه المبايعة تشمل الصغار والكبار، والرجال والنساء..

وتحمل الأمانة والمسؤولية وإشعار للواحد منهم أنه إنسان ذو شخصية وكرامة وكيان!!..
د- الاقتداء بالرسول ﷺ وهو صغير إلى أن ترعرع شاباً إلى أن بعثه الله نبياً، لأن الله سبحانه أديبه فأحسن تأديبه، وشمله برعايته، وصنعه على عينه..

وها نحن أولاء سنسرد بعض النماذج في كل مراحل حياته - ولاسيما سن الطفولة والشباب - لتكون للمربين هداية ونبراساً، وللأجيال المؤمنة قدوة وأسوة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - ﷺ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ ». فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ فَقَالَ « نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيضَ لِأَهْلِ مَكَّةَ »^{٦٨٩} .

عن عَمْرٍو بْنِ دِينَارٍ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ لَمَّا بُنِيَتِ الْكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ - وَعَبَّاسٌ يَنْقُلَانِ الْحِجَارَةَ، فَقَالَ عَبَّاسٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ - اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ يَقِيكَ مِنَ الْحِجَارَةِ، فَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ، وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ « إِزَارِي إِزَارِي ». فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ^{٦٩٠} .

^{٦٨٨} - صحيح البخارى - المكثر - (٧٠٥٥)

^{٦٨٩} - صحيح البخارى - المكثر - (٢٢٦٢) - القراريض: جمع قيراط وهو من أجزاء الدينار

^{٦٩٠} - صحيح البخارى - المكثر - (٣٨٢٩) - طمحت: ارتفعت

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا ذَكَرَ لِي - يُحَدِّثُ عَمَّا كَانَ اللَّهُ يَحْفَظُهُ بِهِ فِي صَعْرِهِ وَأَمْرٍ جَاهِلِيَّتِهِ أَنَّهُ قَالَ لَقَدْ رَأَيْتَنِي فِي غِلْمَانِ قُرَيْشٍ نَنْتَقِلُ حِجَارَةً لِبَعْضِ مَا يَلْعَبُ بِهِ الْعِلْمَانُ كُلَّنَا قَدْ تَعَرَّى، وَأَخَذَ إِزَارَهُ فَجَعَلَهُ عَلَى رَقَبَتِهِ يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ فَيَأْتِي لِأَقْبَلِ مَعَهُمْ كَذَلِكَ وَأُدْبِرُ إِذْ لَكُمْنِي لَكُمْ مَا أَرَاهُ لَكُمْ وَجِيعَةً ثُمَّ قَالَ شَدَّ عَلَيْكَ إِزَارَكَ؛ قَالَ فَأَخَذَتْهُ وَشَدَّدَتْهُ عَلَيَّ ثُمَّ جَعَلَتْ أَحْمِلُ الْحِجَارَةَ عَلَى رَقَبَتِي وَإِزَارِي عَلَيَّ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي^{٦٩١}

وكان ﷺ يخرج للسفر والتجارة، وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام سافر مرتين: مرة قبل البلوغ مع عمه أبي طالب، فعن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبيه، رضي الله عنه، قال: خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الرهيب، هبطوا فحلفوا رجالهم، فخرج إليهم الرهيب، وكانوا قبل ذلك يمرّون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت إلى أحد منهم، فجاء فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ، فقال: هذا سيّد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا ابتعثه الله رحمة للعالمين، فقال له الأشياخ من قريش: ما علمك؟ قال: إنكم حين أشرفتم من العقبة، لم تبق شجرة ولا حجر إلا سجد، ولا يسجد ذلك إلا لني، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل عن عضروف كتفه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به، قال: أرسلوا إليه، وكان في رعيّة الإبل، فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبّوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، قال: انظروا مال فيء الشجرة عليه، فبينما هو قائم عليه وهو يناشدهم ألا تذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه، قال: ثم التفت، فإذا هو بتسع فوارس قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا إلى هذا النبي الذي هو خارج في هذا الشهر، ولم يبق طريق إلا وقد بعث إليه أناس، وإنا قد أخبرنا خبره فبعثنا إلى طريقك هذا، فقال لهم: هل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: إنما اختارنا خيرة لطريقك هذا، قال: أفرايتم أمراً أراد الله تبارك وتعالى أن يقضيه، هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا، قال: فارجعوا، قال: فتابعوه

٦٩١ - سيرة ابن هشام - (١ / ١٨٣) بلا سند

وَرَجَعُوا، قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى هَؤُلَاءِ، فَقَالَ: أَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ أَيُّكُمْ وَئِيهِ؟ قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ، قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يَنَاشِدُهُ أَنْ يَرُدَّهُ، حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ وَبَعَثَ مَعَهُ مَنْ... ٦٩٢

والمرة الثانية بعد البلوغ بتوجيه خديجة رضي الله عنها. فعن جابر قال: استأجرت خديجة رضي الله عنها رسول الله - ﷺ - سفرتين إلى حُرَشٍ كُلِّ سَفْرَةٍ بِقُلُوصٍ ٦٩٣ .

وكان ﷺ قد شارك في الحرب وهو دون الحلم، فمما ذكرته كتب السير أنه كان عليه الصلاة والسلام يُنبئ على أعمامه في حرب الفجار. قال رسول الله ﷺ: كُنْتُ أَنْبَأُ عَلَى أَعْمَامِي: أَيُّ أَرَدَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ عَدُوَّهُمْ إِذَا رَمَوْهُمْ بِهَا ٦٩٤ .

وكان ﷺ حينئذ ابن أربع عشرة أو خمس عشرة سنة، وقيل ابن عشرين، ويرجح الأول أنه كان يجمع النبال ويناؤها لأعمامه، مما يدل على حداثة سنة.

وبذلك اكتسب الجرأة والشجاعة والإقدام، وتمرن على القتال منذ ريعان شبابه ٦٩٥
عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ مَوْلَاهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ كَانَ فِيْمَنْ يَبْنِي الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: وَلِي حَجْرٌ أَنَا نَحْتُهُ بِيَدَيَّ أَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَأَجِيءُ بِاللَّبَنِ الْخَائِرِ الَّذِي أَنْفَسُهُ عَلَى نَفْسِي، فَأَصْبُهُ عَلَيْهِ، فَيَجِيءُ الْكَلْبُ فَيَلْحَسُهُ، ثُمَّ يَشْعُرُ فَيَبُولُ فَيَبِينُنَا حَتَّى بَلَعْنَا مَوْضِعَ الْحَجَرِ، وَمَا يَرَى الْحَجَرَ أَحَدٌ، فَإِذَا هُوَ وَسَطُ حِجَارَتِنَا مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ يَكَادُ يَتَرَاءَى مِنْهُ، وَجْهَ الرَّجُلِ فَقَالَ: بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ نَحْنُ نَضَعُهُ، وَقَالَ: آخَرُونَ نَحْنُ نَضَعُهُ، فَقَالُوا: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ حَكَمًا، قَالُوا: أَوَّلَ رَجُلٍ يَطْلُعُ مِنَ الْفَجِّ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالُوا: أَتَأْكُمُ الْأَمِينُ، فَقَالُوا لَهُ: فَوَضَعَهُ فِي ثَوْبٍ، ثُمَّ دَعَا بَطُونَهُمْ فَأَخَذُوا بِنَوَاحِيهِ مَعَهُ، فَوَضَعَهُ هُوَ ﷺ. ٦٩٦

٦٩٢ - المستدرک للحاکم (٤٢٢٩) ومسنَد البزار كاملا - (١ / ٤٦٧) (٣٠٩٦) حسن

٦٩٣ - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٦ / ١١٨) (١١٩٧٦) حسن

٦٩٤ - سيرة ابن هشام - (١ / ١٨٦) بلا سند

٦٩٥ - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - (١ / ٧٨)

٦٩٦ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٣٤١) (١٥٥٠٤) (١٥٥٨٩) - صحيح

ويكفيه ﷺ فخراً وشرفاً أن يترى - وهو اليتيم الصغير - على خير ما تتحلى به النفوس من كريم الخصال، وحميد الصفات، وجميل العادات.. فلم يسجد لصنم ولم يشارك الجاهلية في مفاستها، ولم يذق شيئاً من لحوم قرايينها.

ولا عجب أن ينسب ذلك إلى ربه الذي أحاطه بعنايته، وصنعه على عينه، وتولى تأديبه فقال عليه الصلاة والسلام: "أدبني ربي فأحسن تأديبي" رواه العسكري^{٦٩٧}.

فهذه اللمحات الخاطفة عن حياة الرسول ﷺ في طفولته، وعن عصمته وأخلاقه في شبابه.. مشاعل هداية في تبيان المنهج التربوي الذي يجب أن يسلكه المربون مع أبنائهم.. ولا شك أنه عليه الصلاة والسلام قدوة صالحة في طفولته وشبابه، وفي رجولته وكهولته، فأولئك الذين هدى الله فيبهداهم اقتده.

والذي نخلص إليه بعدما تقدم أن ظاهرة الدلال المفرط هي من أكبر العوامل في انحراف الولد النفسي، لكونها تؤدي في كثير من الأحيان إلى مركب الشعور بالنقص في حياة الطفولة وبعدها.

فما على الأبوين - ولا سيما الأم - إلا أن يمشوا على السنن التي وضعها الإسلام في تربية الأولاد.

والتي منها الاعتدال في محبة الولد، والتعلق به، والتسليم لله في كل ما ينوب ويروع. والتي منها أن يكون التأديب للولد في سن التمييز على حسب ما تقتضيه مصلحة التربية بالعقوبة.

والتي منها أن تكون التربية للولد قائمة على أسس الاخشيان، والاعتماد على النفس، وتحمل المسؤولية، وتنمية الجرأة الأدبية.

والتي منها التأسى بشخصية النبي ﷺ الطفل باعتبار أنه قدوة قبل النبوة وبعدها. ويوم يسير المربون على هذه السنن، ويلتزمون هذه القواعد يكونون قد حرّروا من لهم عليهم حق التربية من العوامل التي تؤدي إلى تحطيم الشخصية، وهدر الكرامة

^{٦٩٧} - الحديث ذكره السخاوي في المقاصد (ص ٣٩، رقم ٤٥) وضعفه

الإنسانية، ويكونون كذلك قد رفعوا من مستوى الولد النفسي والأخلاقي والعقلي، وأصبح في الحياة إنساناً سوياً!!..

٣- المفاضلة بين الأولاد:

أما عامل المفاضلة بين الأولاد فهو كذلك من أعظم العوامل في انحراف الولد النفسي سواء أكانت المفاضلة في العطاء أم في المعاملة أم في المحبة؟.. وهذه الظاهرة لها أسوأ النتائج في انحرافات الولد السلوكية والنفسية.. لأنها تولد الحسد والكراهية، وتسبب الخوف والحياء، والانطواء والبكاء.. وتورث حب الاعتداء والمشاجرة والعصيان.. وتؤدي إلى المخاوف الليلية، والإصابات العصبية، ومركبات الشعور بالنقص.. وكم كان المربي الأول ﷺ حكيماً، ومربيّاً اجتماعياً عظيماً حين أمر الآباء أن يتقوا الله ويعدلوا بين أولادهم!؟.

عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: رَحِمَ اللَّهُ وَالِدًا أَعَانَ وَلَدَهُ عَلَى بَرِّهِ. ^{٦٩٨}
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: سَوُّوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ فَلَوْ كُنْتُ مُفَضَّلًا أَحَدًا لَفَضَّلْتُ النِّسَاءَ. ^{٦٩٩}

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ التُّعْمَانَ، عَلَى مَنبَرِنَا هَذَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " سَوُّوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ، كَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يُسَوُّوا بَيْنَكُمْ فِي الْبِرِّ " ^{٧٠٠}
وَعَنِ التُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا. فَقَالَ « أَكُلْ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ ». قَالَ لَا. قَالَ « فَارْجِعْهُ » ^{٧٠١}.

^{٦٩٨} - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ٣٥٧) (٢٥٩٢٤) وآداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي - (٩٠) والجامع لابن وهب - (١٣٧) حسن لغيره

البر: اسم جامع لكل معاني الخير والإحسان والصدق والطاعة وحسن الصلة والمعاملة

^{٦٩٩} - المعجم الكبير للطبراني - (١٠ / ٤٨) (١١٨٢٨) حسن

^{٧٠٠} - شرح مشكل الآثار - (١٣ / ٧٢) (٥٠٧٣) صحيح

^{٧٠١} - صحيح البخاري - المكثر - (٢٥٨٦) وصحيح مسلم - المكثر - (٤٢٦٢)

نحلت: أعطيت

وَعَنِ الثُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بَعْضِ مَالِهِ فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - فَأَنْطَلِقَ أَبِي إِلَيَّ النَّبِيِّ ﷺ - لِيُشْهَدَهُ عَلَيَّ صَدَقْتِي فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَفَعَلْتَ هَذَا بَوْلَدِكَ كُلِّهِمْ » قَالَ لَا. قَالَ « اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ ». فَارْجِعْ أَبِي فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ. ٧٠٢

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ حَدَّثَنِي الثُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ أَنَّ أُمَّهُ بِنْتُ رَوَاحَةَ سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ الْمَوْهَبَةِ مِنْ مَالِهِ لِابْنِهَا فَالْتَوَى بِهَا سَنَةً ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فَقَالَتْ لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - عَلَيَّ مَا وَهَبْتَ لِابْنِي.

فَأَخَذَ أَبِي بِيَدِي وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أُمَّ هَذَا بِنْتُ رَوَاحَةَ أَعْجَبَهَا أَنْ أُشْهَدَكَ عَلَيَّ الَّذِي وَهَبْتَ لِابْنِهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « يَا بَشِيرُ أَلَيْكَ وَكَذَلِكَ سَوَى هَذَا ». قَالَ نَعَمْ. فَقَالَ « أَكُلُّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا ». قَالَ لَا. قَالَ « فَلَا تُشْهَدْنِي إِذَا فِئْتِي لَا أَشْهَدُ عَلَيَّ حَوْرٍ » ٧٠٣.

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ فَجَاءَ ابْنُ لَهُ فَقَبَّلَهُ وَأَجْلَسَهُ عَلَيَّ فَخَذَهُ ثُمَّ جَاءَتْ بِنْتُ لَهُ فَأَجْلَسَهَا إِلَيَّ حَتَّى قَالَ: " فَهَلَّا عَدَلْتَ بَيْنَهُمَا " ٧٠٤

فيؤخذ من هذه التوجيهات النبوية الكريمة مبدأ تحقيق العدل، والمساواة والمحبة. فيما بين الأولاد.. دون أن يكون لعنصر التفريق أو التمييز مكان بينهم.

نعم!.. قد يكون لعدم محبة الطفل، والعناية به أسباب ظاهرة:

كأن يكون الطفل من الجنس غير المرغوب فيه جهلاً لكونه أنثى.

أو يكون قليل الحظ من الجمال أو الذكاء.

أو يكون مصاباً بعاهاات جسمية ظاهرة. أو.. أو...

ولكن كل هذه الأسباب الخلقية والخلقية لا تعد مبررات - في نظر الشرع لكرهية الولد، وتفضيل إخوته عليه.

٧٠٢ - صحيح مسلم - المكثر - (٤٢٦٧)

٧٠٣ - صحيح مسلم - المكثر - (٤٢٦٩)

٧٠٤ - شرح معاني الآثار - (٤ / ٨٩) (٥٨٤٧) صحيح

وكم يكون الأبوان ظالمين وجائرين حينما ينهجان مع الولد هذا النهج السيئ، ويعاملانه هذه المعاملة القاسية؟

ما ذنب الطفل إن ولد في الحياة وهو أنثى؟

وما جريمته إن كان دميم الوجه؟

وما جريرته إن لم يخلق على ذكاء فارط؟

وما الذي جناه إن كان بطبعه كثير الحركة والتنقل والمشغبة؟

وما مسؤوليته إذا قُدِّر له - وهو صغير - أن يصاب بعاهات جسدية ظاهرة؟

فإذا كان المربون حريصين على سلامة أبنائهم من العقْد النفسية، ومركبات الشعور بالنقص، وآفات القلوب من حقد وحسد وفساد طويّة.. فليس أمامهم من سبيل سوى أن ينفذوا أمر الرسول ﷺ القائل: " اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ "، وأن يرضوا بما قسمه الله لهم من معطيات البنين أو البنات.. وعليهم كذلك أن يسعوا جهدهم في إشعار أولادهم جميعاً روح المحبة والأخوة والتسامح والمساواة.. حتى ينعموا في ظلال العدل الشامل، والنظرة الرحيمة، والعطف الصادق، والمعاملة العادلة..

٤ - العاهات الجسدية:

أما عامل العاهات الجسدية فهو أيضاً من العوامل الكبيرة في انحراف الولد النفسي، لما يؤول في الغالب إلى الشعور بالنقص، والنظرة الحاقدة إلى الحياة..

فالولد حين يصاب - منذ الصغر - بعاهة جسدية كالعور، أو الصمم، أو العته، أو التأتأة ونقص النطق.. فينبغي أن يلقي ممن يعيشون حوله من أب وأم وإخوة وأقرباء وجيران وأصدقاء وأهل.. كل رعاية وعطف ومحبة، وأخلاق سمحة رضية، وتعاطف حسن جميل.. تحقيقاً لحديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَانُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ. ٧٠٥

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا. ٧٠٦

٧٠٥ - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ٣٣٨) (٢٥٨٦٤) صحيح

٧٠٦ - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢٢٧) (٤٧٩) صحيح

ولكن حين يخاطب المصاب بعاهة العور يا أعور، وبعاهة الصمم يا أطرش، وبعاهة العُته يا أجدب، وبعاهة نقص النطق يا أحرص..

فمن البديهي أن تتولد لدى الولد الواعي المميز مركبات الشعور بالنقص وآفات العُقد النفسية.. فلا عجب أن نراه في حالة يُرثى لها من الصراع النفسي، والحدق الاجتماعي، والنظرة المشائمة للحياة..

لهذا وجب على المربين أن يعالجوا مشكلة عاهات أبنائهم بالأسلوب الحكيم، والتربية الصالحة، والمعاملة الرحيمة، والمراقبة التامة.. على أساس أن قيمة الإنسان في دينه وأخلاقه لا في شكله ومظهره..

فأول خطوات هذه المعالجة أن ينظروا إليهم نظرة حب ورحمة، وأن يخصصهم بال العناية والرعاية، وأن يشعروهم أنهم متميزون عن غيرهم بالذكاء والمواهب، والعلم والخبرة، والنشاط والحيوية.. فهذه النظرة إليهم، والإشعار لهم بيزيل في نفوسهم آفة الشعور بالنقص، بل يندفعون بكليتهم - بكل ثقة واطمئنان - نحو العمل البناء، والإنتاج المثمر.

وثاني خطوات هذه المعالجة أن يقوم المربون بواجب النصح والتحذير لكل من كان حول المصاب من خلطاء سواء أكانوا أقارب أم أبعاد، حيث يجذروهم مغبة التحقير والإهانة، ونتائج الاستهزاء والسخرية، وما تتركه من أثر سيء في نفوسهم، وما تحدثه من مضاعفات أليمة في أعماق أحاسيسهم ومشاعرهم..

وعلى المربين حين يوجهون وينصحون، أن يبينوا لكل من يجتمع بالمصاب منهج المربي الأول صلوات الله عليه في دعوته الكبرى إلى وحدة اجتماعية متينة مترابطة تقوم دعائمها على الصفاء والمحبة، وتتركز أسسها على التوقير والاحترام..

وهذه أسس منهجه عليه الصلاة والسلام في تحذيراته من كل ما يمس الكرامة الإنسانية، ويحطم الشخصية المسلمة، ويمزق الوحدة الاجتماعية المترابطة..

فمن تحذيراته عليه الصلاة والسلام من آفات اللسان قوله فيما رواه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقَى لَهَا

بَالًا، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوَى
بِهَا فِي جَهَنَّمَ» ٧٠٧ . .

وَعَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ، فَيَرْحَمَهُ اللَّهُ
وَيَبْتَلِيكَ. ٧٠٨ .

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ - حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةٍ كَذَا وَكَذَا قَالَ غَيْرُ مُسَدِّدٍ تَعْنِي
قَصِيرَةً. فَقَالَ « لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مَرَّجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ ». قَالَتْ وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا
فَقَالَ « مَا أَحَبُّ أُنَى حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنْ لِي كَذَا وَكَذَا ». ٧٠٩

وتندرج هذه التحذيرات كلها تحت قوله تبارك وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ
مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا
تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ } (١١) سورة الحجرات

يَهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنِ السُّخْرِيَةِ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالِاسْتَهْزَاءِ بِهِمْ، وَاسْتِصْغَارِ
شَأْنِهِمْ، فَقَدْ يَكُونُ الْمُسْتَهْزَأُ بِهِ أَكْرَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ السَّاحِرِ مِنْهُ، وَالْمُحْتَقِرُ لَهُ، فَيُظْلَمُ نَفْسَهُ
بِتَحْقِيرِ مَنْ وَقَرَهُ اللَّهُ . كَمَا نَهَى تَعَالَى النِّسَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ عَنْ أَنْ يَسْخَرْنَ مِنْ أَخَوَاتِهِنَّ
الْمُؤْمِنَاتِ، فَقَدْ تَكُونُ الْمُسْتَهْزَأُ بِهَا أَكْرَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ السَّاحِرَةِ مِنْهَا . كَمَا أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
بِالْأَيْتَابِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَبِأَن لَّا يَعْيبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَبِأَن لَّا يَطْعَنَ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ
وَاعْتَبَرَ تَعَالَى لَمَزَ الْإِنْسَانَ أَخَاهُ كَلِمَتَهُ نَفْسَهُ، وَطَعَنَهُ أَخَاهُ كَطَعْنِهِ فِي نَفْسِهِ، لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ
جَسَدٌ وَاحِدٌ إِنْ اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى . كَمَا قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ . وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَن لَّا يَدْعُوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِلِقَبِ يَسُوءُهُ أَوْ يَكْرَهُهُ، كَأَن
يَقُولُ مُسْلِمٌ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ: يَا فَاجِرٌ، أَوْ يَا غَادِرٌ أَوْ يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَوْ يَا مُنَافِقٌ ...

٧٠٧ - صحيح البخارى - المكثر - (٦٤٧٨)

٧٠٨ - سنن الترمذى - المكثر - (٢٦٩٤) حسن

٧٠٩ - سنن أبي داود - المكثر - (٤٨٧٧) صحيح

وَبَسَّتِ الصَّفَّةُ، وَبَسَّ الْأَسْمُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُذَكَّرُوا بِالْفُسُوقِ بَعْدَ دُخُولِهِمْ فِي الْإِيمَانِ. وَمَنْ لَمْ يُتَبَّ مِنْ نَبْزِهِ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ بَلَقَبَ يَكْرَهُهُ، وَمَنْ لَمْ يُتَبَّ مِنْ لَمَزِهِ إِخْوَتَهُ، وَمَنْ سُخِّرِيَتِهِ مِنْهُمْ.. فَأَوْلَاكَ هُمُ الظَّالِمُونَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَكْسَبُوا عِقَابَ اللَّهِ بِعَصِيَانِهِمْ إِيَّاهُ.^{٧١٠}

وثالث خطوات هذه المعالجة أن يهيئ المربون لأولادهم المصابين رُفقةً من الأوصحاب حسنة آدابهم، مرضية عاداتهم.. حيث يجتمعون بهم، ويلعبون معهم، ويتبادلون أحاديث المحبة فيما بينهم.. ليشعروا في أعماق وجدانهم محبة للناس لهم، واهتمامهم بهم وعطفهم وعليهم. يقول ابن سينا - في عرض تنمية شخصية الطفل، وإشباع غريزة حب الاجتماع في نفسه - : "أن يكون مع الصبي في مكتبه صبيبة حسنة آدابهم، مرضية عاداتهم لأن الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه آخذ، وبه أنس".

والذي نخلص إليه بعدما تقدم أن المربي لا يعدم وسيلة في معالجة مشكلة العاهة الجسدية في ولده المصاب سواء ما يتعلق بنظرة الحب والرحمة، أو تخصيصه بالعناية والرعاية، أو تحذير البيئة التي يعيش فيها من الهزء والتحقير والإهانة، أو إعداد الرفقة الصالحة التي يجتمع بها، ويلتقي معها.. وبهذا يكون قد أزال من نفسه عقدة الشعور بالنقص، وهيأه ليكون عضواً نافعاً في المجتمع، يبني بساعديه صرح الحضارة، ويشيد بعزمه مجد أمته ومستقبل بلاده..

٥- اليتيم:

أما عامل اليتيم فهو عامل خطير في انحراف الولد النفسي، ولاسيما إذا وُجد اليتيم في بيئة لا ترعاه، ولا تكفكف أحزانه، ولا تنظر إليه بعين العطف والرحمة والمحبة.. والإسلام اهتم بشأن اليتيم الاهتمام البالغ من ناحية تربيته ومعاملته، وضمان معيشتته.. حتى ينشأ عضواً نافعاً في المجتمع، ينهض بواجباته، ويقوم بمسؤولياته، ويؤدي ماله وما عليه على أحسن وجه وأنبيل معنى..

^{٧١٠} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٥٠٢)

فمن اهتمام القرآن الكريم بشأن اليتيم أمره بعدم قهره، والخط من شأنه وكرامته.. {فَأَمَّا
الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ} (٩) سورة الضحى.

لِذَلِكَ كَانَ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَقْهَرَ الْيَتِيمَ وَتَسْتَدْلِيَهُ، بَلْ ارْفَعْ مِنْ شَأْنِهِ بِالْأَدَبِ، وَهَذَبْ نَفْسَهُ
بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ لِيَكُونَ عُضْوًا نَافِعًا فِي جَمَاعَتِكَ، وَمَنْ ذَاقَ مَرَارَةَ الْيَتِيمِ وَالصَّيْقِ فِي
نَفْسِهِ، فَمَا أَحْدَرَهُ بِأَنْ يَسْتَشْعِرَهَا فِي غَيْرِهِ^{٧١١}

وقال تعالى: { أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (٢) }
الماعون: ١-٢.

هَلْ تُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ الَّذِي يَكْفُرُ بِالْقِيَامَةِ وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ؟
وَهُنَا يَصِفُ تَعَالَى ذَلِكَ الْكَافِرَ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ فَيَقُولُ: إِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَدْفَعُ الْيَتِيمَ
دَفْعًا، وَيَزْجُرُهُ زَجْرًا عَنِيفًا إِنْ جَاءَهُ يَطْلُبُ مِنْهُ شَيْئًا أَوْ حَاجَةً، وَذَلِكَ احْتِقَارًا لِشَأْنِهِ
وَاسْتِعْلَاءً عَلَيْهِ. ^{٧١٢}

ومن اهتمام الرسول ﷺ بشأنه حضه على كفالته، وأمره بوجوب رعايته، وبشارته
الأوصياء - إن أحسنوا الوصاية - أنهم مع الرسول ﷺ في الجنة:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَأَشَارَ
بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى^{٧١٣}.

وعن ثابت بن العجلان قال: بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " مَنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ يَتِيمٍ
تَرَحُّمًا، كَانَتْ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ تَمُرُّ بِيَدِهِ عَلَيْهَا حَسَنَةٌ " ^{٧١٤}

٧١١ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٩٦٥)

٧١٢ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٦٠٧٦)

٧١٣ - صحيح البخارى - المكثر - (٥٣٠٤) وصحيح ابن حبان - (٢ / ٢٠٧) (٤٦٠)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَكَذَا أَرَادَ بِهِ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، لَا أَنْ كَافِلُ الْيَتِيمِ تَكُونُ مَرْتَبَتُهُ مَعَ مَرْتَبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي
الْجَنَّةِ وَاحِدَةً.

٧١٤ - الرَّهْدُ وَالرَّقَائِقُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ (٦٣٩) حسن لغيره

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا لِلَّهِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ، أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ، وَقَرْنَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى. ٧١٥

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُرْحَجُ حَقَّ الضَّعِيفِينَ: الْيَتِيمَ وَالْمَرْأَةَ. ٧١٦

ومعنى أرحج: ألق الحرج والإثم. بمن ضيع حقهما.

ورعاية اليتيم وكفالتة واجبة في الأصل على ذوي الأرحام والأقرباء، فعلى هؤلاء إن أرادوا أن يعالجوا أحوال اليتامى النفسية والخلقية.. فما عليهم إلا أن يخصوصهم بمزيد من الرحمة والعطف والعناية، وأن يشعروهم أنهم كأولادهم حباً ومعاملة وملاطفة..

وفي حال عدم وجود الأوصياء من الأقارب والأرحام فعلى الدولة المسلمة أن ترعاهم وتتولى أمرهم، وتشرف على تربيتهم وتوجيههم، وترفع من كيانهم وقدرهم في الحياة..

فهذا رسول الله ﷺ - باعتبار أنه الممثل الأول للدولة الإسلامية في المدينة - كان يخصص

اليتيم بمزيد من العطف والمعاملة والرحمة، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشًا، اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَإِنْ قُتِلَ زَيْدٌ، أَوْ اسْتُشْهِدَ، فَأَمِيرُكُمْ جَعْفَرٌ، فَإِنْ قُتِلَ، أَوْ اسْتُشْهِدَ، فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَلَقُوا الْعَدُوَّ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَتَى خَبْرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: إِنَّ إِخْوَانَكُمْ لَقُوا الْعَدُوَّ، وَإِنَّ زَيْدًا أَخَذَ الرَّايَةَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، أَوْ اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ بَعْدَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، أَوْ اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، أَوْ اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيُوفُ اللَّهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَمْهَلَ، ثُمَّ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ، ثَلَاثًا، أَنْ يَأْتِيَهُمْ، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَالَ: لَا تَبْكُوا عَلَيَّ أَحْيَى بَعْدَ الْيَوْمِ ادْعُوا إِلَيَّ ابْنِي أَحْيَى قَالَ: فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: ادْعُوا إِلَيَّ الْحَلَّاقِ، فَجِيءَ بِالْحَلَّاقِ فَحَلَّقَ رُؤُوسَنَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمَّنَا أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا عَبْدُ

٧١٥ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٣٩٢) (٢٢١٥٣) ٢٢٥٠٥ - حسن لغيره

٧١٦ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٥٥٤) (٩٦٦٦) ٩٦٦٤ - صحيح

اللَّهِ فَشَبَّهَ خَلْقِي وَخَلْقِي ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَشَالَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ: فَجَاءَتْ أُمَّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتَمَّنَا، وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ، فَقَالَ: الْعَيْلَةُ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ٧١٧.

وكذلك يجب على الدولة أن ترعى اللقيط، وتقوم على أمره وكفالته في حين وجوده والعتور عليه، فعن سُنَيْنِ أَبِي حَمِيلَةَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُؤَيْمٍ أَنَّهُ وَجَدَ مَنبُودًا زَمَانَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فَجَاءَ بِهِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَخْذِ هَذِهِ النَّسَمَةِ. فَقَالَ: وَجَدْتُهَا ضَائِعَةً فَأَخَذْتُهَا فَقَالَ لَهُ عَرِيفِي: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ قَالَ: أَكْذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ عُمَرُ: اذْهَبْ فَهُوَ حُرٌّ وَلَكَ وَلَاؤُهُ وَعَلَيْنَا نَفَقَتُهُ. ٧١٨

وعن ابن شهاب، حَدَّثَنِي أَبُو حَمِيلَةَ، أَنَّهُ وَجَدَ مَنبُودًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَاهُ بِهِ، فَأَتَّهَمَهُ بِهِ عُمَرُ، فَأَنْتَى عَلَيْهِ خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ: "فَهُوَ حُرٌّ، وَوَلَاؤُهُ لَكَ، وَنَفَقَتُهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ". ٧١٩.

وبهذه المعاملة الحسنة التي ينهجها الإسلام في معاملة كل من اللقيط واليتيم يكون قد قدم للمجتمع الإسلامي مواطنين صالحين ينهضون بواجباتهم، ويضطلعون بمسؤولياتهم، فلا يشعرون بنقص، ولا يتيهون في لجة الهواجس والأفكار والتصورات المنحرفة..

٦- الفقر :

أما عامل الفقر فهو عامل كبير في انحراف الولد النفسي، ويقوى جانب هذا الانحراف فيه حين يفتح عينيه ويرى أباه في ضائقة، وأسرته في بؤس وحرمان.. ويزداد الأمر لديه سوءاً حين يرى بعض أقربائه أو أبناء جيرانه، أو رفاقه في المدرسة.. وهم في أحسن حال، وأهمل زينة، وأكمل نعمة.. وهو كئيب حزين لا يكاد يجد اللقمة التي تشبعه، والثوب الذي يستتره..

٧١٧ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٥٤٥) (١٧٥٠) صحيح

٧١٨ - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٦ / ٢٠١) (١٢٤٩٤) صحيح

٧١٩ - المعجم الكبير للطبراني - (٦ / ٢١٦) (٦٣٨٠) صحيح

فولّد هذه حاله ماذا نتظر منه أن يكون نفسياً؟ حتماً سينظر إلى المجتمع نظرات الحقد والكراهية.. وحتماً سيصاب بأمراض من مركبات النقص، والعقد النفسية.. وحتماً سيتبدل أمله إلى يأس، وتفاؤله إلى تشاؤم.. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا" .. ٧٢٠

بل كان عليه الصلاة والسلام يستعيد بالله من الفقر في دعائه، فعَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ. ٧٢١

والإسلام عالج مشكلة الفقر بأمرين أساسيين:

الأول: احترامه الكرامة الإنسانية.

الثاني: سنّه لمبادئ التكافل الاجتماعي.

أما احترامه الكرامة الإنسانية فلأنه سوى بين جميع الأجناس والألوان والطبقات في الاعتبار والكرامة الإنسانية، وإذا كان لا بد من المفاضلة فلتكن بالتقوى والإنتاج والعمل الصالح..

والمبدأ الذي طبعه الإسلام في ضمير الزمان إلى يوم القيامة قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (١٣) سورة الحجرات

٧٢٠ - شَعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ (٦٣٣٦) حسن لغيره

قَالَ الشَّيْخُ (الكلاباذي) رَحِمَهُ اللَّهُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ كُفْرَ النِّعْمَةِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الشُّكْرِ لَا كُفْرَ الْجُحُودِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْإِيمَانِ، وَهُوَ أَنَّ الْفَقْرَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ؛ لِأَنَّهُ سَبَبُ الرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاللِّتَّجَاءِ إِلَيْهِ، وَالطَّلَبِ مِنْهُ، وَهُوَ حَلِيَّةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَزِيَةُ الْأَصْفِيَاءِ، وَشِعَارُ الصَّالِحِينَ، وَزِينَةُ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ: "إِذَا رَأَيْتَ الْفَقْرَ مُقْبِلًا فَقُلْ: مَرْحَبًا بِشِعَارِ الصَّالِحِينَ". وَرُوِيَ: "أَنَّ الْفَقْرَ أَرِينُ بِالْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْعَوَارِ الْجَيِّدِ عَلَى حَدِّ الْفَرَسِ"، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ نِعْمَةٌ حَلِيلَةٌ، غَيْرَ أَنَّهُ مَكْرُوهٌ مُؤَلِّمٌ، شَدِيدُ التَّحْمَلِ، فَقَالَ: "كَادَ"، بِكُفْرٍ نِعْمَةَ الْفَقْرِ لِنَقْلِ تَحْمِلِهَا عَلَى النَّفْسِ. بَحْرُ الْفَوَائِدِ الْمُسَمَّى بِمَعَانِي الْأَخْيَارِ لِلْكَلابَاذِيِّ (٤٢)

٧٢١ - صحيح ابن حبان - (٣ / ٣٠٣) (١٠٢٨) صحيح

ولأنه لم ينظر إلى الصور والأجسام، وإنما جعل النظرة إلى القلوب والأعمال، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. ٧٢٢

ولأنه رفع من قدر الضعفاء والفقراء، واعتبر إغضابهم وتحقيرهم إغضاباً للرب سبحانه، فقد روى مسلم عن عائذ بن عمرو، أن سلمان، وصهيباً، وبلالاً كانوا قعوداً في أناس، فمر بهم أبو سفيان بن حرب، فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها بعد، فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها؟ قال: فأخبر بذلك النبي ﷺ، فقال: يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم، فلئن كنت أغضبتهم، لقد أغضبت ربك فرجع إليهم، فقال: أي إخواننا لعلكم غضبتهم، فقالوا: لا يا أبا بكر، يعفر الله لك. ٧٢٣.

وأما سنه لمبادئ التكافل الاجتماعي فلا شك أن الإسلام سن من مبادئ التكافل في حل مشكلة الفقر ما يعتبر من أرقى وأسمى ما وصل إليه الجهد البشري في العصر الحديث.

وإليكم بعض هذه اللمحات في معالجة الإسلام لمشكلة الفقر في المجتمع:

أنه شرع بيت مال للزكاة تتولاه الدولة المسلمة، وجعل مصارفه على المستحقين من الفقراء، والمساكين وأبناء السبيل، والمدينين، وتحرير الأرقاء. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٠) سورة التوبة
لمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى اعْتِرَاضَ الْمُنَافِقِينَ الْجَهْلَةَ، وَلَمَزَهُمُ النَّبِيُّ الْكَرِيمَ فِي قِسْمَةِ الصَّدَقَاتِ (أموال الزكاة الواجبة)، بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَسَمَهَا، وَبَيَّنَ حُكْمَهَا، وَتَوَلَّى أَمْرَهَا بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، وَلَمْ يَكِلْ قِسْمَتَهَا إِلَى أَحَدٍ غَيْرِهِ، فَجَزَّأَهَا لَهُؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ فِي الْآيَةِ. وَهُمْ: الْفُقَرَاءُ - وَهُمْ مَن لَّهُمْ مَالٌ قَلِيلٌ دُونَ النَّصَابِ أَيُّ أَقَلِّ مَن ١٢ دِينَاراً .
الْمَسَاكِينَ - وَهُمْ الَّذِينَ لَا شَيْءَ لَهُمْ، وَهُمْ لَا يَجِدُونَ غِنَى يُغْنِيهِمْ، وَلَا يُفْطِنُ إِلَيْهِمْ فَيُتَّصَدَّقَ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ شَيْئاً .

٧٢٢ - صحيح مسلم - المكثر - (٦٧٠٨) (صحيح ابن حبان - (١٢٠ / ٢) (٣٩٤)

٧٢٣ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٨٨٥) (٢٠٦٤٠) (٢٠٩١٦) - صحيح مسلم - المكثر - (٦٥٦٨)

الْعَامِلُونَ عَلَيْهَا - وَهُمْ السُّعَاةُ وَالْجَبَاةُ بِشَرِّطٍ أَنْ لَا يَكُونُوا مِنْ أَقْرَبَاءِ الرَّسُولِ ﷺ، لِأَنَّ أَقْرَبَاءَ الرَّسُولِ لَا تَجُوزُ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ .

المؤلفة قلوبهم - وَهُمْ الَّذِينَ يُعْطُونَ تَأْلُفًا لِقُلُوبِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى لِئِسْلِمٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى لِيَحْسُنَ إِسْلَامُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى لِيَجْبِيَ الصَّدَقَاتِ مِمَّنْ يَلِيهِ .

الرقاب - هُمُ الْعَبِيدُ الْمُكَاتِبُونَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَدَاءَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ فَرِيضَةٍ لِإِعْتَاقِهِمْ (أَوْ تَعْنِي صَرْفَ جُزْءٍ مِنْ أَمْوَالِ الصَّدَقَاتِ فِي إِعْتَاقِ رِقَابٍ) .

الغارمون - كَمَنْ تَحْمَلُ حَمَالَةً، أَوْ ضَمِنَ دَيْنًا فَلَزِمَهُ أَدَاؤُهُ فَأَجْحَفَ بِمَالِهِ، أَوْ غَرِمَ فِي أَدَاءِ دَيْنِهِ، أَوْ فِي مَعْصِيَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْهَا، فَهَذَا يُدْفَعُ لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِ الصَّدَقَاتِ .

في سبيل الله - هُمُ الْعُرَاةُ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُعْطُونَ مِنْ مَالِ الصَّدَقَاتِ .

أبناء السبيل - هُمُ الْمُسَافِرُونَ الْمُحْتَازُونَ فِي بَلَدٍ لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ يَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى سَفَرِهِمْ، وَلَا يَتَيَسَّرُ لَهُمْ إِحْضَارُ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ مِنْ بَلَدِهِمْ، فَيُعْطُونَ مِنْ أَمْوَالِ الصَّدَقَاتِ مَا يَكْفِي لِنَفَقَتِهِمْ .^{٧٢٤}

وروى الطبراني عن علي كرم الله وجهه في الآخرة، قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم، ولكن تُجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلباماً يضيغ، يصنع، أغنياؤهم، ألا وإن الله عز وجل يحاسبهم يوم القيامة حساباً شديداً، ثم يعذبهم عذاباً أليماً^{٧٢٥} .

أنه لم يعتبر المسلم مسلماً إذا بات شعبان، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به، فعن أنس ب مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ما آمن بي من بات شعباناً وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به^{٧٢٦} .

٧٢٤ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٢٩٦)

٧٢٥ - المعجم الصغير للطبراني - (١ / ٢٧٥) (٤٥٣) مرفوعاً وموقوفاً والموقوف أشبه

يجهز: أي بالسؤال أو السرقة

٧٢٦ - المعجم الكبير للطبراني - (١ / ٣١٤) (٧٥٠) صحيح لغيره

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُسَاوِرِ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما وَهُوَ يُخَلُّ ابْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ» .^{٧٢٧}

بل اعتبر إسعافه وإدخال السرور عليه من أحسن القربات، وأفضل الأعمال، فعن عبد الله بن حسن بن حسن، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنْ مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَعْفِرَةِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى أَخِيكَ الْمُسْلِمِ " ..^{٧٢٨}

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالُ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُسْلِمِ .^{٧٢٩}

وعن سفيان بن عيينة؛ قال: قيل لمحمد بن المنكدر: أي الأعمال أفضل؟ قال: إدخال السرور على المؤمن. وقيل له: أي الدنيا أحب إليك؟ قال: الإفضال على الإخوان. وكان إذا حج أخرج نساءه وصبياناه إلى الحج، فقيل له في ذلك، فقال: أعرضهم لله عز وجل وكان يحج وعليه دين، فقيل له في ذلك، فقال: هو أقضى للدين .^{٧٣٠}

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ كَانَ وَصَلَةً لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ فِي مَبْلَغٍ بَرٍّ ، أَوْ إِدْخَالِ السُّرُورِ رَفَعَهُ اللَّهُ فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ^{٧٣١}

أنه جعل إسعاف الجائع والمحروم في وقت الشدة من أهم الواجبات، فعن عبد الرحمن بن أبي بكر أن أصحاب الصفة كانوا أناسا فقرأء، وأن النبي ﷺ - قال « مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ اثْنَيْنِ فَلْيُذْهِبْ بِثَلَاثٍ، وَإِنْ أَرْبَعٍ فَخَامِسٌ أَوْ سَادِسٌ » . وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلَاثَةٍ فَأَنْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ - بِعَشْرَةٍ، قَالَ فَهُوَ أَنَا وَأَبِي وَأُمِّي، فَلَا أَدْرِي قَالَ وَأَمْرَاتِي وَخَادِمٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ . وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ - ثُمَّ لَبِثَ حَيْثُ صُلِّيتُ الْعِشَاءُ، ثُمَّ رَجَعَ فَلَبِثَ حَتَّى تَعَشَّى النَّبِيُّ ﷺ - فَجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَتْ لَهُ

٧٢٧ - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (١٠ / ٣) (٢٠١٦٠) صحيح

٧٢٨ - المعجم الكبير للطبراني - (٣ / ١٤١) (٢٦٦٥) حسن لغيره

٧٢٩ - المعجم الكبير للطبراني - (٩ / ٢٨٤) (١٠٩١٦) حسن لغيره

٧٣٠ - المجالسة وجواهر العلم - (٤ / ٣٠) (١١٨٠) صحيح

٧٣١ - مسند الشاميين ٣٦٠ - (١ / ٤٠) (٢٨) حسن لغيره

أمرأته وما حبسك عن أضيافك - أو قالت ضيفك - قال أو ما عشتيهم قالت أبوا حتى
تجيء، قد عرضوا فأبوا. قال فذهبت أنا فاخبتأت فقال يا غنثر، فجذع وسب، وقال كلوا
لا هنيئاً. فقال والله لا أطعمه أبداً، وإيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا رباً من أسفلها أكثر
منها. قال يعني حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر فإذا
هي كما هي أو أكثر منها. فقال لامرأته يا أخت بنى فراس ما هذا قالت لا وقرّة عيني
لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات. فأكل منها أبو بكر وقال إنما كان ذلك من
الشيطان - يعني يمينه - ثم أكل منها لقمة، ثم حملها إلى النبي - ﷺ - فأصبحت
عنده، وكان بيننا وبين قوم عقده، فمضى الأجل، ففرقتنا اثنا عشر رجلاً، مع كل رجل منهم
أناس، الله أعلم كم مع كل رجل فاكلوا منها أجمعون، أو كما قال ٧٣٢ .

وعن أبي سعيد الخدري، قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على
راحته، قال: فجعل يضرب يميناً وشمالاً، فقال النبي ﷺ: من كان معه فضل ظهر فليعد به
على من لا ظهر له، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له فذكر من أصناف
المال ما ذكر حتى رأينا أن لا حق لأحد منا في فضل. ٧٣٣ .

أنه أوجب على الحاكم أن يهيئ سبيل العمل لكل من كان قادراً عليه، عن أنس بن
مالك، أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله، فقال: "أما في بيتك شيء؟"
قال: بلى، جلس نلبس بعضه وتبسطن بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء، قال: "اثنني بهما"
قال: فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده، وقال: "من يشتري هذين؟" قال
رجل: أنا، أخذهما بدرهم، قال: "من يزيد علي درهم مرتين، أو ثلاثاً"، قال رجل: أنا
أخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري، وقال: "اشتر
بأحدهما طعاماً فائده إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً فأتني به"، فأتاه به، فشد فيه رسول
الله ﷺ عوداً بيده، ثم قال له: "أذهب فاحتطب وبيع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً"
، فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها

٧٣٢ - صحيح البخارى - المكثر - (٦٠٢) - جذع: دعا بقطع الأنف - الغنثر: الثقل الوخم

٧٣٣ - صحيح مسلم - المكثر - (٤٦١٤) - وصحيح ابن حبان - (١٢ / ٢٣٨) (٥٤١٩)

تَوْبًا، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةَ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لثَلَاثَةٍ: لِذِي فَقْرٍ مُدَقِّعٍ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُنْطَهِعٍ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ " ٧٣٤

إنه سنَّ قانونَ التعويضِ العائلي لكل مولود يولد في الإسلام سواء أكان المولود ابناً لحاكم أو موظف أم كان ابناً لعامل أو سوقية.. فعن ابنِ عمرَ، قال: كَانَ عُمَرُ لَا يَفْرِضُ لِلْمَوْلُودِ حَتَّى يُفْطَمَ، قَالَ: ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيًّا فَنَادَى: لَا تَعَجَّلُوا أَوْلَادَكُمْ عَنِ الْفِطَامِ؛ فَإِنَّا نَفْرِضُ لِكُلِّ مَوْلُودٍ فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ: وَكَتَبَ بِذَلِكَ فِي الْآفَاقِ بِالْفِرْضِ لِكُلِّ مَوْلُودٍ فِي الْإِسْلَامِ " ٧٣٥

وعن أبي قبيلٍ، قال: كَانَ النَّاسُ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِذَا وُلِدَ الْمَوْلُودُ، فُرِضَ لَهُ فِي عَشْرَةٍ، فَإِذَا بَلَغَ أَنْ يُفْتَرَضَ الْحَقُّ بِهِ، فَلَمَّا كَانَ مُعَاوِيَةَ أَفْرَدَ الْمَوْلُودَ، وَجَعَلَ ذَلِكَ لِلْفُطَيْمِ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قَطَعَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ذَلِكَ كُلَّهُ، إِلَّا لِمَنْ شَاءَ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: قَوْلُهُ: الْحَقُّ بِهِ يَعْنِي فِي الْفَرِيضَةِ، وَقَوْلُهُ: إِذَا وُلِدَ الْمَوْلُودُ فُرِضَ لَهُ، هُوَ رَأْيُ عُمَرَ الْآخِرُ الَّذِي رَجَعَ إِلَيْهِ " ٧٣٦

وعن أمية بن يزيدٍ، قال: سَأَلْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ: أَنْ يَفْرِضَ لَائِنَ لِي، فَقَالَ: " لَوْ كُنْتُ أَفْرِضُ لَائِنَ لِي مِثْلَهُ فَرَضْتُ لِهَذَا " قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: لَا أَعْرِفُ لِهَذَا وَجْهًا، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فُطِمَ، لِأَنَّ هَذَا الْمَعْرُوفُ مِنْ رَأْيِهِ. وَكَذَلِكَ كَانَ رَأْيُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْأَوَّلِ: أَنْ لَا يَفْرِضَ لِلرَّضِيعِ حَتَّى يُفْطَمَ، ثُمَّ تَرَكَهُ وَفَرَضَ لِكُلِّ مَوْلُودٍ. وَكَذَلِكَ كَانَ رَأْيُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَهُوَ الَّذِي أَفْتَى بِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَأَرَاهُمُ اخْتَلَفُوا فِيهِ مَا دَامَ رَضِيعًا، فَإِذَا صَارَ إِلَى الْفِطَامِ لَمْ يَخْتَلَفُوا فِيهِ، وَلَيْسَ يَكُونُ هَذَا إِلَّا لِذَرَارِيِّ أَهْلِ الْحَاضِرَةِ الَّذِينَ وَصَفْنَا حَالَهُمْ فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ، إِنَّمَا هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ " ٧٣٧

٧٣٤ - سنن أبي داود - المكثر - (١٦٤٣) - حسن

٧٣٥ - الأُمُوالُ لِلْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ (٥٠٠) - ضعيف

٧٣٦ - الأُمُوالُ لِلْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ (٥١٤) - حسن مرسل

٧٣٧ - الأُمُوالُ لِلْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ (٥١٣) - حسن

هذا عدا عن التربية الوجدانية التي يغرس الإسلام جذورها في قلوب المسلمين، وفي أعماق مشاعرهم، وحنايا ضمائرهم.. ليندفع الجميع إلى تحقيق التعاون، والتكافل، والإيثار عن رغبة وإيمان، وطواعية واختيار..

والمواقع التاريخي أكبر شاهد على ما نقول.. وإليكم بعض النماذج في تكافل المجتمع المسلم، وفي تعاطفه وتراحمه وتعاونه:

قال محمد بن إسحاق: كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون ومن يعطيهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به.

ولما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين في الليل. وقيل: إنه كان يعول مائة أهل بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات. ودخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد يعوده فبكى ابن أسامة فقال له: ما يكيك؟ قال: عليّ دين، قال: وكم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار - وفي رواية سبعة عشر ألف دينار - فقال: هي عليّ. ٧٣٨

وَكَانَ اللَّيْثُ يَسْتَعْلُ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَقَالَ: مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ زَكَاةٌ قَطُّ. وَأَعْطَى اللَّيْثُ ابْنَ لَهَيْعَةَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَأَعْطَى مَالِكًا أَلْفَ دِينَارٍ، وَأَعْطَى مَنْصُورَ بْنَ عَمَّارِ الْوَاعِظَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَجَارِيَةَ تَسْوَى ثَلَاثَ مِائَةِ دِينَارٍ. قَالَ: وَجَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى اللَّيْثِ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا الْحَارِثِ، إِنَّ ابْنًا لِي عَلِيلٌ، وَاشْتَهَى عَسَلًا. فَقَالَ: يَا غُلَامُ، أَعْطَيْتَهَا مِرْطًا مِنْ عَسَلٍ. وَالْمِرْطُ: عَشْرُونَ وَمِائَةٌ رَطْلٍ. وَعَنِ الْحَارِثِ بْنِ مَسْكِينٍ، قَالَ: اشْتَرَى قَوْمٌ مِنَ اللَّيْثِ ثَمْرَةً، فَاسْتَعْلَوْهَا، فَاسْتَقَالُوهُ، فَأَقَالَهُمْ، ثُمَّ دَعَا بِخَرِيطةٍ فِيهَا أَكْيَاسٌ، فَأَمَرَ لَهُمْ بِخَمْسِينَ دِينَارًا، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ الْحَارِثُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ غَفْرًا، إِنَّهُمْ قَدْ كَانُوا أَمَلُوا فِيهَا أَمَلًا، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعَوِّضَهُمْ مِنْ أَمَلِهِمْ بِهِدًا. ٧٣٩

٧٣٨ - البداية والنهاية لابن كثير مدقق - (١٠ / ٢١٢)

٧٣٩ - سير أعلام النبلاء (١٤٩/٨)

وكان عبد الله بن المبارك الإمام الكبير المحدث كثير الصدقات، وخرج مرة إلى الحج فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر معهم فأمر بإلقائه على مزبلة هناك، وسار أصحابه أمامه وتخلف هو ورائهم، فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخذت ذلك الطائر الميت ثم لفته ثم أسرعته به إلى الدار، فجاء فسألها عن أمرها وأخذها الميتة، فقالت: أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الإزار، وليس لنا قوت إلا ما يلقي على هذه المزبلة، وقد حلت لنا الميتة منذ أيام، وكان أبونا له مال فظلم وأخذ ماله وقتل.

فأمر ابن المبارك برد الأحمال وقال لو كي له: كم معك من النفقة؟

قال: ألف دينار.

فقال: عدّ منها عشرين ديناراً تكفيننا إلى مرو وأعطها الباقي، فهذا أفضل من حجنا في هذا العام، ثم رجع.^{٧٤٠}

ويوم تتضافر جهود الدولة، وجهود المجتمع، وجهود الأفراد في حل مشكلة الفقر، لا يبقى في المجتمع الإسلامي فقير ولا محتاج، وتنعم الأمة الإسلامية بظلال الأمن، والرفاهية، والتكافل والاستقرار.. ويتحرر أبناء المجتمع من كل العوامل الإجرامية، والانحرافات النفسية.. ونرى بأم أعيننا راية العزة الإسلامية ترفرف في علياء المجد والكرامة، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.^{٧٤١}

المطلب الرابع - ظاهرة الحسد وعلاجها:

الحسد هو تمني زوال النعمة عن الغير، وهو ظاهرة اجتماعية خطيرة، إن لم يعالجها المربون في أطفالهم ستؤدي حتماً إلى أسوأ النتائج، وأخطر الآثار..

وقد لا تكون ظاهرة الحسد واضحة لأول وهلة بالنسبة للأهل، فيظنون أن أولادهم لا يتوقع منهم الحسد، ولا يشعرون به، ولا يقعون فيه.. لذا وجب على كل من يقوم بمسؤولية التربية أن يعالج الحسد بالحكمة والتربية القويمة حيث لا يؤدي إلى مشاكل صعبة، ونتائج وخيمة، ومضاعفات نفسية أليمة.

^{٧٤٠} - البداية والنهاية لابن كثير (ج/ص: ١٠/١٩٢)

^{٧٤١} - من أراد المزيد في معالجة الإسلام للفقر فليرجع إلى كتاب (التكافل الاجتماعي في الإسلام) لعنوان

وقبل أن أتعرض للوقاية والعلاج في استئصال هذه الظاهرة يحسن أن أتعرض للأسباب التي
تؤجج نار الغيرة والحسد في نفوس الأطفال.

وأرى أن هذه الأسباب تتركز في الأمور التالية:

خوف الطفل أن يفقد بين أهله بعض امتيازاته كالحبة والعطف، وكونه شخصاً
مراداً، ولاسيما عند مقام مولود جديد يتصور أنه سيزاحمه في هذه الحبة والعطف.

المقارنة السيئة بين الأولاد كوصف أحدهم بالذكاء، والآخر بالغباوة..

الاهتمام بأحد الأولاد دون الآخرين، كولد يُحمل ويُداعب ويُعطى.. وآخر يُزجر ويُهمَل
ويُحرم...

الإغضاء والتسامح عن ولد محبوب يؤدي ويسيء، والترصد بالعقاب لولد آخر تصدر منه
أدنى إساءة.

وجود الولد في بيئة غنية مترفة وهو في فقر شديد، وحالة من العيش سيئة.

إلى غير ذلك من الأسباب التي تؤدي إلى أسوأ الآثار في شخصية الطفل وربما يصاب بأفة
من مركب النقص، أو الأنانية القاتلة، أو الحقد الاجتماعي.. عدا عن إصابته بمضاعفات
نفسية كالقلق والتمرد، وعدم الثقة بالنفس..

والإسلام قد عالج ظاهرة الحسد بمبادئ تربوية حكيمة لو أخذ المربون بأسبابها اليوم لنشأ
الأولاد على التوادد والإيثار، والمحبة، والصفاء.. ولأضمرُوا كل تعاون، وخير، وتعاطف
بالنسبة للآخرين..

وأرى أن هذه المبادئ التربوية لعلاج ظاهرة الحسد تتجسّد في الأمور التالية:

١ - إشعار الطفل بالمحبة:

وهذا ما كان عليه الصلاة والسلام يفعلُه، ويأمر أصحابه به، ويحضهم عليه ويراقب تنفيذَه
هنا وهناك.

وإليكم بعض الأمثلة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - يَخْطُبُ فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَعَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْثُرَانِ فِيهِمَا فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ - فَقَطَعَ

كَلَامُهُ فَحَمَلَهُمَا ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَنِيرِ ثُمَّ قَالَ « صَدَقَ اللَّهُ (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) رَأَيْتُ هَذَيْنِ يَعْثُرَانِ فِي قَمِيصَيْهِمَا فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ كَلَامِي فَحَمَلْتُهُمَا ».^{٧٤٢}
 وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعَةٍ وَعَلَى ظَهْرِهِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، وَهُوَ يَقُولُ: " نِعَمَ الْجَمَلُ جَمَلُكُمَا، وَنِعَمَ الْعِدْلَانِ أَنْتُمَا " .^{٧٤٣}

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَتَقْبَلُونَ صَبِيَانَكُمْ ؟ فَمَا تُقْبَلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ ؟ " ^{٧٤٤}
 وَعَنْ صَعْصَعَةَ عَمِّ الْأَحْفِ قَالَ دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ امْرَأَةً مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا فَأَعْطَتْهَا ثَلَاثَ تَمْرَاتٍ فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً ثُمَّ صَدَعَتْ الْبَاقِيَةَ بَيْنَهُمَا. قَالَتْ فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ - فَحَدَّثَتْهُ فَقَالَ « مَا عَجِبُكَ لَقَدْ دَخَلْتَ بِهِ الْجَنَّةَ » .^{٧٤٥}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَسْأَلُ وَمَعَهَا صَبِيَانٌ، فَأَعْطَتْهَا ثَلَاثَ تَمْرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ صَبِيٍّ تَمْرَةً تَمْرَةً، وَأَمْسَكَتْ لِنَفْسِهَا تَمْرَةً، فَأَكَلَ الصَّبِيَانُ التَّمْرَتَيْنِ، فَعَمَدَتْ إِلَى التَّمْرَةِ، فَشَقَّتْهَا نِصْفَيْنِ، فَأَعْطَتْ كُلَّ صَبِيٍّ لَهَا نِصْفَ تَمْرَةٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخْبَرَتْهُ، فَقَالَ: وَمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا ؟ لَقَدْ رَحِمَهَا اللَّهُ بِرَحْمَتِهَا صَبِيَّهَا ^{٧٤٦}

وينبغي ألا يغرب عن البال أن الأخذ بالاحتياطات اللازمة للحيلولة دون اشتداد الحسد عند مقدم طفل جديد من أهم ما ينبغي أن يعتني به المربون ولاسيما الأم.
 هذه الاحتياطات يجب أن تبدأ قبل عدة أشهر من الولادة كتغيير سرير الطفل الأكبر، أو إرساله إلى الروضة.. ولا بأس بالسماح للأخ الكبير بالمساعدة في شؤون الطفل الجديد عند

^{٧٤٢} - سنن النسائي - المكثر - (١٤٢٤) صحيح

^{٧٤٣} - المعجم الكبير للطبراني - (٣ / ٨٧) (٢٥٩٥) ضعيف

^{٧٤٤} - الأذب المفرد للبخاري (٩٠) صحيح

^{٧٤٥} - سنن ابن ماجه - المكثر - (٣٧٩٩) صحيح - صدع: شق

^{٧٤٦} - المستدرک للحاکم (٧٣٤٩) صحيح

إلباسه، أو تغسيله، أو إطعامه، ولا بأس كذلك بالسماح له بأن يلاعب أو يداعب أخاه الصغير ولكن مع شيء من المراقبة مخافة إيذائه، وعندما تحمل الأم الوليد لإرضاعه، فيستحسن من الأب أن يداعب أخاه الأكبر، ويحادثه ويلطفه ليشعره بالمحبة والعطف والاهتمام..

والمقصود على العموم إشعار الأخ الأكبر بأنه محبوب، وأنه المراد، وأنه محل العطف والعناية كأخيه الوليد سواء بسواء.

وهذا ما كان يوجه إليه المربي الأعظم عليه السلام في الأحاديث التي مر ذكرها، وسبق تعدادها.. ألا فلينهج المربون طريقة رسول الله عليه السلام في إشعار الطفل بالمحبة إن أرادوا تكوين شخصيات أطفالهم على الحب والتعاون والإيثار، وتحريرهم من الحقد والأثرة والأنانية.

٢- تحقيق العدل بين الأولاد:

فمن المعروف بدهاءة أن المربين حين يسوون بين الأولاد في المعاملة، ويحققون العدل بينهم في العطاء تتلاشى ظاهرة الحسد في نفوسهم، وتزول آفات الضغائن والأحقاد من قلوبهم، بل يعيش الأبناء مع إخوتهم ومربيهم في تفاهم تام، ومحبة متبادلة، بل تترف على البيت أجنحة المودة، والإخلاص، والصفاء...

فلا عجب أن نرى المعلم الأول، والمربي الأكبر عليه السلام، وهو يحض الآباء والمربين على تحقيق مبدأ العدل بين الإخوة، بل كان عليه الصلاة والسلام يستنكر كل الإنكار على الذين لا يحققون عدلاً ولا رحمة بين أولادهم، ولا يسوون بينهم في القسمة والعطاء!!..

وإليكم طرفاً من توجيهاته واستنكاراته، ليعرف من يريد أن يعرف حرص الرسول عليه السلام على التربية القويمة، والإصلاح الاجتماعي!!..

سبق أن ذكرنا في معالجة ظاهرة الشعور بالنقص عند الأولاد هذه الأحاديث، فارجع إليها إن شئت.

٣- إزالة الأسباب التي تؤدي إلى الحسد:

فعلى المربي أن يكون حكيماً في تربية الولد، وذلك باتباع أنجع الوسائل في إزالة ظاهرة الحسد من نفسه:

فإذا كان مجيء الوليد الجديد يشعره فقدان محبة أبويه وعطفهما.. فعلى الأبوين أن يسعيا جهدهما في إشعاره أن هذه المحبة باقية على مدى الأيام.

وإذا كان رمي الأبوين له بالغباوة، والألفاظ القارعة.. يؤجج في صدره نيران الحقد والحسد.. فعلى الأبوين أن يترها ألسنتهما عن التقرير المؤلم، والكلمات الجارحة..

وإذا كان تفضيل أحد الأولاد عليه في معاملة أو عطاء.. يغيظه ويولد في نفسه ظاهرة الحسد.. فعلى الأبوين أن يحققا بين الأولاد العدل والمساواة..

وهكذا يجب على المربين والآباء والأمهات أن يكونوا حذرين كل الحذر من أن يتعرض الولد لآفة من هذه الآفات النفسية وعلى رأسها الحسد.. حتى تكتمل شخصيته، وينشأ إنساناً سويًا في ظلال التربية الصالحة..

وبما أن للحسد آفات نفسية وآثاراً اجتماعية، حذر عليه الصلاة والسلام منه ونهى عنه.. وإليكم طائفة من تحذيراته وأقواله:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ « إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ ». أَوْ قَالَ « الْعُشْبَ » ٧٤٧ .

وَعَنْ ضَمْرَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا " ٧٤٨ .

وَعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: " الْحَسَدُ يُفْسِدُ الْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبْرُ الْعَسَلَ " ٧٤٩ .

فما أحوج الآباء والمربين إلى هذه المبادئ التربوية في معالجة الحسد عند الأولاد.. ولا شك أنهم إذا التزموها، وأخذوا بتوجيهاتها.. نشأ الأولاد على خير ما ينشؤون من الصفاء والإخلاص!!..

المطلب الخامس - ظاهرة الغضب وعلاجها :

الغضب هو حالة نفسية، وظاهرة انفعالية يحس بها الطفل في الأيام الأولى من حياته، وتصحبه في جميع مراحل العمر إلى الممات.

٧٤٧ - سنن أبي داود - المكثر - (٤٩٠٥) حسن لغيره

٧٤٨ - المعجم الكبير للطبراني - (٧ / ٣٦٠) (٨٠٨٣) حسن

٧٤٩ - شَرْحُ أُصُولِ الْإِعْتِقَادِ (١٥٢٣) بلا غاً - الصبر: مادة مُرَّة المذاق كالعَلَقَم.

وما دامت ظاهرة الغضب خلقاً متأسلاً في الإنسان منذ ولادته، فمن الخطأ أن نعد الغضب من الظواهر المستقبحة، والحالات الانفعالية السيئة.. لأن الله سبحانه لما خلق الإنسان، وركب فيه الغرائز، والميول، والمشاعر.. كان ذلك لحكمة بالغة، ومصلحة اجتماعية ظاهرة.

فمن فائدة الغضب:

المحافظة على النفس، والمحافظة على الدين، والمحافظة على العرض، والمحافظة على الوطن الإسلامي من كيد المعتدين، ومؤامرات المستعمرين..

ولولا هذه الظاهرة التي أودعها الله في الإنسان لما ثار المسلم وغضب إذا انتهكت محارم الله، أو امتهن دينه، أو أراد عدو أن يعتصب أرضه، ويستولي على بلاده..

وهذا لا شك من الغضب المحمود الذي كان مصاحباً لفعله عليه الصلاة والسلام في بعض الحالات:

فَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالُوا مَنْ يَجْتَرِي عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حَبِيبُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ». ثُمَّ قَامَ فَاحْتَطَبَ فَقَالَ « إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِيمَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا ». ٧٥٠

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَادِمًا لَهُ قَطُّ، وَلَا امْرَأَةً لَهُ قَطُّ، وَلَا ضَرَبَ بِيَدِهِ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ فَانْتَقَمَهُ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ مَحَارِمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا عُرِضَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنَ الْآخَرِ، إِلَّا أَخَذَ بِأَيْسَرِهِمَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَأْتِمًا، فَإِنْ كَانَ مَأْتِمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. ٧٥١

٧٥٠ - سنن الترمذی - المکتز - (١٤٩٧) صحیح

٧٥١ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ١٠) (٢٤٠٣٤) (٢٤٥٣٥) - صحیح

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ أَمْرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ قَالُوا إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ يَقُولُ « إِنْ أَنْفَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا ». ٧٥٢

وَعَنْ عَلِيٍّ - ﷺ - قَالَ أَهْدَى إِلَيَّ النَّبِيُّ - ﷺ - حُلَّةَ سَيْرَاءَ فَلَبِسْتُهَا، فَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، فَسَفَقْتُهَا بَيْنَ نِسَائِي ٧٥٣ .

وَعَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ قَسَمَ النَّبِيُّ - ﷺ - قَسَمًا، فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ. فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - فَأَخْبَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ « يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ » ٧٥٤ .

وَعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَعِنْدِي رَجُلٌ قَاعِدٌ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ أَحْيَى مِنَ الرِّضَاعَةِ. قَالَتْ فَقَالَ « انْظُرْنَ إِخْوَتَكُنَّ مِنَ الرِّضَاعَةِ فَإِنَّمَا الرِّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ ». ٧٥٥

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْزِضُ سِلْعَةً لَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ أَوْ لَمْ يَرْضَهُ - شَكََّ عَبْدُ الْعَزِيزِ - قَالَ لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ. قَالَ فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَطَمَ وَجْهَهُ - قَالَ - تَقُولُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بَيْنَ أَظْهُرِنَا قَالَ فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا. وَقَالَ فَلَانَ لَطَمَ وَجْهِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ وَأَنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. قَالَ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - حَتَّى عُرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ « لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ

٧٥٢ - صحيح البخارى - المكثر - (٢٠)

٧٥٣ - صحيح البخارى - المكثر - (٢٦١٤) - السيرة: ثياب من الحرير

٧٥٤ - صحيح البخارى - المكثر - (٣٤٠٥)

٧٥٥ - صحيح مسلم - المكثر - (٣٦٧٩)

اللَّهُ - قَالَ - ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ أَوْ فِي أَوَّلِ مَنْ بُعِثَ فَإِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخَذَ بِالْعَرْشِ فَلَا أَدْرَى أَحُوسِبَ بِصَعْفَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَوْ بُعِثَ قَبْلِي وَلَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ». ^{٧٥٦}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ إِلَى الْيَمَنِ جَيْشَيْنِ، وَأَمَرَ عَلَى أَحَدِهِمَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَلَى الْآخَرِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فَقَالَ لَهُمَا: إِذَا اتَّفَقْتُمَا، فَعَلِيٌّ، وَعَلَى النَّاسِ، وَإِنْ تَفَرَّقْتُمَا فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا عَلَى أَصْحَابِهِ، فَالْتَقَيْنَا، فَظَهَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقَتَلْنَا الْمُقَاتِلَةَ، وَسَبَبْنَا الذَّرِيَّةَ، فَاصْطَفَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ امْرَأَةً مِنَ السَّبْيِ لِنَفْسِهِ، فَكَتَبَ مَعِيَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذَلِكَ، وَأَمَرَنِي خَالِدٌ أَنْ أَنْالَ مِنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا قُرِئَ الْكِتَابُ، نَلْتُ مِنْ عَلِيٍّ، قَالَ: فَرَأَيْتَا الْعُضْبَ فِي وَجْهِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: بَعَثْتَنِي مَعَ رَجُلٍ، وَأَمَرْتَنِي بِطَاعَتِهِ، فَفَعَلْتُ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ، فَقَالَ: يَا بُرَيْدَةُ لَا تَقْعُ فِي عَلِيٍّ، فَإِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ. ^{٧٥٧}

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَيْفَ تَصُومُ؟ قَالَ: فَعَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عُمَرُ، قَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ، وَجَعَلَ يُرَدِّدُهَا حَتَّى سَكَنَ مِنْ غَضَبِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمَيْنِ وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قَالَ: وَيُطِيقُ ذَلِكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: فَكَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، قَالَ: ذَلِكَ صَوْمُ أَحِي دَاوُدَ، قَالَ: فَكَيْفَ بِمَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمَيْنِ؟ قَالَ: وَوَدِدْتُ أَنِّي طُوِّقْتُ ذَلِكَ. ^{٧٥٨}

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: لَمْ يَكُنْ غَضِبُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَةِ هَذَا السَّائِلِ عَنْ كَيْفِيَّةِ الصَّوْمِ، وَإِنَّمَا كَانَ غَضِبُهُ ﷺ لِأَنَّ السَّائِلَ سَأَلَهُ، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَيْفَ تَصُومُ؟ قَالَ: فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ اسْتِخْبَارَهُ عَنْ كَيْفِيَّةِ صَوْمِهِ مَخَافَةَ أَنْ لَوْ أَخْبَرَهُ يَعْجِزُ عَنْ إِثْبَانِ مِثْلِهِ، أَوْ خَشِيَ ﷺ عَلَى السَّائِلِ وَأُمَّتِهِ جَمِيعًا أَنْ يَفْرَضَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ فَيَعْجِزُوا عَنْهُ.

^{٧٥٦} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٣٠٠)

^{٧٥٧} - كشف الأستار - (٣ / ٢٠٠) (٢٥٦٣) حسن

^{٧٥٨} - صحيح ابن حبان - (٨ / ٤٠١) (٣٦٣٩) صحيح

وإذا كان كثير من علماء الاجتماع والتربية عدّوا الغضب من الرذائل المقوتة، والعادات المذمومة.. فإنما يقصدون من وراء ذلك الغضب المذموم الذي يؤدي إلى أسوأ الآثار، وأوخم العواقب.. وذلك حين الانفعال والغضب من أجل المصالح الشخصية، والبواعث الأنانية.. ولا يخفى ما في هذا الغضب من تمزيق للوحدة، وتصديع للجماعة، واستئصال لمعاني الأمانة، والمحبة والصفاء.. في ربوع المجتمع.

فلا عجب أن يهتم الإسلام بذلك، قال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (١٣٤) سورة آل عمران
يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ صِفَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ مَرْضَاةِ اللَّهِ، فِي الرَّحَاءِ (السَّرَّاءِ)، وَفِي الشَّدَّةِ (الصَّرَّاءِ)، وَفِي الصَّحَّةِ وَالْمَرَضِ، وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، لَا يَشْغَلُهُمْ أَمْرٌ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ، وَإِنَّهُمْ يَكْتُمُونَ غَيْظَهُمْ إِذَا تَارَ، وَيَعْفُونَ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ. وَاللَّهُ يُحِبُّ الَّذِينَ يَتَفَضَّلُونَ عَلَى عِبَادِهِ الْبَائِسِينَ، وَيُوَاسُونَهُمْ شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى جَزِيلِ نِعْمِهِ عَلَيْهِمْ.^{٧٥٩}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَوْصِنِي. قَالَ « لَا تَغْضَبْ ». فَرَدَّدَ مَرَارًا، قَالَ « لَا تَغْضَبْ ».^{٧٦٠}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يَمْنَعُنِي مِنْ غَضَبِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا تَغْضَبْ.^{٧٦١}

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسِ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ ». ^{٧٦٢}

^{٧٥٩} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٢٧)

^{٧٦٠} - صحيح البخارى - المكثر - (٦١١٦)

^{٧٦١} - صحيح ابن حبان - (١ / ٥٣١) (٢٩٦) حسن

^{٧٦٢} - سنن الترمذى - المكثر - (٢١٥٣) قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَعُدُّونَ الصَّرْعَةَ فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرَّجَالُ قَالَ: فَمَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ؟ قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّهُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ شَيْئًا مِنْ وَلَدِهِ. ^{٧٦٣}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟ » قَالَ قُلْنَا الَّذِي لَا يُؤَلِّدُ لَهُ. قَالَ « لَيْسَ ذَلِكَ بِالرَّقُوبِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا ». قَالَ « فَمَا تَعُدُّونَ الصَّرْعَةَ فِيكُمْ؟ » قَالَ قُلْنَا الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرَّجَالُ. قَالَ « لَيْسَ بِذَلِكَ وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْعُضْبِ ». ^{٧٦٤}

ولا غرابة أيضاً أن يأمر القرآن العظيم المؤمنين والمؤمنات بكظم الغيظ، والدفع بالتي هي أحسن، والإعراض عن الجاهلين.. حتى يتحقق للمجتمع مودته، ويتم للمسلمين تآلفهم: قال تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} (٣٤) سورة فصلت.

وقال تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} (٦٣) سورة الفرقان

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} (٣٧) سورة الشورى

يَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَعَدَّ لَهُمُ الثَّوَابَ وَالْجَنَّةَ فِي الْآيَاتِ التَّالِيَاتِ. فَهُمْ الَّذِينَ يَتَّعِدُونَ عَنِ ارْتِكَابِ كِبَائِرِ الْإِثْمِ كَالْقَتْلِ وَالزَّوْنِ وَالسَّرْقَةِ، وَيَتَّعِدُونَ عَنِ الْفَوَاحِشِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، وَإِذَا مَا غَضِبُوا كَظَمُوا غَيْظَهُمْ وَصَفَحُوا وَعَفَوْا عَمَّنْ أَعْضَبَهُمْ ^{٧٦٥}.

وإذا كان لظاهرة الغضب المذموم آثار سيئة على شخصية الإنسان، وعقله، واتزانه.. وعواقب وخيمة على وحدة المجتمع وترابطه، وتماسكه.. فما على

^{٧٦٣} - مسند الشاشي ٣٣٥ - (٢ / ٤٣) (٨٢٤) صحيح

^{٧٦٤} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٨٠٧)

^{٧٦٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤١٨٨)

المربين إلا أن يهتموا بعلاج هذه الظاهرة منذ نعومة أظفار الولد إلى أن يصل مرحلة التمييز، إلى أن يتدرج إلى سن المراهقة.

وإن خير علاج تقدمه لمعالجة ظاهرة الغضب في الولد تجنبه دواعي الغضب وأسبابه حتى لا يصبح له خلقاً وعادة، وصدق من قال: "درهم وقاية خير من قنطار علاج".

فإذا كان من دواعي الغضب وأسبابه الجوع، فعلى المربي أن يسعى إلى إطعام الولد في الوقت المخصص، لأن إهمال غذائه يؤدي إلى أمراض جسمية، وانفعالات نفسية.. وكم يكون المربي آثماً إذا ضيع من يعيل؟، فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَفُوتُ. ^{٧٦٦}

وإذا كان من دواعي الغضب وأسبابه المرض، فعلى المربي أن يسعى إلى معالجة الولد طبيًا، وإعداده صحياً.. امتثالا لتوجيهاته ﷺ، فعن جابر عن رسول الله ﷺ - أَنَّهُ قَالَ « لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » ^{٧٦٧}.

وإذا كان من دواعي الغضب وأسبابه تفرغ الولد وإهانته بدون موجب، فعلى المربي أن يتره لسانه عن كلمات التحقير والإهانة.. حتى لا تترسخ في نفس الولد الآفات النفسية، والانفعالات الغضبية.. ولا شك أن هذا من حسن التربية، والإعانة على البر.. فعن الحارث بن الثعمان سمعت أنس بن مالك يحدث عن رسول الله ﷺ - أَنَّهُ قَالَ « أَكْرَمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ » ^{٧٦٨}.

وإذا كان من دواعي الغضب وأسبابه محاكاة الولد لأبويه في ظاهرة الغضب، فعلى الأبوين أن يعطيا الولد القدوة الصالحة في الحلم، والأناة، و ضبط النفس عند الغضب.. تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَآظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (سورة آل عمران).

^{٧٦٦} - صحيح ابن حبان - (١٠ / ٥١) (٤٢٤٠) صحيح

^{٧٦٧} - صحيح مسلم - المكثر - (٥٨٧١)

^{٧٦٨} - سنن ابن ماجه - المكثر - (٣٨٠٢) ضعيف

وتنفيذاً لوصية الرسول ﷺ، فعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "ليس الشديدُ
بالصرعَةِ، إنّما الشديدُ الذي يملكُ نفسه عندَ الغضبِ" ٧٦٩

وإذا كان من دواعي الغضب وأسبابه لدى الولد الدلال المفرط والتنعّم البالغ، فعلى المربين
أن يكونوا معتدلين في محبة الأولاد، وأن يكونوا طبيعيين في الرحمة بهم والإنفاق عليهم
تحقيقاً لما روي عن أبي هريرة - أراه رفعه - قال: " أحبّ حبيبك هوناً ما عسى أن
يكونَ بغيضك يوماً ما، وأبغضُ بغيضك هوناً ما عسى أن يكونَ حبيبك يوماً ما " ٧٧٠
وتطبيقاً لما حذر منه عليه الصلاة والسلام، فعن معاذ بن جبل: أن رسول الله ﷺ لما بعث
به إلى اليمن قال: " إياك والتنعّم؛ فإنَّ عبادَ الله ليسوا بالمتنعّمين " ٧٧١

وإذا كان من دواعي الغضب وأسبابه الهزاء والسخرية والتنازير بالألقاب، فعلى المربين أن
يجتنبوا هذه المسببات الغضبية.. حتى لا تتأصل ظاهرة الغضب في نفسية الولد..

وما أعظم تربية القرآن الكريم حين نهى عن السخرية، وسوء الظن، والتجسس، والتنازير
بالألقاب.. حين قال في سورة الحجرات: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى
أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا
تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }
(١١) سورة الحجرات ١١ .

ومن العلاج الناجع في معالجة الغضب لدى الطفل تعويده على المنهج النبوي في تسكين
الغضب..

وإليكم مراحل هذا المنهج:

١- تغيير العادة التي يكون عليها الغضبان:

عن أبي ذر، قال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: " إذا غضبَ أحدُكم وهو قائمٌ فليجلس، فإن
ذهبَ عنه الغضبُ وإلا فليضطجع " ٧٧٢ .

٧٦٩ - مؤطاً مالك << كتابُ حُسنِ الخلق >> (١٦٤٥) صحيح

٧٧٠ - سننُ الترمذِيِّ - الجامعُ الصَّحِيحُ << (٢٠٠٣) حسن لغيره

٧٧١ - مُسنَدُ أحمدَ بنِ حنبلٍ (٢١٦٢٤) حسن

٢- اللجوء إلى الوضوء في حالة الغضب:

قال أبو وائل القاص: دَخَلْنَا عَلَى عُرْوَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّعْدِيِّ، فَكَلَّمَهُ رَجُلٌ فَأَغْضَبَهُ، فَقَامَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ رَجَعَ وَقَدْ تَوَضَّأَ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي عَطِيَّةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ" ٧٧٣

٣- اللجوء إلى السكوت في حالة الغضب:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "عَلِّمُوا، وَيَسِّرُوا، وَلَا تُعَسِّرُوا، وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ" ٧٧٤

٤- التعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى خِيلَ إِلَيَّ أَنْ أَنْفَهُ يَتَمَزَعُ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُهُ مِنَ الْغَضَبِ؟" فَقَالَ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "يُقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" قَالَ: "فَجَعَلَ مُعَاذٌ يَأْمُرُهُ، فَأَبَى وَمَحَكَ، وَجَعَلَ يَزِدَادُ غَضَبًا" ٧٧٥
وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا تَحْمَرُّ عَيْنَاهُ وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا هَذَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" فَقَالَ الرَّجُلُ: هَلْ تَرَى بِي مِنْ جُنُونٍ؟ ٧٧٦
هذه هي أهم الوصايا التي وجه إليها رسول الإسلام ﷺ في تسكين الغضب، والتخفيف من حدته.

٧٧٢ - سنن أبي داود (٤٢١٤) صحيح

٧٧٣ - سنن أبي داود (٤٢١٥) حسن

٧٧٤ - مسند أحمد بن حنبل (٢٠٨٥) حسن

٧٧٥ - سنن أبي داود (٤٢١٢) صحيح

٧٧٦ - سنن أبي داود (٤٢١٣) صحيح

فما على الآباء والمربين إلا أن يؤدبوا أولادهم وتلامذتهم عليها، عسى أن يعتادوا الحلم والأناة، وضبط النفس عند الغضب.

وأخيراً على المربين أن يقبّحوا لأطفالهم ظاهرة الغضب، كأن يُروهم حالة إنسان غضبان كيف تتسع عيناه، وتنتفخ أوداجه، وتتغير ملامحه، ويحمرّ وجهه، ويرتفع صوته.. ولا شك أن إظهار هذه الصورة الحسية لدى الطفل أدعى للزجر والاعتبار..

وكذلك عليهم أن يجذروهم آفات الغضب، وأخطاره البالغة، وعواقبه الوخيمة..

فهذا التقييح والتجسيد والتحذير لظاهرة الغضب هي الطريقة التي كان ينهجها رسول الله ﷺ في تربية المجتمع، ومعالجة النفوس، فقد روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدريّ قال: صَلَّى بِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْعَصْرِ ذَاتَ يَوْمٍ بِنَهَارٍ، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَنَا، إِلَى أَنْ غَابَتِ الشَّمْسُ، فَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا مِمَّا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِلَّا حَدَّثَنَا، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَ، وَنَسِيَ ذَلِكَ مَنْ نَسِيَ، وَكَانَ مِمَّا قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَمَا ظَرُّكُمْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ، أَلَا إِنَّ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقْدِرُ غَدْرَتَهُ، يُنْصَبُ عِنْدَ اسْتِهِ يُجْزَى بِهِ، وَلَا غَادِرٌ أَعْظَمُ مِنْ أَمِيرٍ عَامَّةٍ، ثُمَّ ذَكَرَ الْأَخْلَاقَ، فَقَالَ: يَكُونُ الرَّجُلُ سَرِيعَ الْغَضَبِ، قَرِيبَ الْفَيْئَةِ، فَهَذِهِ بِيَدِهِ، وَيَكُونُ بَطِيءَ الْغَضَبِ، بَطِيءَ الْفَيْئَةِ، فَهَذِهِ بِيَدِهِ، فَخَيْرُهُمْ بَطِيءُ الْغَضَبِ، سَرِيعُ الْفَيْئَةِ، وَشَرُّهُمْ سَرِيعُ الْغَضَبِ، بَطِيءُ الْفَيْئَةِ، قَالَ: وَإِنَّ الْغَضَبَ حَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ تَتَوَقَّدُ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ، وَأَنْتَفَاخِ أَوْدَاجِهِ، فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ، فَلْيَجْلِسْ، أَوْ قَالَ: فَلْيَلِصِقْ بِالْأَرْضِ، قَالَ: ثُمَّ ذَكَرَ الْمُطَالَبَةَ، فَقَالَ: يَكُونُ الرَّجُلُ حَسَنَ الطَّلَبِ، سَيِّئَ الْقَضَاءِ، فَهَذِهِ بِيَدِهِ، وَيَكُونُ حَسَنَ الْقَضَاءِ، سَيِّئَ الطَّلَبِ، فَهَذِهِ بِيَدِهِ، فَخَيْرُهُمْ الْحَسَنُ الطَّلَبِ الْحَسَنُ الْقَضَاءِ، وَشَرُّهُمْ السَّيِّئُ الطَّلَبِ السَّيِّئُ الْقَضَاءِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ النَّاسَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ، فَيُولَدُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيَعِيشُ مُؤْمِنًا وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا، وَيُولَدُ الرَّجُلُ كَافِرًا وَيَعِيشُ كَافِرًا وَيَمُوتُ كَافِرًا، وَيُولَدُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيَعِيشُ مُؤْمِنًا وَيَمُوتُ كَافِرًا، وَيُولَدُ الرَّجُلُ كَافِرًا وَيَعِيشُ كَافِرًا وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا، ثُمَّ قَالَ فِي حَدِيثِهِ: وَمَا شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْ كَلِمَةٍ عَدْلٍ تُقَالُ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ، فَلَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ اتِّقَاءُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا رَأَاهُ، أَوْ شَهِدَهُ، ثُمَّ بَكَى أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ: قَدْ وَاللَّهِ مَنَعْنَا

ذَلِكَ، قَالَ: وَإِنَّكُمْ تُتْمُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ دَنَّتِ الشَّمْسُ أَنْ تَعْرَبَ، فَقَالَ: وَإِنَّ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا، مِثْلُ مَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ. ٧٧٧

والذي نخلص إليه بعدما تقدم أن المرين حين يجنبون أولادهم منذ الصغر دواعي الغضب وأسبابه، وحينما يأخذون بالمنهج النبوي في معالجة الغضب وتسكينه، وحينما يقبّحون لأطفالهم ظاهرة الغضب تجسيداً وتحذيراً.. فإن الأولاد - لا شك - ينشؤون على الحلم، والأناة، والاتزان العقلي، وضبط النفس.. بل يعطون الصورة الصادقة عن أخلاق المسلم، وسلوكه السويّ في الحياة!!..

وحين يحرر المرين أبناءهم وطلابهم، ومن لهم حق التربية عليهم: من ظاهرة الخجل.. ومن ظاهرة الخوف.. ومن ظاهرة الشعور بالنقص.. ومن ظاهرة الحسد.. ومن ظاهرة الغضب.. يكونون قد غرسوا في أنفسهم الأصول النفسية النبيلة التي تتحقق:

بالثبات والجرأة الأدبية.. والشجاعة والإقدام.. والشعور بالواجب والكمال.. وبالإيثار والحب.. وبالحلم والأناة.. بل يكونون بهذه التخلية والتحلية قد أعدوا أولاداً ليكونوا شباب الغد، ورجال المستقبل.. يواجهون الحياة بابتسامة متفائلة، وعزيمة جبارة، وهمة قعساء، وأخلاق سمحة كريمة.. فما أحوجنا إلى مرين يعرفون طريقة الإسلام في التربية النفسية، ومنهج الرسول ﷺ في الإصلاح.. ليؤدوا ما عليهم من واجب ومسؤوليات.. عسى أن نجد أبناء الجيل وقد اكتملت شخصياتهم، وصلحت سريرتهم، وسمت أخلاقهم، وتحررت من الآفات النفسية نفوسهم وقلوبهم.. وما ذلك على الله بعزيز إن جاهد المصلحون، وقام بمسؤولياتهم المرين!!..



أهم المصادر

١. أيسر التفاسير لأسعد حومد
٢. التفسير الميسر
٣. تفسير ابن أبي حاتم
٤. تفسير ابن كثير - دار طيبة
٥. تفسير السعدي
٦. تفسير الطبري - مؤسسة الرسالة
٧. تفسير القرطبي - موافق للمطبوع
٨. في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع
٩. أخبار مكة للفاكهي (٢٧٢)
١٠. تحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة
١١. الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم
١٢. الأدب المفرد للبخاري - دار البشائر
١٣. الترغيب والترهيب للمنري
١٤. السنن الكبرى للإمام النسائي الرسالة
١٥. السنن الكبرى للبيهقي - المكثر
١٦. الشمائل المحمدية للترمذي
١٧. المجالسة وجواهر العلم (٣٣٣)
١٨. المدخل إلى السنن الكبرى
١٩. المستدرک للحاکم مشکلا
٢٠. المسند الجامع
٢١. المعجم الأوسط للطبراني
٢٢. المعجم الصغير للطبراني
٢٣. المعجم الكبير للطبراني
٢٤. جامع الأحاديث
٢٥. جامع الأصول في أحاديث الرسول

٢٦. دلائل النبوة للبيهقي
٢٧. سنن أبي داود - المكثر
٢٨. سنن ابن ماجه - المكثر
٢٩. سنن الترمذى - المكثر
٣٠. سنن الدارمى - المكثر
٣١. سنن النسائي - المكثر
٣٢. شرح مشكل الآثار (٣٢١)
٣٣. شرح معاني الآثار (٣٢١)
٣٤. شعب الإيمان (٤٥٨)
٣٥. صحيح ابن حبان
٣٦. صحيح ابن خزيمة مشكل
٣٧. صحيح البخارى - المكثر
٣٨. صحيح مسلم - المكثر
٣٩. غاية المقصد فى زوائد المسند ١
٤٠. غاية المقصد فى زوائد المسند ٢
٤١. كشف الأستار
٤٢. مجمع الزوائد
٤٣. مسند أبي عوانة مشكلا
٤٤. مسند أبي يعلى الموصلي مشكل
٤٥. مسند أحمد (عالم الكتب)
٤٦. مسند احمد بن حنبل (بأحكام شعيب الأرنؤوط)
٤٧. مسند البزار كاملا
٤٨. مسند الحميدي - المكثر
٤٩. مسند الشاشي ٣٣٥
٥٠. مسند الشاميين ٣٦٠
٥١. مسند الطيالسي
٥٢. مصنف ابن أبي شيبة

٥٣. مصنف عبد الرزاق مشكل
٥٤. معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤٣٠)
٥٥. موسوعة السنة النبوية للمؤلف
٥٦. موطأ مالك - المكثر
٥٧. سنن ابن ماجه - ط - الرسالة -
٥٨. الفوائد لتمام ٤١٤
٥٩. أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلوي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٦٠. أهداف التربية الإسلامية وغاياتها، مقداد يالجن، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
٦١. التربية الإسلامية للأولاد: منهجاً وهدفاً وأسلوباً، عبد المجيد الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٦٢. تربية الطفل في الإسلام: النظرية والتطبيق، د/ محمد عبد السلام العجمي، وآخرون، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٦٣. التربية قديمها وحديثها، فاخر عاقل، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨١م.
٦٤. الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، سهام مهدي جبار، سلسلة الكتاب التربوي الإسلامي، إشراف: د/ محمد منير سعد الدين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٦٥. العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٦٦. العبودية، لابن تيمية، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).
٦٧. مقدمة في التربية الإسلامية، د/ صالح بن علي أبو عراد، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٦٨. منهاج الطفل المسلم في ضوء الكتاب والسنة، أحمد سليمان، مطبعة النرجس التجارية، الرياض، الطبعة الثانية، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، ص (٢٤ -
٦٩. إحياء علوم الدين للغزالي
٧٠. مقدمة ابن خلدون
٧١. ركائز الإيمان محمد قطب بتحقيقي

٧٢. أصول التربية الإسلامية الحازمي
٧٣. تربية الأولاد في الإسلام لعلوان
٧٤. منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ محمد خير فاطمة
٧٥. أدب الدنيا والدين، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، (أدب النفس)، المنصورة، مكتبة الإيمان.
٧٦. <http://saaid.net/tarbiah/>.htm٦
٧٧. المهذب المستفاد لتربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، جاد الله بن حسن الخدّاش
٧٨. نبيل الإطار شرح منتقى الأخيار للشوكاني -، دار المعرفة، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م .
٧٩. محبة الله أصل الدين - الشيخ " راتب النابلسي "
٨٠. كيف نربي أبنائنا على الإيمان
٨١. فتح الباري شرح صحيح البخاري- ط دار الفكر -
٨٢. كيف تربي أبنائك في هذا الزمان، د. حسان شمسي باشا - دمشق، دار القلم، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٨٣. تربية الأبناء والبنات في ضوء القرآن والسنة، خالد عبد الرحمن العك
٨٤. فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، عبد الحميد الصيد الزنتاني
٨٥. الواضح في أركان الإيمان للمؤلف
٨٦. الإيمان بالملائكة وبيان صفاتهم للمؤلف
٨٧. أَدَبُ النَّفُوسِ لِلتَّاجِرِيِّ
٨٨. التربية الإسلامية للأولاد منهجاً وهدفاً وأسلوباً عبد الحميد طعمة حلي
٨٩. منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق، ط٦، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م
٩٠. الفقه على المذاهب الأربعة، الجزيري، القاهرة، مؤسسة المختار، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م.
٩١. <http://saaid.net/tarbiah/>.htm٢٠
٩٢. <http://www.saaid.net/tarbiah/>.htm٧٠
٩٣. <http://www.khayma.com/salattar/>.htm٩
٩٤. مختصر الفقه الإسلامي، التويجري، بيت الأفكار الدولية، ط٤، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م
٩٥. الموسوعة الفقهية الكويتية
٩٦. معالم السنن للخطاب
٩٧. معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه

١٥٠٠٦http://www.odabasham.net/show.php?sid=.٩٨

٩٩. الخلاصة في حقوق النبي ﷺ
١٠٠. أَحْبَارُ أَصْبَهَانَ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ
١٠١. فيض القدير، شرح الجامع الصغير
١٠٢. جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ لابن عبد البر
١٠٣. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير
١٠٤. مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ لِلنَّخْرَائِطِيِّ
١٠٥. الزُّهْدُ وَالرَّقَائِقُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ
١٠٦. معجم ابن الأعرابي
١٠٧. غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب
١٠٨. لوائح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية
١٠٩. فتاوى واستشارات الإسلام اليوم
١١٠. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي
١١١. الزهد أبي داود
١١٢. تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ
١١٣. قِيَامُ اللَّيْلِ لِمُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ الْمَرْوَزِيِّ
١١٤. فضائل القرآن للقاسم بن سلام
١١٥. بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية
١١٦. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية
١١٧. أَحْلِيَةُ الْأَوْلِيَاءِ لِأَبِي نُعَيْمٍ
١١٨. أخلاقنا الاجتماعية للسباعي
١١٩. فَضَائِلُ الرَّمِّيِّ لِإِسْحَاقَ الْقَرَّابِ
١٢٠. تربية الطفل في الإسلام، سميح أبو مغلي وآخرون
١٢١. http://saaid.net/tarbiah/٥٦.htm
١٢٢. الزُّهْدُ لِوَكَيْعٍ
١٢٣. المجموع للنووي

- ١٢٤ . مجلة التمدن الإسلامي من مقال (التربية الإسلامية) للأستاذ محمود مهدي
استانبولي
- ١٢٥ . التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، اسحق أحمد فرحات ط ٣، دار
الفرقان، ١٤١١هـ - ١٩٩١ م.
- ١٢٦ . الأُمُوالُ لِابْنِ زَئُجُوِيهِ
- ١٢٧ . السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث للصلاحي
- ١٢٨ . عيون الأخبار لابن قتيبة
- ١٢٩ . الفقيهُ والمُتَّفِقُ لِلْخَطِيبِ البُعْدَادِيِّ
- ١٣٠ . عشرة النساء للإمام للنسائي بتحقيقي - الطبعة الثالثة -
- ١٣١ . المشكلات السلوكية عند الأطفال للدكتور نبيه الغبرة
- ١٣٢ . صور من ابتلاء العلماء
- ١٣٣ . المستطرف في كل فن مستظرف
- ١٣٤ . العقد الفريد لابن عبد ربه
- ١٣٥ . تنبيه العافلين، للسمرقندي
- ١٣٦ . سيرة ابن هشام
- ١٣٧ . آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي
- ١٣٨ . الجامع لابن وهب
- ١٣٩ . المجالسة وجواهر العلم
- ١٤٠ . الأُمُوالُ لِلْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ
- ١٤١ . البداية والنهاية لابن كثير
- ١٤٢ . سير أعلام النبلاء للذهبي
- ١٤٣ . التكافل الاجتماعي في الإسلام لعلوان
- ١٤٤ . تراجم شعراء موقع أدب
- ١٤٥ . المكتبة الشاملة ٣
- ١٤٦ . برنامج قالون

الفهرس العام

٧	الباب الأول
٧	حول تعريف التربية وأهميتها
٧	المبحث الأول
٧	مفهوم التربية في الإسلام
٧	التربية لغة :
٨	التربية اصطلاحاً :
١٢	المبحث الثاني
١٢	أهداف التربية الإسلامية ومقاصدها
١٧	المبحث الثالث
١٧	مميزات التربية الإسلامية
١٨	١ . التربية الإسلامية تربية تكاملية شاملة :
١٩	٢ . التربية الإسلامية تقوم على الإيمان بالله عز وجل :
١٩	٣ . التربية الإسلامية تربية عملية :
٢١	٤ . تربية فردية وجماعية معا :
٢١	٥ . التربية الإسلامية تنمي في الإنسان الرقابة الذاتية على عمله :
٢١	٦ . التربية الإسلامية مستمرة :
٢٢	٧ . التربية الإسلامية تربية متدرجة :
٢٣	٨ . التربية الإسلامية تربية متجددة :
٢٣	٩ . التربية الإسلامية إنسانية :
٢٤	١٠ . التربية الإسلامية ساوت بين الرجل والمرأة :
٢٥	١١ . تكافؤ فرص التعليم :
٢٧	المبحث الرابع
٢٧	سمات التربية الإسلامية
٢٧	السمة الأولى - الربانية :

- ٤٣ السمة الثانية - الشمول والموازنة :
 ٤٩ السمة الثالثة - التميز :
 ٥٧ السمة الرابعة - التوازن :
 ٦٢ السمة الخامسة - الثبات والمرونة :
 ٦٤ السمة السادسة - البدء بالأهم :
 ٦٦ السمة السابعة - الكليات قبل الجزئيات والأصول قبل الفروع :
 ٦٨ السمة الثامنة - الواقعية :

٧١ **الباب الثاني**

٧١ **أصول التربية الإسلامية**

٧١ **المبحث الأول**

٧١ **البناء العقائدي**

- ٧٢ **المطلب الأول:** أهمية مرحلة الطفولة في غرس العقيدة :
 ٧٤ **المطلب الثاني:** أسس غرس أركان الإيمان في الأطفال :
 الأساس الأول: إحياء بذرة الفطرة في نفس الطفل والتي تتمثل بتلقيق الطفل كلمة
 التوحيد بالأذان في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى. ٧٥
 الأساس الثاني: تثبيت اعتقادهم بالله الواحد الأحد، وترسيخ حب الله تعالى : ٧٧
 أولاً: " تزويه سبحانه الله تعالى وطاعته ومراقبة الله سبحانه وتعالى في سر السر والعلن
 : ٨١
 ثانياً: حسن الظن بالله واللجوء إليه والخوف منه: ٨٧
 ثالثاً: الصلة بالله وبيان أثرها في الطاقات الإنسانية : ٨٨
 رابعاً: شكر الله اعترافاً بالجميل: ٨٩
 خامساً: الدعاء وبيان بركته وفضله : ٩٣
المطلب الثالث: ترسيخ حب النبي - ﷺ - وحب آل بيته وصحبه. ٩٧
المطلب الرابع: الإيمان بالملائكة: ١٠٣
المطلب الخامس: الإيمان بالكتب السماوية: ١٠٦
المطلب السادس: الإيمان بالرسول عليهم السلام ١٠٩
المطلب السابع: الإيمان باليوم الآخر : ١١٤

١١٥	المطلب الثامن: الإيمان بالقدر خيره وشره :
١٢٠	المطلب التاسع: تعليم الطفل القرآن والسنة النبوية المطهرة :
١٢٢	المطلب العاشر: الثبات على العقيدة والتضحية من أجلها:
١٢٣	المطلب الحادي عشر - تعريفه أول ما يعقل أحكام الحلال والحرام:
١٢٥	المبحث الثاني
١٢٥	البناء العبادي
١٢٥	المطلب الأول: تكامل العقيدة مع العبادة في تربية الطفل :
١٢٦	المطلب الثاني: الصلاة :
١٣٤	المطلب الثالث: الصيام وبيان حكمه على الطفل وأثره عليه:
١٣٧	المطلب الرابع: الزكاة :
١٣٩	المطلب الخامس: الحج:
١٤٢	المبحث الثالث
١٤٢	البناء الأخلاقي
١٤٥	المطلب الأول: خلق تأديب الأطفال:
١٤٩	المطلب الثاني: أنواع الأخلاق النبوية للأطفال:
١٤٩	(١) خلق الحياء:
١٥٠	(٢) خلق الصدق والتحرز من الكذب :
١٥٣	(٣) الأمانة والاحتراز من الخيانة :
١٥٧	(٤) خلق حفظ السر :
١٥٩	(٥) العفو والتواضع:
١٦١	المطلب الثالث - التحذير من الأخلاق الهابطة:
١٦١	١- خلق الكذب:
١٦٢	٢- خلق السرقة:
١٦٢	٣- خلق السباب والشتائم:
١٦٣	٤- خلق الميوعة والانحلال:
١٦٤	المطلب الرابع: أنواع الآداب النبوية للأطفال :
١٦٥	(١) الأدب مع الله سبحانه وتعالى :

- ١٧٢ (٢) الأدب مع الرسول ﷺ :
- ١٧٩ (٣) الأدب مع الوالدين :
- ١٨٦ (٥) أدب الأخوة داخل البيت وخارجه:
- ١٩١ (٦) أدب احترام المعلم :
- ١٩٣ (٧) أدب الجار :
- ١٩٥ (٨) أدب الاستئذان :
- ١٩٩ (٩) أدب الحديث:
- ٢٠٢ (١٠) من آداب السلام :
- ٢٠٦ (١١) أدب مظهر الطفل:
- ٢٠٧ (١٢) آداب المشي والجلوس:
- ٢٠٩ (١٣) آداب الطعام والشراب:
- ٢١٤ (١٤) آداب الإنصات أثناء تلاوة القرآن :

المطلب الرابع - المبادئ الصحيحة في تربية الولد على الخلق القويم، والشخصية الإسلامية

- التميزة: ٢٣٣
- ١- التحذير من التشبه والتقليد الأعمى: ٢٣٣
- ٢- النهي عن الاستغراق في التمتع: ٢٣٥
- ٣- النهي عن الاستماع إلى الموسيقى والغناء الخليع: ٢٣٦
- ٤- النهي عن التخنث والتشبه بالنساء: ٢٣٨
- ٥- النهي عن التبرج والاختلاط والنظر إلى الحرمات: ٢٤٠

٢٤٩ **المبحث الرابع**

٢٤٩ **البناء البدني**

- المطلب الأول: وجوب النفقة على الأهل والولد ٢٤٩
- المطلب الثاني: أهداف التربية البدنية: ٢٥٠
- المطلب الثالث: بعض الممارسات الرياضية في الإسلام: ٢٥١
- المطلب الرابع: فوائد اللعب وقيمه: ٢٥٧
- المطلب الخامس: قواعد الأكل والشرب والتغذية وأثرها على التربي البدنية : ٢٥٨
- المطلب السادس: التربية البدنية وآداب النوم : ٢٦٢

٢٦٣	المطلب السابع:اهتمام الأطفال بالنظافة :
٢٦٥	المطلب الثامن:التحرز من الأمراض السارية المعدية:
٢٦٧	المطلب التاسع - علاجهم إذا مرضوا:
٢٦٨	المبحث الخامس
٢٦٨	البناء العلمي
٢٦٨	تمهيد حول أهمية العلم في الإسلام :
٢٧٨	المطلب الأول:الشريعة تدعو إلى العلم بمعناه الشامل:
٢٩٣	المطلب الثاني:العلم في القرآن الكريم:
٣٠١	المطلب الثالث:العلم في السنّة النبوية المطهرة:
٣٠٤	المطلب الرابع:السنن الذي يبدأ فيه تعليم الطفل وتأديبه:
٣٠٧	المطلب الخامس - لا فرق بين الذكور والإناث في التعليم :
٣١٨	المطلب السادس - التوعية الفكرية:
٣٢٠	١- التلقين الواعي:
٣٢١	٢- القدوة الواعية:
٣٢٣	٣- المطالعة الواعية:
٣٢٤	٤- الرفقة الواعية:
٣٢٧	المطلب السابع - أنواع القراءة :
٣٢٨	١ - قراءة البحث والإيمان :
٣٣٠	٢ - قراءة الشكر والعرفان :
٣٣١	٣ - قراءة الوحي والإذعان :
٣٣١	٤ - قراءة العدوان والطغيان :
٣٣٦	المبحث السادس
٣٣٦	التربية النفسية
٣٣٦	المطلب الأول- ظاهرة الخجل وعلاجها:
٣٤٣	المطلب الثاني- ظاهرة الخوف وعلاجها:
٣٤٨	المطلب الثالث- ظاهرة الشعور بالنقص وعلاجها:
٣٤٩	١- التحقير والإهانة:

- ٣٥٣ ٢- الدلال المفرط:
- ٣٦١ ٣- المفاضلة بين الأولاد:
- ٣٦٣ ٤- العاهات الجسدية:
- ٣٦٦ ٥- اليُثم:
- ٣٦٩ ٦- الفقر :
- ٣٧٧ المطلب الرابع- ظاهرة الحسد وعلاجها:
- ٣٧٨ ١- إشعار الطفل بالخبة:
- ٣٨٠ ٢- تحقيق العدل بين الأولاد:
- ٣٨٠ ٣- إزالة الأسباب التي تؤدي إلى الحسد:
- ٣٨١ المطلب الخامس- ظاهرة الغضب وعلاجها :
- ٣٨٨ ١- تغيير العادة التي يكون عليها الغضبان:
- ٣٨٩ ٢- اللجوء إلى الوضوء في حالة الغضب:
- ٣٨٩ ٣- اللجوء إلى السكوت في حالة الغضب:
- ٣٨٩ ٤- التعوذ بالله من الشيطان الرجيم: